

تَغْرِيبُ نَبِيِّ هِلَالِ

وَرَحِيلِهِمْ

إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ وَعُرُوبِهِمْ مَعَ
الزَّنَاتِي خَلِيفَةٍ

وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْجُرُوبِ الْخَفِيَّةِ

تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا

يَطْلُبُ مِنْ

مَكْتَبَةِ رِطْبَةُ مَكْرِ عَلَى لِبْسِ وَأَلْبَسِ

بِمَكَّةِ الْأَنْهَارِ بِمَكَّةِ

تَلْفُونِ ٤٨٥٨٠

تَغْرِيبُ نَبِيِّ هَلَالِ

وَرَحِيلِهِمْ

إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ وَعُرُوبِهِمْ مَعَ
الزَّنَاتِي خَلِيفَةٍ

وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْجُرُوبِ الْخَفِيَّةِ

تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا

يَطْلُبُ مِنْ

مَكْتَبَةِ طَبْعَةِ مَكْرِ عَلَى لِبْسَةِ وَالْأَنْبَاءِ

بِمَدِينَةِ الْأَنْهَارِ بِبَغْدَادِ

تَلْفُونُ ٤٨٥٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فلما كانت القصص والنوادر . موضوعاً لإفادة الناس وتسلية الخواطر
لا سيما قصة بني هلال وما جرى لهم في سالف الأجيال من الوقائع والأحوال التي
تشيب الأطمار . فقد بادرنّا بطلبها من أولها حتى آخرها وذكرنا رحيلهم من
بلاد نجد إلى نونس الغرب واستخلاصهم تلك الممالك بالحرب وقتلهم الزناتي خليفة
بعد حروب هائلة مخيفه فجاءت سيرة طريقة مشتملة على نوادر وأخبار . طريقة تتلذذ
بسماعها النفوس والأذان والله المستعان .

إنه لا يخفى على أهل المعارف والآداب بأن بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب
كثيرة المياه والغدران والسهول والوديان حتى كانت تذكرها شعراء الزمان بالأشعار
الحسان وتفضلها على غيرها نظراً لحسن هواها فيها وكانت منازل بني هلال في سالف
الأجيال وما زالت على رونقها الأول حتى تغير قطرها واضمحلت وانقطع عنها
الحشيش والنبات وعم البلاد المجاعة من جميع الجهات ولم يعد فيها شيء من الماء كولات
حتى صارت أهلها تأكل الخيوانات واستمرت المجاعة سبعة سنين وذلك بعد الطهيرة
بأربع مائة سنة وستين ولما عظمت الأحوال واشتدت المجاعة على بني هلال واجتمعت
منهم المشايخ والشبان وقصدوا مضارب الأمير حسن بن مروحان فدخلوا وسلموا
عليه وتمشوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان أعلم يا ملك الزمان بأن الهوخ قد اشتد
وانقطعت لما كولات من نجد وإن طال علينا الحال نموت من عدم وجود القوت
فلنم تقدر أن الأمر في الحال انقرضت جميع بني هلال وفقدت الموشى والأموال
(قال الرازي) ولما سمع الأمير حسن هذا الخطاب استعظم المصائب وكان عنده جماعة من
السادات الأما حيدوا لفرسان الصناديد منهم البطل الهمام وليث الآجام الذي شاع ذكره
بين الأنام رماقاً فقرر أنه بطن الرمح وضرب الحسام أبو زيد فارس الصدم والأمير
دياب بن غانم البطل المقدام والقاضي بدير غايد السيد الماجد فأخذوا يتذكرون
في هذا الشأن نحو ساعة من الزمان فاستقر رأيهم على الرحيل من تلك الديار قبل حلول
الدمار ثم قال الأمير حسن ياكابر القوم قوموا بنا تنقوا وتنقداً حوال القبيلة في هذا

وخليك باطنجبر ملقى على الثرى وتاكل عظامك ياسعيد سباع
 لأنك غدرت بحق سيدك وتركته في ذلة ونزاع
 مقال الفتى يحى مخاصم من طغى فلا بد منا ما تشوف صداع
 (قال الراوى) فلما فرغ يحيى من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى كلامه زاد
 عليه الحال واستعظم ذلك الملك وصاح على الجملادى قطع رأس الثلاثة شعراء فصاعداً
 لهم على ذلك الاقتراء فنهض يونس على الأقدام واعتذر إليه بالسكلام وقال إن هؤلاء
 الشعراء من أرباش العربان لأنهم تسكلموا بهضرة كمالا يليق من السكلام فإن أردت
 أن أنشدك أبياتاً ماسمها قط لإنسان إلا استحسنها غاية الإحسان فقال بارك الله فيك
 انشد وخذ منى ما يرضيك فإن صدري ضاق وقلبي يحدثنى بالفراق فأشدي يونس
 يقول وعمر السامعين يطول :

قال يونس من فؤاد التنب والدمع من عيني غدا عطالها
 هذا كلامى فبك يا أمير الملا الله يعطى نفسنا آمالها
 إني أمير بالحروب مجرب منى تشيب من الحرب ابطالها
 ما عدت تنجو ياسعيد العبد لا والروح منك فى حسامى زوالها
 عندك فرس أبيض قمالك وقفته فإذا مشيت رن القدم خلخالها
 حسناً ما يهجة ما رأينا مثالها فى لطفها وبظرفها وكأمالها
 طول الردينى كسأها عود القنا فاقت على كل الناس بمجالها
 الشعر منها مثل الليل أسود وعيونها مثل الغزلان نخالها
 يا محسن الخالخال فوق كمالها الله يرحم عيسها وخالها
 إياك تقربها ونأنى صوتها تزدريك فى ضرب جوق نسالها
 فكان روحك ياسعيد بيدها وأما مخامس بالردى خيالها
 هى بنت عمه ما يريد خلافا حاشا لمثلك أن يشوف خيالها
 أرجع عن الزينات واسمع كلمتى إني نصوحك لاتكون هوالها
 فقال الفتى اسمع ياسعيد أبو زيد قبلك كم ملوك أزالها
 (قال الراوى) فلما فرغ يونس من شعره ونظامه فهم سعيد فحوى كلامه وعظم

عليه الأمر وتوقد قلبه بالهيب البحر وقال لهم قد أحضرناكم بالثام حتى تطربونا
بالشعر والنظام وتأخذون مني الجوائز والألعاب والسكنى أساتم الأديب وخرجتم
من سنة العرب وتكلمتم بما لا يليق أمامى ولا اعتبارتم قدوى ومقامى فلا بد من
قتلكم على هذا الأخرى وكلام الزور والنفاق ، فلما انتهى من هذا المقال التقاه
أبو زيد مثل السبع الأجام وضربه على رأسه بالحسام فقتله في الحال وأورثه الخيال
ثم إنه هجم على باقى العبيد وتبعه مرعى ويحيى ويونس الفرسان الصناديد ولم تكن
إلا لحظة من الزمان حتى أنزلوا بهم الهوان ومسحواهم بالسيف الهندوان وبعد ذلك
جمع أبو زيد سادات القبيلة والوجوه الكبار وقال لهم ها قد قتلت هذا العبد الغدار
وجماعة الأشرار لأنهم قد طغوا وتجبروا فأتوا وانقبروا فلا رحم الله العبد اللئيم
والوغد الذميم لأن مراده كان استخلاص المملكة من مغاس هذا اليتيم وأخذ ابنة
عمه شاه الريم فرادى الآن أقيم أمير مقام أبيه فاهو رأيكم وماذا تقولون فيه قالوا
هو ابن مولانا وقد رضيناها علينا أمير أو نحن جميعاً عبيده وطوع يديه ولا يدخل
بأرواحنا عليه فمئذ ذلك ركب أبو زيد الحصان وركبت معه الأبطال والفرسان
والسادات والأعيان وقصد الأمير مغاس إلى ذلك المكان ومعهم الطبول والزفوف
وهم زافرين صفوف حتى وصلوا إليه فسلموا وتمثلوا بين يديه وأعلمه أبو زيد
بواقعة الحال وكيف أنه قتل ذلك العبد المحتال ففرح مغاس بهذا الخبر وزال عنه
القلق والضجر ثم أحضره إلى الحلة مع أمه بموكب عظيم ورقوا عليه ابنة عمه شاه
الريم وأجلسه على الكرسي مكان أبيه وسارت العرب تمدحه وتهاديه لأنه كان ميت
خفماش وتخاص من أيدي أولئك العبيد الأوباش فشكروا أبو زيد ومرعى ويحيى
ويونس على ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق الذى لم يسمع مثله في التواريخ
والجوامع وأراد أن يمنهم عن السفر إلى تونس وأن يبقوا عنده فيزيد فرحهم
هو يسئأس فقال أبو زيد لا بد من سفرنا وها أنت أنت من الخطر ثم قام أبو زيد
في هذه الحالة ثلاثة أيام في فرج ومرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الأمير مغاس
جوسار مع مرعى ويونس قاصدين مدينة تونس وهم يحدون في قطع الروابي والتلال
(قال الراوى) وصلت بنى هلال إلى مكة المشرقة وقلوبهم على زيارة المصطفى

متاهة وبعد أن زاروا القبر والمقام وأدوا واجبات الوفاق والاحترام اجتمعوا في
بيت شكر الشريف بن هاشم المنعوت بالشرف والمكارم وهو زوج الجارية أخت
الأمير حسن وأعلموه السبب في خروجهم من الوطن فترحب بهم وأكرمهم غاية
الإكرام وأقاموا عنده مدة ستة أيام وكانت الجارية من أفراح أهل الدنيا بمشاهدة
أبوزيد ومرعى ويحيى ويونس ثم إنهم ركبوا وساروا يقطعوا البراري والآكام
حتى أشرقوا إلى بلاد الأعرام فدخلوا عليها وداروا في أسواقها وبعد ذلك رحلوا
من تلك الديار وأوصلوا سير الليل بسير النهار حتى وصلوا إلى بلاد التركان فدخلوا
على ملكها الغضبان ومدحوه بالقصائد الحسان فأكرمهم غاية الإكرام وأجازهم بنفائس
الإنعام ومن هناك ركبوا الخيول وجدوا في قطع البراري والسهول إلى أن وصلوا
إلى عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرده
عليهم السلام وأجلسهم بجانبه في صدر المقام وأكرمهم غاية الإكرام ثم إن أبوزيد
أخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الأبيات على مسامع الأمراء والسادات :

يقول الأديب قصيد من ألم الحشا وعقل تراه قد غدا مختار
وهيني من كثر البكا قل شوفها جرى دمعا فوق الخدود غرار
بكمت وبكائي زمانى وكادنى وأصبحت عريانا بغير سنار
يا خفاجى استمع شرح قصتى واصغى لقولى مع الأخبار
جئنا أراضينا من الحل والعلا سبع سنين تقصف الأعمار
أكلنا الضفادع والجوادين كلها وصرنا على وحش الفلا نندار
فصارت أكابرنا وكل قرومنا يبكوا ودمعات العيون غزار
جئنا لنحوك نستظل بظلك يا فارس الفرسان يا مغوار
فهذه ترى أحوالنا ومقامنا ودمع جرى فوق الخدود غزار

(قال الراوى) فلما انتهى أبوزيد من شعره ونظامه وفهم الخفاجي عامر خوي
كلامه وأجازهم بالجوائز الحسان ثم قدم لهم الطعام فشكروه على هذا الاهتمام وأقاموا
هذه ثلاثة أيام في عز وإكرام ثم ودعوه وجدوا في قطع البراري والآكام الشهباء وكانوا
قد تعبوا من مسافة السفر فزولوا عن خيولهم واستظلوا تحت أغصان الشجر في بساط

(قال الراوى) وكان أمير المدينة في تلك الأيام رجلاً على المقام ممدوحاً من النخاص
والعام اسمه الأمير بدريس وهو رجل لطيف أنيس وكان له وزير عاقل خبير اسمه الخزاعي
وهو صاحب رأى وتدبير فاتفق ذات يوم أنه يخرج في جماعة من القوم قاصد الصيد
والقنص فمر بذلك البستان فوجدوا يزيد ومن معه فمضوا يزيد على الأقدام وقال :
أطال الله بفاك وبلغك غابة هناك إننا شعراء أنيمان بلاد الشرق قاصدين الملوك
وأكابر الخلق وسمعتنا بجودك فتصدناك إلى هذا المكارأ ملا بالانعام والإحسان لأنك
فريد من الزمان وأولى بالمديح والشكر إن ثم انه عدل الرباب وأنشد هذه الأبيات :

قال الأديب بيوت من ألم الحشا	ونيران قلبي زائدات اللهايب
اسمع كلامي يا أمير وأفهم	وكن لقولي فاهما ثم حاسب
جفتنا أراضينا من المحل والعلل	وحات بنا بعد السرور متاعب
وبعد ذلك قد دمتنا فوارس	ميتين ألف فوق خيل أصايب
فغاروا علينا يا أمير بجمعهم	وداروا علينا موكبا وكتايب
وسافونا سوق الغنم من بلادنا	وعدنا ندور على بلاد المغارب
فاكرم علينا يا أمير فاننا	صرنا بحال الذل بين الأغارب

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من هذا الشعر ، انظام شكره الخزاعي على هذا
الكلام وقال لهم اعلمو يا شعراء العرب وأصحاب الفضل والأدب أني الخزاعي وزير
بدريس أمير حلب فاقصدوا ههنا إلى المدينة وأنا أخلع عليكم الخلع السنية فيزول
عنكم العنار تنالوا القصد والمنى ثم تركهم وضار وبعد أن غاب عنهم وابعد أرسل
أبو زيد والأمير يونس إلى البلد ليأنيهم من الماء كل والمشراب لأنهم كانوا في غاية
الجوع والتعب فسار بالعجل وجعل يدور فيها ويتأمل في أسواقها وحسن مبانها
ثم رجع بالطعام قبل دخول الظلام وأخذ يشرح لأبو زيد عن حسن المدينة وعمما
شاهد فيها من القلاع الحصينة وبعد ذلك ركب مع جماعته مرعى ويحيى ويونس
وجدوا في قطع البرارى والآكام ومروا بجماه وحصى وطرابلس حتى أشرقوا على
مدينة الشام وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشأن اسمه شبيب التبعي
ابن مالك بن حسان وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا إلى أن وصلوا إلى القدس

التشريف مدينة الأنبياء وحل التبريك والتشريف وأقاموا بها يومين ومنها ساروا إلى غزة ودخلوا على حاكمها المركسي ابن نازب فمدحوه بنفائس الأشعار واعتبرهم غاية الاعتبار وأقاموا عنده عشرة أيام في إعزاز وإكرام ثم جدوا في قطع البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى العريش ودخلوا على حاكمها البردويل ابن راشد فمدحوه بالأشعار والقصائد وأقاموا عنده ثلاثة أيام في الإكرام ثم مدعوه وجدوا في قطع البرية حتى وصلوا إلى مصر العدييه وتلك الأراضى البهية فصدوا ما سلكها القرمند بن متوج ودخلوا عليه ومثلوا بين يديه ومدحوه بنفائس الأشعار فالتقاهم بالترحاب والوقار وأقاموا عنده ثلاثة أيام وساروا قاصدين بلاد الصعيد وبلاد المغرب حتى وصلوا إلى عند القاضي ابن مقرب ودخلوا وسلوا عليه ومثلوا بين يديه ومدحوه بالأشعار فاعتبرهم غاية الاعتبار وأقاموا عنده في إعزاز وإكرام وكان هذا الرجل من أعلى الناس وأوفاهم عهداً وذنماً وأندرم جوداً وكرماً يكرم الضيوف ويحود بالآلوف وهو الذى ذكره العالم النحرير المؤرخ الشهير صاحب العلوم والفنون عبيد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر ديوان المبتدأ والخبر وقال: إنه كان في الحوود أسخى من جعفر وحاتم وسوف يأتى ذكره بعد الآن ونشرح من مزايىا الحسان .

(قال الراوى) وفي الحادى عشر تاهب أبوزيد لفسر فودع القاضى وكل من كان حاضرا وسار مع جماعته يقع لهم كلام .

(قال الراوى) واتفق أن جماعة من شعراء العربان كانوا أقصدوا بلاد نجد ومدحوا الأمير حسن بن سرحان بالأشعار الحسان كما جرت العادة في ذلك الزمان فأجزاهم بالعطايا الجميلة والمواعب الجزيلة وكانت من جملة الجارية من بنات الحى اسمها مى فشكروه على هذا الجليل والاحسان ثم ساروا قاصدين بلاد العرب وتلك الأوطان حتى وصلوا تونس الحضراء ومدحوا الزناتى خليفة وباقي لوزراء فأحسنوا إليهم وأجمعوا عليهم ثم باعوا تلك الجارية الظريفة إلى سعدة ابنة الزناتى خليفة وكانت سعدة مراً عمل البنات لطيفة الذات قد اتصفت بالآلس والمحاسن وشاع ذكرها في جميع الأماكن فمجد الآداب وتناد الملوك والأمراء ذات أدب وفضل لها معرفة بضرب الرمل فاتفق أنها سألت تلك الجارية ذات يوم عن سبب وقوعها في أيدي أولئك القوم

فأخبرتها بالقصة وكيف أن الأمير حسن أوهبها لهم على سبيل الهدية فقالت : وهل
وجد نظري بين نساء العرب في الحسن والأدب؟ فقالت لهم نعم يا صاحبة الجود.
والسكرم أنه يوجد بين الأمم من شبهك في الظرف والجمال ومكارم الشيم وحسن
الخصال وهو بطل الأبطال وزينة الرجال الأمير عيسى ابن مولاى حسن أمير بنى
هلال فلما سمعت سعدة هذا الكلام تعاق قلبها بمرعى وهام لأن سماع الأذان تعشق
في الأكثر قبل مشاهدة العيان فقالت سعدة : إذا كان كلامك هو حقيق قومى
بنا في البستان وأنا أضرب هناك الرمل وأنظر أحوال الذين ذكرتهم إلى الآن
فإن قلى تعاق بهم غاية التعليق ومرادى أن أعرف أخبارهم على التحقيق ثم أخذتها
معها إلى البستان وكان من أحسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات.
من بطون الأمهات حتى تأكد لها ذلك الخبر جهرا وعرفت الأمور التي سوف
تجرى وبيناهم في الحديث والكلام أقبل عليهما العلام وكان هذا الرجل من سادات
الأنام وابن عم الزناتي خليفة ونائبه في معاملات الأحكام صاحب معرفة وعقل من
أخبر الناس في ضرب الرمل وكان يتردد إلى سعدة في أغاب الأيام لأنه من جملة الأهل
وبنى الأعمام فسلم عليها فردت عليه السلام واستقبلته بالترحاب والإكرام فجلس
بقرىها وكان قد عرف ما في قلبها وكان قد ضرب الرمل في ذلك النهار وظهرت له لأخبار
فأعلمها بأفكاره وكشف لها أسرارها فطلبت منه أن يكتم ذلك الخبر لا يبيع به
لأحد من البشر خوفا عليها من الضرر وقالت له أريد من فضلك يا ابن عمى
ومن هو كشف همى وغمى أن تعلمى متى حضر هؤلاء القوم فأنى بانتظارهم
في كل يوم فأجابها إلى ذلك الطلب ووعداها بالمساعدة على بلوغ الأرب ثم ودعها
وصار طالب الصيد وللقصص وبقي ثلاثة أيام ثم رجع إلى داره باسلام .

(قال الراوى) هذا ما كان من سعدة وابن عمها العلام وما وقع بينهما من الحديث.
والكلام وأما ما كان من البطل الميام والأسد الضرغام أبو زيد فارس الصدام ومن
معه من السادات السكرام فإنهم كانوا قد جدوا في قطع الروابي والأكام مدة عشرة
أيام حتى وصلوا إلى تونس وقت الغلام فباتوا خارج المدينة وفي اليوم التالي صاروا
يتأملون في مبانيتها فوجدوها متينة وأبراجها حصينة كثرة القلاع قوية الدفاع أهارها

تغزيرة وخيراتها كثيرة فجعلوا يدورون حولها يتصرون كيف يكون الهجوم عليها
فاتفق أنهم دخلوا في بعض الأيام إلى بستان وكان كفردوس الجنان واستمروا تحت
أغصان الشجر وكانوا يقطفون ويأكلون الثمر فبينما هم على تلك الحال إذ أقبل
جماعة من الأبطال قد أرسلهم الزناتي ليقضوا عليهم ويقيدوهم بالأغلال حيث كان
بلغه خبرهم من بعض الفرسان بأنهم في ذلك البستان فدار بهم من اليمين والشمال
فلما نظر أبو زيد تلك الأفعال استعد للحرب والقتال ومهجم عليهم كما استبعض وضرب
بأسيف في ذلك الجمع فقتل منهم عدة رجال ومدد هم على الرمل ثم تكاثرت عليه
العساكر والجنود وأحاطوا بهم إحاطة الدمار في الذنوب وقبضوا على مرعى ويحيى
ويونس في الحال وأوثقوهم بالقبود والأغلال ولم يقدروا على أبو زيد في الحرب والقتال
فبعد ذلك تقدم إليه الغلام على انفراد وقال له من تكون من العباد وما هو سبب مجيئكم إلى
هذه البلاد فقال أبو زيد لنا شعراء من بلاد الشرق وعادتنا أن نمدح الأمراء وأكبر الخلق
وسمنا بكرم الزناتي خليفة وما خصه الله به من الشرائع اللطيفة فقصدناه من بلاد بعيدة
لأجل هذه الغاية الوحيدة وكان وصولنا مساء أمس البلد فبتنا في هذا المكان من حيث
أننا غرباء ولا نعرف أحد إلى أن أشرقت الشمس بجمعكم علينا وأوصاتكم إذا كنتم الينا بد أن نعلم
المقصود وانا اسمي محمود واسم جماعتي شداد وحاد ومسموعة قال له الغلام لقد كذب في
المقال وتكلمت بكلام المحال ما أنت إلا الأمير أبو زيد صاحب المكر والكيد أمارفاقتك
فهم مرعى ويحيى ويونس وقد أتيتهم إلى البلاد لترودوا بلاد تونس وأمر الفرسان بالهجوم
عليه فقال مسكوه ولا تؤذوه فانطبقت الفرسان على أبو زيد من اليمين والشمال حتى
قبضوا عليه وأخذوه مع باقي أصحابه إلى عند الزناتي المشار اليه وصحبته الغلام المذكور
ولان الضرورة أخرجت لملك الضرورة وذلك اطاعة الزناتي ابن عمه لانه لا يقدر على
مخالفة أمره وحكمه ولما دخلوا اتناولوا بين يديه وقالوا اعلم يا مولانا أن هذا العبد الذي
حاربنا ودهانا وقتل منا أبطالا وفرسا أفاغتنا ظ الزناتي ونكدر من هذا الخبر وقال
لأبو زيد من تكون من العربان يا أخا السودان قال نحن شعراء نقصد الملوك والأمراء
فتمدحهم ونأخذ الإيعام ومحصل على بلوغ المراد وهذا هو دأبنا في كل عام فسمعا
بكر ملك وجمال شيماء فقصدناك من بلاد الغرب طمعا بالفضة والذهب وحيث أننا من

الأعراب ليس لنا في هذه الناحية أصدقاء ولا أحباب ولا سيما في تعب وضيق من
 مشقات الطريق فدخلنا إلى ذلك البستان لناخذ لأنفسنا راحة يأملك الزمان ثم نقصد
 جنابك العالي وباقي السادات والموالي فأحاطت بنا العساكر مع الأهالي وداروا علينا
 يا مولانا فاصدين قتلنا وأذانا فافتضى أننادافنا عن أنفسنا بقدر الإمكان إلى أن
 وقفنا في قبضة الأسر والهوان وقد عرضنا قصتنا عليك وفوضنا أمرنا إليك
 فأمر بما تشاء وترى أيها الملك السعيد فلما سمع الزناني هذا الكلام فأبدى الضحك
 والابتسام وقال لهم يا متاجيس ما أنتم إلا جواسيس أنتم لتدوروا البلاد
 وتعرفوا أحوال العباد ثم تذهبوا وتأثروا بالعساكر والجمع الوافر فتمثلتموا
 بلادنا وأراضينا وتتحكمون فينا هو السبب الذي قادكم إلينا وحملكم على القدوم
 والهجوم علينا فلا بد من قتلكم يا أوغاد على رؤوس الأشهاد جزاء على هذا
 وتسكنوا ما كلا للوحوش السكامة (قال الراوى) وكان الزناني قد وقف على
 الخبر اليقين من المنجمين ودهاء الرمالين وبعد مفاوضات طويلة مع أرباب
 المجلس استقر رأى على شفق أبو زيد ومرعى ويحيى ويونس فأخذ العسكر
 هؤلاء الأربعة وكانت الناس مجتمعة ولأجل التقدير مروا بهم من تحت قصر الأميرة
 مسعدة وكانت في ذلك الوقت جالسة تتغذى فلما سمعت ضجيج العسكر قامت مع
 جاريتها لتعلم ما الخبر فطلت الجارية رأسها من الشباك وهي في حيرة وارتباك فلما
 أمنت فيهم النظر اعتراها الهم والسكدر وقالت لمولائها اعلمى يا زينة الدنيا أن
 هؤلاء الثلاثة مرعى ويحيى ويونس وأما هذا العبد الرابع فهو ليث الوقائع الأمير
 أبو زيد فارس المعامع فلما سمعت مسعدة منها هذا الكلام تبدل نهارها بالظلام لأنها
 كانت تعاقبت بحب مرعى دون باقي الأنام فصاحت على الجلادين والعساكر
 المحافظين قالت لهم ارجعوا إلى عنداني هؤلاء العرب وإياكم أن تقتلوهم فيحل بكم
 المطب وإنى سأنبهكم على الأمر لأفنى على حقيقة الخبر فلما سمعوا كلامها وفهموا
 قصدها ومرامها أجابوا أمرها بالطوع والامثال ورجعوا في عاجل الحال وذلك
 لما يهدون من علو منزلتها ونفوذ كلمتها ثم أن مسعدة بعد ذلك الخطاب لبست ثياب
 البثياب وتطرت باطبيب وسارت عنده أبيها في جماعة من حواشيها وكان أبوها

جالسا في الديوان ومن حوله الوزراء والاعيان فدخلت وسطعت عليه وقبات يديه
فنهض لها على الافدام واحترمها غاية الاحترام واجلسها بجانبه في صدر المقام ثم
سألها عن كيفية احوالها وعن السبب الذي اوجب انزحاج بالها فقالت قد بلغني
من الاعوان بأك أمرت بشفق جماعة من شعراء العربان بانوا قاصدين جنابك
من ابعد مكان طمعنا بالانعام والحصول على بلوغ المرام فما كان جزاءهم الا القتل
والإعدام عوض عن الانعام والاكرام فلما سمعت الكلام انزعج بالي وتغيرت احوالي
لاني أعلم أن هذا الحال يكون سببا للقتل والقتال بين سادات الرجال وينسبوا لك
إلى البخل والغدر ويتكلم فيك زيد وعمرو فأمرت العساكر والمخافطين أن يتوقفوا
هن قبل هؤلاء المساكين فيبينما آتى واقص هذا الحديث عليك فلما سمع أبوها هذا
أعلمها بواقعة الحال وقال لها إن هؤلاء الرجال ما قصدوا هذه الديار والاطلال
إلا ليرودوا البلاد ويقفوا على اخبار العباد ثم يذهبوا ويأتوا بالعساكر والاجناد
ويستخلصوا بلادنا بالخراب والجلاد وهذا هو السبب يا منتهى الارب وصاحبة
الفضل والادب فما فاعت إلا الصواب لأنهم يستحقون القتل والعذاب ففعلت إذا فعلت
ذلك تشيئك جميع دول الممالك لانه لم يثبت عليهم ذنب حتى الآن ولا يوجد عليهم
برهان كما ترى يا ملك الزمان وأنا أشور عليك بحسب فسكرى أن تحبس هؤلاء
الثلاثة شبان في قصرى ويكون تحت طوعى وأمرى وترسل ذلك العبد إلى بلاده
بلا إهمال في طلب الفدا والمال فان حضر ذلك يصير من الاعتقال وتكون أنت
معذور عند جميع الرجال فقال لها وحق الإله الرحيم لى خائف من هذا العبد
الليث لانه فارس شديد وبطل صنديد وأخذنا يتنادمان بهذا القصيد :

يقول أبو سعدة الزناتى خليفة	فمقلى نراه قد غدا مختار
أتوى جواسيس من الشرق عاج	لا اشارة افاضل من فروع كبار
ونزلوا على أرض لنا فى بلادنا	فسرنا بخيره والامور عسار
وفيه ترى عبدا كبار شفافه	له ضرب يقطع صخرها وحجار
ايا نور هينى كيف أفمل بعبدهم	أطلقه ثم أحبس الامار
أتقنى سعدا مثل شمسا منيرة	لها وجه يضوى مثل نور أقمار

وقالت ارفق يا أبى بأوامرك ترى الظلم يخرب كل دار عمار
أيا سعدة كيف العمل فيما جرى أيا عالمة بالسكنب والاسرار
أيا سعدة قلى من العبد خايف فعيينه فى وجهه كشعب البار
أيا أبى هذا كان بضاص فى بلاده على كده شوف الناس عيونهم كمار
يا سعدة قلى من العبد خايف أشوف شفافه لكثرة القول كبار
أيا أبى هذا كان عشى فى بلاده على كتر ذوق الاكل يرون كبار
أيا أبى هذا كان فران فى بلاده على كتر رقى الحور كفوفه كبار
فامسك حياض القوم واترك عبد هم يخبر إلى سيده بما قد صار
فيه حضر لنا مالا ووقفا كثيرة ويأتى بخيل سلاح كتار

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من هذا الشعر والنظام أجاب سعدة إلى ذلك المرام
فأخذت الأربعة أنفار وسجنتهم عندها فى الدار على عيون النظار ثم أخذت من
الطعام ما يكفيمهم جميعا ونزات اليهم سرىعا فاجتمعت بمرعى فى أول الامر وقالت له كل
ولا تخبر أحد بل احفظ ذلك ثم فعلت بيحي وبولس وقالت ليو لى أن يرسل لها
أبو زيد فلما حضرت قدمت له شيئا من الطعام فشكرها على هذا الاهتمام ثم أنه قسمه
على سبعة أقسام فسأته عن سبب ذلك فقال لها اعلمى يا زينة المالك وبدر الليل
الحالك أنا وجماعى أربعة و أنت والجارية اثنتان على التمام والحصصة السابعة سأحرمها
بحرام وأرسلها إلى ابنة عمى عاليا فى الظلام وكان أبو زيد يقول هذا الكلام وهو متوقف
عن أكل الطعام فقالت له سعدة لماذا لا تتخذى فتنتهم من فؤاد متبول وأنشد يقول:

إذا أكلت أنا وجماعتى فاعوى خالى يضرب الصفايح
إذا جمعت أنا وأكلت جماعى وأحمد ربى وهو كريم مساح
أيا ست زاد اثنين يكفى ثلاثة ويكفى أربعة ياست والكل راجح
ويكفى خمسة من أجاويد حيناً ويكفى ستة من هلال السمايح

فضحكك سعدة من كلامه وأعجبها الحوى شعر ونظامه ثم أنه بعد ذلك الكلام
أخرجتهم من الحبس وأحضرتهم إلى عندها وقدمت لهم الطعام وأخذت تحادثهم
بالكلام وتسألهم عن أحوالهم وعن بلادهم فقال أبو زيد نحن من جملة

الشعراء انقصد الملوك والأمراء فممدحهم بنفائس الأشعار ونرجع إلى الديار
بالدرهم والدينار فقالت أنسكم لم تعلموني التحقيق مع أننى عازفة بأحوالكم
على التحقيق فأخذت تعلمهم بسفرهم وما جرى لهم في الطريق والسبب في
قدومهم إلى تلك الديار بهذه القصيدة التى تستحق الاعتبار :

قالت سعدا بنت الأمير يونس	بدمع جرى فوق الخدود غرار
ضربت تحت الرمل عشرين مرة	ومرة بعدها ما شفت الحرف جهار
فعرفتكم وعرفت اسم أميركم	وعرفت أساميتكم بلا أنكار
إن مسير القوم أمير حامر	حسن بن سرحان أمير جهار
وهذا مرعى وذاك يونس ويحيى	وأنت أبو زيد فارس الاقطار
فحلت أراضيتكم وقد قل خيرها	فجئتم بتونس لتكشفوا الأخبار
فقالوا يا أبو زيد نرضاك رائد	ترود بلاد القيروان عمار
فقلت لهم سمعا وأطيعا طاعة	أريد ثلاثة من فروع كبار
أريد الفتى مرعى ويحيى ويونس	أمارة أصايل من فروع كبار
فجاءوا ثلاثتهم إليك كأنهم	أسود كواصر طالعين قفار
فمن يوم فارقتم نجد وأرضها	فانى أفتنى منكم الآثار
وكبتهم مطايا وسرتم بسرعة	قصدتم مكة والنبي المختار
وجزتم حلب ليلا في جال سرعة	وردتم حماة وحمص بوسط نهار
وجئتم بلاد الشام جزتم بلادها	وجئتم إلى القدس الشريف جهار
مررتم على غره وقطه وغيرها	وبلييس جزتموها بلا أنكار
وجئتم إلى مصر ويعقوب يوسف	مروت على نيل الصعيد مراو
مررتم على الماضى فحياركا بكم	فرش أنسكم بيت للضيافة ودار
أنسكم ميت قافلة سايرين بمجولة	وعشر الليالى كاملة بنهار
ولا بد ما تأتى هلال بن حامر	من الشرق في جمع غزاو
بأربع تسعينات ألوف عديدهم	كذا دل الرمل بالأخبار

بحرف الالف تأليف عدتكم
واليام بدت سيل ابن سرحان أبى على
والتمام ترى فى محل نجد وأرضها
والجيم جيتوا ترددوا بلادنا
والجيم جبرتم غرامى بهجكم
والحاء خلياتك ترجع وتنبى
والدال دل الرمل عندى بأن لى
والذال ذر الرمل نملك بلادنا
والراء رؤيكم تجوا يا سلامه
والزاء زلزلت البلاد بأهلها
والسين سرتم من بلاد بعيدة
والشين شديتو المطايا لأرضنا
والصاد صدقتكم على خبر خاطو
والضاد ضربتم فى جموع زناقي
الطاء طفتوا الاراضى ردتهم بلادنا
والظاء وظنى أنكم تملكوا
والعين عيني نحر مرعى تطلمت
والغين غلب نجمنا من قبالكهم
والفاء فارقتم لنجد وأهلها
والقاف قابتم كل معنى كلامكم
واللام لميتم رجال الحينا
والميم مال الحب فى قلب مرعى
والنون نلقاكم على خيل سمر
والهاء همل دمع أصابى

أربع تسمينات ألوف راكبين مها
نهنن تلافيا قطار قطار
سبعة سنين كاملات عسار
وتأخذ لقومك صحة الاخبار
وسوى لمعى قد كوانى بنار
تجيب لنا مال وما تختار
بأن بلاد القيروان دنار
وتحولنا من أرضنا ودثار
على أصايل تقطع الاقفار
وكل أمير يخجل الأقدار
قطعتوا الفضا وتسير الاوغار
وكم دار قطعتوها بعقب نهار
لاعدتم بقاع السجن يا شعار
وأبى من فمالكهم عاد مختار
وأبصرتم البلدان وكل ديار
وقول وظنى هو صحيح جهار
فأشمل فى قاي لطيب النار
ونجم أبى واقف عليه غبار
وجتتم اليينا لتكشفوا الاخبار
وقلم معانى أطيب الاشعار
وجتتم اليينا لتلكوا الاقطار
ولولا مرعى ما نظمت أشعار
وكل ردينى أسمر خطار
على شأن مرعى انكويث بنار

والوارثين خيلنا من رحمتكم وتبقي تونس والرجال قفار
والياء يبقى علمكم فوق علمنا باذن الله الواحد القهار
ولم يرحق الله ما أحون عهدكم ولو قطعوني بالسيوف بناد
(قال الراوى) فلما فرغته سمعه من كلامها شكرها الأمير أبو زيد وجماعته على
اهتمامه وباتوا تلك الليلة في سرور وانشرح ولما أصبح الصباح وأشرق بنور هلال
أمر الزناتى باحضارهم فلما حضروا قال لأبو زيد إذا أطلقناك إلى أن تأتي جماعةك
من الاوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا تهيب لنا فقال أغيب ثلاث شهور واجيب
لك أربع مئة مئدرع مشهور فقال وما هو مرادك من المئدرع أيها البطال
الصميدع فأخرج الأمير أبو زيد من جيبه قطعة من الفضة الخالص وانقى من الفضة
الروابض وقال هذا هو المئدرع يزينه الممالك ففرح الزناتى بذلك وقال اذهب بأمان
الاطوان فقال أعطنى عدة حرب وحصان لأن الطريق مخاطرة والاراضى موعرة
فأعطاه ما طلب وبعد ذلك ودع الزناتى وذهب وجعل يدور البلاد ويظوف في
المدائن حتى اشرف إلى وادى الغباين وتلك الاماكن فوجدها كثيرة المباد والنبات
متسعة البرارى والفلات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال ثم صار من
هناك إلى قابس ومنها إلى دوس فوجدها أحسن محل لامتلاك تونس وقد تعجب
من سخرة البلاد وكثرة ما فيها من الايراد ومشاهدة من البلدان السكانية والمياه
والبساتين الغزيرة فانشرح خاطره وطابت سرائره .

هذا ما كان من أبو زيد ايث البهاج وأما يحيى ومرعى ويونس فاخذتهم
سعدته عندها وبقوا في سرور وأفراح وبسطوا انشراح أما الأمير أبو زيد فبعد أن
دار جميع البلاد وعرف السهول والوهاد رجع ليرى أحوال البلاد ولما دخل إلى قصر سعدته
فالتقاء مطلى بالرحاص وكان الوقت نصف الليل فارعدت الدنيا وبرقت حتى قام
الاولاد من نومهم وعادوا يذكرون بلادهم وبكوا بكاء شديدا وصار مرعى يشد ويقول
يقول الفتى مرعى هل فقد أهله وقد لاح لي برق من الشباك
وميج أشواقى ووجدى ولوعتى أيا برق نجمه ما أحلاك

يا شوق قلبي إلى نجد العندية ووربها أيا برق نجد هيجتني بسناك
بلغ سلامي للحبـايا ب كلهم بلغ سلامي يا برق الافلاك
خذ قصتي بنجد وأسرع لاهلها وبلغ عن مرعى الذي أوصاك
وقل لحسن يا معدن الجود والنخا يا من عطاك لهدرها وتراك
وقل له مرعى ويحيى ويونس بحبس الزناتي يا أمير هناك
موكل عليهم يا أمير غواشم عبيدا جونا حازين عداك
طولا الصغيرة كانت راحت أرواحنا وصارت هي ضد الأملاك
وقالت لنا قوموا أطيبوا وأبشروا يا أمير مرعى ربنا عطاك
يا هل ترى تريد أبو زيد يوصل بلا دنا ويخبر قومنا إذا صار علاك
أبو زيد ليك عليا تنشغل وحاشا عن طريق الردى حاشاك
سألتك يا رحن يا سامع الدعا يا من جمع الخلق في مرعاك
بعيسى بموسى بالنبي محمد خلصنا يا من تسجد له الافلاك

(قال الراوى) فلما فرغ مرعى من قصيدته وكان أبو زيد واقفا تحت القصر
يسمع نشيده ثم نظر الطواشي ففتح له ودخل إلى عندهم وسلم عليهم جميعا فقالوا له
آين كنت يا أبو زيد إلى الآن أنت باقى فى تونس ونحن نقاسى أشد الضيق فقال
لأنى تمث عن الطريق وقد سميت على السفر وأتيت لوداعكم ثم تقدم وودعهم
وأوصى سعيداتهم ورجوعه اليهم فى أقرب وقت ثم بكى بكاء شديدا وتقدم الاله
هرعى وأشار يودعه ويوصيه بالسلام ويقول :

يقول الفتى مرعى بعين وجيمه ونهران قلبي زائدات المايم
قم بالسلامة يا هلالى سلامه فالله لا يريك عمرك غنايم
فاذا وصلت إلى أرضنا وبلادنا فسلم على أهلى وكل الاكارم
وسلم على أبى حسن الدریدی وسلم على الزغبى دياب بن غانم
وسلم على شبيحة الامير وقل لها تدعى لنا باشمى لانه ملايم
يا خال جد المسهر واستتم السفر فما فاز يا أبو زيد بالشكر نايم

أيا خال لانتليك عليا فقلتهى وتركنا في حبس كله ظلايم
(قال الراوى) فلما فرع الأمير مرعى من كلامه وأبوزيد يسمع نظاه فقال له
لا يكون لك أدنى فسكر لاني سأبذل الجهد في تخليصكم ثم ودعهم وسار وعيناهم
تدرف بالدموع من جراء ما أصابه وأصابهم وصار يقطع البرارى والقفار يوصل
سير الليل بسير النهار مدة عشرين يوما حتى أقبل إلى أرض الصعيد فدخل على القاضى
ابن مقرب وأخبره بما جرى له من الأول إلى الآخر فبكى القاضى بكاء شديدا
ثم أنه بقى به شيافته نحو يومين وبعد ذلك ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار مدة
عدة أيام حتى وصل إلى نواحي حاب جلس تحت ظل الشجرة هناك لأخذ الراحة
فبينما هو جالس أقبل عليه رجل تاجر وحياء السلام ثم سأله الأمير أبوزيد عن
حاله فقال له : إني رجل تاجر قاصد بلاد الغرب فقال الأمير أبوزيد : هل تعلم الأمير
علام ؟ فقال له : من أعز أصحابي وأعظم أحبائي فقال له أبوزيد : انى أرغب أن أعطيك
كتاب توصله إليه فقال : ما بذالك فعند ذلك أخذ أبوزيد يكتب للعلام ويقول له

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	فمن كان شقى لا تسعده الأيام
نعم أيها الغادى وحامل كتابنا	تجد السفر فى واسع الآكام
إذا جشت تونس وقابض وأرضها	فسلم على الفتى المسمى العلام
أوصيك فى مرعى ويحيى ويونس	أولاد أختى من فروع كرام
وأجول لا تردد عليهما وتلتجى	وتحفظهم من شدة الآلام
فلا بد ما أرجع أعود وأنتنى	ولا بد ما آتى بقوم لزام
بأربع تسعينات ألف عدادهم	تشبه جرادا منتشر بغمام
ولا بد من لطمه على باب تونس	ويبقى الدم فوق الثرى عوام
ولا بد من قتل الوهيجى بصارمى	ويبقى الزناتى بالقبور ينام
وأملك بلاد الغرب بمجد صارمى	وأملكك فى العرب بأعلام

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبوزيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه
فأخذ الناجر وصار يقطع البرارى والقفار حتى أشرف إلى تونس وتلك الديار

فأخذ المکتوب وسلمه إلى العلام ففضه وقرأه وعرف حقيقة خيواه وأما الأمير أبو زيد فإنه مازال يحدق السیر مدة خمسين يوما حتى أقبل إلى نجد وتلك الأوطان وحين دخوله إلى نجد بنى هلال التقاه السكبار والصغار وكلها تقدم إلى قدم يراحم الجميع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد : اليوم فقدأنا بامن هو عزنا وحمانا وما زال سائر حتى أقبل إلى حبيوان الأمير حسن فدخل عليه وعلى الذين حواله فلما نظره الأمير حسن والأمير دياب والقاضي بدير والأمير زيدان وشيخ الباب تقدموا إليه وقبلوه بين عنيقه وأجلسه الأمير حسن بجانبه ودارت البشائر في بلاد نجد بأن الأمير أبو زيد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان حتى احتجك الديوان وحينئذ سألوه عن الأمر امرعى ويحيى ويولس فعند ذلك بكى الأمير بكاء شديداً وأشار يخبرهم عما جرى له من التعب الشديد بهذه القصيدة يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الحلالى سلامة	ولى قصة من أعجب الأخبار
فى سفريق للغرب قد أرودها	وفى رجعتى قاسيت هموم كبار
دخلت إلى أرض الزناتى وردتها	وردت ميامنها وردت يسار
وأخذت حشيش الأرض بيدى أدفته	وأعلمه خوف لا أحار
حتى إذا جاءت هلال وعامر	على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فإ هذا الحشيش الذى هنا	وهذا دليل يا حرب اجهار
وما زلت أكشف المدن والقرى	حتى وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس	فأنانى منها عسكر جرار
فصحت عليهم صيحة الله أكبر	الله تعالى عالم الأسرار
فمكرونا من بعد حرب عنيفة	وضرب يقطع سيفنا وحجار
وأخذونا لعند الزناتى خليفة	فهددنا بالقتل يا أحيار
فلصتنا بنته سمدة بشورها	وقأت تراهم يا أبا شعار
فأحسهم عندى وارسل عبدهم	يجيب اليك فكأكمم بجهار

وإن مرعى ثم يحيى ويونس قد بقوا سندها بوسط الدار
 الآن سعد بهرعى تعلقت وصار قلبها نحوه كشعلة نار
 جراها إله العرش خير ونعمة فلولاها لمتنا بلا إنكار
 وصرنا فضيحة بين قومنا وصارت أهالينا يا وشم يا عار
 فأرسلني الزناني لأحضر فمكاكم كقول سمدة زينة الاخيار
 ولما عزمتم على الرجوع لأرضنا فيكوا الأمانة من قلوب مرار
 ووصاني الأمير مرعى وقال لي سلم على سادتنا وكبار
 ومسلم على والدي حسن الدريدي مربى البتامي ومقصد الشمار
 ومسلم على القاضي بدير بن فايد وعلى دياب الفارس القهار
 ومسلم على عليا وريا وغيرها وللغازية من نسل قوم كبار
 أبو زيد أفرى منا أمهاتنا سلام برتبة يا عزيز الجبار
 وقال لهم في الحبس يحيى ويونس ومرعى يقامى لوعة ومرار
 ففارقتهم والعين ترفرف بالبكاء وسمرت في البيدا بوسع قفار
 وكم ساعة من ساعة بعد ساعة امسح دموعى في ليالها ونهار
 فيغيب عطفى عن ذكر رفاقي قلبي كواه البين والامرار
 وبعد خروجي من المخارب وأرضها ما بعشرين ليلة زائدات نهار
 دخلت على الماضى أبو الجود وحده وأحبرته فيما جرى وصار
 فبكى وبكى الحاضرين جميعهم وحزن على مرعى وعقله حار
 وبقيت عنده مقدار يوم وليلة وما زلت سائر في البرارى وسملها
 بأنى راجع إلى بلادى وأرضنا ففارقتهم والعين تذرف في البكا
 وما زلت سائر في البرارى وسملها ففارقتهم والعين تذرف في البكا
 مسافة تسعين يوم ثم لنا لها حتى وصلت اليكم والدار
 أنى أخبرتكم فيما جرى فما الشور وتدبير فيما صار

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام بكى الأمير حسن ومن حضر من السادات والسكرام لاسيما أهل الأولاد فقد تفطرت منهم الأكباد وقالوا لأبو زيد من فرد لسان اعلم يا فارس الفرسان أننا لا نفك عنك ولا نعرف أولادك منك فقالوا كونوا براحة بال فإنى قد أخذتهم من الاطلاع وسار جمهم على أحسن حال والعم بال ولما انتهى من هذا المقال التفت الأمير حسن إلى الحاضرين والسادات المعتمدين وقال لهم إن مرادى الرحيل إلى بلاد الغرب رأيت هناك الحرب وأخلص الأمراء بالطعن والضرب فاستحسنوا هذا الخطاب وقال أبو زيد البطل المهاب هذا هو الراى الصواب ولكن قبل الرحيل من هذه الاطلاع بالفرسان والابطال والنساء والعيال يجب أن ترسل أم الأمير المؤيد بعض الذوات العمدياً نواباً للجارية لتركب أمام ظعون بنى ملال أمير باقى سيد الأمراء والابطال وهن الست ريمما والست عدلا والست ريبا وسعدا للرجال وبدر النعمان وجوهر العقول وزهر الدوح ونجم السحور وزين الدار والست هليا لانه إذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجارية وباقى السيدات أمام الابطال في المماريات لان النساء المشاهير ذات رأى وتهديد وهكذا نم الراى بين الأمراء والاعيان وأرسلوا أربعة وعشرين فارساً من الشجعان للرحيل مع فرسان القبيلة ونأهبوا للطعن والضرب والسير إلى تونس الغرب وأمر الأمير حسن بدق طبلى الرجوع حسب العادة والاصطلاحات المعتادة فدق الطبل فى الحال واجتمعت الفرسان والابطال وسارت الرجال على الأمير حسن بنى سرحان وهو فى الديوان فأخبرهم بما جرى وكان لهم استقرار رأينا أن نرحل من الاوطان ونقصد بلاد الغرب بعد ستة أيام فسكوا فى الاستعداد التام لانه أرضنا قد أعلت ووقع بنا الفلا وأولادنا فى أسر الزناتى خائفة يقاسون العناء (قال الراوى) وفى اليوم السابع تجهز الابطال للمسير والارنحال فهدت المضارب والخيام وانتشرت الرايات والاعلام ودقت الطبول وركب الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحريم والعيال والاولاد والاطفال ونساء الأمراء العمدة والجارية أم محمد الأمير أبو زيد فى مقدمة الفرسان

وساروا عدة أيام حتى نزلوا بأرض يملكها الديبسي بن مزيد وكان من صناديد
الابطال وشجعان الرجال لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول المصائب . وكان
في الشجاعة والفروسية في طبقة عليه يفتخر بنفسه ويفضل ذاته على جميع الفرسان
في ساحة الميدان ويقول إنه إذا ركب الجواد لا يوجد من يقارمه في الحرب والطراد
ولو كان أبو الفوارس عنتر بن شداد وكان له أربعة وزراء ركن اليهم ويعتمدون
أموره عليهم وهو مقلد وهمام وراشد وسلام وله ولد اسمه مزيد قد سماه
على اسم جده وكان يحبه كثيرا من شدة محبته فيه أراد أن يزوجه بابتة أخيه
فجمع وزراءه وأخبرهم بما قد صمم عليه فأجابوه على ذلك المرام ما عدا الوزير
همام فإنه كان صاحب رأى وتدبير فنهأه عن ذلك في الوقت الحاضر وأعلمه
بقدوم بني هلال إلى تلك البلاد والجيوش والعساكر فأنهض الديبسي وحارقي
أمره وبينما هو في مجلسه دخل عليه الرهبان وأخبروه بما قام بني هلال وأنهم ملأوا
الأرض بجيشهم استشار الديبسي وزراءه فأشاروا عليه بأن يرسل من يستطلع
عددهم فأرسل ألبعد راشد إلى مضارب بني هلال فأنهض ما رأى هناك من كثرة
الرجال والابطال والفرسان ورجع إلى الديبسي وأخبره بما رأى .

(قال الراوى) فلما فرغ راشد من كلامه وفهم الديبسي مقالته زاد خوفه وفرجه
فاستدعى إليه الوزراء وأخبرهم بذلك الكلام فلم يحبه أحد بكلام فقال لهم ما بالكم
لا تردوا جوابي ولا تجيبوني على خطابي فقال الوزير راشد أنه من الواجب أن
ترسل لهم كتاب تأمرهم بدفع عشر المال مع الذوق والجمال فإن امتنعوا عن ذلك
فنفقتهم في الحال وتشتتهم في البرارى والنلال فكتب لهم كتابا بهذا الصدود أنا أخذه
اليهم وآتيك بالجواب فاستصوب الملك رأيه وكتب لهم كتابا يطلب فيه منهم عشر
المال مع الذوق والجمال وإن لم يرضخوا لطلبه ولا سبكون مصيرهم لعناء وختمه
وأعطاه للوزير راشد فاخذه في قطع القفار حتى أشرف على بني هلال عند وصوله
إلى صيوان الأمير حسن بن سرحان نزل من على الحصان فسلم عليه وعلى باقي
الأمراء الذين حو اليه فردوا عليه السلام والثناء بالترحاب والإكرام وأمره بالجلوس
(٣ — تخريفة)

بقره وسأل عن اسمه وعربه فأعلمه بواقعة الحال وعن سبب حضوره إلى تلك الاطلال ثم أعطاه الكتاب فأخذه الأمير وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواله غضب الغضب الشديد لكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد ثم أمر الغلمان أن يأخذوا الرزير إلى دار الضيافة ولما خرج من الديوان التفت إلى الأمراء والأهليان وأطلعهم على خطاب الديبسي الذي يطلب فيه عشر الممال وقال جميعهم إن هذا الطلب لا يوافق عليه فقال أبو زيد إنه من الصواب ترسل تقول للديبسي أن يمهلنا عشرة أيام ونحن ترسل له طلبه بالتام ومتى انقضت المدة ولح في الطلب فتقول له ليس عندنا مال ولا ذهب سوى الحرب والقتال في ساحة النجال وأبطالنا وفرساننا نكون قد استراحت من تعب الطريق ثم أشد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه كلام يشبه الدراري في معناه
لكل داء يوجد دواء يعالجه والاحق الجاهل الحسام دواء
أنا الراي عندي ابن سرحان العلا يامن زكى بين الانام اباء
فارسل كتاب الديبسي وقل له كلامى محكم بالحداع جزاء
الا يا ملك حزوه يا حاكم الملى أمهنا عشرة أيام درن سواء
إذا أمهنا يا بن عمى وسيدى فلتشبع خيول الفوم من المرعاه
وتأخذ الراحة جميع قرومنا وتبقى رجالك شبه أسود فلاه
غير الطعن والضرب ماله عندنا لأن الديبسي جار وزاد طغاة
يريد اليوم غصبا نهب جمالنا وأموالنا وذاك من قلة حياه
(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الكلام استصوبوه جميع الحاضرين
وعند ذلك أشار حسن يحاوب الديبسي ويقول :

يقول الهلالي أبا مرعى مناصحه أبيات شعر بها علم الأبطال
يا غاديا واكبا على مطيته يقطع فيافي الفلا مع رؤس الجبال
إذا أتيت الديبسي قل لحضرته قولا صحيحا خلا من كل إذلال
واقرا سلامى على أبطاله سحرا من كل ليث شديد الباس مفئصال

لأنى سأعظيك مهما كان طالبه من عشرة مالى ومن أموال أبطالى
 لكننى أطلب منه أن يسمح لى بعشرة أيام انهى كل أحوالى
 حتى ألم من العربان أجمعهم عشر الجمال وعشر الخيل والمال
 (قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من شعره طوى الكتاب وختمه فى الحال وسلمه
 لى الوزير وجد فى قطع الهضاب حتى وصل لى عند الديبى ودخل وسلم عليه وأعطاه
 الكتاب ففتحه وقراه وعرف ما حواه ففرح واستبشر وأيقن بالنجاح وبلوغ
 الوطر ولما انتهت العشرة أيام لم ترسل بنى هلال الأموال قال للوزير ما قد مضت
 المدة المعينة ولم نقف على إفادة ولا وردت الأموال فيجب أن تسهر إليهم
 وتطلب منهم أن يبادروا بإرسالها فى عاجل الحال وإلا حاربناهم وأنزلنا بهم
 الرىال فامتثل الوزير أمره وركب من وقته وماعته لى تلك الديار حتى وصل
 لى صيوان الأمير حسن فنزل عن ظهر الحصان ودخل وسام عليه وتمثل بين
 يديه ثم جلس قليلا وبعد ذلك طالبه بالمال ولأمله على ذلك الإهمال فقالت
 السادات والأماة ارجع لى مولاك قبل أن تحمل بك الخسارة وقيل له أنه ليس
 عندنا مال ولا نوق لاجمال غير طعن السيف وطعن النصال فاغتاظ الوزير
 من هذا الكلام وخرج من ذلك المقام ورجع إلى مولاة بالعجل وأخبره بما
 سمعه فاغتاظ وأمر الرؤساء والقواد بجميع العساكر والأجناد فعند ذلك دقت
 الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح وخفقت الرايات
 وركبت الأبطال أربع مائة ألف مقاتل .

تمت هذه القصة ويلها قصة الديبى

قصة الديبسي

ابن مريد وسي المارية بنت القاضي وما جرى للأعجام مع
أمراء بني هلال الكرام من الحروب والأهوال وعلى أخبار
الملك الغضبان وحروبه مع بني هلال ومرورهم على بلاد
الحفاجي عامر ورحيله معهم إلى بلاد الزناتي خليفه وما
حصل بينهم من الحروب الهائلة الخيفة

(قال الراوي) فلما ركب الديبسي ومعه العساكر والأجناد فمزال سائر أطالبا دياب
بني هلال فلما اقترب منهم وسمع الأمير حسن وأبوزيد ودياب بن غانم وباقي السادات
الأكرام والنقرا بالديبسي في تلك الأرض ولما دنوا من بعضهم برز من فرسان الديبسي
قارم كأنه الأسد الكاسر فبرز إليه دياب وصار قدماه فقال له من تكون من بني هلال فقال
أنادياب المصادم وصاح فيه وهجم عليه وقد عظم ذلك الأمر عليه فالتقاء الفارس كالأسد
الكاسر وجرى بينهما حروب وأهوال تشيب رؤوس الأطفال وما زال في عراك وطعان
نحو ساعة من الزمان بعد ذلك اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الأمير دياب
فارس الفرسان لأنه أعلم في أصول الحرب وأخبر في مواقع الطعن والضرب فوقعته الضربة
على هامه فقتلته نصفين ثم صال وجال وطلب براز الأبطال فبرز إليه فارس آخر فقتله وثاني
جندله وثالث عجل إلى المقابر مرتحلته وما زال على تلك الحال وهو يبارز الفرسان
والأبطال ويدددها على وجه الرمال إلى وقت الزوال فقتل طبول الانفصال وبات
الفريقان يتحدثان بمشيئة الرحمن ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح برز الأمير
دياب إلى الميدان واللب براز الفرسان فبرز إليه الوزير راشد وهو يقول أنا مفرج الكروب
والشدا أقدفالتقاء الأمير دياب بقلب كالحديد ثم التقيا البطاين كأنهما جبالين أو أسدين
كاسرين وحار عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم تكن ساعة من الزمن حتى
استطاع عليه دياب في الميدان وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على
الأرض فتيلار في دمه جديلا فقتل الوزير راشد هجمت جموع الديبسي بقلب واحد
فتلقتهم بنو هلال بقلب كالجبال واشتد بين المسكرين القتال وعظمت الأهوال فما كنت تنظر

في اليوم المهورل إلا وقع السيوف على السيوف والنصول وقتال يشهب الأطفال
ويذهب المعقول وما زال القوم على تلك الحال وهم في أشد قتال إلى وقت الزوال فعند ذلك
دقت طبول الانفصال فتأ حرت عساكر الديبسي خاسرة رجعت بنو هلال كاسية
حظافة فقرح بذلك الانتصار ونثر في تلك الليلة على الفرسان النثار وأخذ يفتظم
بالسلام يحمهم على الحرب والصدام وفي ثاني الأيام دقت طبول الحرب والكفاح
فركبت الفرسان واعتقلت بالسيوف والرماح ورز الأماهير دياب الفارس الحجاج
فصال رجال في ساحة المجال وطلب براز الأبطال فبرز إليه الوزير محمود فالتقاء الأماهير
دياب بقاوب شديد وجعل يهدده بهذه القصيدة :

يقول الفتى الزغبى بن غانم ولى قلب من رنين الجوانح طار
ألا يا فتى محمود اسمع قصتي واصغى لقولى مع الأخبار
واعلم أنى فارس الخيل بالوشى فن رام حربى قد يروم دمار
فلا تقدر اليوم تلقى مضارب لو عشت عمر النسر يا غدار
فلا بد ما تلقى أخوك راشد ودمك على وجه الأثرى فوار
فلما فرغ دياب من كلامه أجابه محمود على شعره ونظامه :

يقول الفتى محمود فيما جرى بدمع جرى فوق الحدود شرار
دياب يا غدار يا ولد الزنا أيا اندل العربان فى الأمصار
فلا بد ما أرديك بالسيف والقنا وأترك دماك على أوطا فرار

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير محمود من هذا الكلام هجم على دياب فالتقاء دياب
بقلب شديد وهجم عليه هجوماً صناديد واشتد بينهما القتال في ساحة المجال فاختلف
بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الوزير محمود دفعه على دياب تحته الحضراراحته
الضربة خافية بعدما كانت صائبة ثم أنصب الأمير دياب وهجم عليه كسبح الغاب وضربه
بالسيوف على هامه فقطعه نصفين وألقاه على وجه الأرض قطعتين وكان له أخ يدعى الهدف
فلما رأى أخاه قد مات زادت عليه الحسرات فهجم على الأمير دياب ليأخذ بثأر أخيه فشتبه
وصاح فيه وللتقاء الأمير دياب في الميدان بقلب أقوى من الصوان وجرت بينهما حروب
واحوال تشهب رؤس الأطفال واستمر واعلى تلك الحال وهم في أشد قتال إلى أن ولى النهار

وارتحل وأقبل الليل على عجل فأوقفوا عن الحرب وتوقفوا عن الطعن والضرب وباتت
العساكر في البلاح ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ودقت طبول الحرب والكفاح
وبرز الهداف إلى الميدان وطلب براز الفرسان فبرز إليه دياب وحده معه كلب الغاب
وكان الهداف من الفرسان المشاهير والأبطال والمغاوير قد تهودا الحرب من صباه فكان
لا يهاب الموت ولا يخشاه يقتل مع دياب أشد قتال وكان يحول معه في ساحة المجال
ويهمم عليه هجوم الأسد الرئبال وما زال الفرسان في أشد قتال وطعان يدخل حقول
الشجعان إل أن انتصف النهار وكان دياب استظمر عليه كل الاستظهار وضربه على عنقه
بالسيف البغار فقطعه وألقاه في ساحة المجال فلما رأت جموع الديبسي ما فعل بوزيها
هجمت على دياب ناصدة قتله وهي تدمه وتشتمه فعند ذلك جمعت بنى هلال من اليمن
والشمال والتقت الرجال بالرجال والأبطال وهجرى الدم وسال من شدة الحرب
والقتال وما زالوا على تلك الحال إلى وقت الزوال فدقت طبول الانقصال وباتت
بنى هلال في سرور وبات الديبسي في قلق وضجر لأنه قد قتل من قومه جمعا
كثيرا أكثره من الرؤساء والقواد ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وركبت
الفرسان إلى الحرب والكفاح وكان أول من برز إلى الميدان وطلب قتال الشجعان
الملك الديبسي دون باقي الفرسان فصال وجال في ساحة المجال ونادى أين فرسان
بنو هلال فبرز الآن إلى ساحة القتال فاتم كلامه حتى صار الأمير دياب قدامه
وهو راكب على فرسه وكل العيون تنظر إليه وترى ولما اقترب منه ألهق وقال :

يقول الفتى الزغبى دياب ابن غانم	أنا فارس الفرسان يوم طعان
أنا البطل المدعو ليوم السكرية	على ظهر خضرا تسبق الغزلان
ألا يا ديبسي اسمع كلامي وافهم	من قبل أن تغذوا قتيل طعان
فأولاد أختك قتلت بصارمي	وقلت جمعا وافر فرسان
فلو كنت عاقل يا أمير وقاهم	ما كنت تطلب زمرة النسوان
فكنا نعطيك مهما تريد	من المال ثم الخيول والفصان

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من هذه القصيدة اغتاض الديبسي ثم ألهق وقاله
يقول الفتى المسمى الديبسي مريد قدمعى على الخدين كالغدران :

وإيهان قلبي كلما أقول تنطقني يزيد طيها بالحرب والدخان
من قولك يا دياب يا بن غانم قدمتنا في حضرة الفرسان
فلا بد من قنلك على وجه النرى وتعود بعد الريح بالخمران
وبعد ذا أقبل حصن في صارمي وأبو زيد أيضاً وعمدة الشجعان
أسي حلالكم وكل رجالكم تبقى من جملة الرعيان
(قال الراوى) فلما انتهى الديبسي من شعره ونظامه اغناظ دياب منه وانطلق عليه
وحمل وفعل الديبسي مثله ما فعل وأخذ في الحرب والقتال وجرى بينهما عجايب وأهولك
وما زالوا على تلك الحال إلى أن ولي النهار وأقبل الليل بالاعتكاف فافتراق عن بعضهم البعض
ونزلت كل فرقة في ناحية من الأرض وعند رجوع الأمير دياب من معركة الصدام
التقاء الأمير حسن بإعزاز وإكرام وشكره على ما فعل وقال له الله درك في القتال
وملاقة الأبطال فأريه منك أن لا تنزل غداً إلى الميدان لأن لك عدة أيلم
وأنت في الحرب وللصدام والديبسي مرتاح ثم ختم الكلام بهذا الشعر والنظام :

قال الفتى حسن الهلالى أبو على والدمع من فوق الخدود سيول
يا مرحبا بك يا دياب الغانم يا فارس الفرسان يوم الهول
يا فارس الفرسان يا ليت العدا يا ليت عمرك يا أمير يطول
يا أمير إنك قتلت لراشد وسلام أضحى ميتا مقتول
أما الفتى محمود ولي واتمجي وأخوه مدافا غدا مجدول
واليوم قد نزل الديبسي صادمك في حومة الميدان مثل الغول
فأنا عليك اليوم قلبي خائف يا ليت عمرك ما ترى منكول
يا أمير دع عبداً ينازله فاسمع كلامي وافهم المنتقول
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه وفهم دياب فخرى قصده

ومرامه توقف عن رد الجواب فقال له حسن علامك يا دياب توقفت عن رد الجواب
قال اعلم أيها الهام لا تمنعني عن هذا الطلب وإن قتلت روحي فذاك فاني لا أخشى
الموت في قتال أعداك قال الراوى فلما فرغ دياب شكره حسن وقبله في صدره وقال له
أنا ما تفوهت بهذا الكلام إلا لما وجدتك تعبان وما دام الأمر كذلك فأبرز نهار غداً

قاتل خصمك وانكل على الله فاعلك تسكيننا شره واذاهم با تو املك الليلة في سرور
وانشراح ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور
الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وتقدموا إلى ساحة الميدان وكان أسبقهم الأمير دياب
ولما صار في معركة القتال طلب الديبسي فالتحقا إليه فالتقاء دياب كسبج الاجام وأخذ معه
في الحرب والصدام واشتد بين المظليين القتال وعظمت الأحوال وكانا تارة يتقدمان
وتارة يتأخران وكانت ميون الفرسان شاخصة اليهما ومازالا على تلك الحال إلى وقت
الزوال فدقت طبول الانفصال فافترقا عن بعضهما على سلامة ورجعا إلى الخيام
ولما أصبح الصباح ركب الأمير دياب فتقدمت إليه بلفته وطفاه وهي تهكي بدموع غزار
فتعجب من ذلك وقال لها اعلميني بما أصابك قالت مرادى أن تتوقف هذا اليوم عن
قتال القوم فقد رأيت حلما في المنام أصبحت منه في أوهام ثم سردت له هذا النظام :

إن الدهر كواني حتى زادت نيران
من أجل حلم شفته منه قلبي فزعان
قد شغت بحر من دم وأنت بوسطه غرقان
شفتك في وسطه تسبح وكلت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تخرج أنا شفتك بعيان
أنت تنادى يا أبو زيد هيا يا أبا شبيب
في سرعة قد أذاك ومدا اليك الزمان
وقال لك يا أبو موسى أمسكني بالدرعان
الحال قدرا في عاجل وقد جابك للصيوان

(قال الراوى) فلما فرغت وطفاه من هذا الكلام قال لها لا تخافى من هذا المنام فإنه
أصغاث أحلام فلا بد لى من الحرب والصدام فاذهبي إلى خيامك ولا تخافى على من
أعداك فرجعت إلى الخيام وتقدم دياب إلى معركة الصدام فوجد الديبسي بانتظاره
فصلا وجمالا من ساحة الميدان وأخذ بالضرب والطمع حتى حير الأعداء ومازالا
في هنا وحصر من الصباح إلى وقت العصر فاختلف بين الاثنين ضربتير قاطعتين وإن
السابق الأمير دياب فبعظها الديبسي بمعرفته ثم هجم على دياب كسبج الغاب وطعنه

بالرح طعنة قوية لجاء الرمح في ثغره فسالت دماه وآيس من الحياة وأراد الديبسي أن يجعل فناءه ويبلغ منه غاية مناه وإذا بفارس من بني هلال قد أقبل كأنه قطعة من جبل وهو يهدير كالأسد نخاص دياب من أيدي الديبسي بن مزيد ورجع به حتى وضعه في المضارب ثم اقتنح الصفوف والمواكب وهو يصيح على الأعداء وينادي أهلكم أبو زيد ليث الأعداء وجعل يقوى بني هلال على الحرب والقتال فأجابته إلى ما طلب وحملوا على جيش العدا من كل جانب فعند ذلك حملت العساكر على العساكر وقتلوا بالسيوف والخناجر وحمل على الأمير حسن بن مهران وتبعه السادات والاعيان ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى اشتدت الأهوال وتمددت الإبطال على وجه الرمال وماز الوافي أشد قتال إلى وقت الزوال وكانت عساكر الديبسي قد استظهرت في ذلك النهار وأسرت عشرين فارساً من بني هلال الاختيار من جملة الأمير عز ندى والرياشي ومفرج والهدار فلما شاهد حسن تلك الأهوال خاف على بني هلال من الهلاك والوبال فلما نزل في المضارب جمع قواد المواكب وأخذ يستشير بهذا المقصد :

قال الفتى حسن الهلالى أبو على من فوق الحدود لقد جرى
يا قوم اصغوا إلى كلامي وافهموا وأنت يا أبو زيد انظر ما ترى
قوم الديبسي يا رجال ائارس القوم منهم مثل سبع يهصدرا
يا قوم ما هو رأيكم فنسلكموا حتى أصبر في أموري وأبصرى

فلما فرغ حسن من كلامه أجابه أبو زيد يقول :

قال أبو زيد الهلالى سلامه يا أبو على اسمع وكن منى موقرا
واصغى لقولى يا ابن عمى وافهم هذا مقدر فى الكتاب مسطرا
واعلم بأن الدهر هذا حاله يوم لك ويوم عليك يا قسورا
اسمع كلامى يا ملك وافتهم إلى أشور عليك يا نحر الوردى
أرسل إلى الزينات أحضر جميعهم حتى ينجوا فى القتال العبيكرا
ثم تهمع فى الأعداء كلنا من فوق ظهور خيول ضمرا
أما الديبسي سوف أقتله أنا ويعود من فوق التراب محضرا

ونجندل الفرسان في طعن القنا في يوم آخر ينظرونه أشقرا
 هذا جزاء من خان في أخيه الله يقطع كل من يتكبر
 (قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وفهم الأمير حسن غوى قصده ومراده
 استحسنته وكذلك جميع السادات والأعوان وقالوا عن فرداسانه أن الخطاب هو
 حين الصواب هذا ما كان من بنى هلال وأما الديبى فإنه عند رجوعه من القتال كبرت
 نفسه وأحضر الاسرى بين يديه وتهدهم بالقتل والدمار فوجدهم لا يزالون
 بالاختار فأرسلهم إلى الحبس بعد أن أشفى غليل النفس ولما أصبح الصباح
 وأشرق بنوره ولح اصطففت المراكب وترتبت الكتائب ولما تقابل العسكران
 ورز القاضى بدير إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز إليه فارس وكان من الأبطال
 المذكورين فحمل على بعضهم البعض ونجاوا في الطول والعرض وتضاربا بالسيوف
 والقواضب وخطأنا بالرمح والسكواضب ولم يزايا في حرب وقتل وطعن يشيب
 الاطمان إلى قرب الزوال وكان القاضى قد استظهر على جاسر وهجم عليه كالاسد
 السكاسر وطعه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الأرض يختبط
 بعضه ببعض ثم هجم آخره قتله وعجل من الدنيا مر تحله فعند ذلك دقت طبول الانفصال
 فرجع القاضى من معركة القتال فالتفته بنو هلال بالاكرام والاجلال وهنته بالسلامة
 من الوبال وباتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وتوالت إلى الحرب والسكفاح فبرز
 من قوم الديبى فارس وطلب قتال الفرسان فبرز الأمير عقيل وهو آخر أبو زيد
 الفارس السكرا النزيل صدمه صدمة جبارة فالتقاء مثل الاسد المكرار وأشار يقول
 أنا تميم بيوم الحرب طعناكم كم قتلت من الشجعان فرسانا
 ان كنت فارسا فائبت ثم قاتنى حتى أبعدك ويبقى الدم غدرانا
 فمادنى الحرب بالميدان من صغرى اليوم تبقى طريح الأرض منمانا
 (قال الراوى) فلما فرغ تيميا من هذا الشعر والنظام فقال له عقل لمثل يقال
 هذا الكلام وأشار يقول :

عقيل غنى من الاشعار أوزافا وفي الحروب شديد البأس طعنا
 نحن السكرام لنا بالفصل قد شهدت كل الورى وملوك الأرض قحشا

أمهرنا ابن مروحان الأمير حسن لم نلتقي مثله في الناس إسماعيل
أخي أم زيد من شاعت مكارمه حكم سي في الوغى أسد وشجعانا
ما في الغوارس من قوم يماثله حامى حمانا من الحصاد احمانا
أنا عقيل اقلتك جئت أطالبه وأجعل الدم فوق الارض غدرا

(قال الراوى) فلما فرغ عقيل من شعره ونظامه حمل عليه وأخذ في الصدام والعراك واشتبكا أشد اشتباك وما زال على تلك الحال وهم في أشد قتال نحو ثلاث ساعات من النهار وكان عقيل قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار فضر به على عنقه بالسيف البتار وإذا برأسه قد طار وكان له أخ اسمه ناصر فلما رأى ما حل بأخيه هجم على عقيل هجمة الأسود فالتقاء عقيل بقلب كالجل والتحم بينهما القتال وكان عقيل يريد سرعة الانجاء من الصدام والبراق فلا صفة وحمايقه وسد عليه طريقه وضر به بالحسام على رأسه شقة فوق على الفلاء وهدم الحياة وكان الوقت قريب الزوال فذقت طبول الانفصال ورجع عقيل إلى بني هلال فالتقاء قومه بالسكرامة وغنوه باسلامة وشكروه على فعله وزادوا في إكرامه وإجلاله وأما عساكر الديبسي بن مزيد فكان قد تنغص عيشه وتمكك فاجتمعت الاكابر والعمد ودخلوا دلى أمهرم وتمثلوا بين يديه وقالوا إلى متى هذا الحال فجعل يوعدهم في الانتصار وثنى الايام برز الديبسي إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه غنيم بن مفلح وكان غلاما جميلا فقال له الديبسي من تكون يا غلام حتى تبرز في معركة الصدام فسوف أقطع رأسك بحمد السيف ثم صدمه بقوة واهتمام وما زالوا في قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد حتى صارت الشمس في رابعة النهار حتى الديبسي قد أظهر فاقتلعه من مرجه مثل الصغور وسأله إلى أصحابه فأوثقوه بالكتاف ثم صال الديبسي وجال وطلب إبراز الأبطال فبرز اليه الأمير زيداني وصدمه بقلب أقوى من الصيوان فالتقاء الديبسي كالأسد الغصيان وأخذ يتضاربان ويتحاربان واستمر الحال على ذلك الشأن نحو ثلاث ساعات من الزمان ثم اقتربا باسلامة والامان وبينما كان الأمير زيدان واجما من الميدان ضرب الديبسي حصانه فأرماه على بساط الفلاء فانقضت عليه جموع الديبسي فأخذوه في الحال وكنفوه وأوثقوه فرأى به الهم والسكدر وقد حلت به العير وأما بنو

هلال فقد هاجت منهم النساء والرجال واستعظموا تلك الأحوال وذهب منهم جماعة من الأهيان إلى عند أبو زيد فارس الفرسان فوقفوا عليه وفضوا إليه وطلبوا منه أن يسمى لتخليص الفرسان والأبطال من الأسر والاعتدال فطيب قلوبهم وأرعدم بأه سيئذيل المجهود ثم أنه غدير زيه وتنكر وأبس حلة من الحرير الأخضر ووضع طيأسا نا على رأسه حتى لم يعد يعرفه أحد وقصد الملك الديسي الخيام ودعاه بالعرز والانعام وكان كلامه معه باللغة الفارسية فلما رآه الديسي على ملك الصفة ظن بأنه من دراويش الأعجم فاحترمه غاية الاحترام وقال له من أين أتيت يا ابن الأجواد قال من مدينة بغداد وإني من فقراء عبد القادر رب الفضائل والمآسر فقال ادعونا يا درويش الأعجم بالنجاح والانتصار وإن الله يرزقنا بأبوزيد الخادم الماكر حتى نقتله على رؤوس الأشهاد وبلغ منه سرور الغواد وهو الذي كان السبب في قدوم بني هلال إلى هذه المنازل والأطلال فاذا أجاب الله طلبك بأغناك أربك فتعجب أبو زيد من هذا الكلام وقال له بلغك المراد بجاه مولاك عبد القادر وباقي الأولياء العظام وما دام كذلك أريد منك أن تأمر لي بالذهاب إلى البلد فسمح له بالذهاب وأمر الحجاب أن يفتحوا له الأبواب وعند دخوله إلى البلد قصد باب الحديد وهو المكان الذي كانت مسجوة فيه فرسان بني هلال ووجد هناك جماعة للعييد وهم يطوفون من خلف وقدام وتحت جنتح الظلام فسلم عليهم فردوا السلام وقال من تكون من الأيليم فقال قد أرسلني الديسي بن مزيد لادعوا له في جامع عبد الصمد بأن الله يبلغه المراد وينتصر على أبو زيد من الأوغاد وأنتم من تكونوا من الناس فقالوا إنا من جملة الحراس وقد أمر الملك أن يحافظ على أسر بني هلال خوفا من أبو زيد لئلا يأتى إليهم بالمكر والاحتيال ثم أن أبو زيد بعد هذا الحديث أخرج من حبيبه ثمة من نجة فاضاء ما عنده فرك مناخير فلما اشتعلت فاح منها نار النجعة البنيج فلما اشتعلت فاح منها نار النجعة لم تكن إلا برهة يسيرة حتى وقمت الحراس كالأموات من ذلك البنيج وبعد ذلك أخرج حجر المغناطيس ووضع على الأقفال فتساقطت في الحال فرأى فرسان بني هلال في القيود والأغلال وهم يقاسون الأهوال فاعلمهم الأمر وفكهم من الأسر ثم أعطاهم أسلحة الجماعة وقال لهم اتبعوني بعد ساعة حتى أكون فتحت لكم أبواب المدينة

فتخرجوا بالراحة والامان هم صار حتى وصلوا الى الباب فوجد الحراس جالسين وفي
أيديهم السيوف والحراب فردوا عليه السلام وقاموا على الاقدام وأجلسوه بجانبهم
وجعلوا يخاطبوه ويخاطبهم وكان كنهراً يمد يديه إلى جرابه ويأخذ قطعة من السكر
ويأكلها امامهم فقالوا ماله هذا الذي تأكله يا شلى قال هذا هو ملابس حابي فقالوا
اطعمنا ونحن ندعوك بالتوفيق والخير فأعطاهم قبضة كبيرة وكانت مبنجة فأكلوها
فما استقرت في بطونهم حتى سقطوا أو نأوا والأسرى فقد خرجوا ومدوا في قطع
البراري والبطاح فوصلوا لأهلهم عند الصباح فقامت الافراح وكثر الصياح واشتدت
ظهور الابطال وشكر أبو زيد على تلك الفعالة وأهل البلدة فقد حل عليهم الحويل والفكدة
وأول الحراس راقدين والأسرى غير موجودين ولما بلغ الديبسي هذا الخبر طار من عينيه
الشرر وتأكد عنده بعد التحقيق والتفتيش أن البلاء من الدراويش وما هو إلا أبو زيد
صاحب المسكر والكيد ولكنه أخفى السكند والجلد وحف بالعساكر والابطال اقتال
بنى هلال فالتقت فرسان القوم في ذلك اليوم وكان أول من برز للديبسي سرور بن فايد
فالتقاء الديبسي بقلب كالصوان ولم تكن إلا ساعة حتى أخذه أسير وقاده ذليلاً حقيراً
فبرز اليه نعيم الزحلان وكان من صناديد الشجعان فأمره في الحال وأوثقه بالقيود وما زال
على تلك الحال وهو يأمر الفرسان والابطال حتى أسرى خمسين فارساً من بنى هلال فقد جندوا
عدة أبطال وقد أشرقت على الوبال من هول القتال فلما كان اليوم الرابع هجم الديبسي
بالمواكب والطلائع فأصدا قتال بنى هلال وانطبق عليهم من اليمين والشمال وقاتلهم أشد
قتال فكانت موقعة عظيمة لم يسمع بمثالها في الايام القديمة كثر الصياح وجرى الدم وساح
فما كانت ترى الارؤس طائرة ودماء صائرة وفرسان غائرة ودارت على بنى هلال الدائرة
واستمر القتال على هذا المنوال حتى كثرت الاهوال على بنى هلال فلم يعد لهم ثبات
فتأخروا إلى الوراء ففزعوا إلى جانب الصحراء وقد قتل من الفريقين في ذلك نحو عشرين
الف بطل كراروا وظلم الظلام اجتمعت بنو هلال في الخيام في حالة الذل والانكسار
بما أصابهم في ذلك النهار وعقدوا ديوان مع الأمير حسن وطلبوا منه أن يمدحهم
برأيه فأخذ حسن يحمسه بالمقال ويشجعهم على الحرب والقتال ويقول لهم إنه من
الواجب أن تتركب الحازية مع العمارية وتحمّل عليهم في الصباح بالكتائب والمواكب

والإحاطة بنا لنوائب وما يعوذ يسلم منها أحد عند ذلك اشتدت عزائمهم على الحرب والصدام وأجابوه على فرد لسان إننا سنقاتل خدأ بالسيف واللسان حتى لا يبقى منا إنسان ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقة طبول الحرب والكفاج فركبت العساكر واصطلمت على الميامن والمياسر وهجمت عساكر بني هلال على عساكر الديسي بقلب حديد وهجمت معه فرسان الصناديد والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال واشتدت الأهوال ومال الدم وارتجفت السهول والجبال وما زالوا على تلك الحال حتى تضعضعت من الديسي الأحوال فعند ذلك مالوا من العيين والشمال وتفرقت جموعهم بين الروابي والتلال هذال الديسي ينحى الأبطال ويقول من عرفني فقد اكنني ومن لم يعرفني فما أني أخفا أنا الفارس المؤبد المدعى الديسي فلا يبرز من أبطالكم المشهورة وفارسكم المذكورة إلا أبو يزيد صاحب المسكر والسكيد الذي أتي إلينا واحتمل علينا فأهأنم كلامه حتى صار أبو يزيد أمامه وصدمة صدمة تززع الجبال وفي الحال التقيا في ساحة الجبال واصطلما كأنهما بحرين تهمارا كأنهما نمرين وتزاحما كأنهما أسدين حتى حان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهما غراب البين واستمر على تلك الحال إلى نصف النهار أما أبو يزيد فاستظهر على خصمه وضايقه وسد عليه طرقه وضايقه وطعنه بالرمح في صدره وخرج يلعب من ظهره فوق على الأرض قليلا ولما رأت قومه ما حل به خافت من الهلاك والبوار فولوا طالبين الفرار وقصدوا المدينة وقد انقطع منهم الأمل فتبعهم أبو يزيد وبني زحلان والأمير دياب والأمير حسن بباقي الفرسان وتبعوهم على ظهور الخيل ودخلوا المدينة تحت ظلام الليل وضربوا فيهم بالسيف حتى جرى في الأسواق وباب وقوم الديسي بما لا يطاق وكانت ساعة سريعة كثر فيها الصباح والبنكاه والنواح قد هجمت بنو هلال على الحصون والقلاع وخلصوا أسراهم من الاعتقال ورجعوا من ساحة القتال ونيابهم كشقاتق الأرحوان من أدمية الفرساب ونزلوا المضارب والخيام وقد بلغوا غاية المراد فخلعوا الحديد ولبسوا الأطالس والخمرير ودارت القهوة والشربات على الأمراء والساعات وفي ثاني الأيام نهض وزير الديسي همام وأخذ مزبد بن الديسي وأمه بدران وسار بهما عند الأمير حسن بن سرحان طهخل عليه وسلم عليه وبكى بين يديه وطلب منه العفو والأمان وأن يعاملهما بالطيب

والإحسان ثم تقدمت الأميرة بدر إن سلمت على الأمير حسن وتمايلت بين يديه هي والأمير
مزید ثم تقدم بهم الوزير ممام إلى امام الأمير حسن وقال له العفو يا مملك الزمان فقد
نصحتك الديبسي همة أمرار وحذرهم من عواقب الأمور فلم يسمع كلامي إلى أن نفذ به
الأمر المقدر

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من كلامه وفهم حسن خوى قصده ومرامه فأجابه
ما طلب فأكرم مزید وأمه غاية الإكرام وخلع عليهما الخالص الفاخرة وأنعم
أيضاً على الوزير وزاد له في التعظيم والتوفيق ونادى بالآمال وزالت الأكدار
والأحزان وكان مزید خاطب أئمة عمه هندو كانت من النساء المحسنات فاعلم الوزير الأمير
حسن ذلك الخبر وطلب منه أن يزفها عليه قبل رحيله فأجابه إلى ذلك للطلب وبأخه
غاية الأدب وفي الحال ذبحوا النوق والأغنام ودارت الأفراح سبعة أيام وبعد تمام
الأفراح والسرور والانشراح ولى الأمير حسن مزید مكان أبيه على تلك البلاد
وأطاعته جميع العباد وكان هذا الغلام محبوباً من جميع الأيمل لأنه كان عافلاً فيهما
سخياً بما يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف

(قال الراوى) وبعد تمام عرس مزید بعشرة أيام أمر الأمير حسن بهذه المضارب
والخيام وجمع المنكاسب والأغنام أمر بالاستعداد للرحيل ودق طبل الرجوع للرحيل
إلى بلاد الغرب وحينئذ اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان فركب الأمير
دياب والقاضى بدير وركب زيدان شيخ الشباب والأسد المهاب بستين ألف من
القبان وركبت الجارية مع المماريات وحينئذ ركبت الفرسان ظهور الخيول
واخذوا إدا السيوف والنصول وانتشرت البيارق وارتفعت الاستاجق وكانت الفرسان
تهوج وتموج مثل أيام أجوج وماجوج ووجدوا في قطع البرارى والفقار والسمول
والأوطار وهم يواصلون سير الليل والنهار حتى وصلوا بعد عشرة أيام إلى بلاد
الأعجم فنزلوا في مرج واسع كثير المياه والمنابع فنهضوا المضارب والخيام

(قال الراوى) وكان الحاكم على بلاد الأعجم في تلك الأيام سبعة ملوك عظام
وهم خرمندو على شاه والصلصيل والمغل وينذر المنذر والنمنان ولما نزلت بنو ملال
في ذلك المكان أطلقوا مواشيهم في المرعى وكانت كثرة الخيرات والأشجار

النبات في مدة يسيرة أكلت المواشى العشب والأشجار والبساتين والأثمار وبعد
أن أخذوا الراحة وأمنوا من نوائب الزمان رجع الأمير حسن والقاضي بدير إلى
نجد في حماد من الأجناد لتجديد البلاد ورجوع الأمير حسن والقاضي إلى نجد
اجتمعت ملوك الأهجام عند الحرمند وجعلوا يتداولون في أمر نزول بني هلال
في ذلك البر وبعد مجادلات طويلة قال الحرمند أعلموا أيها السادات أن بني هلال
قدموا البلاد وهم كل يوم في ازدياد فقالوا الرأي عندنا أن نبادرهم بالقتال ونسبي
حرمهم والعيال ونذهب نوقمهم والجمال قبل أن تسكن جمعهم وتصل أيديهم إلينا.
(قال الراوى) وكان الملك النعمان حاضرا في الديوان فذهب عليه ذلك الأمر
لأن أصله من بلاد الغرب فقال للملك الحرمندان كان لابد من حرب بني هلال
طعماً بالغنائم والأموال فارسل اطلب منهم هشر المال فإن أمثلوا أمرك الشريف
وأجابوك لطلبك تكون قد بلغت منهم المرغوب وإن امتنعوا عن ذلك فحينئذ
نبادرهم بالقتال ونذهب أموالهم ومواشيهم ونطفي نارهم ونلاشيهم فلما سمع منه هذا
الخطاب رآه العوالم وكذلك صادقت عليه سادات الأعاجم ثم أن خرج من
بعد هذا الكلام استدعى بقلم وقرطاس وكتب إلى بني هلال يعالاب منهم هشر
المال أو يرحلوا من بلاده :

(قال الراوى) فلما فرغ الحرمند من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى الزجاء
وأمره أن يسير إلى حلة بني هلال ويدفع الكتاب إلى نائب الساطان حسن بن
سرحان ويرجع إليه من غير قوائم فامتل الزجاء أمره وسار حتى وصل تلك الديار
فسأل عن نائب الأمير حسن فأرشدوه إلى مضارب أبو زيد فدخل وسلم عليه
وتمثل بين يديه وأعطاه وطلب منه سرعة الجواب فلهما فتحة وقرأه وعرفه وزه
ومعه مائة ورماه وكتب إلى الحرمند الجواب :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه فلا يسكنتم الأسرار غير الأصايل
الأيكشفا الأخبار غير خائن ردى الأصايل من قوم أراذل
أنا أبو رزق من أهل عامر وأمي شريفة من خيار القبائل
سميت أبو زيد على الناس زائد كريم شجاع من كرم أفاضل

بعثت يا خرمند تطلب لعشرنا عشر الفسائم الخيول الاصيل
وتريد منا كل بيضة جميلة بنأكل الامارة زائدات بالدلائل
فما محطى بهم فان وراهم رجال حروب كالأسود تقاتل
سألقاكم غدا بقوة ساعدى وجيش بنى هلال الفضائل
ولن كنتم لا تبرؤوا للقتال فإني سألقاكم بوسط المنازل
يقول أبو زيد الهلالي سلامة سيدركونى الفرسان فى يوم الموائل

(قال الراوى) ولما وقف الخرمند على هذا الشعر والنظام صار الضياء فيه
عينيه كالظلام وقال هل بلغ من قدر بنى هلال ان يخاطبونى بمثل هذا المقاتل
وأنا ملك بلاد العجم وذكرى فى جميع بلاد الامم ثم انه استدعى من قواد العساكر ومن
يعتمد عليهم فى الحروب والمخاطر وأمرهم ان يستعدوا للقتال ويجمعوا الفرسان
والابطال فامتلأ أمره فى الحال وجمعوا الابطال والفرسان حتى اجتمع خمسمائة
الف عنان وأرسل إلى بلاد خراسان تيمده بالجيش والعساكر ثم ركب فى ثانى الايام
الحرب والصدام ولما بلغ أبو زيد هذا الخبر ركب فى جموع بنى هلال واشتبك بين الفريقين
القتال واشتدت قلوب الرجال وما جت بنو الزحلان وبنو هلال وارتدت على طوائف
الاعجم كتيوت الآجام وقد امهم أبو زيد فارس المعامع وهو يمدد كالاسد الكاسر
ولا يبالى بالاموال والمخاطر وقد فضل الممات على الانزاع والقتلات هذا وقد فلك
أبطال بنى هلال بالعجم فتك الذئب بالغنم وأوردتها مورد العدم وكانت ساعة من
أعظم الساعات فيها ارتفعت الصعجات وتمكنت الصوارم فى رؤس الفرسان والسادات
فعند ذلك وامت الاعجم هاربة إلى النجاة طالبة وخلص أبو زيد من أيديهم النساء
والبنات ورجع بالنصر والاقبال إلى المضارب والايامات مع باقى الامراء والسادات
هذا ما كان من أبو زيد الاسد السكرار والهطل المغوار وما فعله فى ذلك النهار
وأما الماربة ابنة عم الامه غنيم فكانت فى هودج على جمل أهوج فلما اشتد القتال
انهزم بها ذلك الجمل وسار بها على عجل فرأت نفسها بقرب الحلة والكوفة والصايل
وراء هودجها طالب اخذها فصاحت على ابن عمها من ملو رأسها وكان المذكور
باقرب منها فلما سمع نداها ترك القتال واتاها فجعل يلعن الابطال ويمدد الفرسان
(٤ — تغريبة)

على وجه الرمال حتى اقترب من نواحيها وصار يناديها ويقول لبيك يا ابنة عمي وفارجة همى وغمى فقد أتيك فابشرى بالخلاص من شرك الاقتناص فلما فرسان الاعاجم تقدم مالت عليه من خلف وأمام وأخذت معه في الحرب والصدام فبينما هو يقاتل ويدافع وإذا هو بالصاصليل قد ضرب به من خاف ظهره بالرمح فخرج من صدره فوق على الأرض قتيلاً في دمه جزيلاً . فساق الصاصليل هودجها في الحال بينما كان أبو زيد يشتغل بالقتال وما عنده خبر بهذه الأحوال فلما أسى الظلام ورجع أبو زيد عن الحرب والصدام دخلت مارية الحلة مسبية من الاعجام وهي تبكى وتصيح وتستغيث من فؤاد جريح وليس من يسمع نداها

(قال الراوى) وبينما كان الأمير أبو زيد في خيابه مع سادات قومه يشربون المدام وبأكلون الطعام والنساء تدق لهم الدفوف وتدعو لهم بطول العمر على ذلك النجاح والنصر وأن الأبطال قد أنوا بجثة غنيم من ساحة القتال وأقاموا عليه النواح والصياح فسأل أبو زيد عن السبب فقال يسلم رأسك بالامير غنيم فإنه كان يقاتل بقرب هودج مارية إلى أن ضايقته الأبطال فقتل وشرب كأس اللحم وراحت مارية سبية الاعجام فلما سمع أبو زيد هذا الخبر تنغص عيشه وتمرر وطار من عينيه الشرور واسكن لما رأى نفسه مغلوباً من العجم الكثرة ما عندهم من الأمم كتب إلى الأمير دياب يعلمه بوقعة الحال ويطلب منه المعونة في القتال وأرسل الكتاب مع عشرة أبطال فلما وصل الكتاب إلى الأمير دياب وقف على ما تضمنه من الخطاب اعترض عن الحضور وقال أولى بحماية الجمهور وهذا لا يمتنى عوامله فلما وقف أبو زيد على هذا الخطاب خرج عن الصواب وغضب من كلام دياب ثم انه كتب إلى الأمير حسن بن مرحان يعلمه بهذا الشأن ومثل ذلك إلى القاضي بدير يعلمه بما جرى بينه وبين الاعجام فما فرغ الأمير أبو زيد من الكتاب سلمه للنجاح وأمره أن يحمده في مسيره حتى يصل إلى بلاد نجد ويسلمه إلى الأمير حسن ويرجع إليه بسرعة الجواب .

(قال الراوى) ومن الاتفاق الغريب بأن القاضي بدير رأى تلك الليلة حلماً وهو أنه قابض على حمامة بيضاء وإذا بمقاب أسود قد هبط من الجو فخطفها وطار فاستيقظ من المنام وهو في قلق عظيم وسار إلى عمه الأمير حسن وقص عليه الرؤيا

فقال يا ابن العم ان هذا الحلم يدل على ضيق وغم الآن وأن ابنتك مارية قد خطفها
الاعجم فلما سمع هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالأظلام وقال له ما دام الأمر
كذلك فيجب أن نركب حالا ونجده في قطع القفار واكشف خبر قومنا في تلك الديار
فأجابه الأمير حسن إلى هذا المرام وركبنا في ساعتهم ومعهم فرسان الصدام وقصدوا تلك
الاطلال فاصدين بنى هلال وكان ذلك العجيب الذي أخذوا الكتاب قد سار قصدهما
ولكنه أخطأهما في الطريق وعند وصولهما بالعساكر والابطال إلى أول نجوع بنى
هلال ثم انه سار مع الأمير حسن حتى اشرقوا على الأمير دياب بالاكرام والرحاب
وطلب منهم أن ينزلوا عنده فأبى حسن وقال له علامك يا أمير ما ركبت مع أبو زيد
على قتال الاعجم أنسى الحرير والعيال وتنهب النوق والجمال وأنت جالس
في الخيام بدون فكر ولا اهتمام قال أن الذي منعتني يا ملك الزمان هو خوفا من
هجوم العدا إلى هذا المكان فتنبه الاغنام ثم ركب دياب مع القاضي والأمير حسن
وركب معه الابطال والفرسان وما زالوا يجدون المسير حتى وصلوا عند أبو زيد
فالتقاهم بالتمظيم والاحترام وكان ذلك النهار عنده من أعظم الايام فنزلوا عنده
فدبج لهم الاغنام فامتنع الأمير حسن عن الاكل وهو مغتاظ زعلان فساله
أبو زيد عن سبب ذلك فقال إني مغتاظ عليك كيف تفقد المارية من يدك فلما فهم
أبو زيد فحوى كلامه أجابه يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	بدمع جرى من مقلة العين تتابع
يا أبو على اسمع كلامي وافهم	وإذا مت يا قاضي فكأن لغوي سامع
أتونا بنو الاعجم من كل جانب	سبعة ملوك من غير التوابع
فصحننا عليهم هاجمين بعزيمة	قتلنا منهم ألفين ما عدا التوابع
فكانت فتاة الحى مارية المها	عدت فماد القوم فيها طوامع
جمل بكرها فيها وما أنا ما رأيته	وقاي لأجل المارية عاد واجمع
ونادت بعالي الصوت يا آل عامر	وترمى بأيديها وتلوى الاصابع
طغنت الملك صاصيل بالرمح صابه	بحرارة نورها كالشمس ساطع
هو كان ظلام الليل بيني وبينهم	وعاد العجم من بعد هذه الوقائع

وحق كلام الله والبيت والحجر فلا بد لي من حربهم أن أسارع
ولا بد من أن أجيب المارية وأهدم الكوفة وارقد راجع
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبو زيد من كلامه قال له الأمير دياب والله يا أبو زيد
لو كنت حاضرة قتال المعجم ما كنت تركتهم يسيدوا المارية ويسطو على الأموال والحريم
بل كنت قاتلت أشد قتالاً وأموت موت الأبطال فلما سمع أبو زيد ذلك كان عليه كضرب
الحسام فالتفت إليه وقال له أمام الأعيان صدقت يا أمير دياب يا ابن غانم وبما أنك
كنت قادر على كسر الأعجام فلما حضرت وأظهرت شجاعتك في الميدان عندما
أرسلت خالصك عشرة فرسان ولا بد أن تقصد الأعجام وحينئذ ترى شجاعتك في المعركة
وأما ما كان من الأعجام فانهم لما رجعوا إلى أوطانهم وتنازعوا ملوكهم على مارية
بنت القاضي بديرو كان كل واحد يريد أن يأخذها لنفسه دون الغير وذلك لما فيها من
الحسن والجمال والبهاء والكمال فاتفق رأيهم على إعطائها للشاة خرمندلا من أكابر
الملوك وأهمهم يركبون على بنى هلال مرة ثانية وكل من يكشف امرأة تكون له مثل المارية
وفي ثاني يوم ركب الأعجام على بنى هلال فركب الأمير حسن واستقبلهم في ساحة
الميدان ماعداً أبو زيد فإنه لم يركب معهم لقتال القوم وجعل نفسه مريضاً في ذلك اليوم
ولما انتشب القتال وعظم بين الفريقين الأحوال هجمت الأعجام على بنى هلال مثل
أسود الأعجام وقاتلت أشد قتالاً وجعلت ترميهم بالمشاب وتقطعنهم بالحراب بدون
خوف ولا ارتباك فلما رأت بنو هلال تلك الأحوال وهجم المعجم عليهم من اليمين
والشمال خوفاً من الهلاك والوبال فارتدوا إلى الخلف وانهمزوا أشد انهمزاً وتبعهم
فرسان المعجم حتى دخلوا الخيام ثم داروا بينهم وفي البيوت ويسبوا النساء والبناات
فوقع البكاء والنوح وزادوا في الصياح فلما سمع أبو زيد عويل النساء والأصوات
للتى ترعش من سماعها الأذان وعظم عليه الحال وعصفت في رأسه نحوه الرجال فبكثت
الأبطال والفرسان وفي أيديهم السيف والرمح فالتقى بمسكرا الأعجام وحكم رقابها
ضربت الحسام فزادهم عن المال والحريم بإذن الملك العظيم فارتدوا مهزومين إلى الخيام
طالبين وهو وقومه وراهم مثل الشوامين إلى أن بلغ منهم المارد وقتل عدداً كثيراً من
الاجناد ثم ارتد منتصراً وعند وصوله إلى الصيوان فالتقاء الأمير حسن بن سرحان

وشكره على تلك الله مال وقال له مثلك تسكون الأبطال يا زينة الأبطال فلو لاك لكنا في
أسوأ حال وصرنا معيرة بين سائر العربا ن على طول الزمان وكذلك القاضى يدرفانى
عليه وكان متأسفاً على فقد ابنته ماريه أمام الماضى. وقال له أبوزيد كز يدافنا من هذا
القبيل فلا بد من خلاص ابنتك أيها القاضى الجليل واشفى من عساكر الهم الغليل ثم أن
أبوزيد صبر إلى وقت الظلام فنمض كسبع الآجام ونزى إلى الأعجام وساروا إلى
مدينة السكوفة بجمع الأعجام وفي صحبته عبده أبو القمصان و بدر بن غانم وعند وصوله
إليها وجدوا أبوابها مغلقة فدار من جميع الجهات فلم يجد منفذاً بيناهم وبتفرج وينأمل
و رأى دهايز صغير فنزل فيه فأوصله إلى البلد فالتقى جماعة بانتظاره وأخذ يطوف من زقاق
إلى زقاق ويحول بين الحارات والاسواق وهو يحس الأحوال ويقف على الأخبار
وكان كلما نظر إليه إنسان يكلمه في لغة الأعجم بأفصح لسان وما زال سائر من مكان
حتى وصلوا إلى حارة عزيمة البنيان ذات أربع عمدان وفوقها قصر جميل الهندام من
الرخام وشبابيكه مصفحة من الذهب وإذا به يسمع آلات الطرب فقال أبوزيد فى نفسه
إن صدقى حذى هذا قصر الملك خرمند لا محاله لما عليه من الهيبة والجمال ونظر أيضاً
إلى شجرة من السر واصله أغصانها الشباك القصر فصعد إليها حتى وصل إلى أغصانها
ولما صار عند الشباك وجه نظره إلى تلك الغرفة فوجدها من أحسن الغرف مزينة
بما لفرش الفاخرة ووجد مسبح ملوك من المعجم جالسة على كراسى من الذهب ومارية
جالسة بينهما كأنها القمر وهى لا لبسة إياب تذهل البصر وكانت ملوك الأعجم تشرب
بالمدام والمغنى تغنى لهم بأنواع الانغام فبيناهم كذلك وإذا بخرمند التفت إلى ماريه
وقدم لها كأساً وقال لها خذى واشربى يا بنت السكرام وغنى لغنا بأفصح كلام حتى يزيد
الشرا حنا ويكمل مرورنا فامتنعت عن الشراب وزادت فى البكاء والانتخاب فلم يزل
ذلك على الملك النهمان فنمض من وسط الديوان وكان أصله من العربان وكان
الملك خرمند متزوج بابنة هند فقال دعوها ولا تسلموها فإنها من بيت كبير
وأبوها قاضى وأمير وهذا لا يفعله حقير ولا صعلوك فسك بالحرى الملوك ولكن
من جهة الغنا فهذا ليس فيه عيب ولا تمب ولا عناه ثم التمس منها أن تغنى
فلما سمعت الكلام أشارت تغنى وتقول وتشكو حالها :

تقول فتاة الحى مارية من المما
بالله يارايح إلى الحجاز إذ امرى
إذا جئت إلى نجد العديّة بلادنا
وقل لهم العنسا والقول صادق
وقل لهم لا تمهلوا سمر القنا
ألا يا هلال فأنجدونى بسرعة
وإن لم تنجدونى طال ذل خاطرى
وقد جابى الحرمند داخل قصره
فبالله يارايح تحمل رسالتى
وروح إلى أبوزيد الهلالى سلامه
وقل له قالت فتاة الحى المارية
أبوزيد أبوزيد يا كاسب الثنا
ألا يادياب الخيل عاون سلامة
(قال الراوى) فلما فرغت المارية من هذا الشعر وللنظام طربت ملوك الأعجام
وشرب خرمند كاس المدام ثم أعطاه إلى الساقى ليمسقى الباقي فلما فرغ الخرمند إلى
الساقى أملى كاس المدام وناولته إلى مارية بدر النمام حتى تفرح وتطرب ويزول عنها
الحزن والكرب فجلست مارية من الناس وقالت للنعمان انى لا أشرب من هذا الكاس
لأنك تعلم أنها السيد المعظم بأن مشروبنا هو حلب النوق والغنم ولا أن نشرب غيره
من المشروبات لاسما النساء والبينات فإن ذلك عندهنا من أعظم العار فاعتذر النعمان
عنها إلى خرمند أمام الجلاس وقال له اعفها من هذا الكاس لأنها غير معتادة وليس في
التكرار فائدة فتناول الخرمند الكاس من الساقى وقال له أريد منك أن تصف لى
مارية أمام هؤلاء الملوك وتذكر حسناتها وجمالها فقال سمعها وطاعة وأنشدا الأبيات:
يقول فراج أنا ساقى الملوك الدمع من فوق الخدود تبتدا
من رؤيتى المارية عطفى شرد ما عاد لى صبراً بأن أنهلدا
الشعر منها مثل ليل دامس أو مثل لون غراب طائر أسودا

والوجه منها مثل بدر طالع وجبينها يسطع كبار موقدا
وعيونها مثل الغزال فوانك فكأنها حورية تقوقدا
وخدودها كالورد تزهو كأنها تفاح شامي أحمر وموردا
وشفافها تمر العراق وسكرا وستانها تزهو كدر منضدا
إن شافها أبو زيد يهجم بسرعة يضرب بسيفه من طفا وتمردا
إن أطعني خر من عند أرسها غدا واسعى لهم بالصاح لا تردددا
لا تتبع الصلصيل في آرائه شور النعمان خيرا وأرشددا
(قال الراوى) فلما فرغ الساقى من كلامه وسمع الخرمندر الملوك في شهره ونظامه
قال له الخرمندر أحسنت بما فعلت فعند ذلك نهض النعمان وأراد أن يأخذ المارية إلى
بيته فاعترضه الصلصيل وقال إنى كسوتها بالثياب الفاخرة والحلل وأنا أحق بها من
كل أحد فقال له النعمان إنى لا أمكنك من ذلك حتى ترى ماذا ينتهى الحال بيننا وبين
بنى هلال وأنا من رأى أن نطلق سدياها فتذهب إلى أهلها خوفاً من القيل والقال فقال
الصلصيل هذا لا يكون ومرادى أن أنشد معها بالاشعار أمام هؤلاء السادات الأخيار
فأنا أنشد من الشعر وهى تجبني عليه ولا تريد منها بغير ذلك ثم أشار يقول :
قال الملك الصلصيل يا مارية غنى لى وارفعى المنديل عن وجنتيك الحرا
يا مارية بحياتك قومي اشربى كأساتك وبينى شاماتك عن وجنتيك الحرا
بطل كلام القبل وافهم يا مذلولى نحن بناتك الأهرام قوموا تعالى لقرى لأذوقك من
شربى وقرى لجنى حتى تطيب السكر : صلصيل قال كلامك وأزن مقالك غدا
يسير هزاعك من سباع الفقرا : يا مارية ارتدى . رجائك لا تعتدى بالحرب
ماهم قدى بأكرىجى زيدان ودياب راعى الخضر ايا مارية لا تربدى بقولك لا تعيدى أن
الجميع عبيدى ما ياتونى بكرا غدا يجيئك سلامة أسمر طويل القائمة سيفه يربل الهامة .
سلامك ذاك راحى من يوم درعا ما حى أنى اسكفاحى اقلته فوق الصخر
غدا يجيئك العالى أمير بخته عالى حسن كبير هلالى قومه كوج البحر إذ ذاك
ما أعداه يوم الحرب أهدها بمحمد سيفى قد أجمعه وسط القبرا .
(قال الراوى) فلما فرغ الصلصيل من هذه المناداة والمحادثة والمكالمة كانت جالسة

بقربه أخت الملك خرمنده وكان اسمها تاج بخت فلما سمعت أن مارية شتمت عيها
 الصاصيل في شعرها وأهانته بالكلام كان ذلك عليها أشد من ضرب الحسام فنهضت
 على قدميها ولطمت مارية بين عينيها وقاتل هل بلغ من قدرك يا بنت الكلاب أن
 تمكلمي بهذا الخطاب وكانت الضربة شديدة فآلمتها فاندفق الدم من جبهتها فلما شاهد
 أبو زيد تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال ولولا وجود الحديد بالشباك لكان
 دخل عايهم وأورث العجم الدمار والهلاك وأما النعمان فإنه استعظم ذلك الأمر
 لما نظر الدم يقطر من جبينها فنهض على الأقدام وصل كفها الحسام وجعل يهدد الأعجم
 يقول للملك نعمان عقتي طار والقلب مني يهب بالنار
 قد جئت بنت السكرام لداركم يا عادمين العقل والافكار
 لو عاينت فرسانها أفعالكم أو شافها أبو زيد وقت الغار
 لرأيت أفعاله وقتاله وهجومه بين الصفوف جهارا
 إني سأسحق ماريًا بمهندي بضرب فقد الروس والاحجار
 قول الفتى النعمان قول صادق لا بد لي أن أقيم الغار

فلما فرغ النعمان من هذا الكلام وسمعه ملوك الأعجم خافت من الشرور وعواقب
 الأمر وفعال خرمنده للنعمان خذ مارية إلى عندك هذه الليلة وابقها لأنه يخشى من تواليها
 فتى ظن أنها بهؤلاء العرب حينئذ تبلغ منها الأرب فعند ذلك أخذها النعمان من يدها وقال
 لها انفضي أيتها الأميرة إلى بيتي فنهضت وسارت اليه من عند الأعجم ولم يعترض أحد
 بكلام فنهاشاهد أبو زيد أفعال النعمان شكره في قلبه على ذلك الشأن وقال والله إن هذا
 الرجل يستحق كل جميل ثم نزل من أعلى الشجرة وتبع آثار النعمان حتى وصل إلى
 منزله وهو من وراءه فسمعه يقول لابنته خذي الأميرة وافرشي لها في غرفة فأنها من
 بيت شريف فترحب بها وأخذتها إلى عندها ثم رجع النعمان ليصرف باقي أهله عند
 الأعجم ورجع أبو زيد ابني هلال وعند وصوله إلى الخيام سمع أصوات البكاء
 والصياح والويل والنواح لأنهم كانوا يظنون بأنه مات فلما دخل على الأمير حسن وهو
 في الصيوان سلم عليه فنهض له على قدميه وشكر الله على سلامته وكذلك فعلت باقي السادات
 وسأله القاضى بدير عن المارية ابنته وهل وقف على أخيارها في أثناء غيابه فأجابته يقول:

يقول أبو زيد الهلالي سلامة
وصلت إلى الخلا سريعاً بلا بطا
إلى أن نظرت المارية في أعيني
في قصر خرمند يا قوم جالسة
والطاس داير والحنك والغنا
يمر عليها السكاس ما تلوقة
فكانت تنادي بالصوت يا آل عا
فكان الملك النعمان قد أتى بها
وأخذها في الحال إلى دار بيته
فإن حائى الرحمن ربى أجيبها
(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وسمع الحاضرون غوى شعره
ونظامه قال الأمير حسن اعلم يا صاحب الرأي الحسن مرادى الآن أكتب
كتاباً إلى ملوك الاعجم وأطلب من الخرمند أن يرسل المارية الآن لأنها عند
الملك النعمان فإذا في ذلك فقال أبو زيد باقى الناس لا بأس فعلمهم يتأثرون من
كتابك ويرسلونها إلينا فعند ذلك كتب هذه الأبيات :

قال المقي حسن الهلالي أبو على النار فى قلبى تهب وتشعل
يا مالك خرمند اسمع قصتى ابعت لنا المارية ولا تتمل
إنك إن أرسلتها ليوتنا فترى العساكر ودياب ترحل
حتى إذا خالفت فى رحالها نهجم عليك فى الصباح ونقتل

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات
السكرام فى الحال أرسله مع نجاب ليعطيه إلى الملك ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل حتى
وصل الملك الخرمند فتمثل بين يديه وسلمه السكتاب ففتحته وقرأه ولما عرف معناه
مزقه فى الحال واغتاض من هذا الأمر وأمر العساكر أن تستعد للقتال وخرج بجيوش
الاعجم لقتال بنى هلال فلما وصلهم هذا الخبر اسعقدوا للحرب والطعن والضرب
وفى أوائلهم الأمير أبو زيد والأمير دياب وغيرهم من الفرسان والسادات والسكرام

والتقوا بالاعجام بقلوب كالجبال وقاتلوا أشد قتال وفعل الأمير أبو زيد أفعالا شديدا
 الاطفال وكان يطعن الاعدام من اليمين والشمال وله در الأبر دياب فإنه قاتل في ذلك
 اليوم قتال شديدا وألقى بنفسه على الهلاك حتى فرق الصفوف وطعن فيهم اللحم وهو
 يفتح الأبطال ويقول دونهكم وهؤلاء الأندال وما زال يشق صفوف الاعجام حتى
 وصل إلى الملك القمقام وهو تحت البيارق والاعلام وضربه بالسيف على عاتقه خرج
 يلعب من عاتقه ثم مال على القوم وباقي الأمراء والنواب وإلهامهم بضرب السيف
 القرضاب وقتل منهم عدة رجال فلما رأته العساكر والاعجام تلك الأحوال هاجت من
 اليمين والشمال وارتدوا واجتمعوا إلى الورا وانقلبوا منهم ريز في تلك الصحراء وقطع
 دياب رأس القمقام وعاقبه على رأس الستار إلى عند الأمير حسن وباقي السادات ورجعت
 بنو هلال ذلك النهار بالعز والانتصار وباتوا في فرح واستبشار ولما أصبح الصباح
 وأشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب وتقدمت الفرسان إلى مقام الطعن والضرب
 وكان أول من برز إلى القتال من أبطال بني هلال أبو زيد الفارس المفضل فصال
 وجمال في ساحة المجال فبرز من الاعجام الملك المنذر فالتقاء أبو زيد وانطلق
 على المنذر كسبع الآجام والصدام ولم تسكن غير ساعة من الزمن حتى ضربه أبو زيد
 بالسيف على هامته قده نصفين وألقاه على وجه الأرض قطعتين فوقع على الأرض
 يختبط بعنقه ببعض فلما رأت الاعجام تلك الحال ضجعت منها الفرسان والأبطال
 واستفظعت ذلك الأمر فعندها برز أخوه الأمير بندر أبو زيد ليأخذ ثأر أخيه
 فالتقاء أبو زيد بقلب الحديد ثم هجم عليه وضربه بالسيف فالحقه بأخيه فلما وقع
 وانقلب هجمت الاعجام بشدة الغيظ والغضب فالتقته بنو هلال وحكت فيها
 السيوف والنصال وقتلت منها أكثر من عشر آلاف من صناديد الأبطال فانهزمت
 إلى الورا واستعظمت بعادها وفي اليوم الثاني دقت الاعجام طبولها وركبت خيولها
 وبرزت إلى القتال وهي تهدر كالجمال طالبة أخذ الثأر وكشف العار فالتقها بنو
 هلال وكان أول من برز إلى الميدان الأمير أبو زيد فبرز إليه المخل بن رلدل .
 (قال الراوي) فلما التقيا في الميدان وأخذتا يتضاربان ويتطاعنان وكان المخل المذكور
 من أفرس الفرسان قوى الجنان وله ذكر شائع فقاتل أبو زيد أشد قتال وما زال

على تلك الحال حتى تحمرت من قتالها جميع الأبطال وكان اختلاف من الاثنين ضربتين
 وكان السابق أبو زيد قال عنها المغل فراحص خاتمة بعدما كانت صائبة وإذا ضرب به
 المغل فإنه استلقاها أبو زيد في الترس فقطعته نصفين ونزات على رقبة الجواد فأبرتها
 كما يبرى السكايب القلم فوقع أبو زيد على الأرض فأراد المغل أن يسكل عليه فبادر
 الأمير دياب إليه وخاصه في أسرع من لمح العين لأنه يرقب قتال الاثنين وأشار
 أبو زيد إلى عبده أبو الفهمان (قال الراوى) وفي الحال أتوه قومه بجواد فركبه
 وهجمه هو ردياب على صفوف الأعجام ولبهمم باقى أبطال بني هلال وخلصوا فيهم من
 اليمين والشمال وكانت ساحة مهولة قتل فيها خلق كثير وكان من جملة المقتولين المغل
 وغيره من سادات العجم والمقدمين وانهمزمت العجم في ذلك اليوم أصبح هزيمة وقتل منهم
 مقتلة عظيمة ورجعت بنو هلال بقلوب كالجبال فبرز من عساكر العجم الملك الصاصليل
 وهو راكب على جواد مثل الفيل وطلب قتال بنو هلال ولما صار في ساحة المجال
 برز إليه الأمير دياب وهو راكب على فرسه الأخضر افاالتقاء الصاصليل واشتد بين
 الفارسين القتال وعظمت الأهوال ومازالا على تلك الحال إلى وقت الظهر وكان الصاصليل
 قد اعتراه التعب واسترخت منه المفاصل والركب وأحس بالهلاك والعظم فولى وطلب
 لنفسه الحرب فلما رأت عساكر العجم بأن ميدها قد انهزم خاقت من العواقب وحلول
 التوائب فارتدت إلى وراها حتى وصلت إلى الحلة فدخلت إليها وأغلق الأبواب
 ولما كان الليل جمع الملك خرمدت الملوك وقواد الخيل وقال لهم مرادى أن أخرج
 في ثمانى الأيام إلى قتال بنى هلال وأريد أن تشجعوا أنفسكم وتقاتلوا وإلا انتهكت
 ناموسنا وصرنا معيرة وفضيحة عند ملوك الزمان فأوعده بأنهم سيمذلون غاية
 المجمود ويقا تلون معه قتال الأسود ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركب
 الملك خرمدت في جميع الجند وأخرج من المدينة يريد القتال فالتقاء في الحال
 جميع الفرسان والأبطال ولم العسكريان وتقابل الجمعان برز أبو زيد إلى خدمة
 الميدان فانطلق الخرمدت وأخذ في حربه وصدامة فالتقاء أبو زيد بقلب كالجبل
 فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف ومازال على تلك الحال من الصباح إلى
 وقت الزوال ولم يقدر أحد على صياحه فافترقا عن بعضهما وبات كل فريق

في ناحية من الارض (قال الراوى) كان حاكم التركان في ذلك الزمان رجل عظيم الشأن اسمه الخطريف ويلقب بالغضبان وله عدة وزراء واعوان ومن جملةهم الوزير النعمان وهو عنده من اعظم الاوكان كأنه صاحب معرفة وتدير في أمور السياسة عليهم خبير وله ابن أخت وكان ولي عمده ونائبه على التخت تمر الجارح وكان في الشجاعة والفروسية منطقة عليه يضارع أسود البطاح ولا يمل من الحرب وكان الملك الغضبان يركن اليه كل الاركان ولما وصلت جموع بني هلال وخيمت في تلك الاطلال كما سبق المقال وبلغ الغضبان هذا الخبر تطاير من عينيه الشرار فاجتمع بوزرائه وباقي الاعوان وعقد معهم مجلسا في هذا فقال له الوزير النعمان الرأي عندى الآن ترسل لاسكنهم بعض الابطال تطلب منه المال فأجاب الملك باغنا القصد وان أبى وامتنع ركبنا عليه بكل فارس صديد فتنهب أموالهم ونسب حريمهم وعيالهم ونقتل شبابهم ورجالهم فاستحسن الغضبان هذا الرأي وفي الحال استدعى بعض الفرسان وأمره أن يذهب إلى بني هلال على سبيل رسول وكتب اليهم يقول:

يقول الفتي الغضبان بما جرى له	نيران قلبي زائدات وقيد
ألا أيها القادى على متن ضامرى	فأقطع فيأفى برها وبعيد
إذا جشت إلى حسن الهلالى أبو على	فأعطيه مكنوبى تنال سمودى
وسلم على القاضى بدير بن فايد	قاضى العرب بالحق والتأكيد
وسلم على الزغبى دباب بن غانم	وسلم على أبو زيد سلام مجيد
وقل لهم قال الملك ابن حامد	كلما صحبها خالى من التعقيد
إن كان مقصدك تهوى بلادنا	ويرعوا مراعيينا وعشب البيد
فها تولا لنا عشر المال بلا خفا	وعشر النساء والخيل بالتعديد
وألفين سيف وألف ترس مواضى	والفين رمح للطعان تفيد
وألفين أيضا من خيار بناتكم	والفين من السمر الملاح عميد
ها تولا الينا عاليا وريا غيرها	والجارية أم محمد الصنديد
ولا فن حيث أتيتم فارجعوا	وعودوا سرعيا قبل حرب شديد
فمضى حياكر لا تعد جموعها	وهى على ما يبين كره نزيد

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من هذه القصيدة استحسنها كل من كان حاضرا من الأمراء والسادات والأمجاد ثم أنه ختمها وسلمها إلى عبده رشيد وأمره أن يسير بدون إهمال ويسلمها إلى الأمير حسن سيد بنى هلال فامثل أمره وسار وجد في قطع القفار وهو على ظهر ناقه سريعة السيد تسابق سهرها البرى وما زال على تلك الحال حتى أدرك على تجمع من بنى هلال فنزل من على ظهر ناقته ودخل على الأمير حسن من ساعته فسلم عليه وقبل يديه ثم ناوله الكتاب ووقف على الحجاب ينتظر الجواب فلما فتحه وقرأه وإطالع على ما حواه انشغل باله وتخيرت أحواله فقال له أبو زيد علامك يا أمير حسن فإني أراك فى غم وتكدير فناوله الكتاب ليقرأه فلما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنته فى الخطاب أبدى بالضحك والابتسام من ذلك التهديد والكلام وقال أنا أريد الجواب ثم أنه كتب يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه	ونيران قلبى زائدات وقيد
يا غاديا منى على متن ضامر	تقطع فيأبى برها وتعيد
إذا جيت إلى الغضبان بلغ سلامى	وخاطبتنا بالغليظ والتهديد
طالب بنات مكحلات نواعس	بنات الامارة مثل ورد اليبس
أما كفت تعلم يا خميس وراهم	أسود قروم هلال وكل حسيب
وراهم حسن أمير قيس	حامى الزناقى من كل قرم عنيد
وراهم أبو اسكسايد بن فايد	على متن ضامر مثل نار وقيد
وراهم أبو موسى دباب بن غانم	على ظهر خطر الغزال تصيد
وراهم أبو ضرغام شيخ شجائنا	سنة آلاف قومه وتزيد
أنا أبو زيد الهلالي سلامه	لخلى القهر ارس على التراب مديد
واقنى أكابر كم وكل رجالكم	واجعل دماكم على التراب تزيد

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من شعره طوى الكتاب وأعطاه إلى الحاجب فأخذه وجد المسير حتى وصل إلى مولاه وقرأه وفتحاه وعرف حقيقة خواه ورفقه وراماه وزاد حربه وبلاه واغتاظ الغليظ الشديد من الكلام القاسى وفى الحال أمر ابن أخته ووزيره نمر الجارح وابن عمه الملك أن يجمع العساكر والابطال لمحاربة بنى

هلال فأجابه بالسمع والطاعة ودفعت طبول الحرب من تلك الساعة فاجتمعت من كل جهة ومكان وكانوا نحو مائة ألف بطل فركبوا بالعجل وهم معقلون بالسلاح وفي أيديهم الرماح وركب نمر الجوارح الأسد الكاسر في مقدمة العساكر وجدوا بالمسير كالطير التي تطير قاصدين بنى هلال حتى اقتربوا إليهم فلما علمت بنو هلال بقدمهم عليهم استعدوا لحربهم ونزولهم فدفقوا طبولهم بالعجل فاجتمع كل فارس وبطل ودخلوا على أميرهم حسن بن سرحان وهو جالس في الديوان وأعلموهم بما جرى فأمرهم أن يسروا قتال عساكر الغضباني فركبت الشبان في مقدمة منهم الأمير أبو زيد وساروا مدة ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى التقت العساكر بعضها ببعض وهجمت بنو هلال بقلوب كالصوان وانقضوا على عساكر الغضباني كسكوا سر العقبان وأحاطوا بها من اليمين والشمال وفي الحال اشتد القتال وعظمت الأهوال وكانت وقعة تشيب الأطفال وتذعر قلوب الفرسان كثرت فيها القتل والجرح وجرى الدم وساح وفعل أبو زيد في تلك النهار فعلا تذكر على مدى الأعصار وكذلك فعل الأمير دياب وباقي الفرسان والانجباب فانهم ثبثوا وقاتلوا وما قصروا واستمر القتال على هذا المنوال إلى أن صار وقت العصر وكان الأمير دياب وقد التقي بالأمير نمر الجوارح وزير الغضباني وهو ينحى وجاله فتقدم دياب يريد قتاله فصدمه بمر في الحال بقلب أقوى من الصوان واشتد بينهما القتال في الميدان نحو ساعة من الزمان وكان نمر قد طعن خصمه بالسنان وقال خذها من يد فارس الفرسان فغطس دياب تحت بطن الخضرا فراحته الضربة خابية بعد ما كانت صابغة ثم ضربه بالدبوس الحديد فخاب أمه ولم يستفيد لأنه خلى بالعجل وهجم على خصومه هجوم القضاة المنزل وضربه بالدبوس على الخوذة فتألم وصار على حالة العدم فار تدرجاً إلى الوراء وندم على ما جرى وفي الحال هجمت بنى هلال على الأعداء من اليمين والشمال وأذاقوا الأهوال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وربحوا غنائم جسيمة وكان النهار قد مضى وزال وأقبل الليل بالأسدال فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل طائفة في ناحية من الأرض ورجع الأمير دياب من ساحة الميدان كان شقيقه أرجوان بما أصابه من أدمية الفرسان ودخل على الأمير حسن في الصبوان

وهو مسرور فرحان فالتقاء بالبشاشة والإكرام ولاطفه بالكلام وقال له كيف وجدت خصمك نمر الجراح أجاب من الحجاج جمع ولستكننى نهار غد أقصر عمره واكفيك شره فشكره على ذلك المقاتل وباتوا على أحسن حال هذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان من عساكر الغضببان فانهم رجعوا من ساحة الميدان وهم فى قلق واضطراب من قتال أبو زيد والامير دياب وكان نمر قد جمع الامراء ومن يعتمد عليهم من السادات والكبراء واخذ يستشيرهم فى أمر الحرب والطعان فقالوا له عن فرد لسان اعلم ياسيد الفرسان انه من الصواب أن ترسل الآن وتعلم خالك الملك الغضببان بما جرى وكان وتطلب منه بجدة ولا وقعنا فى الشدة فاستصوب رأيهم وفى الحال كتب إلى خاله يعلمه بواقعة أحواله ويطلب منه المعونة بهذه القصيدة:

يقول الفتى نمر الامير الذى شكى	ودموع عيونى على الحدود تسيل
يا غاديا منى على متن ضامر	فاقصدا إلى الغضببان أمير جليل
وقل له يا أمير اسمع كلامى	وافهم فقال لانسكن ذليل
فلما أتقنا جموع قيس وعامر	على خيلهم وهى للسهول تشيل
ركبنا مطايانا وسرنا لنحوهم	نزلنا عليهم مثل نار شعيل
صرخى أنا فيهم صرخة قوية	هجموا علينا مثل نار شعيل
فبادرتهم بالضرب والطعن والقنا	رصار الدما يجرى كبعر النيل
وحاربهم مقدار شهر وازود	من الصبح إلى النهار يميل
وهم يشيلونا ونحن نشيلهم	بسمر القنا والمرهفات صقيل
قتلوا فوارسنا وكل قرومنا	وعدت أنا خسرا ثم ذليل
فانجدنا يا خالك قبل أن تقتلنا	عساكر هلال وعامر وعقيل
فنفسى ألا يا خال فى ضيق حالة	وتبقى مساما للرجال تشيل
وتملك هلال بلادنا وديارنا	ومعود فى أمر مهين قليل

(قال الراوى) فلما انتهى نمر من شعره طوى الكتاب وختمه وسلمه إلى نجاب به قال له عتاب فاخذه وجد فى قطع البرارى والقيعان حتى وصل إلى عند الملك الغضببان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب ووقف زمير الحجاب فلما

فتحده وقرأه وعرف حقيقة خروام اغتاضوا تأثروا وتظاير من عينيه الشرار وقد عظمت عليه الاحوال واقسم أنه لا بد أن يفنى بنى هلال ولا يبقى أحدا منهم ثم أمر بجميع العساكر للحرب والاطعان ولم تملك إلا ساعة من الزمان حتى تجمعت الفرسان فركبت خيولها واعتقلت بسبورها ونصوها وركب أيضا مع الضرغام أخو نمر ووزيره النعمان وقصدوا بنو هلال بقلوب كالجبال وجدوا في البرارى وكان عدد الفرسان خمسمائة ألف عنان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من نمر الجارح فإنه بعد انفاذا لحال ركب في ثاني الأيام بجميع فرسانه وأبطاله وتقدم هو بنى هلال وهو قاصد الحرب فتقابل الفريقان في ساحة الميدان وتقدم الأمير نمر إلى معركة الطمان وطلب بروز الفرسان فالتقاه الأمير دياب وهجم عليه هجوم ليث الغاب وحالا اشتبك بينهما الحرب وأخذ في الطعن والضرب حتى أتى عليهما الغيار وحجبهما عن أعين النظار فالتقاهما من بطالين وفارسين عظيمين ومازالا على ذلك إلى قرب الليل فكان دياب أشجع من نمر وأعلم منه بمواقع الطعن وأخير فطعنه بالرمح في صدره فخرج يلعب من ظهره فوق على الأرض قليلا وأيقنوا بالهلاك والدمار طالبوا الفراد وتبعهم جموع بنى هلال فلما نظرت عساكر الغضباني بما جرى وقد زادت عليهم المصائب والبليات وحكموا فيهم السيوف والنصال وقتلوا منهم عددا كثيرا واغتصبوا أموالا لا تعدو بينهم سائرون وفي الغلاة متشتتون وإذا بغبار قد ظهر عليهم من جوانب القفار ومن خلفه جيوش وعساكر تبهر النواظر فلما اقتربوا منهم تأملوا بالعيان وإذا هم بعساكر الغضباني وكانوا قد حضروا من الأوطان لمعونة نمر كما شرحنا الآن فلما رأت العساكر المنهزمة ملكها الغضباني وهو في المقدمة تقدموا إليه وقبلوا يديه وأعلموه بكل حل فيهم من المصائب وكيف أن بنى هلال قتلت نمر الجارح فلما سمع الملك الغضباني منهم هذا الكلام خرج عن دائرة الصواب غشخرو ونحو وطغى وتجبى وقال وحق ديني ومعبودى لا بد من قتال جميع بنى هلال وأسر الحرم والعيال ثم أنه جد في قطع القفار وقلبه يتوقد بنار من جرى هذه الاخبار وقتل نمر الأسد الكرار لأنه كان محبة أكثر من الغير ويتمنى له كل نجاح وخبر ومازال يبعد السير حتى التقي بالقوم في ثالث يوم فأمر الفرسان بالهجوم فهجمت في الحال والتقتها بنو هلال بقلوب

قوية ومهجم عليه وفي مقدمتها السادات والأعيان والأمير حسن بن سرحان واشتباك
الطعان بين الفرسان والتقى الضرغام بالأمير حسن وهو ينحى العساكر فالتقاء الأمير
بقلب أقوى من الصران وأخذ يتضاربان نحو ساعة من الزمان وكان الأمير حسن قد طعن
ضرغام قاصداً أن يسقيه كأس الحمام فدخل من تحت بطن الجواد فراحت خايبة ثم
احتلى الضرغام على ظهر حصانه وطعن الأمير حسن بقوة جناحه فالتقاء بترس البولاد
فانكسر ووقع وراح أربعة قطع وما زال في هراك وصدام إلى وقت المساء فعند
ذلك دقت طبول الانفصال وراحت العساكر من ساحة القتال وباتوا يتحدثون
تحت مشيئة الرحمن ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسان ظهور
الخيول واعتقلت السيوف والنصول تقدمت إلى ساحة الميدان للبراز والطعان
فتقدم الأمير ضرغام وطلب البراز والصدام فبرز إليه الأمير عقل وكان صاحب أدب
وفضل ومهجم الضرغام بقلب شديد فالتقاء عقل بقوة وأخذ في الحرب وقد اشتد
الحرب بينهما وما زال على ذلك نحو أربع ساعات من النهار وكان الأمير عقل قد
استظهر على خصمه ومهجم عليه وطعنه بالرمح في صدره طلع يلسع من ظهره فوقع
الضرغام قتيلاً وفي دمه جديلاً لما نظر الغضببان ماجرى استعظم الأمر ومهجم على عقل
وفاجأه وطعنه بالرمح يريد أن يعدمه الحياة فدخل منها عقل فراحت الضربة خائبة وما زال
في أشد قتال إلى أن قرب الزوال فرجعت بنو هلال في السرور والأفراح وعساكر الغضببان
بالهم والاتراح وأخذوا جثة الضرغام وأقاموا عليها النواح وكسروا السيوف
والرماح ثم كفنوه وبعد ذلك دفنوه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركب
بنو هلال للحرب والكفاح وأشهرت في يديها السلاح فالتقيا عساكر الغضببان في
ساحة الميدان طلب الغضببان برازة الفرسان ونادى ابن الشجعان ابن جبابرة الضرب
والطعان فما تم كلامه حتى صار الأمير دياب أمامه وصدمة صدمة تزعزع الجبال
وترعد منها قلوب الفرسان فالتقاء الغضببان كالأسد وضربه بالسيف فالتقاء دياب
بدرة البولاد فانكسر السيوف ما أفاد ثم أن الأمير دياب طعن الغضببان فمهم على
الأمير دياب هجوم الصناديد فأشار يتهده بهذه القصيدة .

ألا ما قال أبو موسى دياب بن غانم فهران فلي زایدات لهايب

ايا ملك الغضبان اسمع كلامي وافهم حديثي يا وغد الأعراب
أوسات تطالب نوقنا وجمالنا ولسانا مع بنات الكواعب
أما تخشى تطالب بنات حرائر بنات الأمارا فروع الأطايب
ألم تعلم بأغواءه أن وراهم ليوث حرب من هلال أطايب
فلا بد من قتلك في حد صارمي وتبقى دماك على الفلاة سكايب
ويبقى رجالك بعد موتك مشقة وتبقى نسائك راخيات النقايب
(قال الرازي) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه التفتا الفرسان كأنهما جبلان
أسدان كأمران وتضاربا وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وتمايلا في
ساحة الميدان وتعلمت منهما الفرسان حقيقة الضرب والطعان وما زالوا في حرب وقتال
تشيب رؤس الأبطال إلى أن اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق
الملك الغضبان وقال له خذها من يد فارس الميدان وليث المعارك والطعان فخطس
دياب تحت بطن الخضر افرحت الضربة خائبة فم طعنه دياب بالرمح من قلب ملان
واحت الضربة خائبة وما زالوا على ذلك وهم في أشد حرب إلى قرب المساء فدقت
طبول الانفصال فرجعت الفرسان من ساحة الميدان وباتوا يتحارسون تحت
مشيئة الرحمن وعند الصباح برز الفرسان إلى ساحة الكفاح وطالب براز الفرسان
فرز إليه أبو زيد ليث الميدان واقتتلوا طول النهار وفعلوا أفعالا تذهب الأبصار
فهم افرقا على سلام إلى المضارب والحيام واستمر القتال بين عساكر الغضبان
وبني هلال ستة عشر يوما على التمام وقد قتل من عسكر الغضبان عشرين ألف فارس ومن
بني هلال خمسة آلاف بطل مداعس وفي اليوم السابع عشر استعدوا لقتال العسكر
فدقت طبول الحرب وبرزت الفرسان للطعن والضرب وكان أول من برز إلى
الميدان الملك الغضبان وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي كسلان
ولا عاجز اليوم من الهزاهز فما أتم كلامه حتى صار الأمير أبو زيد قدماه فالتقاء
الغضبان بقلب شديد وأخذ معه في عراك وصدام وجري بينهما في ذلك النهار قتل
شديد يذهل كل صمد يد من أشد الفرسان وأقدرهم في ساحة الميدان وكان يعد
نفسه في ساعة الطراد من طبقة عنتر بن شداد فلما رأى أبو زيد قوة حربه تأخر
من أمامه فعند ذلك صاح الغضبان على الفرسان بالهجوم على بني هلال فهجم العساكر

فالتفتها بنى هلال واشتبك القتال فما كنت ترى إلا رؤوساً طائرة وفرساناً غائرة
وكانت بنو هلال قد قصرت في القتال وانكسرت أشد انكسار وانسدت في
وجعها أبواب الانتصار وأيقنت بالهلاك والدمار فتأخرت ثلاثة أيام إلى الواء
وعساكر الغضبان تتبعهم في تلك الصحراء وفي اليوم الرابع اجتمع أبو زيد
وسادات بنى هلال وقال لهم فقد سلمت أموالنا وفقدت أبطالنا ورجالنا فما
هو رأيكم أيها الأعيان في قتل الملك الغضبان فقالوا الرأي هو عندك يا أمير
فما فينا من مخالف لك حتى ولا الأمير حسن فقال الرأي عندي أن تقيم بنى هلال
في أربعة أقسام وتجهز على الأعداء من أربع جهات وتسد عليهم جميع الطرقات
وتكون الجنازة في أول العماريات مع باقي النساء والبنات وأهجم أنا من جهة الشمال
والأمير زيدان والأمير حسن والقاضي بدير من جهة الجنوب وباقي الأبطال ونقاتلهم
أشد قتال ولا حول لنا الوبال فاستصوبوا هذا الخطاب لأنهم رأوه عين الصواب
(قال الراوى) ولما أصبح الصباح ركبت الفرسان للحرب والكفاح وانقسمت
بنى هلال أربع فرق واعتقلوا بالأسلح وهجموا على عساكر الغضبان كليوث الغاب
وكان السابق الأمير دياب فصاح وزحف على الفرسان وانطلق وحكم سيفه في
الهامة والصدور وتبعه أخوه زيدان بكل فارس مشهور وحلوه على الفرسان بقلوب
أقوى من الصوان وجندلوا الأبطال في ساحة الميدان ولما أن رأى الغضبان ما حل
بقومه من الموان استعظم ذلك الشأن لجل ينحى الأبطال وتقدم هو بنفسه وقد
هانت عليه المنية في بلوغ الآمال وضرب فيهم بالحسام وتبعه الفرسان من خلف
وقدام وتزاحم الميدان وثبت الشجعان وفر الجبان وقطرت الدماء وحببت الغبار
وجه السماء فبينما هم على ذلك وإذا بغبار قد ظهر وبان من تحته جيوش وعساكر
وأمام الجميع الأمير حسن بن سرحان وهوراكب بنى دريد وأبو زيد بنى زحلان
والقاضي بدير وباقي الرجال والشجعان ومن حوله السادات بالبيارق والرايات ولما
اقتربوا على الميدان هجموا على عساكر الغضبان من كل جهة ومكان واشتد قلب
دياب بتقدم القوم وأمل بالنصر في ذلك اليوم فقاتل أشد قتال وهكذا فعلت بنو هلال
هذا وقد انفتت الرجال وجرى الدم وسال وكان يوماً شديداً لم يسمع مثله في
ساف الأجيال فلهذا بنى هلال فأنها تثبت ثبوت الأسد وكان الملك الغضبان قد

برز إلى الأمير دياب وهو غائب عن الصواب وكان دياب يدور حوله مثل الدولاب وهو ثابت على الحروب والجلاد كأنه طود من الاطواد فعند ذلك تقدم الأمير حسن والأمير أبو زيد والأمير زيدان وهجموا هجمة رجل واحد على الغضباني وأحاطوا به من جميع الجهات ونزلوا عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وهذه الفعاليات على دياب القتال فتقدم السهام وهجم على الملك الغضباني كأنه قضاه الرحمن وقال له خذ هذه الطعنة من يديك الغاب وفارس الاعراب الأمير دياب وطعنه بالرمح في صدره خرج يلعن من ظهره فوقع على الارض قتيلا فلما رآته الرجال استبشروا بالسعد والاقبال وقالوا لله درك من فارس فتاك فلا شلت يداك وشمت بك أهداك وقد تهلك النساء والبينات وقد أظهروا الافراح والمسرات وصاحت الجازية مع البينات المتحدرات لا هدمتاك يا فارس الخضر أو الخرسادة الورى فقد خلاصتنا النهار وأكسبت بفعالك الشرف والفخار فدحمن الأمير دياب على المديح والخطاب ثم انحط على الابطال ففرقها مع البين والشمال وتبعه ابن زعي وشجعان بنوز سلان وهجموا على عساكر الملك الغضباني بقلب أقوى من الصوان وكانت عساكر الغضباني لما رأته ما سكتها قد مات وحانتها الآفات ضعفت عريمتها وقلت هممتها وأيقنت الهلاك والبوار فلو الادبار وأدر كوا إلى الهزيمة والفرار فتبهم فرسان بني هلال من أسود الرجال رقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسبوا غنائم ذات قدرة وقيمة وكانوا قد تبعوهم إلى البلد وحكروا في أجسامهم الصارم المنفذ فنهبوا الأموال وسبوا الحرير والعيال وبعد ذلك رجعو إلى الخيام وقد بلغوا المرام وزالت عنهم الأوهام ثم أنه حضر ابن الملك الغضباني وكان اسمه عبد المدان إلى عند الأمير حسن بن سرحان وبمعيته الأكابر والاعيان وطلبوا منه الامان فأجابهم إلى ذلك الشأن وعاملهم باللطف والإحسان وخلع عليهم الخلع الحسان وبعد ذلك ولوا بالأمير عبد المدان حاكم على تلك الاوطان فكان أبيه وقامت بنو هلال في الاوطان خمسة أيام على التمام واليوم السادس دق طبول الارتحال فركبت الفرسان بالحرير والنسوان وصاروا يقطعون الآفاق بدور العراق حتى وصلوا إلى بلاد العراق .

تمت هذه القصة ويليهما قصة الست زهرة بنت الملك الترنك ووزيرها سكندر

قصة الست زهرة بنت الملك التمرلنك

وزيره إسكندر وما حصل لهم مع الأمير صيره بن الأمير أبو زيد
من الحروب والأهوال وفيه ما كان من الخزاعي والملك بدريس
وما جرى له من الأمور الغريبة والحوادث العجيبة وأخبار الملك
الهراس وأمر دياب بالتقام والكمال
والحمد لله على كل حال

(قال الراوى لهذه السيرة العجيبة) أن بنى هلال لما قتلت الغضبان ووات ابنه ملكا
على بلاده ورحلت عن الديار طاباة بلاد العراق فلما وصلوا اليها وجدوا أن الحاكم
على تلك البلاد رجل من الأجواد قد اتصف بالجرود والكرم وبالفضائل وحسن
المآثر يقال له الخفاجى عامر يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما إلى
تلك البلاد وكان عنده من الأبطال والفرسان نحو مائتي ألف عنان فبيما هو جالس
في الديوان وحوله الوزراء والأعيان إذ قد دخلت عليه الرعيان وقالوا له اعلم
يا ملك الزمان أن بنو هلال قد دخلت ديارنا وأكلت من ثمار بسايتنا وأشجاره
وهم كالجراد المنتشر لم يعرف لهم أول من آخر وقد هربت من أمامهم الرعيان
وتركت النوق والمضلان .

(قال الراوى) فلما سمع الخفاجى هذا الكلام صار الضياء في عينيه
كالظلام والتفت إلى الأمراء وأكابر الرجال وقال لهم ما قولكم في بنى هلال
فعند ذلك تقدم الوزير عميرة وأشار يقول :

يقول الفتى المسمى الوزير عميرة	أيا أمير اسمع لي ترى أفكارى
يا أمير ارسل للأمير أبو على	وأبو زيد والزغبى وكل كبار
ليأتوا بعشر الممال والخيل والصفى	والبوش يأتى لك مع الابكار
كل السراى والجوارى وغيرها	وما يملكون من فضة ودرارى
فإن أرسلوا لك ما أنت طالبه	من الخيل والأموال والأهشار
فدهمهم يجوزوا يا أمير بلادنا	ويرعوا من أرضنا ويسار

فهذا كلامي يا أمير ونصبيحتي والشور عندي أحسن الاشوار
(قال الراوي) فلما فرغ الوزير من هذا الشعر والنظام قال الخفاجي هذا هو الصواب
الامر الذي لا يعاب ثم كتب إلى الأمير حسن يطلب عشر المال والنوق والجمال
وطوى الكتاب وختمه وأعطاه لوزيره سلام ليأخذه إلى حسن ويطلب منه المطلوب
بالكمال والنظام فأخذه وقطع الروابي والتلال حتى وصل إلى نجوع بني هلال فدخل
على الأمير حسن بن سرحان وناول له الكتاب ووقف بقرب الباب فقرأه وعرف فحواه
اغتاظ من ذلك التهديد وخاف من عواقب الأمور وقال للجمهور إن الذي كنت
أحذر منه وقعنا فيه والله أعلم مما أنه أمر بأخذ الوزير إلى دار الضيافة حسب العادة وقرأ
الكتاب أمام الحاضرين وطلب منهم الرأي والإفادة قالوا الرأي عندك افعل ما تريد
برأيك السيد فقال مرادى أن أرسل له كتاب منطوى على المودة والاصطحاب وننظر
ما يكون من الجواب فقال الجميع هذا هو الصواب فعند ذلك كتب الأمير حسن إليه يقول

أيا غاديا منى على ضامر	يسبق مسير الطير إن كان طائر
إذا جيت نحو الكبيسة وأرضها	فاقرأ سلامي للخفاجي عامر
وقل له قال الأمير أبو علي	حاشا لمثلك يبنى المشاكر
تريد بناتنا يا خفاجي وما لنا	وتم تريد الخيل ثم الأباعر
وقد شاع ذكرك في البلاد جميعها	وكفك سخي الجود يا ابن الأكاير
ومحن يا أمير لنا بالغرب سادة	بأرض الزناني يا ملك بالجنائز
وجينا جميعاً يا أمير لأجلهم	لكي نخاصم بضرب البواتر
ومحن ضيوفك يا خفاجي اهتدى	بجاه النبي فخر الورى والعشاير
فدعنى نثنى الخير بدرتنا	حتى فصل للغرب وأرض الجزاير
يا أمير نحن نحت حركك وطاعتك	فافعل بأصلك يا خفاجي عامر

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير حسن من هذا الشعر والنظام طواه وأعطاه إلى
الوزير سلام فأخذه وسار حتى أشرف على الخفاجي عامر في آخر النهار فأعطاه
الكتاب ففتحه وقرأه وعرف فحواه وسمعه من كان حاضرا من السادات الكرام
قال له أبوه درغام جواب بني هلال أحلى من الماء الزلال فقم اهزمهم وترحب بهم

ولا تشهر في وجوههم الحرب لأنهم عابرون طريق فقال الحاضرون هذا هو الصواب
وفي الحال ركب الأمير خفاجي في جماعة من الأبطال وركب والده الأمير ضرغام
الأسد وقصدوا منزل بنو هلال ولما علم الأمير حسن بقدم الخفاجي عليه
ورآه عن قريب يصل إليه ركب مع الأمير أبو زيد ودباب وزيدان شيخ
الشباب وجميع السادات الانجاب وساروا لاستقباله بالعجل وقد زال عنهم
الخوف والوجل ولما التقوا بعضهم البعض نزلوا في تلك الأرض وتقدم الأمير
حسن إلى الخفاجي وسلم عليه وقبله بين عينييه وتقدم الأمير دباب وجميع الأمراء
الانجاب فسلموا عليه سلام الاحباب فشكروهم على ذلك الاهتمام وسار معهم إلى
المضارب والخيام فأجلس الأمير حسن والده في صدر الديوان وبعد أن دارت
القهوة وطاسات الشراب أشار الخفاجي يترحب بهم بهذه الأبيات :

يا مرحبا بك في من أتوا البلاد	قال الخفاجي بن ضرغام عامر
يا مقررى الضيفان والقصاد	يا مرحبا بك يا أمير أبو علي
يا قاهر الفرسان يوم الطراد	يا مرحبا بك يا أمير سلامة
يا حامى الزينات حين تنادي	يا مرحبا بك يا دياب الماجد
يا قاضى العربان والورارى	يا مرحبا بك يا بدر بن فايد
وكبارهم وصغارهم وأولادى	يا مرحبا بك يا هلال جملة كلها
بأرض السكينة ثم بأرض الوادى	يا أبو علي سيروا جميعاً وانزلوا
أنتم ضيوفى نأكلون من زادى	أهلا بكم أهلا بكم أهلا بكم
من هاهنا إلى بغدادى	أوهبتكم أرض السكينة كلها
نحن العبيد وأنتم الاسيادى	لجميعها بين الأيادى بحكمكم

فلما انتهى الأمير خفاجي من كلامه شكره الأمير حسن على لطفه وكرمه
وما أبداه من حسن اهتمامه وتجابه يشكره بهذا القصيد :

يا أمير عمرى لا ترى أقدارا	يقول الفتى حسن الهلالى أبو علي
يا أمير ما نحن لكم أخطارا	يا أمير نحن ساير بن مغربا
في حبس ماله يا أمير قرارا	أولادنا في الغرب عند خليفة

نحن إليهم سائرين بسرعة والله يفعل كل ما يختار
 قد عمنا جودك وفيض مكارمك يا قاهر الفرسان يوم الغارا
 فلما فرغ الأمير حسن من كلامه والخفاجى والأمير درغام يسمعون رقة شعره
 ونظامه فانشروا خاطر الخفاجى عامر وتقدم بعده الأمير درغام وأشار يترحب ببنو
 هلال (قال الراوى) ثم ركبت بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر ودخلوا البلد فى
 فرح وسرور وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الاراضى وأما الأمير حسن والسادات
 فبقوا عند الخفاجى عامر على أكل طعام وشرب مدام وفرح وسرور مدة ثلاثة شهور
 وهم على أحسن حال فاتفق فى بعض الأيام أن الخفاجى أولم وليمة عظيمة دعى إليها
 الأمير حسن وسادات بنو هلال الأكابر حضرتها النساء والبنات وجميع السادات
 وبعد أن أكلوا ولدوا ودارت كاسات المدام على من حضر فى ذلك المقام
 وكانت البنات والنساء الحراير يشرن على أمم الخفاجى إلى أن انتهت النبوة على
 الجازية وكانت بديعة الجمال فصيحة المقال تقدمت إلى الخفاجى تصف له محاسن
 بنى هلال وما خصهم الله من اللطف والكمال والظرف والجمال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى الجازية ونيران قلبى زایدات اشعال
 إن الامارة يا أمير لبناتهم من الظبا والحسن والاشكال
 أما جمال الطعن بنت سلامه الوجه منها مثل بدر تمام
 بنت أبو موسى دياب الماجد فعيونها يا أمير كعين غزال
 بنت قاضينا بدير الفايده تشبه غزالا بالفلقة جفال
 بنت أمهر البوادی أبو على شبيهة البدر فى بهاء وجمال
 أنظر يا أمير لحسنى فأننى أجمل والطف من نساء هلال
 قد شاع ذكرك بالمسكارم والسخا وبكل فضل شائع وجمال

(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من هذا الشرح والوصف شكرها الخفاجى
 على شعرها ونظامها فلما فرغوا من هذا الطعام وشرب المدام نهض الأمير حسن على
 الأقدام وشكر الخفاجى على ذلك الإكرام وقال له فى آخر الكلام وأريد من أفضالك
 أن تشرفنى غد بجميع رجالك لأجل أكل الطعام وشرب المدام فأجابته إلى ذلك
 المرام ووعدته بالمسير فى ثمانى الأيام وقد أولم الأمير حسن وليمة عظيمة لما قدو

وقيمة ذبح فيها ألف رأس من الاغنام وأحضر فيها مائة صرف فكانت من أعظم
الولائم لم يسمع مثلها في الاعارب والاعاجم حضر فيها الخفاجي عامر وقومه
وسادات العشائر فلقيه الأمير حسن بالترحاب وبعد ذلك جلسوا على مائدة الطعام
ودارت بينهم كاسات المدام فطربت الامراء والسادات والبنات أصوات ورقص
المغاني ولما فرغوا من الطعام جماسوا للحديث والكلام فعند ذلك التفت الأمير

حسن إلى الخفاجي وأنشد هذه الأبيات على مسامع الامراء والاكابر :

مقالات الفتى حسن المسمى	أبو مرعى فزال الهم عنا
نظرتنا منك يا عامر جميلا	ومعروفاً وألطافاً وإحساناً
فدستورك يا أمير عامر	زماناً في بلادك قد أقمنا
ورانا حاجة يا أمير تلزم	إليها قاصدين ولو قتلنا
فلولا يا فتى مرعى ويونس	ويحي وسط قابس مارحلنا
لك الافضال اطلب يا خفاجي	لك الأرواح يا عامر تمنا
فبقى من بنات هلال أربع	عطيه من أبي مرعى ملسنا
فهذه هي عطر بنتي يا مسمى	وهذه بنت أبو زيد المكننا
وأنت دياب وطفه يا خفاجي	وبنت قاضي العربان تسكننا

فلما فرغ الأمير حسن من شعره وفهم الخفاجي لحوى شعره ونظامه قال والله
يا أمير حسن أنت صاحب الفضل والمان قد شرفتونا فزال عنا السكدر وطابت
يقدمكم الممجد والقلوب هم أشار إليه يقول وعمر السامعين يطول :

مقالات الخفاجي في نظامه	أبا مرعى لك الإكرام منا
وفيكم حلت البركة علينا	رضا الحى فيكم يا مكنى
وليس أريد منكم يا هلالى	بنات ولا جمال ولا أسنة
فليتك دائماً يا أمير قيس	مدا الأيام في خير مهنا
فقلت عطيتك يا فخر قومك	وقد رديتها من غير منه
فكندرت الخواطر في رحيلك	ومن وقت اجتماعنا ما زلنا
فلا بد لي أن أذهب معاكم	إلى أرض المغارب يا مكنى
أحارب معكم جيش الاعاصي	بجد السيف يا حسن المسكني

فلما فرغ الخفاجى من الشعر والنظام وأكلت قوم الخفاجى وهلال من موائد
الطعام أمر حسن بالرحيل بعد ثلاثة أيام فقال الخفاجى لا بد من مسيرى معكم إلى
تونس وأبذل معكم المجهود فى استخلاص مصرى ويحيى ويونس فلما سمع أبوه
الضرغام منه هذا الكلام لم يهن عليه ذلك الأمر وقد اشتعل قلبه بالهيب الجمر لأنه كان
يحببه بحبة زائدة وليس له صبر على فراقه ساعة واحدة فلم يقبل الخفاجى وطالب من
ابنته وزوجته أن يذهبا معا فى تلك الديار ويتركان الحى فامتنعا عن المسير وبكى
بدمع غزير ثم تقدمت ابنته ذوابه وأماوت تنهيه عن السفر وتقول :

تقول ذوابه يا أبى لا تسافر فترك الأهل فى عنا ومصاعب
فالك يا أمير فى الغرب حاجة ولا لك فيها مال ولا أسباب
ولا أئثار عندك الزناق خليفة ولا دم لك ولا أصحاب
فكيف تشتتنا وتطلب بعادنا وتبقى ضواحي فى عنا وحساب
وتبقى الهالين بمجموع شملهم ونحن بلا أهل ولا أصحاب

فلما فرغت ابنته من كلامها وسمع الحاضرون غوى شعرها ونظامها زاد البكاء
والنحيب من ذلك الأمر الغريب وتقدمت بعدها أمراته وأشارت تقول :
تقول فتاة الحى هى التى شككت ولى قلوب من كثر الغباين داب
روحك ألا يا أمير ما فيه فائدة وقصدك بلاد الغرب ليس صواب
فدع أبو زيد الهلالى سلامة وحسن الهلالى والأمير دباب
فكيف نخلى يا أمير بلادك وتبقى قصورك خاليات خراب
(قال الراوى) وبعد ذلك حضرت جميع الولاة وسادات العشائر لوداع الخليفة
عاصر فودعوه بالبتكاء والنواح ودعوا له بالتوفيق والنجاح .

(قال الراوى) وبعد هذا الحديث والكلام بثلاثة أيام أمر الأمير حسن يدق طبل
الرحيل والاستعداد والسفر من تلك البلاد فعند ذلك مدت المضارب وركبت للفرسان
ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنهول وقد ملأوا بالكثرة تلك السلول وركبهم
النساء والبناات فى الحوارج قاصدين بلاد الغرب وتلك الجهات وأمام الجميع زوجة
الخفاجى وابنته والجازية ونساء الأمراء والسادات وكان الخفاجى من أفرح البشر

في هذا السفر (قال الراوى) لما قتلت بنى هلال ملوك العجم كان الخرمند صهر
النمر لك حاكم بلاد الموصل فلما قتل الخرمند أرسلت زهرة لابوها كتاب وأعلمته
بقتل زوجها فلما سمع النمر لك ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وغضب غضباً
شديداً وأبس كل شيء أحر وطلع إلى الديوان وهو بالغضب مليان وكان له
وزير من جملة وزرائه اسمه اسكندر فلما تكامل الديوان أشار يسأل الملك عن غضبه
فأخبره بحلية الخبر وما كان من قتل خرمند وما كان من بنى هلال بالتمام والكمال
فلما انتهى الملك من كلامه والوزير والقوم يسمعون فقام من بين الوزراء
وزير وقال له يا ملك الزمان أرسل للبلاد واجمع العساكر ودهنا نلاقى بنو هلال
فأمره النمر لك أن يأخذ معه ألف مقاتل وقال له سير بالعساكر واحفظوا حالككم
وكونوا رجال فسار الوزير اسكندر بالعساكر إلى أن وصل مكان يقال له القصر
فوجد فيه تجار آتين من بلاد العجم فسألهم من أين أتيتم وإلى أين متجهين فقالوا
من بلاد العجم إلى هذا المكان فاستدعى كبير التجار وكان اسمه كمال الدين وقال
له ماذا سمعت لنا عن بنو هلال فأخذه يوصفهم له .

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والوزير يسمع فقال لهم الوزير الراى عندنا
نرسل مائتين فارس إلى بلاد الزهاويكشفون لنا الخبر ونحن نبقى هنا حتى يأتي الملك وإذا
قال لنا لما ذهبت نخبره بأن أتانا علم بأن بنو هلال نازلوا في بلد جاكده ونحن أرسلنا
لهم رواديكشفوا أتنا خبرهم وبقينا ننتظرهم فقال الجميع هذا هو الراى الصواب
اسمع للنمر لك فإنه بعث المكاتيب إلى جميع البلاد بجميع العساكر وضبط عددهم
انقام أربع كرات وجابوا معهم المدافع وأحضرا ابن أخته ثروان وقال له احكمه وضعى
حق احضر لك وطفا بنت دياب فقال له على الرأس والعين ثم انه سار بالعساكر والجيوش
يقطع البرارى والقفار والسهول والواو غار حق وصلوا إلى بلاد الفرقة التي نازل فيها
الوزير اسكندر فلما وصل الملك للافاة الوزير وسلم عليه فقال علامك فالجئت بقوم هلال
فحكى له ما صار فعند ذلك غضب الملك غضباً شديداً وراوده الهم والتنكيد أمر بقتله
فتشعروا فيه ملوك العجم من القتل فصنع عنه ثم انهم ساروا إلى أن وصلوا الرأس والعين
ونزلوا في ذلك المكان قال اسمع ماجرى لبنو هلال فإن الأمير حسن رأى منام هائل في

الاحلام فلما أصبح الصباح استدعى أبو زيد دياب والقاضي بدير وكل الامراء يخبرهم
بالمنام يقول :

يقول الفتي حسن الامير ابو على
يا قوم اسمعوا لى قصتى
شفت فى نومي مناماً رعبى
قد شفت لآل عامر كلهم
ترايا فى مركب بالبحر سايره
والريح جالنا من شمال بلا خفا
من ساعته جئنا سباع كواسر
وكان عاد مركبا وسط البحور
عدنا جميعا اوسط لجة كلنا
لما السباع توردوا من حوانا
هو أن ماء البحر احرق مهجتي
يا مخيمر قوم فسر لى المنام

فلما فرغ حسن من كلامه هزوا الحاضرين رؤوسهم وقالوا الاحول ولا قوة إلا بالله
للعلل العظيم قال فتقدم أبو زيد والتفت خلف ابنه صبرة وأتى به فقام وضرب تحت
الرمل ووسم الاشكال على شرح الحال فشفاف الاله والفيكي بكاء شديدا وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه
ونيران قابى كلما أقول تنطقى
من أجل منامك يا أمير أبو على
ولا أظن مثلى قارىء العلم دارس
من أجل منامك سار فى القلب
رباع أنا يا أمير افسر منامك
وقد شفت حالك فى بحر من الدما
وذاك بحر من المنا يا رجالنا
بدمع جرى من فوق الخدود سكب
لها بين غيب الضلوع طيب
دعى فى ضميرى لاعجا وطيب
وربى على كل العباد رقيب
سره وقد هوت يا أمير منه مريب
وما قد جرى لك فى كلام عجب
وأنت بموكب زيد النقايب
نخوضه ونحن فى بكاء ونحيب

وهذا ترانا نفتلى بشدا اند وياما جرى كل أمر عجيبي
 اما السباع تاتينا قبائل من أرض بعيد مثل نار طيب
 جموع ألوف سدت القاع والأفلا ويأتوا إلينا راكبيننا جنيب
 ونحن نخاف من العرب لاحقينا أميرهم تمرانك قوم صعب
 وإن جاء إلينا تقتله مع جموعه ندعهم بالماضيات ذهيب
 مقتل أبو زيد الهلالي سلامه لا بد يجرى المقدور بلا تكذيب

فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال لهم كونوا على حذر من الغدر والافكار فلدوا
 جيوشهم وأخذوا حذرهم من الأعداء وباتوا إلى الصباح حتى صارت وقت الضحى
 أقبل عليهم أحد فقال أبو زيدا أمير دياب أعزل من قومك ألف ومن بنى زغبة
 ألف ومن عرب القاضى ألف ومن قوم حسن ألف ومن بنى هلال لاثى عشر ألف
 وتسلمهم الضمن وتجعلهم أربع فرق من كل فرقة أربعة آلاف فارس قال فرجع دياب
 إلى الضمن وفعل مثل ما قال أبو زيد وجمعوا الأمراء عند الأمير حسن فقال كيف
 الراى عنكم قال الراى انك ترسل كتاب إلى التمرانك وإذا بالأمير دياب كان مسيره
 بالطريق نظر رجال آتين من ناحية التمرانك مسكهم دياب وأقربهم الأمير فقاموا
 ما هذا يا دياب قال لقيتهم في البرية فقال حسن أنا أكتب كتاب إلى التمرانك وأرسله
 مع واحد منهم ثم أشار يرسل إلى التمرانك يقول :

يقول الفتى حسن الأمير أبو على بدمع جرى فوق الحدود يسيل
 ونيران قلبى كلما أقول تنطفئ تهب لها حوا الضلوع شميل
 نعم أيها الغادى على متن ضامر تشبه غزال بالفلا جفيل
 إذا جئت نحو التمرانك بلا خفى أمير على العجمان أمير ثقل
 وقول له يقول الأمير أبو على أمير ابن أمير سيد وفضيل
 فإنا ترانا سافرين مغربا ولا نحن عليكم رايدون نزول
 إلى الغرب نبغى يا أمير بلا خفا وأولادنا فى وسط قيل ثقل
 فى الغد نرحل يا أمير عنكم ولا لى عليكم زايد التويل
 فمارضى الديبى بن مزيد دعينا بلادنا بالهنا ودميل

ومن بعده جينا العجم بطعننا
وقد جعلنا الخرمند هو وقومه
فإن طعننا أقصر وأرجع لورى
ما قال الفتى حسن الأمير أبو على
فلم انتهى حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأعطاه إلى الذين
حاجبهم الأمير دياب وقال لهم أعطوه إلى النمر لك وأخذوه وساروا حتى دخلوا عليه
وقبلوا يديه وأعطوه الكتاب أخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه أطرق رأسه في
الأرض وقال مرادى أرسل لهم الجواب وأطلب منهم عشر المال والخيل والجمال
والبنات الحسن وفي الحال استندى بقلم وقرطاس ودواة وأشار يكتب ويقول :
يقول النمر لك على ما أصابه
من أجل كلام البدو يا قرومنا
أرسل لنا ابن سرحان كتابه
يهدد بالحرب والحرب مقصدي
هل يحسبوني أخاف من كلامهم
أيا غادياً منى على متن ضامر
إذا جيت إلى حى الأمير أبو على
سلم كتابي إليه بلا بطلا
يسمع ويصرع كلامه بلا خفا
وأرسل لنا بنات هلال عامر
من قبل ما نأقيك جحافل العجم
ويامقداح والأمير مشعشع
وسادتنا ميتين ألف ومثلها
ماقاله النمر لك أنا أبو شمله
فلما فرغ النمر لك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وكان عنده عبد اسمه
الماس اسكن شديد الهأس صعب المراس فقال يا الماس خذ هذا الكتاب إلى حسن

ثامن مرحان أمير العربان وقل له يرسل نصف مال بني هلال والنصف الآخر بمحشيش
فأخذ الأمير الكتاب وصار حتى وصل إلى عند الأمير حسن ودخل عليه وقبل يديه
وأعطاه الكتاب فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضباً شديداً وقال
للى قومه كيف يكون رأى عندكم يا أمارة فتقدم الأمير أبو زيد وأخذ
الكتاب وقرأه ورماه فى الأرض وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه لى دمع جبراء فبق الحدود سكيها
من أجل كلامى قد فاضت مدامعى وعدت أقامى من كلامه نحيها
أرسل يريد المال منا غصيبة جموع هلال تأتية إليها جديها
فيرسل مهددنا بطعن وغيره وما يعلم أين من الباع مريها
فتمن رجال الحرب فى يوم غارة بيوم يمود الدم يجرى سكيها
فكم من ملوك كبار شدت شملهم وراحوا من سيفى يقاسوا لحيها
أيا تمرلك أجمع الأعاجم وارتحل لأرضكم سافر فالك نصيها
أنا أعلمك عن آل قيس وعامر وآل زغبى خلانى أجيها
إن طعنتى ارحل بقومك يا فتى نحن سباع الفلا ثم ديمها
من قبل ما تعلق بكم ثار حربنا مغرور يوم الكوز من يقدر يصيها
فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه وأعطاه إلى العبد فأخذه وصاد
حتى وصل إلى عند التمرلك ودخل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب فأخذه وقرأه
وعرف رموزه ومعناه وغضب غضباً شديداً وزاد به الغم والتكيد ثم أن
التمرلك استدعى الوزير اسكندر وقال كيف أعمل العربان ما يعطونا حسب
طلبنا وحيات راسى لأحصلهم حصيد وأجعلهم يا لبرارى شريد قال له الوزير ما هو
الجواب يا ملك الزمان فقرأه عليهم ثم قام الوزير اسكندر وقال دعنى يا ملك الزمان
أكتب الجواب إلى الأمير أبو زيد فقال الملك لا يلزم الجواب وبأكر نصلى
عليهم نار الحرب ونسقيهم كأس الكرب وفانى يوم ركب الأمير أبو زيد وأشرف
على القوم وآهم مقبلين مثل الجواد الناشر ما لهم أول من آخر ولما نظرهم أبو زيد
رجع وأخبر بنى هلال بهذه الايات :

قال أبو زيد الهلالي سلامه يا حسن جتنا العجم تمشي سريع
يا ملك جانا التمر لك قاصداً من فاق شعر يا أمير تلميع
والحقيل من خلفه كبار غير صغارهم دوارع وسيوف تلمع لميع
عشر ملوك كبار غير صغارهم والتمر لك في قومه جانا سريع
ايا دياب اركب وانقض عاجل واجعل الاعجام أن يغدوا قطيع
قال الراوي وهم بالكلام وإذا بالعجم أقبات مثل الجراد فركبت بني هلال
ولاقوا الاعجام ثم إنهم وقفوا بجانب بعضهم البعض فنزل وزير من وزراء
التمر لك إلى ميدان اسمه دخان عرض ويان وطلب الفرسان وصاح على بني هلال
هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز كسلان ولا عاجز ما في حومة الميدان الا الوزير
دخان فما تم كلامه حتى صار القاضى بدير قدماه وأرمى العمامة وصدمه صدمة
هائلة فقال له من تكون من الفرسان حتى جئت تصادم الوزير فقال له أنا قاضى
العربان ثم انقوا البطلين كأنهم جبابين وافترقوا وزعق على رؤوسهم غراب البين
ونار الغبار على رأسهم حتى شدا لا قطار وقد حثت حوافر خيولهم ناروما زالوا
على تلك الحالة إلى آخر النهار فزعق القاضى في وجه دخان مثل الرعد القاصف
ثم انه ضربه بالرمح فأخذها دخان بالترس البولاد واح ضرب القاضى خائب
فارتد الوزير وضرب القاضى بالترس فسطح على رقبة الجواد براها كما يبرى الكاتب
القلم فأراد أن يكمل عليه فأدركه الرياضى مفرج فاركبوه جواد والتفت الرجال
بالرجال وجرى الدم وسال إلى وقت الزوال فعندما دقت طبول الانفصال وكل
عاد إلى حيه والاطلال ولما أصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركب
التمر لك بقومه وركب بنو هلال وخرجوا حومة الميدان واصطفوا في جانب
بعضها البعض فبرز الوزير دخان إلى حومة الميدان ونادى على الفرسان وقال
لا ينزل إلا الأمير سرحان فما تم كلامه حتى صار الأمير دياب قدماه وقال له صد
فمك لعن الله أبوك وأشار يقول :

قال أبو موسى دياب بن غانم دخان أعوى من قبال هزيم
فر بنفسك وارجع يا رفي أنا أبو وطنفا ما أنت لى خصم

ها الوقت تنظر هممتي لادعيك شطرين في سيف قسم
انزل إلى الميدان بادرنى سريع وانظر إلى طعنى كنار جسيم
ها الوقت أسقيك من سيفي عذاب وادعيك من فوق الوطن عديم
اقطع رأى عاجلا في ضاربك وادعيك من فوق الوطن عديم
وافنى عساكركم أيضاً والملوك أما التمر لك أجمعه عظيم
قول الفتى الزغبى دياب بن غانم لا بد ما أسقيك كأس حميم
رد الفتى دخان في حرب الهمم اسقى الاعاوى من يد كأس حميم
والسيف في يدي ترانى شامطه همدى يكاد يقطع الصخر المنيم
لابس على درع داودنى عجيب وخوذتى تضوء كما همم العظيم
تمتحن حصان ثابت عند اللقاء موصى عليه من خيل المعجيم
كم من أمير قد قبلته بالوغى قد راح منى فى الوغى أصبح عديم
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البهالين كأنهم جباين وحن عليهم
الحين وغى على رؤوسهم غراب البين وافترقوا كأنهم أسدين فعند ما ضرب دخان إلى
دياب بالسيف أخذها بترس البرد راحت خايبه بعد أن كانت صابية ثم أن دياب
انحدف على دخان وكان معلم الخضرة إذا صاح فيه الفارس وكان من وراءه تضربه
الخضرة بالجوز فلما انحدف على الدخان وأراد أن يضربه التفست دخان من وراء دياب
يريد ضربه وإذا بالخضرة ضربته بالجوز رفته هو والجواد على الأرض فنزل له
دياب وشده كتاف قوى منه السواد والاطراف وأخذه أسير يجره من وراءه إلى
أن وصل لعند الأمير حسن فقال ما هذا يا أمير دياب فقال هذا دخان الذى قتل
جواد خال القاضى بدير وقتل من بنى هلال ستة عشر فارس قال حسن والله هلم
ما يتسنى فيه أن يقتل ثم أن حسن أمر له بخلعة صنية وأبسمها إلى دخان وقال لا تخف
وعليك الأمان إن رحمت عند التمر لك مع السلامة وإن بقيت عندنا حلت البركة
فقال الوزير يا ملوك الزمان إذ رحمت إلى عند التمر لك ما أعود أقدر أنزل إليكم
وإن نزلت إليكم يقتلنى التمر لك والآن أنا بقيت أحد منكم فقال حسن حلت البركة فقال
يا ملك الزمان لى ولد عند التمر لك فقال دياب أبشر أنا أجيب لك إياه فبقى دخان
عند بنى هلال اسمع ما جرى من قوم التمر لك فانهم لما أصبح الصباح ركبوا وركب

ابن دخان وكان اسمه سكران فنزل إلى الميدان وطلب براز الفرسان فنزل إليه دياب وقال له من أنت فقال أنا سكران بن الوزير دخان وأنت أمرت أبوي قال دياب فقم اليوم لحقك به ثم التقوا البطلين كأنهم جبليين وافترقوا كأنهم مركبين وحن عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين من طلوع الشمس إلى الغياب ودياب ما يسخر بقتله إكراماً لأبوه فناموا على ذلك الحال إلى أن أمسى المساء ودقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وكل منهم طلب أهله وباتوا إلى الصباح فنزلوا الاثنين الحرب والسكفاح وتحاولوا في الميدان من الصباح إلى المساء فقال دياب وإلى متى وأنا أطول روحى وسحب الدبوس وضرب به سكران أرماء على القيمان ونزل إليه وشد كفافه وعاد به عند أبوه الوزير دخان فضمه إلى صدره وقبله بين الأعيان وأخبره بما أكرمه به السلطان ففرح سكران وبقو عند بني هلال هذا ما كان منهم وأما ما كان من المعجم لما راح الوزير وابنه صاروا في حساب وأمر صمداب وأما التمر لك غضب الغضب الشديد وزاد الغم به والتأكيد وباتوا تلك الليلة إلى الصباح دقوا طبول الحرب والسكفاح وركبت القومين وترتبت الجيوشين جانبا بعضهم البعض ثم برز وزير الوزير التمر لك اسمه شاهين فنزل له طوى ابن مالك فقال له اسمك أيها القادم فقال اسمي طوى بن مالك ثم التقوا البطلين كأنهم جبليين حتى كلت من تحتهم الجوادين وتعبد منهم الزنديين ولم يزالوا على تلك الحال من الصباح إلى العصر فعندما قام طوى إلى عزم الركاب وضرب شاهين بعود القنا أخذها بنرس البولاد راحت خاية ثم قام شاهين في عزم الركاب وضرب به على هامته ألقى رأسه قدماه فلما شافت الأعجام أن شاهين قنيل هجموا على العرب وهجمت العرب على الأعجام والتحم القومين في بعضهم البعض وصار بينهم شر عظيم حتى جرى الدم وهربت الأندال ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن دقت طبول الانفصال ورجعوا القومين إلى الصباح فعند ذلك اصطفت عساكر القومين وبرز أبوزيد إلى ميدان القتال وهرض رايان وطلب براز الفرسان فنزل إليه من الأعجام اسكندر وزير التمر لك فصدمه أبو زيد صدمة هائلة فتلقاها وقال على مهلك من تكون من الفرسان وأشار يقول

قال أبو سرحان اسكندر اننى قوم غضنفر رأس فرسانى وهسكر
هوم فى الجهات عابس انى قوم غشمشم من يعادنى بينهم
بس يا فارس تترحم اليوم أعداءك مقاييس
فلما فرغ اسكندر من كلامه وأبو زيد يسمع نظامه أشار يرد عليه:
قال أبو زيد الهلالي فارس يوم المجال عادته قتل الرجال
يوم وقعات الصدام جاك أبو زيد المسمى من لقاكم ما بهما
خزبى والسن سعى سمها يهرى العظام من وقع فى يدي يزل
كم قتل ملك أكابر شوف ايضا مع عساكر يا اسكندر قوم بارز
والثقينا بالصدام

فلما فرغ الأمير أبو زيد من كلامه والوزير شاهين يسمع نظامه التقوا البعالمين كأنهم
جبالين وحن عليهم الحين رغى على رؤوسهم غراب البين ولم يزلوا على تلك الحال إلى
وقت العصر حتى كانت منهم الزنود فمعهما قام الوزير فى عزم الركاب وضرب أبو زيد
بالسيف وأخذهما بدراقة البولادراحت خائبة ثم الأمير أبو زيد هجم عليه كأنه السبع
الحكامر وضربه بالقرصان على نواعم الركاب وإذا برأسه قد قدحرج على التراب
وأفل نجمه وغاب فلما قتل الوزير حملت المعجم على العرب والعجم وانحطت
منهم المم ولله در أبو زيد ودياب وباقي الشباب بما فعلوا من الفعالي وما فرق بينهم
إلا الظلام ودقت طبول الانفصال واقتروا عن الحرب والقتال وقد قتل من المعجم
خاق كثير وعادت بنى هلال على خيل شاردة وعدمة ثم باتوا إلى الصباح ودقوا
طبول الحرب والكفاح واصطف الفريقين فبرز التمرلنك إلى الميدان وطلب براز
الفرسان (قال الراوى) فلما رأى بنو هلال التمرلنك تعجبوا من همته وهو كأنه
البرج الحصين فقال حسن يا أبو زيد ما تقول فى هذا الفارس فقال أبو زيد العلم عنده الله
أنه عفرى من عفرات سيدنا سليمان فقال حسن نادوا إلى الوزير دخان لربما يعرفه
فنادوا فحضر فقال حسن يادخان من يكون هذا الفارس الذى فى الميدان فقال له ياملك
الزمان هذا التمرلنك فقال حسن لا أحد ينزل إليه لأنه جبار عنيد فقال دياب أنا
أنزل إليه وعلى الله الانكال ثم أنه نزل إلى الميدان وصدم تمرلنك فالتقاء وقال من

تكون من الفرسان قال امسى دياب والى القصاب وحذاف الرقاب فلما سمع التمر لك
هذا الكلام صار الضياع في عيفيه ظلام وانطبق عليه والنقوا البطلين كأنهم جبالين
وانتظموا كأنهم بحرين وكلت منهم الساعدين وتعبت تحتهم الجوادين ولم يزالوا
على تلك الحال إلى المساء ودق طبول الانفصال ورجعوا عن القتال وأتوا إلى أن
أصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح ونزل التمر لك إلى الميدان وطلب
الفرسان فتقدم إليه فارس من بني زغبة فضربه التمر لك على هامته طير رأسه
أمامه ثم نزل فارس ثاني قتله وثالث جندله ورابع ما أمهله ولم يزل حتى قتل
منهم سبعة وعشرين فارساً وأمسى المساء فدقت طبول الانفصال فرجع كل فريق إلى
حيه والاطلال فجمع الأمير حسن إلى عنده وقال ما الرأي عندك يا أبو زيد
لأن مرادى تدبير يكون ملبح وكيف نسوى مع هذا اللعين والله إنه فارس عظيم
فقال أبو زيد الذي تريده نصير فقال حسن مرادى أن أرسل إلى التمر لك كتاب
لكي يهطل عنا القتال فقال أبو زيد الذي تريده أفعله فكتب حسن إلى التمر لك يقول
يقول الفتى حسن الحلالى أبو على بدمع جرى فوق الخلد سكب
نعم أيها الغدادى على متن ضامر تشابه نسيم الريح مثل شهاب
إذا جيت للتمر لك بلغ رسالتى يا عمرة ما شوف نكاب
وقل له قال الأمير أبو على أمير ابن أمير من فريج أنساب
ألا يا ملك اسمع مقالى وقصتى وافهم كلامى لا تؤبد عتاب
فان طعنى أسلم بروحك وغزوتك وفز بروحك من ملوك أعراب
من قبل ما تعلق بكم نار حربنا وتوقع باوشم شومها وكلاب
فلما فرغ حسن من كلامه طوى التحرير وختمه بختمه وأعطاه إلى عبده فأخذه
وسار إلى أن وصل عند التمر لك وأعطاه التحرير فقرأه فغضب غضباً شديداً
وسحب السيف وضرب العبد طير رأسه وقال اقوم يا كرى يكون آخر أيام بنو هلال فوصل
الخبر إلى الأمير حسن فغضب غضباً شديداً وشاور الأمير أبو زيد على هذا الأمر
فأجابوه ما توأ لنا ثمان أمراء من أولاد الأماره والعبيد أسوقها مزوراً وتركب نحن
وراهم الله يعطى النصر لمن يشاء فاعتمدوا على هذا الرأي ولما كان الصباح وركب الأمير

أبو زيد بقومه التسعين القاضى بقومه والأمير دياب بقومه والأمير حسن بقومه
وشوا الجبال بعدما حملوها تراها وقال أبو زيد الذى مع الجبال إذا انكسروا تعالوا
صوبنا ثم أنهم دفعوا النوبات وركب السكورات وطالبوا اللقاه والنبات فلما سمع التمر لئلك
صوت العايل ذق طبله وركب بقومه فمجمت الأعراب بالمدافع وكان عددها خمسة مائة
مدفع فعندما الكزت بنو هلال الجبال على المدافع فجفت من صوت المدافع وكثر الصياح
من وراء الجبال والعبيد تفسخهم بالرماح وفزروا هدول التراب وهب الهواء وفار
العجاج والخبار حتى عفى الأبصار فركضت الجبال ودامت الأعجام وخيلها وحيثما
مجمت الأعراب هجمة الأسود وطعنوا الصدور والكبد فلما نظر التمر لئلك إلى
ما صار فى قومه أراد الحرب وإذا بالأمير صبرة بن أبو زيد عارضه فى الطريق وصاح
به إلى أين يا ابن الف قرنان فالتقاه التمر لئلك بقلب مثل الصخر ونجاو لوفى الميدان
وتسكسرت بينهم العيذان ثم أن التمر لئلك هجم على الأمير صبرة هجمة الأسود وحمله
على راحته زنده وأرماه على وجه الأرض فتملق صبرة فى صدره فوقع هو وإياه فتعدل
صبرة على خصمه وسحب الخنجر وطعن به التمر لئلك وشق بطنه وإذا بالأمير حسن
أدركه وفى يده السيف ونزل وقطع رأس التمر لئلك فعندما مالت الحرب على العجم
وفتكوا بها بالسيف وما سلم به إلا كل طويل عمر وفاتوا على خزائن ملك التمر لئلك
وتنهبوا ورجعوا بنو هلال على خيل شاردة وغنموا تلك الأموال وفرق الأمير
حسن على العربان وأحضر أقوام التمر لئلك وأحضر الوزير دخان وابنه سكران والبسه
عليهم ملك وقال حسن كل من خالف كلامه رميت رأسه واخذت أنفاسه قالوا حاشا
أن نخالف كلامه ومن بعدما ارتاحوا المساك من الحرب والصدام وقاموا عدة
أيام ورجعوا إلى أرض حاب (قال الراوى) ذهب بنو هلال من بلاد الخفاجى هامر
إلى حلب وكان حاكم حلب يقال له بدريس وكان صاحب مال وخيل وأبطال وكان وصل له
خير بنى هلال أنها محلت أرضهم والبلاد رحو امنها وما فعلوا فى الملوك الذين حاربهم
وكيف أن الخفاجى عامر أضافهم وسافر معهم فلما سمع هذا الكلام جميعاً كابر قومه
وخابهم بهذا الشأن وكان عنده وزير يقال له الخزاعى فقال علام يا ملك جمعت القوم
والفرسان فأجابه أريد أن أخبركم عن بنى هلال وما فعلوا من أن يدخلوا بلادنا

ويقتلوا أبطالنا ورجالنا وإذا ما عملنا تدبير وقعنا في عسر فلما سمعوا هذا الكلام طادوا في أمرهم متحيرين عندها التفت الوزير الخزاعي وقال أيها الملك العظيم أنا عندي من الرأي أن أرسل لهم وواحد إلى أرض الكبيسة يرودوها ويحكم يكون معهم من العساكر والأبطال ويكشف لنا خبرهم ويعود بالحال حتى تحضر رجالنا لأجل حربهم وقتلهم فلما سمع منهم هذا الكلام قال هذا هو الرأي الحميد ثم استدعى رجلا كان شيطاننا يريد اسمي سابق وقال له اعلم أن مرادى منك أن تذهب ترود لنا بني هلال تنظر قومهم والفرسان وترجع لنا بالخبر الشافي فقال سمعنا وطاعة وركب ناقة صمادية وصار يقطع الغيا في والقفار حتى أشرف على نجوع بني هلال فرآهم بعدد الرجال وحاربهم شهد من الفرسان وبينما هو على ذلك الحال وإذا بالأمير أبو زيد آتيا من الصيد فاما رآه وعرف أنه رواد فقدم اليه وسلم عليه وسأله ما أنت آتيا لآل ترود بني هلال وتخبر مولاي بدريس أحوالنا فأجابته خطأ ظنك وما عادت في غبا عليك ولكن قل لي هن اسمك حتى أعرفك فقال له أبو زيد الآن وصلت من الصيد فقال له يا أمير اعطيني الأمان حتى أعلمك جميع الأعلام فقال لك الأمان والف مرحبا بك أنت ضيفي وكل من عارضك آذيت به بسيفي عندها أشار سابق يقول :

قال سابق بن كاسب صادق	الدمع من فوق الحدود سراعي
قد جيت من حلب أرود جموعكم	وأنا رسول للملك قطاعي
بدريس أرسلني برأى صايب	بدريس سيفه للعدا قطاعي
أما الخزاعي يا أمير وزيره	يسمى محمد بن مفلح واعى
وأنا ظنك يا أمير سلامه	أنا شبيه الشاة أنت الراعي
أبو زيد لك بين الملوك إشارة	كل الخلايق منها غدت تراعي
قول ابن كاسب للامير سلامه	ياريت عمرك ما تشوف صداي
رد أبو زيد أمير الوفي	يا أمير سابق أنت رجل مراعي
لاني خبير بالرجال وفعالهم	وعلمت حالك جيت الينا ساعي
وأنت جاسوس بحيله رايد	وقطعت وديان الفلا وقلاعي
تأخذ علام أولاد عامر سرعة	لبدريس الملك ثم الخزاعي

بشروا من ضلال سلامه ما يوم ضيفي يابن كاسب ضاعى
 إن الملوك حواصل وعواضب طعناتهم جوا الحشا اساعى
 يا أمير سابق موج كل جموعنا انظر بعينك صنعة الصناعى
 أربع ملوك على النخوت جوالس عن الملاح الراخيات قناعى
 قل له إذا عادت نحو أميركم نفسه يميناً عن الاطلاح
 ما قال أبو زيد الهلالي سلامه من كان يعرف بالزبيل براعى
 فلما فرغ أبو زيد من كلامه وسابق بسمع نظامه فأطرق إلى الأرض فقال أبو زيد
 أنت اليوم ضيفي قم بنا إلى المنزل فساومعه إلى بيته وأكرمه غاية الاكرام واخلع عليه
 ثم قال قم بنا ياسابق إلى عند الأمير حسن نواجهك فيه فأجاب أنى أخاف من أن
 يقتلنى فقال له لا تخف بكفأتى فقام وأخذه معه وسار اعتمد الأمير حسن فدخل
 أبو زيد وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الأقدام فخلص عين يمين حسن وجلس
 سابق إلى جانبه فقال له حسن من أين ضيفك يا أمير أبو زيد فقال له من حاب ولسكن
 أسأله عن كل ما تريد فعندها ناداه حسن فقام سابق واقفاً وتقدم إليه وقبل يديه
 فقال له حسن أهلاً وسهلاً ومرحباً من أين أنت وإلى أين ذاهب يا سابق احكى
 وعليك الأمان فقال يعيش رأسك يا مملك الزمان وحكى له قصته على التمام ثم أقام
 عند أبو زيد عدة أيام وبعد ما طلب إذن للسفر فأذن له وأعطاه ألف دينار فصار
 وما هو مصدق بالنجاة إلى أن وصل إلى حاب إلى سيده ووزيره وأشار يقول :

قال الفتى سابق على ما جرى له ترى القول ينقص تارة وي زيد
 وما زينة الانسان إلا صدقه وكذب الفتى يشينه والتنفيذ
 غدوت أنا يا أمير المؤمنين وكان بها برد وبعض جليله
 أنا وما نى السير بأرض السكينة بلاد الخفاجى هامر الصفديد
 نظرت جموعاً يا أمير نزام تقول غمماً أو كبحو مديد
 مسير ثلاث يا أمير نزام ويوم تراه بالعرض يا صنديد
 الوف ومياه ملوا واسع الفلا ربي يكون عالم وشبيد
 أما حسن مقدم كل جموعهم أميرين أميرين سيف وميد

وأبوزيد رأى الشور والرأى كله وأبوزيد نجمه بالسما سعيد
أما دياب الخيل قمر مجرب على ظهر خضرا فارسا وشديد
ومعهم مكاسب يا أمير كريمة وشفقت طبولاً برعدون رهيد
وضربوا بلاد الفرس يا أمير مفاح دخلة وكوفة والعراق عميد
وقد جاؤا لعند الخفاجى حامر بأرض الكبيسة والعراق قعيد
يا أمير يوم ينزلون بلادنا يتخلوا بلادك بالقمة وهديد
يا أمير شد الخيل بالزحف والزرد وجرى قومك للوغا تهديد

فلما فرغ سابق من كلامه والملك يسمع نظامه وتغيرت منه الأحوال من عظم هذه
الأنوال ثم التفت إلى الوزراء والقواد وقال ما هو رأيكم أيها الأعيان هل نبادرهم بالقتال
والطمان أو نندعهم بمحوزوا بلادنا بالأمان فقالوا يا ملك الزمان نحن بين يديك ولا نبخل
بأرواحنا عليك والذي تشوف فيه الصواب افعله فقال الملك ما تقول يا وزير فقال
أرى نصبر حتى يصلوا إلينا ونسكون قد جمعنا قومننا وأبطالنا حتى إذا وقع فيما بيننا
القتال نشيلها على سنة الرماح ونهب مالهم ونسبي عيالهم فقال الملك هذا هو الرأي
الموافق ثم أنه بعث الأوامر إلى جميع عماله بأن يحضروا بالفرسان والأبطال
وما مئى إلا قليل من الأيام حتى غصت حلب الشهباء من كثرة العساكر وازدهام
العساكر فسر الملك بهم وأمر التواد أن يسكنوا دائماً مقيظين لقدم بني هلال أو
حتى حتى راضوا بقوا عليهم ولا تخاؤهم يتفرقوا عن بعضهم لبعض حتى تملكوا الجميع
ولا يفات عنهم لا فطيم ولا رضيع وأما بنو هلال فإنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا
إلى مكان بعيد قليلاً عن حلب الشهباء وكان كأنه فردوس الجنان وهو بين كأس
وعناب فنزلوا فيه وامتدوا في نواحيه وأكلوا الأشجار والأثمار وشربوا مياه
الأنهار فمريت الأهالي والسكان وأعلموا بهذا الشأن فلما سمع بهذا الخبر قطاير من
عينيه الشرر وفي عاجل الحال أمر بجمع الفرسان ثم استدعى إليه القواد وفرسان
المعارك والطراد وأكابر الوزراء الأعوان واستشارهم بهذا الشأن فقال له إنك ترسل
تطلب عشر المال والنوق والجمال فإن أجابوا إلى هذا الطلب كان غاية المراد وإن
امتنعوا نبادرهم بالقتال والحرب والنزال فاستصوب الملك هذا المقال وفي عاجل

الحال كتب إليهم يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الملك بدريس بن مهامل	بدمع جرى فوق الحدود بديد
يا غاديا منى على متن ضاهر	يطوى برارى الفلاهم الفدايد
إذا جئت إلى حسن الهلالى أبو على	فقل له جئت اليوم قاصد
وقل له بدريس حاكم فى بلاده	أرسل يقول لك يا ابن الأماجد
وهذه ديارى قعدكم تملكوها	وترعوا مراعيها وتبقى حصايد
فها نوا لنا عشر الجبال مع الغنم	وعشر المال مع عشر الولاييد
وها نوا لنا نجلة وقتنه وغيرها	ها نوا فتاة الحى الزين بنت فايد
وها نوا فتاة الحى الجازية أم محمد	وها نوا وطفه بنت دياب الما جد
وها نوا جمال الضمن بنت سلامة	يا وعيا ثم بنت ابن حامد
وها نوا لنا أيضا ميت مليحة	عذرى يكونوا ما عقدن العقائد
ميتين سيف من الصواعق مصعقطة	وميتين عقدن خواص القلائد
وميتين حمرة من خيول أصايل	وميت حصان من خيول أجاود
وهذا الذى أطلب يا أمير أبو على	فيايك إلى قولى تسكون معانيد

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره وانظامه طوى السكباب وختمه بختمه
 واستدعى بنجاب وقال له خذ هذا السكباب ومر فى الحال وسلمه إلى حسن
 سيد بنى هلال فأخذه وسار فى قطع القفار حتى وصل إلى بنى هلال ودخل على
 الأمير حسن فتقدم وقبل يديه وأيا دى الأمانة الذين حواله ثم سلمه السكباب
 وطلب الجواب فلما قرأه وفهم فحواه تغيرت منه الأحوال واعتراه الحجب
 ولكنه أخفى السكمد وأظهر الصبر والجلد وأمر بأن يأخذوا السامى إلى دار
 الضيافة فأخذه وبعد ذلك التفت الأمير حسن إلى سادات الرجال وأعلمهم
 بالقصه وما كتب إليه بدريس من التهديد وأشار إلى أبو زيد يقول :

قال الفتى حسن الهلالى أبو على	أبو زيد أعلمنى وكن شوارا
بهيات رأسك يا أمير فقل لنا	وأمرع لنا يا أمير بالاشوارا
هذا الملك بدريس أشغل بالنا	وأرسل الهنا بطلب الاشوارا

يبغى لعشر المال يا فخر العلا
عشر النساء يا أمير مع كل الخدم
أبو زيد يا أبوزيد يا فخر العلا
قول الفتى حسن الهلال أبو علي
فلما انتهى الأمير حسن من كلامه وعرف أبو زيد والامارة فحوى قصده
ومرامه قال يا ابن عمي ليس لبدریس غیر ضرب السيوف والطنن وأما دياب
صار الشرر يهدير من عينيه وعوارضه ترقص في وجهه وقال علي في بدریس
والخزاعي وحدي فاستحسن الحاضرون هذا الكلام منه فعند ذلك أشار
القاضي بدری یرد له الجواب ویقول :

يقول الفتى القاضي بدری بن فايد
يا غاديا مني على متن ضامر
إذا جئت إلى بدریس بن مهمل
بعثت تهديدا بعزم عساكر
بدریس بدریس هل عقلك شارد
البيض في حمى الهلال أبو علي
لأن كنت حيل قوم محرب
وأظن مضارب ما رأيت نظيرها
وأنا بدری العامري بلا خفا
واعلم يقينا أن هلاك كثيرة
طغيت يا بدریس مالك حيلة
ولا بد من قتلك وقتل رجالكم
من ذا الذي يرسل إليك حيلته
بأربع مذاهب حل قتلك يا ردي
فلما فرغ من هذا الشعر ختمه وأعطاه للنجاح فأخذه وسار حتى وصل إلى الملك
بدریس فناول له إياه فلما فتحه وقرأه أسودت الدنيا في عينيه ثم استدعى بوزيره

الخزاعي لحضر بين يديه فأعلمه بواقعة الحال وأمره بجمع المساكروا لإبطال فامتثل أمره بالعجل وجمع مائتين ألف بطل فركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالرماح والنصول وركب الخزاعي بهذا الجيش الكثير وركب معه كل سيد وأمير ومعاروا إلى خارج البلد لاستقبال بني هلال قبل وصولهم إلى الاطلاع وأما بنو هلال فانهم كانوا قد استعدوا للقتال ولذا بالخزاعي قد برز إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الأمير دياب كأنه سبع الغاب فالتقاء الخزاعي بقلب كالخديد وصدمة صدمة الفرسان الصناديد وأشار يده ويقول :

يقول الخزاعي والخزاعي أروعي	كل الفوارس لا أخاف لقاءها
إسمك دياب والدياب ستأكلك	يا أرذل الفرسان يا أرداها
وسأملك الخضر بعدك يا فتى	وتنال نفسي منك منهاها
أنا الخزاعي بن مفلح صادق	ويخافني الفرسان يوم لقاءها
رد الفتى الزغي دياب الماجد	الخيل تعرف همتي وطراذي
لاني أصيد الأسد في غاباتها	بمهند ماضي الحديد حادي
كم كربة فرجتها في صارمي	والخيل وات لا تطيق طراذي
لاني دياب الخيل ذباح العدا	دي الفوارس يوم حرب جلاد

فلما فرغ الأمير دياب من شعره ونظامه وفهم الخزاعي فحوى شعره ونظامه وزاد به الغيظ ومازال يكره وفروطن من طيب الجرم من الصباح إلى وقت الظهر وكان الخزاعي قد ضاقت به الخيل فطعن خصمه وهو على آخر نفس فأنقأ دياب تحت بطن الفرس فراحت الطعنة خافية بعد أن كانت صافية فعند ذلك استوى دياب على ظهر الخضر وأضرب خزاعي بالسيف شراراً فالتقاها بدرة البو لا دققت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري القلم فوق وقع الوزير على الأرض واتحطم وصار وجوده كالعدم وإذا بقومه قد أدركوه ونشلوه من على وجه الأرض وخلصوه فلما رأى دياب تلك الأحوال وهجوم الفرسان والابطال من اليمين والشمال صاح في بني زغبة وأمرهم بالهجوم والقتال ومازال وراهم في الطلب حتى أوصلهم إلى مدينة حلب فدخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب وهم في حالة الخوف والاضطراب ورجع الأمير دياب وهو مثل شقيقة الارجون.

جاءه من ادمية الفرسان وقصد حسن في الصبيوان فدخل وسلم عليه فقبله حسن بين عينيه بما
 مثل وشكره وخلع عليه ائمن الخلع فأخبره بما جرى له في ذلك اليوم في قتال القوم وقال
 له في أن الكلام لا بد لك بدريس أن يقصدنا في ثانی الايام ويخرج بنفسه إلى ميدان
 القتال فأذيقه الويال واستنخاص بالغنائم والاموال هذا ما كان من بني هلال وأما
 الخزاعي فإنه رجع إلى حلب وهو في حالة العنا والسكر ودخل على الملك بدريس
 وأعانه بذلك الانكيس وما جرى عليه في ذلك اليوم النعيس وكيف قتل الرجال وفقدت
 الاموال وظفر بهم بنو هلال فلما سمع منه هذا المقتال اعتراه الانهال وخرج عن
 دائرة الاهتدال وبات بدريس تلك الليلة على غير هدى وقد صم أنه يخرج في ثانی
 الايام لقتال معدوما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر بخروج الأبطال للحرب
 فاستعدت في الحال وركب بأول العسكر كأنه الأسد الغضنفر وخفقت على رأسه الرايات
 ومن حوله الوزراء والسادات وخرج بموكب حسيم وجيش عظيم فلما علمت بنو هلال
 بمقدوم الملك بدريس للقتال استعدت وركب الأمير حسن في الفرسان والأبطال فاصطفت
 الصفوف وترتبت المئات والآلاف وقد برز الملك بدريس إلى ساحة الميدان بقلب
 أقوى من الصبيوان طالبا براز الفرسان وقال لا يبرز لي سوى الأمير حسن بن سرحان
 لأن ملك فن قتل خصمه حصل على طلبه وبلغ غاية قصده وأمر به فما أتم كلامه حتى
 حصار الأمير حسن أمامه وصدمة تزعزع الجبال فاصطدمه بدريس وأشار يقول :

قال الفتي بدريس الهام الما جد	اسمع كلامي يا حسن يا فايد
لا بد لي من قتل كل رجالكم	في حد سيفي يا أمير الفلايد
واقتل أبو زيد الأمير سلامة	ودياب والقاضي بدير الغايد
قال الملك بدير هذا يومكم	يا من يودع قومه ويعايد
فلما فرغ الملك بدريس من كلامه أجابه الأمير حسن على شعره ونظامه يقول :	
قال الفتي حسن الهلالي أبو علي	نيران قاي زایدات وقايد
لا بد من قتل ونهب أموالكم	مع قتل أبطالك وكل معاند
لو أن قومك ألف ألف ومثلهم	لا بد أن يبقوا الجميع فقايد
قومي أنا تسعين ألف ومثلهم	تسعين في تسعين ألف ماخذ

أفعالهم يا أمير هي طعن القنا فترى الفتى منهم كصخر جامد
فيهم أبو زيد الأمير سلامة ودياب والقاضي بدر الفايذ
هل ما رأيت دياب قل جوعكم وكسر عساكركم بغير معاند
واليوم تبقى يا أمير مجتهدا وعددا بين الفوارس فاقد
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من كلامه وفهم بدريس فعوى شعره ونظامه
زاد حقه وعظم غيظه فهم عليه وحمل عليه كأنه قلة من القل أو قطعة فصات من جبل فالتقاء
الأمير حسن في الحال واشتباك بينهما القتال وعظمت الأهوال وكان تارة يتقدمان
وتارة يتأخران كأنهما أسدان كاسران وبحران زاخران وما زالا ينجاولان في ساحة
الميدان حتى قصرت من تحتهم الجوادان وكلت منهما الزنادان وتعجب من قتالهما الفرسان
وقد اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بدريس فراحت خايبة بعد أن كانت صابئة
فأرد عليه حسن وهجم عليه وضربه بالسيف فاستتر في درقة اليولاد فبرى السياف رقية
الجواد فوقع على المهاد كأنه طود من الأطواد فأراد حسن أن يضربه بالسيف ويستقيه كاس
الحمام فأدركه قومه في الحال وخطفوه من ساحة المجال وأركبوه على ظهر الجواد في الحال
اشتباك القتال والطراد والتقت الأجناد بالاجناد وتضاربوا بالسيوف الحداد والرماح
المداد وتحكمت السيوف في الجماجم والاكباد فما كنت ترى في ذلك اليوم الممهل إلا
ضرب أنسيوف وطعن النصول وهذا يجروح وهذا مقتول وما زالوا على تلك الحال
وهم في أشد قتال إلى الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنى هلال إلى
المضارب والخيام ولاقوا الأمير حسن بالترحاب والإكرام ودعوا له بطول العمر
والدوام فشكروهم على ذلك الاهتمام وأما بدريس فإنه رجح غضبان كثير الحمو
وقد خاف من العواقب وحلول المصائب وفي الحال كتب الرسائل وأرسلها إلى
ولاية المدن والقبائل يطلب منهم المساعدة والامداد بإرسال المؤونة والسلاح
والسيوف والعساكر والاجناد لقتال بنى هلال الأوغاد وأن يبادر إليهم بالقتال
ويحملوا عليهم من أربع أركان المجال لينتهى الحال وتنقضى الأشغال وبقي هو
داخل البلد بالعساكر والعدد فلما وصلت إليهم هذه الرسائل والأخبار إلى ولاية

الاقطار فامتلأوا أمره في الحال وجمعوا الفرسان والأبطال وقصدوا بني هلال من حدود البحر الأسود في جمع كبير العدد وكان بنو هلال في فرح وهم يؤملون بالفوز والنجاح وإذا بالموكب والكتائب أقيمت عليهم وأحاطت بهم من اليمن والشمال من أربع جهات الميدان وهم كعدو النمل فجمعوا عليهم من الأبيات وسبوا النساء والبنات فعلت العنجات وتكاثر الصيحات وتضايقت بنو هلال أشد الضيق وعدم السعادة والتوفيق وأيقنوا بالهلاك والدمار وتقاتلوا ذلك اليوم قتالا يذهل الأبصار وألقوا نفوسهم على الأخطار وما زال الحرب يعمل والدم يهدل والرجال تقتل حتى صار وقت الزوال عند ذلك ودقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن بعضها ورجعت الجيوش كل إلى أرضها وبات بدريس في سرور والشرائح على ذلك الانتصار والنجاح وبات بنو هلال في أسوأ حال مما أصابهم من الذل والويل ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاج جمع بدريس أكابر دولته وأرباب ديوانه وقال لهم اعلموا أيها الرجال أن بني هلال قد حل بهم النكال وتضعضعت منهم الأحوال ومرادى الآن بأن أطلب منهم عشر المال فإن أبوا امتنعوا وما دفعوا أخينئذ نقاتلهم في هذا النهار واستخلص عنهم المال قوة واقتدار ونبلهم بالويل والدمار فلما سمع الخزاعي وأكابر الديوان هذا الكلام قالوا افعل ما تريد أيها الملك الهام فعند ذلك سلمه الكتاب وبه هذا القصيد على هذا التهكم والتهديد ويقول:

على ما قال الملك بدريس صادق	غدا نركب عليك يا هلال
غدا نركب بجيش مرمرى	شبه الغيث في عدد الرمال
فهربان البحيرة والشواهد	وعربان الدهيمى والموال
تراهم يوم تنشب العـوالى	كسبع طالب صيد الغزال
أقتل منكم الأمير قيس	وأخذ خيلكم ثم الجوال
واقـتل آل زغبة مع الهلالى	بضرب السيف مع طعن النضال
وأخذ من دياب الخيل بفته	ولا أفسر لنكبات الليال
فان طارعتى فلك الامانى	وما لى عليك عشر والجبال
وما توى الجازية بنت كامل	ووظفا ثم نجلا ذى الدلال

وارسلى عطور الجليل بنيتك فابق صهركم بين الرجال
ولن لم ترسل لى ما طلبته فقوموا واستعدوا للقتال
ألا يا أمير لا تعطى علينا ألا يا أبو على فاسمع مقال
فلما فرغ من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه إلى نجات وأمره أن يسير في الحال
ويسلمه إلى الأمير حسن سيد بنى هلال فامتثل أمره وسار يحد في قطع القفار حتى وصل
إلى بنى هلال قبل الزوال فدخل على الأمير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب
فلما فتحه وقرأه وعرف خواته انشغل بالله وتضعضت أحواله وأمر أن يأخذوا
النجات إلى دار الضيافة ثم التفت الأمير حسن إلى سادات الرجال وقرأ لهم ذلك القصيد
وقال لهم ما قولكم أيها الأماجيد في هذا التهديد ثم أشار يقول :

أنا حسن فاست يا أهل ذابل	ألا يا بنى عى وكل قراى
ويطالب بنات طرفهن كابل	بدريس أرسل يطالب الخيل والنساء
فاعاموني بصدق القول بلا تطويل	فإن كنتم تعطوه ما هو طالبه
وأنت يا قاضى أمير جليل	أنت يا زغبى دياب الماخذ
ونعرف بما جاء فى التنزيل	فرأيك والنبي يا ابن فايد
فما عاد ألا يا كرام تشيل	فقولوا لنا ماذا تشوروا جميعكم
إلى حربيه يا قوم بلا تحميل	ولن كان يا قوم ما تعطوه بادروا
فأنت لنا بالنائبات دليل	أبو زيد خبر أبو زيد قال لنا

فلما فرغ من هذا القصيد قالوا إن الرأى السديد عند أبو زيد الفارس الصنديد
فلما سمع أبو زيد هذا الكلام وعرف القصد والمراد قال الذى يلوح في فكرى أيها
السادات السكرام هو أن أكتب أنا والآله حسن إلى بدريس ابن اللثام نوعده
بارسال المال بعد عشرة أيام بشرط أن يدفع عنا القتال والحرب والنزال عند
فروع الوقت المؤجل نرحل بالليل من هذه الاطلال ولا يعلم بنا حتى نكون قد
قطعنا مسافة يوم أو أكثر حتى إذا لحقنا بالعساكر نبادر بالقتال ونسقيه كأس الوبال
ونملك مدينته حلب ونبليغ القصد والأرب فاستحسن الحاضرون هذا الخطاب ورأوه
حين الصواب فعند ذلك أشار حسن يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على أبشر أذاك الخير يا بدريس
 ألا أبشروا فقد أجاب مرامكم غدا الخبز يأتى فى ظهور العيس
 ونعطيك فتنة يا أمير وغيرها ونعطيك أموالا وكل نفيس
 ألا يا ملك بدريس أنت أميرنا وقولى صحيح ما فيه تدليس
 وبار الوغى يا أمير لا تضر مونها ولا تسمع يا أمير شور إبليس
 إني أنا أمير قيس عامر كريم واست بما وعدت خسيس
 فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه وسلمه إلى
 النجاشى فأخذه وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل إلى حلب نصف النهار فدخل
 على الملك بدريس وقبل أياديه ثم ناوله الكتاب ودعا له بالنصر على أعاديه فلما
 قرأه وعرف فحواه فرح فرحا شديدا والتفت إلى أرباب الديوان والوزراء
 والأعيان وقال لهم لقد بلغنا المراد وحصلنا على مسرة الفؤاد ثم أمر الرجال
 أن تهيئ الخازن فى الحال لوضع الأموال التى ستأتية من هلال وأن تفرش القصور
 والحارات برسم البنات المخدرات فامتثلوا أمره فى الحال وفعّلوا بكاسم وقد استقبشر
 بدريس ببلوغ المرام وزالت عنه الهموم والأوهام وكتب إلى الأمير حسن بن
 سرحان يعطيه الأمان ويأخذه للعرب بالدخول إلى حلب وذلك على سبيل البيع
 والشراء بدون أدنى احتساب وهذه صورة الكتاب :

قال الملك بدريس يا أجوادى القول حق صادق الانشادى
 يا أبو على أدخل مدينتنا حلب فلكم أمان الله يا أجوادى
 أعطيتكم من الزمام وجرتكم والله شمساهد والنبي الهادى
 يبيعوا بضاعتكم علينا واشتروا روحوا وجولوا بالملا وبلادى
 الأرض أرضكم والبلاد بلادكم أرسلت مع كل الجموع منادى
 هذا كلامى بالأمان فادخلوا والختم من فوق الكتاب شهادى
 كن براحة بال من بعد هنا يا أمير أبو على يا زينة الأجدادى
 (قال الراوى) ثم انه طوى الكتاب وسلمه إلى النجاشى وأمره أن يسير فى الحال
 إلى بنى هلال وسلم للأمير حسن الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وصار

فدخل على الأمير حسن في ذلك النهار فسلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قرأه وفهم خواه فرح فرحاً شديداً الذي ما عليه من مزيد وقام فخلع على التجار وأرسل معه الجواب وهو يتضمن على كلام لطيف ويشكر بدريس على ذلك النصريف ثم أنه علم سادات بني هلال بما كذب بدريس من المقال فاعتزاهم الفرح والطرب بعد ذلك الغم والكرب ومن ذلك اليوم ابتدأت العرب بالدخول إلى مدينة حلب فيشتروا من أهلها البضائع الثينة ويبيعونهم من المسكاسب التي اكتسبوا من كل البلاد والمدن وما زالوا على تلك الحال وهم في انشراح بالحق اقتربت الرعدة ومنعت تسعة أيام من المدة فعند ذلك اجتمع الأمير حسن بالأمراء والسادات الأماجد وقال لهم هذا هو اليوم التاسع ولم يبق لنا إلا يوم واحد فما هو رأيكم أيها السادات الفرسان فقال أبو زيد الرأي أن نركب ظهور الخيل ونسهر في ظلام هذا الليل وأن لا يذهب أحد من العرب هذا النهار إلى حلب خوفاً من بدريس أن يعلم بواقعة الحال فيقبض عليه فيبئنا تقدم له المال فاستحسنوا هذا الخطاب ورأوه الصواب وفي الحال أرسل الأمير حسن منادى ينادى بين جموع العرب أن لا يذهب أحد منهم إلى حلب هذا ما كان من بني هلال وما سمعوا عليه من الفحال وأما ما كان من الملك بدريس فانه صبر إلى اليوم العاشر ولما بلغه بأنه لم يدخل في النهار أحد إلى البلد من عرب الحشائر زاد كدوره بعد الفرح والسرور وخاف من عواقب الأمور فأرسل بعض الخوارج في ذلك اليوم لتكشف له أخبار القوم وكان رجل اسمه المختال وهو ذو فكر واحتيال يخطف الكحل من العين بسرعة اليدين كأنه الثعالب أبو الحصين فخير زيه وتكر حتى لا يعرفه أحد من البشر وأخذ حماراً وحمله من المنقولات والعطريات وجعد في قطع القلوات قاصداً بني هلال بدون إهمال ولما وصل إليهم وأشرف عليهم جعل ينادى ويقول يا معشر العرب معي الملابس والزيب وفستق وكرايج حلب فمن أكل وشرب والتذوا استعطاب وحصل له السرور والطرب ومعنى أيضاً المطر الطيب الذي يصلح لكل حبيب ولم يزل على تلك الحال يصيح وينادي على الرجال وهو قاصد الأمير حسن وفي يده الرمن فانفق أن حانت منه التفاتة إلى وراء فلم ير أثراً للحمار في تلك القفلة فتعجب كل العجب وعرف أنها سرقته العرب فقال لقد سرقته

بعضاعتنا وفقد الحمار منا ولما وصل إلى صيوان الأمير حسن جعل يتجسس
 الأخبار بما أمكن فوجد عنده جماعة من الأمراء المشاهير وهم يتناولون في أمر المسير
 فعرف المراد وأن قصدهم الرحيل تحت ستور الظلام فرجع على الأثر وأعلم بدريس
 بذلك الخبر فعظم عليه وتكدر فقال للخزاعي ومن حضر من الرجال بنو هلال قد خدعتنا
 بالمسكر والاحتياال ومرادى أن يرحلوا من هذه الديار تحت ستور الاعتكاف فها هو
 رأيكم الآن في هذا الشأن فقال الوزير الراى عندى يا ملك الزمان أن أسير بالمرأكب
 والكتائب وأكن أبى هلال فى سهل مراقب لأنه لا بد من العبور من ذلك المكان
 ثم أنت تدركنى بباقي الأبطال والفرسان ونبادرهم بالحرب والصدام من حالب
 وأمام وتبلغ منهم القصد والمرام فاستصوب بدريس هذا الكلام فعند ذلك ركب
 الوزير خزاعي بما نيسر من المسكر وقصد سهل من مراقب وكن أبى هلال فى تلك
 السباسب وكان الملك بدريس قد كتب إلى ولاية المدين والبلدان يطلب منهم أن
 ينجدوه بالأبطال والفرسان فأرسلوا له بالعجل مائتين ألف بطل وفرح واستبشر
 وأمل ببلوغ الوطر ثم دقت الطبول ونفخت الزهور وتقلدت الرجال بالرماح
 والنصول وعليت الفرسان على ظهور الخيول وساروا بالعساكر والشجعان
 فاصدين ذلك المكان .

قال الراوى هذا ما كان من الخزاعي وبدريس وما جرى لهما من الكلام
 والحديث وأما ما كان من بنى هلال فانهم لما أظلم الظلام أمر أبو زيد العرب أن
 تضرب النار أمام المضارب والخيام حتى لا يشهر بهم أحد من الأنام وأن تترك
 الحريم والعيال على ظهور المواجج والجمال ويسيروا أمام الأبطال ففعلوا كما أمر
 وتجهزوا للسفر وسار الخفاجى عامر بخمسة آلاف من الفرسان الشجعان مع
 البنات والنسوان خوفاً من أسكيات الزمان وطوارق الحدثنان حتى وصل بالقرب
 من مراقب وذلك السباسب وعند وصوله إلى ذلك المكان أدركه الخزاعي بالأبطال
 والشجعان وهجم عليه من جانب كل باب ومكان فلما شاهد تلك الحال وهجم
 العساكر والأبطال إلى اليمين والشمال اعتري الخفاجى عامر الانهال وخاف على
 الحريم والعيال فجعل هو ومن معه من الأبطال والنقوا الأعداء بقلوب كالجبال وفى

الحال انتشب القتال وعظمت الأهوال وسجى الدم وسال وكان الخفاجى كما تقدم الكلام من أشد فرسان الصدام فبذل في الحرب غاية الجهد غير أن عساكر الأعداء كانت أكثر فأنصبت عليه فظفر الخراعى واستظفروا ذلك بعد قتلى شديد وهجمات تشيب الطفل الوليد فبينما كان الخفاجى في أشد الأهوال وهو غارق في وسط الجبال وعساكر الأعداء محيطة به من اليمين والشمال وإذا بفرسان بنى هلال قد أقبلت إلى ذلك المسكن وأمامهم الأمير أبو زيد ليث الميسدان وهو راكب على فرسه الحمر وكان قد بلغه الخبر بما حصل إلى الخفاجى فغار في الحال بالفرسان والإبطال حتى أدرك بنى هلال وهجم إلى ساحل الجبال وتبعته العساكر والجنود وقاتلوا قتال الأسود وبعد معركة عظيمة ومذبحة جسيمة خلصوا البنات والنسوان من الأسر والهوان وما زالوا على تلك الحال وهم يجندلون الفرسان والإبطال وإذا بغبار من خافهم قد ظهر وبعد ساعة انكشف للأبصار وبان عن عسكر جرار كعدد رمل البحار وكان عسكر بدريس ملك حلب قد حضر لقتال بنى هلال ليبيهم بالذل والعطب لأننا كنا ذكرنا قبل الآن بأنه قد أرسل ولاية الأمور يطلب منهم النجدة والإمداد فأمدوه بالعساكر والجناد وكانت مائتين ألف مقاتل بين فارس راجل فخرج بهم وقصد بنى هلال وفي قايه منهم نار اللهب وما زال يقطع الروابي والقفار حتى أردتهم في ذلك المسكن وهم في حالة الانتصار فبادرهم بالقتل من اليمين واليسار وفي الحال انتشب القتال وعظمت الأهوال واستمر القتال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فأنفصلت العساكر في كل ناحية وكان بدريس في قلبه لبني هلال نار الاشتعال وذلك لعدم إعطائهم المال وما بدا منهم وبات تلك الليلة في قلق عظيم وغم جسيم .

تمت هذه القصة ويلها قصة أبو بشاره العطار

قصة ابو بشاره المطار

الحاكم على قلعة صوالى وتلك الديار وما جرى له مع بنى هلال.
وأمر حسن دياب وغيرهم وذلك بالسحر والكهانة ومجىء
ابو زيد وما جرى لهم بعد ذلك من الحروب والأهوال

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولأح دقت طبول الحرب
والصفاح فركب الفرسان ظهر الخيول واعتقلت بالرماح والنصول فاصطفت
الصفوف وبرز الخراعى وقال لا يبرز لى سوى أبو زيد المحتال فأنتم كلامه
حتى صار أبو زيد أمامه وصدمة صدمة تزعزع الجبال فالتقاء الخراعى بقلب
كالصوان وأنشد وقال :

قال الخراعى فالحرب مرادى	أنا مريع الخيل يوم الطرادى.
اليوم يا أبو زيد أفنى جمعكم	وأنا غاية مقصدى ومرادى
أقتل حسن أميركم بمهندى	وأقتل عرندس والأمير حماد.
وأقتل دياب الخيل من حاز الملا	وآخذ الخضرأ بضرب جلادى.
والبيض آخذها وأقتل كل من	يوم الوغا عند البنات ينادى.
لانى وزير القوم جئتكم عاجلا	فالقوم تبصر شدتى وطرادى.
وسأخذ الخراى رغبا يا فتى	من بعد طعن يشيب الأولاد.
وأجعل نسائكم خادمت نسائنا	طول الزمان وما لهم من عاد

(قال الراوى) فلما انتهى الخراعى من شعره ونظامه وفهم أبو زيد خوى
قصده ومرامه اغتاض منه الغيظ الشديد فأجاب به هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قال أبو زيد الهلالى سلامه	اليوم تبصر يا خراعى طرادى
اليوم تبصر فارسا ذو همة	وعزيمة أقوى من الأولاد.
لانى ساماك أرضكم وبلادكم	ويطيب فى هذا النهار فؤادى
وحلب سنجعها على جلومنا	من حرب يشيب الأولاد

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام اغتاض الخراعى من هذا

الكلام وصدمة صدمة الأسد الضرع غام فالتقاء أبو زيد بالعجل وانطبق عليه وحمل
 وجري ما بينهما من الأهوال إلى أن سبق منهما ضربتان كأنهما صاعقتان وكان السابق
 الخزاعي فالتقاء أبو زيد بدرقه البولاد فطعهما كما سقط على رقبة الجواد فبراها كما
 يهري الكائب القلم فوق أبو زيد على الأرض وانحطم فأراد أن يجعل فناءه ويعدده
 الحياة وإذا بفارس قد أقبل من وسط المجال وصاح صيحة تزعزع الجبال وانقض
 على الخزاعي مثل العقاب الكاسر أو السبع الحائر وقال ارجع يا كليب الرجال فسوف
 يحل بك الوبال ونضحى قتيلا على الرمال وكان صراخ الأمير دياب فالتقاء الخزاعي
 بقلب كالجبال واشتد بينهما القتال وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وهما في ضرب
 وطعان يحير عقول الفرسان وكان قد اختلف بينهما طعنتان فالتان وكان السابق الأمير
 دياب الأسد الوهاب فطعن الأمير الخزاعي بالرمح في صدره خرج يامع من ظهره فوقع
 على الأرض يختبط بدمه فلما رأت عساكره ما حل بوزيرها من المصطب زادها الغيظ
 والغضب وحملت في الحال على بني هلال من اليمين والشمال بقلوب كالجبال وهم يصيحون
 بالثارات الوزيرة فالتوا قتال الأبطال فالتفتهم بنو هلال واشتبك بينهم القتال وعظمت
 الأهوال وجري الدم وسال وتمددت الرجال على وجه الرمال وما زالوا على تلك الحال
 إلى وقت الزوال فذقت طبول الانفصال فاقتروا عن القتال ورجعوا إلى هلال في فرح
 واستقبال رأما ما كان من دياب ليث الوادي فأنه رجع من ساحة الميدان وهو مسرور
 وفرحان وثيابه كشفاق الأرجوان بما سال عليه من دما الفرسان فالتفته النساء بالفرح
 والسرور والغبطة والحبور وشكروه على ما فعل وقالن لله درك من بطل لقد قهرت
 الغريم وحيت الحريم فلا عدمنك يا فارس الخضراء وإيث الصحران ثم أنه أنزل في
 المضارب والخيام وخلع ثياب الصدام ولبس ثياب البرفير والأرجوان وبعد ذلك
 دخل الأمير حسن فقام له على الأقدام والتقاء بالترحاب والاكرام وأجلسه بقربه
 وترحب وقال له مثلك تسكون الفوارس يا زينة المجالس ومثل ذلك قال القاضي
 بدير بن فايد والأمير أبو زيد الهمام الماجد ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم
 الغفوس الغفت الأمير دياب إلى أبو زيد وأشار يخاطبه بهذا القصيد :

مقالات الفتى الوغى دياب ولي عزم كما الصخر الأصما

ولى همه كهمة ليث هابس أنا الزغبى دياب المسمى
فكيف رماك يا أمهر الخزاعى وأنت أشد قابلا ثم عزما
أيا أبوزيد يا حسن العذارى فلولا ما أدركك أقتلت وغما
ولما قد أتيتك يا سلامة أذقت أنا الخزاعى كأس سما
وما قصدى أمتن فى كلامى لأنك فلقس اليبىد المسمى
أنا ورحى فدا لو وكل قومى لأنك عزنا مهم المسمى
واقتل الملك بدريس باكر وآخذ مالهم والمال حتما
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من شعره ونظامه شكرته الأمراء والسادات على

حسب اهتمامه ثم أشار أبوزيد يرد عليه القصيد وعمر السامعين يزيد :

مقالات أبوزيد الهلالى أيا زغبى جزيت الخير عنى
أبو زيد فاسمع كلامى أنا منك بقيت وأنت مبقى
أنا للميدان عاجل وقد برز الخزاعى قرب مبقى
ضربنى ضربته بالسيف حقا ولولا الترس يازغبى قتلى
فصاب إلى جوادى فى حسامه ترى النوى من نصف منى
وقعت على الوطاو الذهن غائب جفونى بالدموع ففرحتنى
ورأسى طائش يا أمير زغبة فجرحت شفى من فوقى منى
وقد أدركنى يا ابن غانم وفرحت العدا من حول منى

(قال الراوى) فلما فرغ أبوزيد من شعره ونظامه فهم الحاضرين فحوى كلامه
شكره حسن على هذا المقال وقال مثلك تكون الرجال أتوا نلك الليلة فى سرور وانشرح
والبساط وافراح على الانتصار والنجاح ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
استعدت الفرسان للحرب والكفاح فدفع الطبول وركبت الأبطال ظهور الخيول
واعتقلوا بالرمح والنصول ترتيب الميامن والمياسرو اصطفت الجنود وركب بدريس
ظهر الحصان وقلبه يقدح النيران على ما جرى له وكان من الانسكيس والختان لأن برز إلى
ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان وطالب بواز الفرسان وقال من عرفنى فقد اكتفى
ومن لا يعرفنى فما بى خفا أنا بدريس ملك حلب يا برزلى أمراء العرب فما تم كلامه

حتى صار دياب أمامه فأشار بدريس يتهدد بالكلام بهذا الشعر والنظام :
 يقول الملك بدريس قولاً صادقاً إني مريع الخيل في خد الأسل
 اسمع دياب من كلامي وافهم أبو زيد يا مكار صنعت الخيل
 أرسلت أطلب يا حبيب نسائك عشر الغنم والمال أيضاً والجرل
 ولقد بعث ماسككم وأمهكم يطلب المهلة ومثل من مهل
 وحاتم بمنح الليل مع طفلكم أبو زيد يا مكار ياراعى الخيل
 لا بد الفتك في وسط الفلا واذل هذا اليوم من دمر الأمل
 فلما فرغ بدريس من شعره ونظامه أجابه الأمير دياب على كلامه :

يقول أبو وطفا دياب الغانم فيوم الحرب يا بدريس عيّد
 فنحن قد مرونا في بلادك نريد السير إلى الغرب البعيد
 نريد السير إلى أرض المغارب إلى عند الزناتي بالأكيد
 فكيف تريد عشر المال منا وعشر الخيل مع عشر العبيد
 تريد بنات منا مع جواهر فهذا يا ملك عنكم بعيد
 أما بناتنا من كل فارس قواى القلب ذو بأس شديد
 فانزل عن جوادك لا تسكابر فسوف ترى إلى حربي الشديد
 وإلا اقتلك في حد سيفي وتبقى من أهلك فقبيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انحدر بين الصنفين وهجم على
 الملك بدريس على الميمنة وأبو زيد على الميسرة وكان دياب يدور بالخضر اعليه بضربتان
 قاطعتان تهد الجبال الراسيات وكان قد اختلف بينهما طعنتان قاتلتان وكان السابق دياب
 ليث الميدان فطعنه في صدره خرجت تلمع من ظهره فوقع بدريس على الأرض قتيلًا
 وفي دمه جد يلا فلما رأت العساكر ما حل بملكها أيقنت بهلاكها وقلعها ولما صممت
 على القتال وهجمت كليوث الأكام وهى تصبح النار البدار وحملت من اليمين
 واليسار بقوة وانحدار فالتقتها بنو هلال في الحال واشتبك الفرقةين للقتال وعظمت
 الأهوال وجرى الدم وسال وتقطعت الأوصال ومزلزلت الأرض من ضجيج الإبطال
 وقمعت النصال وما زالوا في عراك وقتل يهيب الأبطال إلى وقت الزوال فعند ذلك

تأخرت عساكر بدريس وقصدت مدينة حلب خوفاً من الهلاك والعطب فتبعها أبو زيد والأبطال والفرسان فلما رأيت ما حل بها من الهوان طلبت لانفسها الامان عندما بلغ أهل المدينة بما جرى كانت خرجت الأكابر والاعيان والتست من أبي زيد أن يعفو عنهم ويعاملهم بالفضل والإحسان فأجابها إلى ذلك الشأن بعد أن استشار الأمير حسن بقتله بدريس ملك حلب زال عن بني هلال العنا والكرب وطابت لهم الاوقات وحصلوا على الافراح والمسررات وكان له بدريس وله حميد الخصال مدوح من كثر الرجال اسمه جمال فلما قتل الملك بدريس وحصل ذلك الانكيس خرج الامير جمال في جماعة من الأبطال ووقع حسن السيد ابن هلال فأجابه الامير حسن ومال قلبه اليه وقد شفق عليه فأقامه ما يسا مكان أبيه وأمر أهل المدينة أن تطيع أوامرهم وأقامت بنو هلال في تلك الاطلال نحو عشرة أيام في أكل وطعام وشرب مدام وسباع أصوات الانام وفي اليوم الحادي عشر تجوزت للرحيل والمفرقة دق طبل الرجوع تنبيه للعسكر وفي الحال هدت الخيام وركبت فرسان الصدام وسارت النساء والبناات في الهوادج والعمارات وركب أيضاً الأمير حسن وباقي السادات ورفع على رؤوسهم الاعلام والرايات وجدوا في قطع البراري والغلات كأنهم ليوث الغابات هذا وقد اشتد ظهورهم وزاد قدرهم ونفرهم بما شيدوا لهم من الشرف والمجد بعد رحلتهم من بلاد نجد وذلك باستظهارهم على الملوك والمظام بقوة الحبيب والصدام وهما الزاوية قطعون الروابي والآكام مدة ستة أيام على النمام والسكالم حتى وصلت إلى مدينة حماة فنزلوا على نهر العاصي ولم يعترضهم أحد لا داني ولا قاصي لأن أهل البلد كان قد بلغهم ما جرى على أهل حلب من النكد فخافوا عواقب الأمر واثارة الفتن والشرور فاستقبلهم الملك بالإكرام والوقار والاحترام وصار لهم من جملة الأهوان والأصحاب والخلان قال الراوي ومن الأمور الغريبة والحوادث العجيبة وهو أنه كان بمدينة حلب تاجر اسمه كساب وكان من أشهر الناس ومن أتباع صاحب جزيرة قبرص الملك اهراس قد حضر إلى تلك المدينة وكان يتاجر البضائع فانفق أنه لما قدمت بنو هلال إلى تلك الديار ونهبت أموال له جملة الأموال فشكى للأمير دياب وأعلمه بذلك المصاحب وطلب رد أمواله التي كسبها بنو هلال فلم يستفد والا حصل على ما يريد فترك حلب ونجا بنفسه وهرب خوفاً من العطب وقصد الملك اهراس دون باقي الناس

فدخل عليه وشكا اليه وبكى بين يديه وأعلمه بالحالة وما فعلت بنو هلال به فاغتاظ الملك غيظا شديدا عليه من مزيد لانه كان يحب كساب فأوعده باحضار دياب وكان عنده ثلاثة من أصحاب حبل وخداع وكانوا من جملة محافظين المدينة فأحضرهم اليه وأعلمهم بواقعة الحال وقيدها بالاموال وطلب منهم أن يسيروا مع كساب ويأتوا بالامير دياب فقالوا سمعنا وطاعة وغيروا ثيابهم وساروا بالموالك من تلك الساعة وصحبهم هذا يا وعند وصولهم إلى اللاذقية نزلوا في المدينة وجعلوا يتجسسون أخبار بني هلال وعلما أنهم في حارة اللال فعند ذلك ركبوا وساروا تحت جفج الغلام إلى أن وصلوا إلى البلد ولم يعرفهم أحد ودخلوا منزل دياب وصحبهم الهدايا مثل سيف مع قرب وخنجر كافضة جوهر وأبريق فضة وثلاث ممالك يساوي ألف دينار وغير ذلك من الأشياء الثمينة فلما وصلوا دخلوا على الأمير دياب وسلموا عليه وقدموا الهدايا فترحب غاية الترحاب وسألهم عن حالهم فقال له كبيرهم إن سألنا عننا يا أمير نحن تجار وأخوة ثلاثة وجينا في تجربة عظيمة وتركناها في اللاذقية خفنا من الطريق وحذرنا كل صديق ومرادنا بعيدا من هذا الطريق وعند ذلك سألوا ثلاث منح من الجواهر الثمينة التي تدشش الأبصار وتخير الأفكار التي ما شاف منها سالف الأعصار وقالوا له هذه الأولى إلى الأمير حسن والثانية إلى الأمير أبو زيد والثالثة إلى القاضي فقال دياب ومن هؤلاء الذين تقول عنهم وكانهم من تحت يدي فقالوا نحن أتينا عندك الذي تريد أعطيه والذي ما تريد لا نعطيه فقال لهم نحن ما ندري لاحدكم لئلا يقوموا بإحقة وأقال كبيرهم نحن نهار ولا أحد يجلب منا جرمنا أو معنا مركب موثوق خلاف ما بعناه نحن كل سنة ثلاثة مائة نبيع ونشتري ونكسب النصف في بضاعتنا ولا نهمي طريقنا إلا على حالب وكان اللعين بدريس يشتري هذا ما يلزم من البضائع كل سنة وقد أتينا هذا المال على حسب عادتنا فلم نجدوه وقد وجدناكم ناهبي على حالب فساأنا بعض المسافرين فأخبرونا عليك بأنك قتلتهم وملكيت بلادهم ففرحنا وأسر قلبنا وانشرحنا بقلنا أن ذلك الملعون أخذ منا عشرة آلاف دينار وهذا غير عشرة آلاف ثانية فقلنا من شدة فرحنا تقدم لك هذه البدلة حيث أنك قتلت هذا الملعون الخبيث ونحن أتينا اليك ما ألفا ونوالنا الذي كان تحت يدنا فهو اليك وهذه البدلة متاهدية اليك مم طلعو مال

هل اعجبتك فقال لهم نعم قالوا نحن ما جئنا اليك إلا لاجل أن نهديك بها ففرح بهم
فرحاً شديداً ثم التفت إلى التاجر الثاني وسأله ما اسمك قال منذر ثم التفت إلى التاجر
الثالث فسأله ما اسمك فأجابه نظرون العقيلي فقال لهم إن كان متاجركم تعوز مائة
جمل أعطيها لكم اسكن إن كان مرادكم أن أكون لكم حى من المصريين واغفركم
إلى أرض تونس الغرب ثم قال لهم قوموا بنا سيروا إلى المركب حتى أنظر متاجركم
وأشوف الخولة كم جمل تحتاج حتى أرسلهم لكم مع عبدى فدخلوا معه بالخداع
وقالوا تريد أن تدهر الناس ونحن نريد أن لا يطلع على سرنا إلا الله وأنت يا بوموسى
لأن العرب متى رأوا متاجرنا يطعمون فينا ويغيروا علينا فيقع الخلل بيننا وبينهم
وينشب القتال فنكون نحن السبب في هذا الشر والتكد فلما سمع منهم هذا الكلام
قال أنا أسير معكم وحدى وما آخذ معى أحداً من أهلى وجندى حتى أنظر ما ذكرتموه
لى فقالوا له سر على بركة الله تعالى فركبوا الثلاثة هجنهم وركب الأمير دياب أيضاً وساروا
خوفاً من أن ينظرهم أحد لئلا تظهر حيلتهم ويذنبهم سائرين وإذا بالأمير عمار أخو
الأمير حسن التقى بهم فلم يعرف منهم سوى الأمير دياب فقال يا ابن غانم إلى أين سائر
مع هؤلاء القوم فأجابه هؤلاء ضيوق وموصام خوفاً عليهم من سفهاء العرب فقال
فريد أذهب معك فأجابه أرجع أنت فى حالك لا تنصب ذائقك وتسير معى فسار الأمير
عمار إلى منزله وأما الأمير دياب فانه سار مع أصحابه من العشام إلى ثانى يوم الظهر حتى
أشرفوا على البحر المالح فسمع دياب صوت دوى الماء مثل الطبل فدخل عليه الوهم
وقال فى بالله الله أعلم أن هذا الثلاثة خائفين لأن عيونهم ملانة بالغدر وهذه علامة
الغدر فأراد أن يرجع من وقته ولا بد للمقدور من نفاذه ولما رآه الثلاثة قد تغير
وفى سيره قد تأخر قال له أما تنزل معنا فى البحر فاجابهم إن نزولى معكم فى البحر
ما هو ضرورى وإن كان كلامكم صدق أنزلوا وهاؤا ما قلتنلى عليه وأنا ما عدت أخطى
ولا خطوة واحدة ثم نزل عن الشهما ومسك سرعه بيده اليسار والسيف بيده اليمين
ووقف ينتظر فتركوه ونزلوا إلى البحر حتى أتى إلى الغليون وجابوا له خيمة من
الحرير الأصفر وتلك الخيمة مكاة بالدور والجوهر والياقوت والمرجان والزمرد
الأنضر فلما رأى دياب تلك الخيمة وفرشها الذى يدهش تعجب غاية العجب وظن

أن كلامهم صحيح ودخل معهم إلى الخيمة ودخلوا يتحدثون وأتوا بالماكل والمشرب
وفي الحال جابوا السلاسل قيده ونزلوا إلى المركب ورفعوا المراسي ، وألقوا
ولما قطعوا مسافة طويلة أعطوه ضد البنج ففاق فوجد حاله مقيد بالسلاسل والتفت
يميناً وشمالاً فلما نظر الجماعة كانوا في ملابس بيض يلاقيهم في برانيط سود تعرف
أن الحيلة تمت عليه فتمهدوا للشد يقول :

يقول الزغي دياب ابن غانم	بكيت على حالي وأنا مأسور
بكيت على جاهي وعزى وهيبتي	وأنا فوق يخني جالساً مسرور
ومن بعد عزى وارتفاعي وشمختي	بقيت مقيد بينكم مأسور
وخنتوني لأعمر الله دياركم	وبعتون أنما نالنا وستور
يارب يا رحمن يا سامع الدعاء	يا من تسبح له شجر وطيور
يجيني أبو زيد الهلالي سلامة	يخلصني من كل هلاك وضرور
ما قال الفتي الزغي دياب الغانم	دعني الليالي والزمان غدور

فلما فرغ دياب من كلامه ندم على فعله لم قالوا له لا بد من قتلك واتلاف مهجتك
وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا جريرة قبرص وطلعه مقيد وأدخلوه إلى عند
الملك هراس وكان عنده جماعة من الناس فقرح الملك به الفرح العظيم وألقاه تحت
العذاب والستر الأليم هذا ما كان من دياب وما جرى له من الأحوال والعذاب وأما
ما كان من بني هلال فانهم كانوا كما تقدم الخبر في فرح ومسرات والهدايا تأتيهم
من جميع الجهات فبينما هم في بسط وأنشراح إلا والخضرا قادمة مثل هبوب الرياح
وهي كثيفة حوزينة هل فقد خيالها الأسد المهاب الزغي دياب فأول ما نظرته بنته
وطفا طار الشرر من عينيها فصاحت وولوت فترا كض جميع الفرسان والأبطال
على صاحبها وفي ذلك الساعة صار ضجة عظيمة ما صار مثلاً في سائر الزمان هذا
ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير حسن فإنه قال لأبو زيد أن دياب صار
له مدة ما حضر لعندنا وأظن أنه مختاظ علينا لأننا ما خيلناه ينهب حلب فقال
له أبو زيد قم نزوره ونشوف أموره لأن دياب لو كان حصل له شيء ما كان
طول علينا كل هذه الغيبة فن ساعتهم ركبوا على ظهور خيولهم ومعهم القاضي بدير

ساروا تحت منازل دياب سمعوا البكاء والنواح في جميع الجهات ولما نظروهم الامارة
تقدم غانم أبو دياب وهو باكي العين زايد الانتحاب وأشار إلى الأمير أبو زيد
بهذه الآيات يقول :

يقول الفتى غانم على ما جرى له ودعوى جرى فوق الخدود سكيب
دياب يا عيني ويا نور ناظري سقاه النيا كأس المنون عصيب
تفرق شلى بعد ما كان مجتمعا غدوني زمانى والزمان عجيب
أنا ضيوف قاصدين بلادنا على ظهر خيل مثل ريح هيب
فأضافهم ولدى وقام بجمعهم يرحب فيهم غاية الترحيب
فقلبي يحدنى يقول لى فما هم إلا من أهالى الصيب
أبو زيد قد امك أبو زيد غانم أبو زيد قد امك حزين كتيب
أبو زيد لك من المال جملة الفين سرية والفين جنيب
تعرف سموده والنحوس طالمه وعلى العراية وكل فن غريب
وحقى عليك اليوم يا أبو غنيمر دخيل أنيتك من ضيف غريب
ما قال الفتى غانم على ما جرى له وما اليوم أصعب من فراق حبيب
فلما فرغ غانم من كلامه رسمع الحاضرين خوى شعره ونظامه حزنوا على فقد
دياب واستعظموا ذلك المصائب ثم التفت الأمير حسن إلى أبو زيد وقال له حط
هذه الحكاية وما أحديت قصها غيرك فالتفت الأمير أبو زيد إلى عبده أبو القمصان وقال له

قال أبو زيد المسمى جميع الشورى لنا ردى
حسن وبديروا بالدكنا مفرج فى البعدى
حسن يا ناس شديد البأس فهو رأس وأنا سندی
أبو القمصان أسرع جريان إياك تهان على العبدى
هات الرملين مع الشكلىين شرح الصدرين لنا يهدى
لأجل دياب قاي ذاب كما القصاب على الزندى

فلما فرغ أبو زيد من كلامه راح العبد وجاب الرمل وأعطاه إلى الأمير أبو زيد
فأخذه منه ورمى الأشكال فبان له أشكال النحوس وعلى دياب الغال معكوس وهوى

غريم دياب شاف الامر أبو زيد هذا الحال بكي كل من كان حاضر فقال له حسن
 لماذا يا أبو زيد بكيت وبكيتنا معك فأخبرهم أن دياب في قبرص عند الملك هراس
 وهو في السجن يقاسى أنواع العذاب فلما سمعوا هذا الكلام صاح الجميع عن فرد اصان
 مالنا سواك يا شيبان لأنك مفرج الهم فقال لهم سمعوا وطاعة وتجهزوا لسفر وأخذ
 عشرة فرسان من الفرسان الشهيرة وودع الامارة والسادات وركب ظهر الحصان
 وصار يقطع البراري والفلوات وما زال سائرا حتى وصل قبرص بقاب مثل الحديد
 إلى أن وصل إلى باب المدينة فرأى الهراس خارج بجماعة إلى الصيد والتقنص فعرف
 أبو زيد أنه الملك فتقدم إليه بقاب أقوى من الصوان وسلم عليه بأفصح اسان وسحب
 المبخرة وحط بخور فعقد الدخان وقال له هذا البخور من دير الحبران وطلع
 ثلاث شمعات وقال له خذ هذه من دير البنات ودير الخيرة المباركات فقال الهراس
 وقعت يا أبو زيد وكيف خلصت وأنا مربوط عليك الطرق فقال سلامة لا نقول هذا
 الكلام باملك الزمان أنا خدام الملك مثقال ولي مائتين عام سابع ما خلعت ديو
 ولا صومعة ولا مجلس وإنك التأت على دياب رأسه لا نه قتل بدريس فقال الهراس
 يا راهب أما دياب فقد مسكناه في الحديد رميننا ولا يكن يهيا في عليك أمت بعينيك
 منقال فقال أبو زيد أي وحق الإله المتعال فعندما أخبروه والهراس كيف عمل في
 دياب فقال أبو زيد شاباش لك من هذه الحيلة التي تعجز عنها أعظم الرجال ثم أنهم
 دخلوا إلى الديوان وأمر أبو زيد بالجلوس لجلس للطعام فأكل ثم بدأ أبو زيد
 الملك حديثا ما سمع مثله في طول عمره حتى ولا من العلماء والفلاسفة فسر منه جدا
 وادى في أكابر ديوانه بأن يكون أبو زيد الكبير فيهم جميعا فتقدم كبير الرهبان
 كان حاضر ضرب الرمل فعرف أنه أبو زيد فقال الجميع هذا كبير ذا تغلب يكون
 اتغلبنا وكان يسمى أبو برناس فتقدم لعند أبو زيد يقول :

قال الراهب أبو برنامي	اسمع قولي يا قاضي
أنا لك ضد جهل وجد	وحق العهد وأبو شماس
دخلت المسكر وبهر الفسكر	وماء السكر وأم الناس
وما المسكروم وما الخزوم	وما المنصوص بغصن الآس

وما البنين لهم بعلمين	وما الشخصين وما الرفاس
وما المحروم وما المطروف	وما المعروف وما الجلاس
سؤال حيت إن كنت لبيب	بلا تعجيب وما ملاسى
ود سلامه يا جلوس	أنتم ملوك خيسار الناسى
كونوا شهود على الراهب	شهادة حق بغير أكاسى
وشوفوا السيد من الخادم	وابن اللاس وابن الناسى
وأما المسكروه وأما المحروم	وما لقوا إبليس وخامسى
أما المقهوم جناف النوم	وليس يروم لجنفه نعامسى
أما البنين فلم بعلمين	بيد شيخين روى نعامسى
أما المقروف إبليس يطوف	له شرشوف قن الناس
وأما المحروف خليل الله	أما الظروف الخضر العباس
أما الهرجوس لنا جاسوس	حاسد وتغوق خفيف الرأس
أما الرادى نسيم الريح	أما السكادى عقرب السكاس
أما الشافى دنياه النفس	من المسكر نسيم السكاس
فهي حواء خلقت كالبدن	بوجه مغر كالقياس
آدم قام يريد لها	أناه الروحى بلا قرطاس
سلامة قال نركى الخطر	شرحت سؤال أبو بوناس

فلما فرغ سلامه من كلامه تعجبوا الحاضرين من فصاحة لسانه فما بقى عند
 الهراس أكبر منه وقال تمنى على ما تريد يا سلامة قال له أريد أن ترينى دياب حتى
 أشفى قلابى منه بالاعذاب فأمرهم بما قال فعند ذلك قاموا فى مساعته وأخذوه والسمع
 قدامه أشعلوه وساروا حتى وصلوا إلى السجن فأدخلوه ولما شاف دياب فى هذا البلاء
 والاعذاب كل عن الصواب وتقدم إلى عنده ورفع يده وضربه كف طير الشرر من
 هيئته فنألم دياب وصاح الله يقطع يمينك فقال له وأنت الله يقطع عمرك من هذا
 السجن فم أنه خرج من عنده وتوجه إلى عند الهراس وقال يا ملك الزمان هذا دياب
 ما بقى يشقى قال الهراس كيف يكون الراى عندك فقال يا سيدى فكك من الحديد

هو لبسه شيء جديد وطلعه إلى القصر وأطعمه دجاج وخبز كان حتى يسمن ويعود
 يصالح العذاب فقال الهراس اطلعه فطلعه وعمل ما فيه مثل ما قال الراهب سلامه
 وقال دياب من ساعة لساعة يصلحها رب الأرباب وأما أبو زيد لم ينزل إلى دياب
 الاكل على أنتم المراد وكان مراد أبو زيد أن يرد دياب إلى حافية لأنه قد أسلا
 من كثرة الجوع ولا عاد عنده القوة ولا حيل قال واستقام أبو زيد عند الهراس
 فلا يغلب عليه أحد من الناس فسمع راهب من الرهبان وكان يسمى مغلوب ابن
 توما فركب وأتى إلى عند الهراس فلما وصل إلى المدينة قامت الضجة وقالوا يا ملك
 أتاني مغلوب بن توما فركب الهراس ولا فاه وسلم عليه فما رد سلامه قال له لماذا
 يا سيدي ما ترد سلامي قال كيف أرد سلامك وعدوك أبو زيد عندك وأتى إلى
 هذا الدالي لأجل خلاص دياب المغوار فقال الهراس أن لا آخذ أمد ظم وعدوان
 فقال مغلوب هذا يتكلم بالسمع لغات ويصيح حاله سبع صبغات لأنه غضبه من
 الغضبات وأنا مالي معه غرض واسكن غيرة وحبية وأخاف أن يقتلك ويخرب بلادك
 فقال له الهراس اذهب معي ياسيدي إلى الديوان شوفه فساروا إلى الديوان ولما
 دخلوا التفت الهراس إلى الراهب سلامه وقال له أنت أبو زيد صاحب المكر والسكيد
 أتيت تفك دياب من البلاء والعذاب وحضر من يعرفك وجيت سحر تبا بمكرك
 فقال سلامه من الذي حضر يعرفني فقال له مغلوب يعرفك وهو عالم بلادنا وخطيب
 هيارنا فما أنتم كلامه الهراس إلا والراهب سلامه بكى بكاء شديدا وقال يا ملك
 ما دام كل من أتى إليك تسمع كلامه أنا بقي لي عندك قعود وأشار يقول :

قال الراهب سلامه يا ملك	اسمع كلامي وأنت قاهايدها السؤال
من عند مثال ثبت لعندكم	وردت قبرص والسهول من الجبال
وجيت إل عندك وأكرمتني	وأعطيتني كل المواهب والأموال
وعلى الجميع قد رقيتني	وجعلتني ملك أحكم بالرجال
إذ قال أكيد هذا أبو زيد الذي	يحكمون من جبال إلى جبال
هابه وخايره وأثبت شاهده	والحق ما يخفى عن أهل السكال
أنهم لم معي ما تريد وتشتهي	وعواذ شيعني عن درس الجبال

وان كان ما يثبت ويطلع كاذب من أين من أنى إليه أبو زيد الهلالي
 وأما ورائي ألف عايد ساجدين ما كولهم عشب الفلا ثم الزلال
 وصايين الدهر عن كل النخيل ما يعرفون النخيل أيضاً والجبال
 فلما فرغ من كلامه قال المراس تحقيق هذا فعل الشيطان قوم روح إلى عند
 مغلوب هذا وهما في الكلام إلا والراهب داخل عليه قاموا له وسلم عليهم
 فردوا عليه ثم التفت إلى من حوله وقال هذا الراهب سلامة قالوا نعم قال لهم
 من أين يا راهب قال من بيت المقدس قال أول كذب وأنا لي أربعين عاماً في
 بيت المقدس ما سمعت عن الراهب سلامة قال أبو زيد أنا مثل ما يدخل جدولا
 بأى عمار أنا كنت سايج في رؤس الجبال قال له قطعت يدك يا محتال ولكن
 أقولنا لا نهيل فقرأه فقال له أقولنا المزامير فقرأه فقال السواعي وغيره والكتب
 فقرأها في لسان مثل المبرد فتمجّبوا الحاضرين منه غاية العجب قالوا مسلم
 لا يعرف يقرأ كل ذلك قال لهم مغلوب هذا يعرف السبع ألسن يقرأ فيهم
 وأشار يسأل ويقول :

قال مغلوب أين نوم الموجف	ألم كلامي يا سلامة وافهمي
قد جيت تأخذ بمكرك	وتروح إلى أهل وعنا تطاعى
إن كنت راهب في مسائل	إن كنت شاطر لا تكون مصبى
اخبرني كن شجرة طويلة فروعها	وبها عمار مثله ومربى
واخبرني عن شيخ مصل دايما	مفطر ولا يدخل لمعبد يركعى
رد الجواب إن كنت عارف راهب	وللا لتوبك والبراس اقلعى
اليوم يا أبو زيد لا وريك العجب	عن كل مسألة بها لا تسمى
هذه مسائل ابن توما ردها	ارمى السبك ثم قوم واطلعى
رد الفتى الغريب المسمى سلامة	أصل من قدس الشريف موضعى
وأنت ترمى لنا مسائل مثل معجزة	عندك ولكن عندنا لا تسمى
صبيها بالقدس قد بلغوا فيها	ومشهورين بين النساء يا عدعى
تقول عن شجرة كثيرة فروعها	آدم وحواء الشيل منهم منزعى

تقول عن نور بضوء فوق الدجى فوق الظلام والظلام يفرقي
 هناك نور الصبح لما انقضى بعد الظلام بسرعة يتفرقي
 تقول عن شيخ مصلى وصايم مفطر لا يدخل لمعبد لا يركعي
 هذا طير الليل دائما ساجد صايم يأكل دود ما يترجمي
 وتقول عن حرمة تمصيح بصوتها الحق تنوها ولا يها ترعي
 هتيك دنيا تحول وتنقلب وتميل مثل الساع ما يترعي
 هذه رموزي قد صرحت فصولها أخبرني عن خمسة وستة وأربعة
 خافوا من الصخر الأصم جميعهم ما كان لهم نار تهب وتلمعي
 وأخبرني عن حرمة توقع بعلمها ألفين مرة بفر يوم وتكلمني
 ونجوا أولادها ما يشوا صفوا والشخص منهم للقلوب يروعي
 وأخبرني عن أربع بنات بكر من شافهم فوق الوطى يتضرعي
 وقال لي عن نفر نفير ومنفر والكبر والكارين بيطلمي
 وقال لي عن شلا وشل وشلة والنحط والناحوط والمترجمي
 والزهل والزهل أين مكانهم والسبط والنبطان والمتزعزي
 رد الجواب إن كنت عارف قائم وإلا قم من قبالي وإطاعي
 فلما فرغ من كلامه تعجبت الناس من فصاحة لسانه وعلمه وبهائه وأنا من منظور
 قال الملك علامك ما ترد جوابه وقد أرميت عليه مسائل ردها قال يا ملك أنا ما قلت
 لك هذا نعمة من النفات ولكن هذا أبو زيد اقتله وإن أردت أبقيه فقال له الهراسي
 كيف تكون يا راهب سلامة فقال يا ملك الليلة مسى المساء واسكن أبقيا إلى الغد
 وأنا الليلة اختلي في ذاتي مع سادتي الدين ربوني من صغرتي وما أظن أنهم
 ينسوني ومن هذا المشكل يخلفوني غدا أخبرك وانقبض الديوان وتوجه أبو زيد
 واختلي بنفسه ثم احضر دهن السندل ودهن به جسمه وإذا لمس النار ما تؤذيه
 وبات إلى الصباح وطلع الهراس وانكف عليه الناس قال الهراس كيف رأيت
 يا سلامة فبكى أبو زيد وقال وحق العمامة آتاني أربعين عابد وكل واحد طول
 أربعة رجال وعمرهم ما تركوا الصلاة وهم في أقطار الأرض طائرين ينظرون
 (٨ — تغريبة)

لحال المساكن حكيت لهم عن مغلوب خلفوا لهم لابد أن يهرقوه وحكيت لهم
 فقتلك باركوا لك في طول عمرك وكل واحد أو هبك من عار حام تمام فقال له الهراس
 جواك الله عنا كل خير لانه زاد في عمري أربعين عام هذا في اليلة أو في المنام
 وكيف قالوا لك أن تفعل فان قالوا لي خلى الملك يوقد النار في الفرن ودخل الفرن
 أنت ومغلوب والذي يكون غاطان نحرقه بالنار قال الملك ماذا تقول يا مغلوب قال
 يدخل النار قبل هذا الشيطان المسكار قال سلامه نعم أدخل قبله وأمر أن يوقد الفرن
 فأوقدوه حتى صار جمراً أحمر ودخل أبو زيد الفرن من بعد ما تلا اسم الله الأعظم
 فعاثت النار باردة باذن الله سبحانه وتعالى العزيز الجبار فنزل الهراس بعد ساعة
 وجهه جالس كأنه في روضة خضرة فقالوا ادخلوا مغلوب فقد موه وصرخ صوته من
 صميم فؤاده فبديده أبو زيد وساقه حتى نثره حتى صار داخل الفرن فأحترق وقضى محبه
 أما أبو زيد فطلع سالم فصار الموجودين يتباركون به وأما الهراس فإنه استعقد فيه
 العبادة وصارت قهيلة الذنورة باكر وعند الغياب تخيلهم حتى تقتلهم شوبة فجمعوا
 الأسماء من جميع البلاد وإذا هم اثني عشر ألف أسير فوضعهم في مكان حصين
 وفي الليل قام أبو زيد وأخذ شجرة ودخل على دياب يلاقيه فيهم شديد ولكن
 فيهم واحد أطول من الكل اسمه عمر وكان من بلاد الشام فلما شاف سلامة قال
 آه يا ماعون على ما أكون مطاوق السواعد فقال له سلامة ماذا يطالع بيدك ثم تقدم
 اليه وأطلقه وقال له دونك وعما أنت طالبها أنا أمامك فاستعد وانطلق على
 أبو زيد فالتفاه كالأسد ومد يده من وسطه ودفعه على رأسه وخبطه بالأرض قام
 يدخل طول بالعرض وقال كيف رأيت نفسك ثم عني عذا فلما فرغ أبو زيد فرح
 هباب فرح شديد ما عاياه من مزيد الأسرى يدعو اليه بالتوفيق ثم أخذهم إلى الزدخانة
 فأخذوا منها ما يحتاجون ثم أن أبو زيد أرسل عمر مع الفين من الشباب وربطوا
 الطريق والأبواب ورفق الباقى في جميع أنحاء البلد وأخذ معه دياب وألف فارس وسار
 نحو السرايا ودق الباب فدعاه الحارس فقال أبو زيد أنا الراهب سلامة ففتح ودخل
 الأمير أبو زيد وضربه بالسيف قطعه نصفين ودخل على الهراس مع رفقاءه ثمة نايم
 على فراشه فرفسه برجله ففارق وفتح عيونته يرى الموت الآخر فوق رأسه فقال من

أنتم يا قوم أبو زيد أنا الراهب سلامة أسمع أبو زيد قال الراوى فما أنتم كلامه
إلا وأشهر دياب حسامه وضربه على هامه رمى رأسه قدماه وأخذ أنفاسه ثم تفرقوا
في الأسواق والأزقة وحملوا السيف بمن لم يطلق حتى قتلوا اثني عشر ألفاً وباقي الناس
طلبوا الأمان ووضعوا المحارم في رقابهم فعضوا عنهم وطلع منادى ينادى في الأمان
وجاء أبو زيد في الديوان واتي عنده الأكابر والأعيان بين أبو زيد ونوفل إشارة
وكانت مراكبه دائماً في البدر فرفع أبو زيد الإشارة فخالا تقدم نوفل بركبه نحو
البنط وصعد إلى البر فذهب أبو زيد ودياب لا قوة وسلما وعليه ورجعوا به إلى الديوان
والتفت أبو زيد إلى الحاضرين من أعيان البلدة وقال لهم قد وليت أو قل حاكم عليكم
ولا أحد منكم يخاف له أمر فلما فرغ أبو زيد من كلامه شكره على مقاله ودخلوا إلى
دار الهرامس وجدوا المال الذي فيها لا يبد ولا يمحى فأخذوه ووثقوه في المراكب
وودعوا نوفل وسافروا بعد ثلاثة أيام ووصلوا إلى دير اللاذقية فأرسل أبو زيد من
ببشر الأمير حسن وبنى هلال بقدمهم فقامت عندهم الفرحات وعلت الصيحات
ونغرطت النساء والبساتين ودقت البوابات وركبت الأربع كرات والامارة والسادات
وساروا حتى وصلوا العندهم فلما وقعت العين ترجل الفريقين وسلما على بعضهم البعض
سلام الأحباب فهنوهم بالسلامة ثم حملوا الأحمال رساروا وأما الأسارى ماشيين
على عرصة قدام الأمير أبو زيد إلى أن وصلوا إلى الخيام فقامت بينهم النساء والبساتين بالزغاريط
والنوبات وهنوا الأمير دياب بخلاصه من الأسر والاعتقال وشكروا الأمير أبو زيد
على حميد أفعاله والحصول وصرفوا ذلك الهار بالفرح والسرور والغبطة والخيور
وعمل الأمير حسن في اليوم الثاني وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وما زالوا على تلك
الحال وهم في أرغد عيش وأنعم بالعدة عشرة أيام وبعد ذلك سمعوا على الارتحال
من تلك الاطلال فهدت الخيام ونشرت الرايات والأعلام وركبت السادات ظهور
الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وركبت النساء والبساتين في الهوادج والعماريات
وجدوا في قطع البرارى والتملوات طالعين أرض عيام حتى وصلوا إليها بعد أيام
فغضبوا المضارب والخيام ورفعوا الأعلام .

قال الراوى لما رجعوا بنو هلال من قبرص واجتازوا في طريقهم مارين التفت

حسن بن سرحان إلى الامارة والفرسان وقال لهم يا قوم مرادنا هذا اليوم أن نذهب إلى الصيد والغنص وانتاب الله والفرص فإذا أنتم قائلون فقالوا نحن لك مطيعين ثم في ساعة الحال نهض الأمير دياب وبدير وساروا مع حسن يحدون السيروسا بقون بمسيرهم الطير وما زالوا سائرين من مكان وهم يطاردون الأراب والفرلان حتى وصلوا إلى أرض يقال لها قلعة سوا كن فبيداهم على هذا الحال وإذا لا فاهم رجل عطار ذو هيبة ووقار قدمه حمار واضع عليه العطار فلما أقبلوا سلموا عليه فمرد عليهم السلام بل أنه قال لهم وقم يا أرباش لا بد ما أفتلكم وأريح الدنيا منكم ثم تقدم إلى حسن وقال له ويالك إلى أين سائر في هذه الاطلاع أنت ودياب وبدير أبناء السكالب والله لا عذبكم أليم العذاب (قال الراوى) فلما فرغ أبو بشاره العطار من كلامه والامارة يسمعون كلامه قال حسن اسمعت قطع الله لسائك فغنه ذلك صاح القاضى بدير وارتمى على أبو بشاره وأراد أن يفتك به فصاح به أحمد بالقنطرة فلما أتم كلامه حتى ارتخت أعضائه وكذلك حسن صار فيه قتاله فلما نظر دياب هذه الاحوال حمل منه وصاح فيه اليوم يومك يا ابن اللثام ثم أنه قوم الرمح السام وقال له خذ من دياب الاسد الربال فاراد أن يطعنه فلما نظره نفسه إلا مكتف مكشوف الرأس بلا لباس حافى القدم فعند ذلك صاح فيهم ومشى أمامهم فتبعوه مثل الغنم وكل منهم صار في حالة العدم

قال وما زال سائر فمهم حتى وصل إلى قلعة سيهون فاحتضرهم قدامه وأراد يستقيهم كأس المنون وأدخلهم إلى السجن ووضع لهم الحديد والأغلال وقال لهم ما بقى لكم خلاص من ضيق الافقاص قال الراوى هذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من أمر أبو زيد فإنه كان غائب في الصيد والغنص فلما رجع إلى الاطلاع ما وجد من والابطال فسأل عنهم بعض الرجال فقالوا ساروا على الصيد والغنص ولهم في تلك البرارى والايام وهذا ما نعلمه يا ابن السكرام

قال الراوى يبيهاهم في السكلام وإذا بالذين كانوا مع الامارة شاردين في تلك الايام فسأهم أبو زيد عن حسن الامارة فاعلموه بهذه الاشارة فلما سمع أبو زيد هذا السكلام غاب عن الصواب وصار في حساب رأمور صعاب وسفر ساعة من الزمان

ثم انفتحت الى الامراء والفرسان وقال لهم كيف يكره عندكم لرأى فة الواله الراوى وايمك
ونحن ما عندنا رأى فقامت أسماء دلال بالصباح والبكاء والزواح من كل جانب وباتوا
فى هم وغم شديد ما عاينه من مزيد (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء
بنوره ولاح واجتمعت بنو دلال عند أبو زيد وقالت ما هذا انصاب وما يكون
عن الجواب قال لهم قوموا بنا فى ساحة الحمال ندر عليهم فى البرارى ونفحص عن
هذه الاحوال فبينما هم كذلك وإذا برجل صابرى تلك الدكادل فساروا اليه فسلموا
عاينه فردع عليهم السلام بكل أدب واحتشام فقل له أبو زيد يا بالارب وصاحب الفضل
والادب أنت من أين والى أين فاصد فقال له يا أمير أنا كنت فى صهيون وسائر الى
بغداد وتلك العيون فقال ما عندك من الاخبار فقال اعلم بيننا كنت أس ساعى
فى تلك الناحية إذ وجدت أبو بشاره المطار ومعه ثلاثة أماره وخيارهم من بنى
هلال ولكن واقعين فى أوثم الاضرار وأخذهم الى قلعة صهيون ووضعهم فى
الحديد والاغلال وهذا ما عندى من الاخبار وإذا كنتم ذاهبين الى خلاصهم
ارجعوا واستجبروا بالله لتلايصه فيكم مثاهم لانه ما يقدر أن يصل اليهم فقال له
أبو زيد من أى شىء فقال له من أبو بشاره لأنه سحار مكار لا يطل له بنار ولكن
أنتم من أى بلاد فقال له من بلاد الحسار والقطيف فلما سمع الساعى كلامهم تركهم
وسار الى حال سبيله واما أبو زيد فانه قال لفرسانه والابطال ما يكون عندكم من الرأى
والارشاد فقالوا الرأى عندك يا ابن الامجاد فقال لهم ارجعوا الى الاطلاع وانا
وزيدان نكنى لهذه الاحوال فعندهما رجعت العرب وأما أبو زيد ساروا فى تلك
البرارى والغفار طالبين قلعة صهيون وفى تلك الاوطان إذ نظروا أبو بشاره المطار
يجور فى تلك البرارى وسابق قدماه الحمار فلما نظروهم وقف حتى وصلوا اليه وصاروا
بين يديه فصاح فيهم وقال لهم وبلكم أيها الاندال وقعتم فى أوثم الاحوال وقعت
يا أبو زيد أنت وزيدان وتظنوا أن مكركم يدخل على والله يا أبو زيد لا بد اقتالك وارج
الناس منك فقال له من عرفك بيننا حتى تعادينا فقال عارفكم من وقت ما خرجتم
من أوطانكم قال الراوى فلما فرغ أبو بشاره من كلامه والامير يسمع نظامه اغتاض
غيظاً شديداً وقال له سد فك لمن الله أبوك وأمك وما أنت الا ملعون يا بايع الفلفل

والسكون روح وبيع عطارتك على النسوان ولا تعارض الفرسان وأشار يهدده
 يقول أبو زيد نحسا ياردي نحسا أنا أبو زيد حاوي جميع الاشناف
 لا بد ما اقتلك واقتل الى حنا لو كان عندي ثلاثين ألف سيف
 أنا أبو زيد وكل الناس تشهدل قوم صميدع من نسل الاشراف
 قال الراوي فلما فرغ أبو زيد من كلامه وأبو بشارة يسمع نظامه غضب غضبا شديدا
 ما عليه من مزيد وأراد ايم التنكيد فعندها سحب زيدان حسامه وغار عليه يريد
 إعدامه فلما نظر حاله إلا وهو مكتوف ورأسه مكشوف ووقف أمامه بلا شاش
 ودموعه رشاش فلما نظر أبو زيد ما صار في زيدان خرج عن دائرة الاعتدال وزاد به
 الجلو والخيال وما هان عليه في تلك الاسياب بل سحب سيفه وهجم عليه بهجمة الاسد
 الريال قال له ويالك يا ابن الاندال دع عنك هذه الاحوال فلما نظر أبو بشارة من
 أبو زيد تلك القمعال خاف من الريال فقبض كبة من التراب وعزم عليها ثم حذفها
 على أبو زيد وإذا برجله قد لبست في الأرض وكذلك يده يابسات ومرفوعات
 إلى فوق رأسه فعدم حواسه ثم انه أبو بشارة زعق في أبو زيد بصوت هائل كأنه الرعد
 الصايل ورفع في يده ما شاف نفسه إلا وهو طائر ما بين الأرض والسماء وأما زيدان
 فجرحه ذلك الملعون ووضع في حصن صهيون ملعون ما ايا إلا الله وأشار يقول:
 يقول الفتى زيدان بن غانم ونيران قلبي زابدات افراح
 أنا كنتع أبو زيد في البر يساير تدور عليكم في مسا وصباح
 فلا فانا العطار السكين في طريقنا أناريه سحار مكار يا صاح
 فصاح عليه الأمير سلامة وقال له من هنا عاد لك نهار راح
 وأبو زيد ما نظرتة اين غدا يا حسرتي ما اعلم لاي أرض راح
 (قال الراوي) فلما فرغ زيدان من كلامه والامارة تستمع شعره ونظامه فقالوا
 مليح هذا ملعون يميننا واحد بعد واحد في حساب وأمر صعب هذا ما كان منهم
 وأما ما كان من أبو زيد فانه ما وعى على ذاته إلا بين هلال يبكي وينعى أهله
 والأعمال ويضرب يديه اليمنى والشمال فلما رآته بنو هلال بهذا الحال فأمر عليه الصياح من
 كل جانب قالوا يا ناس أبو زيد جن الآن يبكي وبان ثم أنهم تقدموا اليه وغاروا

عليه وقبضوه وحطوا القيد في رجليه وبقى في هذا الحال مدة ثلاثة أيام مع ليلى لا يعرف ذاته في أى مكان اجتمعوا عليه الفرسان وصاروا يواسوه بالكلام فعند ذلك سمى من الأوهام فقالت أكاير بنى هلال إلى متى هذا الحال يا أبو زيد ومن الذى عامل فيك هذا فقال لهم أين أنا وأنتم ما تكونوا فقالوا نحن أمك وأحبائك بنى هلال فعند ذلك سمى ملبح وعرف من عنده وصبح وأشار بعلم هذا القصيد يقول :

قال أبو زيد الهلالي سلامة	ونيران قلبى زائدات ضروم
يا آل عامر يا أجواد اسمعوا لى	فما جرى لى يا ناس فى هذا اليوم
على أنا والفتى زيدان قدامى	فى فرد ساعة دمانا يا قروم
وقال لى أنت غدار تغدر لى	اسمك سلامة وديرو على القوم
فصحت فى زيدان أنقطع رأسه	ادعى هذا السكب وسط الدم يوم
فصاح يا ناس بزيدان أو لافه	مربوط فى شاشه بلى محروم
لما نظرت أنا يا هلال فعلاه	بقيت بحال الذل شبه اليوم
صرخ على ويده أو ما نجرى	ما عاد لى حبل حتى أقوم
وجدت نفسى بين العرب والقف	صاحى كآنى يا ناس فى نوم
عمرى ما زلت بالناس مثله	أبو بشاره دمانى أنا يا قوم
يا هلال ماذا العمل ولما قولوا	أرواحنا فى سبيل الله تروم

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وبنو هلال يسمعون نظامه ولذا بالأمير غانم أبو دياب مقبل عليهم فدخل وسام فرحوا عليه السلام وقاموا له على الأقدام فنظر بينهم فلما رأى أولاده غائبين زادهم غمه وقال يا أميراً أبو زيد أرى أولادى وثمرة فؤادى فأخبره بما جرى وصار فلما سمع هذه الأخبار طار من عينيه الشرار وصاح صوتاً من صميم فؤاده ووقع مغشياً عليه وغط على قلبه ساعة من الزمان فاستيقظ وعاد بصيح أين دياب وأين زيدان فارس الفرسان وأشار يقول :

يقول الفتى غانم على ما أصابه	ونيران قلبى زائدات شعال
أنت الأمير أبو زيد سلامة	رأيت عمرك قط ما تنظر هوال

أين زبدان المسمى مع دياب مرعب الفرسان في هوق المجال
 أنبت أبو تمكنا بدير القدير قاضي هلال ما مثله مثال
 أوبع فرسان في يوم الحرب مال فيهم الدهر يا أمير مال
 أنوك جميع هلال يا أمير الملا يا فارس الفرسان يا مفضل
 وكلهم منك يربدون الفرج يا أبو شيبان فارس هلال
 أنهم ما يوم جابوا لك قديم تاجر فيمن ترى من الاصل
 أخذت لأولادى سرعة بلا بطا أبو بشارة كتفهم بأربع حبال
 وابت قد وليت أنبت لنحونا ما نظرنا منك قط هذه القفال
 يا القلم يا أبو ما حد يسقيك غير سعدا التي عنها يقال
 (قال الراوى) فلما انتهى من كلامه والامير أبو زيد يسمع نظامه صاحبت بنو
 هلال صيحة عظيمة تعلق الجبال وقالوا يا أبو زيد إلى متى هذا الحال وانبت
 قاعد يا مفضلان قم وسر بلا امهال وانظروا حوان الامارد والابطال ونحن نعرفك
 ما نترك ملوك هلال قوم يا أبو زيد وسير أنت وأعوانك بدل فعايلك فقال لهم يا قوم
 هذا أبو بشارة كهين من السكمان وما يقدر عليه لا من أنس ولا من جان ولكن
 فاستعنت عليه بالله وتوكلت على الله الواحد الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن
 يا بنات وكونوا بأعظم المسرات وإن شاء الله ما أموت إلا وأنا خالص السادات من
 الاسر والشهدات فبكوا الجميع بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال له يا أبو زيد
 لا تسير نخاف عليك من النعير بما يصير فيك مثلهم فقال لهم أبو زيد ما يصيبنا إلا
 ما كنيه الله لنا هم أنه قام من ساعته وقلع ما كان عليه من الثياب ولبس في صفة
 هذريش وأخذ في يده عكاز وأبريق وكوكب وسار يتقطع البرارى والقفار
 والسهول والأوعار وما زال سائر حتى أتى إلى ضيعة من حكم تلك البلاد فبينما
 ينظر في تلك الوادى وإذا به سمع صوت أبو بشارة ابن الأوغاد وهو ينادى على
 المطار يا غندورة فقال أبو زيد الله يخفى لك هذا الصوت يا ستار استرني من هذا
 الجبار ثم أنه دخل خرابة في ذلك المكان واختفى فيها خوفا من ذلك الملعون ابن الإندال
 لئلا أنطلع أبو بشارة من تلك الضيعة فكان أبو زيد مشاهدا إليه ثم أخرج من تلك

الخرابة ولحقه من خلف إلى خلف حتى يقتله فلما قرب إليه التفت أبو بشارة ونظر
تابعه فوقف وقال أين بقيت تروح يا نذل العرب وأنا ورامك في الطلب محسب إلى
ما شأني ملك أنت الذي تخبيت في الخرابة ثم قال له تعالى قدم إلى عندي حتى أوريك نفسي
يا كلب يا مكار يا مغرب الديار فلما سمع أبو زيد هذا الكلام أراد أن يهرب في
الأكام وإذا رجليه يا بسات ولا صدقات في الأرض فقال له العطار موت كدأ
ولا يدريك أحد فسار وتركه فعند ذلك رفع أبو زيد رأسه إلى قبلة الدعاء وبسط
الأرض على وجهه لما قال المي وعري رجائي ومولاي ورجائي نجاة كل الأنبياء
والمرسدين انك تخيئني من هذا اللعين بجاه سيدنا الخضر عليه السلام منجى الأيتام
ومغيث كل من دعاه فما أتم كلامه إلا وقال يقول لا تخاف يا أبو زيد ولا عليك من
بأس قيل شيخك الخضر أبو العباس عليه السلام فعند ذلك انطلق أبو زيد من مكانه
وسار قابلاً (إذا) وبشارة ناعطار مقبول عليه وقال له من فسك يا غدار يا مكار
فقال له يا عطار أنا عري ما تدخلت على أحد يا مغوار فارجو يا فتى أن تخبرني
وتطلقني من وثاقي وأنت سير واقتل المحابيس الذي عندك وأنا بدمهم قد سمعتك
فقال له إذا طلقك وسرت إلى عند المحابيس قتلهم منا أكون عملت أكون قطعت
ذنب الحية وأبقيت رأسها واسكن أنا لا بدلي عن قتلك يا ابن الأندال وقتل محابيسك
أمارة بني هلال فلما سمع أبو زيد هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وأشار يقول
وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة ويران قلبه زائدات شعال
سألتك يا رحمن يا سامع الدعاء بجاه من على الجبال قد جال
أبو بشارة ما تخاف الله يا كاهن يا حيف رايمين أبطال
لو كنت ما سور وكان الأسر أهون لي وكنت أشوف الرفاقي ورجال
لما هي بحق السكرام وكمبه وبجاه الأنبياء وكل مفضل
بأنك تهينني من السكهن الساحر أبو بشارة الساحر المحنال
مقالات أبو زيد الهلالي سلامة ويران قلبي زائدات شعال
(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والحق متجلى على دعائه استجاب ندائه

فأراد أبو بشار أن يسير إلا وصوت أروعد له الجبال يقول الحقوا أبو زيد ففضال
 وأسقيه كأس الوبال أو استدرك أبو الخضر العباس ما علمك مني يا أبو زيد من بأس
 فلما سمع أبو زيد هذا الكلام ظن أنه في المنام فمضاهما انطبق أبو زيد وحق أبو بشار
 في تلك البيد ولما أقر به صاح عليه وقال له أين عدت تسير يا ابن اللثام اليوم أسقيك كأس
 الحمام وما عاد لك خلاص من طيق الانقاس فأراد أبو بشار أن يلتفت إليه ويهجم عليه
 وإذا بكف على وجهه عقد لسانه وجمدت عيوناه ما بقي له كلام فزاد به الاوهام فسحب
 أبو زيد النخلة من العكاز وطسه على هامه حط رأسه قدماه فوق قتييل في دمه جديل ولما قتل
 ذلك لمحتال حمد الله المتعالم الذي خلاصه من هذه الاحوال وقرأ الفاتحة وهداه الى الخضر
 أبو العباس الذي خلاصه من الارجاس ثم أنه أخذ حماره ونزل عنه بضاعته ففردها
 ونظر ما فيها ومن ذلك حمزها ووضعها على الحمار وبقى في ذاته مختارهم أنه شامع ما كان
 عليه من اللثياب بدون انياب وتزيابزى أبو بشار المطار وساق قدماه الحمار وقال له
 الله يحرق نظام صاحبك ابن الاوغاد وسار في تلك البراري والاهامادوسار على قلعة
 صهيون وصاح أنا المختون ساقى الضد كأس المنون ومعي قلقل وكون وحته وأساور
 وابر وحاقي ودهان وأحمر وسيداك وخطوط أرخص لكم البضائع في هذه السفرة
 يا بذات فتكاثر عليه النساء من كل مكان فصار يكبش ويعطى لهم بلاش من غير
 دنالير ويقول لهم هل من سفرة كسبنا شيء كثير فعادوا يدعوا به بكل شقة لسان
 فتركهم وسار في تلك البراري والكسبان ولم يزل أبو زيد ساير حتى وصل إلى قلعة
 صهيون وتلك المعالم فأنظر إلى واحد فنزل له وائب على الاقدام والتقاء بالترحيب
 والاكرام وأجاسه بجانبه على مراتبه وأمر له بالخمر والشراب فقال أبو زيد في سره أنا عموي
 ما شربته وكيف أشرب الآن وعاد بامر مختار من هذا الضرر فقال له صاحب القلعة
 وكان اسمه حنا علامك يا بشار ما شرب وتضرب فقال له أبو زيد مالي حاجة حيث
 حلقت عنه بمن جمعة كاملة إنني لا أذوقه لأنه من خاطري قتل هؤلاء الاسارى
 وأسقيهم كأس الذل والخساء فقال له ونحن عندنا ننظرك حتى أنك نهضت وانفعل
 فيهم مرادك فقال لهم أبو زيد لأجل أن أسقيه كأس الهوان فلما أحضره ونظر اليه

وصاح عليه مويك يا ابن الانذار أين رفقتك والابطال قال له في السجن يا مفضل
فقال يا جان أنا أسألك عن أبو زيد أين هو الآن فقال له أبشر يا كرى بريك ويدهك
فقيده فقال له لا تخشى أنت وإياه لازم قتلك أنت وأبو زيد وحسن ودياب آخذ
منكم النار واكشف عني العار وأشار يقول :

أبو بشارة قال يا زيدان وحيات وامي لأجلك قربان
لأعمالك شهرة في كل المسلا وحيات ديني يافتي زيدان
اليوم يا زيدان تبقى عادى من يد أبو بشارة الفارس العرمان
واقتل حسن أنا بعدك وقتل دياب الفارس الخوان
وقتل بدير بن فايد يافتي وقتل أبو زيد على الوطايتهان
يا قوم هاتوا الحطب ثم اضرموا كبريت ابيض سطوه عالنيران
وهات الرئيس والسكواهن كلها وهات يعسوب وأبو سلمان
وكل من يأخذ شقفة منهم يوصل خبرهم إلى جبل سيمان
وأخذ لئار بدريس الفتي وثأر دايق ثم ثأر إخواني
زيدان لاشقى فؤاد منكم إن أقيت فارس قرم هنا التقاني
(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وزيدان يسمع شعره ونظامه قال لزيدان يا أبو
بشارة لا تخوفنى بقولك ولا ملامى المراجلى فى السحر لمعاجلى على ظهور الخيول هات
جواد وعدة جلاد وادعى قومك كلهم يلقونى فى الميدان يا كلب يا جان وأشار
يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتي المسمى زيدان أبو بشارة ما أنا فزعان
إن كنت تقبلنى فهذا يومى هذا الذى مقدره الرحان
لأن عمرى يافتي ما هو بيدك العمر من الواحد المتان
إن كان نجاتى لأبى منكم لالين أبوك من قديم الزمان
وحيات رأسى إن طلعت للفلا وركبت لفرسى وعود الزمان
أبو بشارة كيف تأمر بمرقنا وتقول قوموا اضرموا النيران
النار تمرق بالعين فؤادك ماتمرق الإسلام ياخوان

يا أبو بشارة يا لعين تأدب يا نادل يا سحار يا شيطان
قوم وانظر في المرايا وجهك وما كانك إلا من فرخ الجان
قال الفتى زيدان من وسط الحشا كلامي صدق ما به بهتان

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من كلامه وأبو بشارة يسمع نظامه قال له يا نادل
دياب قتل ابن عمى أنت وأبو زيد قتلته وعلى الأرض جند الله قال زيدان تقول
أنك عارف شاطر وتعلم السحر ما هو أناريك كذاب وما لك علم في هذه الأسباب فقال
له كيف ما أعرف ذلك وأنا مالى وقائع ومها لك قال له زيدان كل الذين قتلوا
ما قتلهم غير دياب ابن الانجاب وأما أنا وأبو زيد ما قتلنا أحد فقال أبو بشارة هاتوا
دياب ومن معه حتى ننظر هذا الارتياب فأجابوه بما قال وساروا فى الحال واحضروا
دياب وبقيّة الإبطال حينئذ التفت أبو زيد إلى دياب وقال له من قتل أولاد عمى
واسقام كأس العذاب فإن زيدان قول أنت قتلتهم صحيح هذا الكلام لا فيدى بالجواب
قبل أن أعلّى رأسك بهذا الحسام فأجابه اعلم يا أبو بشارة أن المكتوب يقرأ من
هذواته انظر إلى كلام زيدان أنت تحاكيه بالدرم وهو يجاوبك بالتقطار هذا
كلامه فى هذه الامصار وما ذا يكون فى البرارى والقفار والله ما نجس إلا أبو زيد
والفقار العنيد وهؤلاء الذين عليهم الكلام يا فريد فقال أبو بشارة والله ما فيكم واحد
مقصروا كلكم أنجس من بهضكم البعض أنت مثل الحية تأسع وتحنى رأسها وأشار يقول:

أبو بشارة قال أبيات مرتبة أبيات موزونة على البيكار
لا تأمن من الدهر عمرك ساعة الدهر درلابة حقيق دمار
دياب قتلت العزاز فى سيفك حتى الحزاعى دعيته على الوطاح تار
وحياة دينى لأجعل قتلـكم عبرة يوصل خبرها إلى بلاد شنجار
وأقتل أمارتكم كل رجال ميتين كبراج كل واحد دار

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وقوما تسمع نظامه ودهو الله بالنصر والظفر
قال أرموا دياب فجاوبوه وطرحوه فأخذ العصا بيده وقام ليضربه فقال له زيدان مكن
يدك يا أبو بشارة ريت عمرك ما تشوف خسارة من بعد ذلك العذاب القيه فى النار
فقال دياب ويلك يا زيدان كيف يهون عليك هذا المرام يا خفيف يكون أبوك غامر

وأخوك دياب فقال أبو بشارة إلى زيدان ماذا يكون منك هذا هل هو فأجابه نعم من قرد أم وأب ولكن قوم اقتله وادعى من الدنيا مرتجله لأنه هو الذى قتل وجالك وألقانا بين يديك ظلم فقال دياب والله يا أبو بشارة صاحب الطان غلب صاحب الإحسان والله ما يستاهل القتل غير زيدان لأنهم قتلوا أولادكم وهذا زيدان يرباية ذلك الشيطان فقال أبو بشارة حنا أنك ترعاه ولا بد ما يمدمك . قال الأمير حنا يا بشارة قوم اقتل هؤلاء الأسارى فقال له طول بالك يا مملك ولا تعرف قتلهم الا متى ولكن لا تفلنهم حتى أجيب أبو زيدون بذهبهم سوا وأنت كون في صفاك فلما سمع حنا كلامه سكن روعه وجلس موضعه وقال افعل مرادك بلغك الله أما لك عندهما التفت أبو زيد إلى القاضى وقال له أنت قاضى العرب قال نعم قال أنت قلت إلى قومك أن يقتلوا عباد النار ذات الشر اخرجي قتلوا إلى أمارتنا وفرساننا فقال له قتلهم حلال قال في كل المذاهب لأنه ليس يعبد إلا الله سبحانه وتعالى فقال له مرادى أن أرعى عليك مسائل فقال القاضى أسأل ما شئت فقال أخبرني عن شجرة وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات من التين اثنتين يعض والثلاثة سود فقال له القاضى هذه السنة والأشهر والأيام والصلوات الخمس فقال له أخبرني مسيرة كم يوم فقال له خمسمائة عام قال زيدان بى عليك أن تسأل دياب وأن ما عرف يجار بك قطع رأسه واتخذ أنفاسه فقال دياب ويلك يا زيدان أما أنا أخوك لاشك أنك ابن لثام وأنت تربا أبو زيد الهمام قتلتم بدريس وعزاها فإن قتلوكم يَكُونُوا اخذوا قارهم منكم وأشار يقول :

دياب غي قصيداً من ضميره	ودمع العين على الخدين طوفان
يا أهل المروءة اعفوا اليوم عن قتلى	إن كنت تقتل قوم زيدان
هذا الذى قد حان يا نحر الورى	راعى دماء على الفلا خليجان
وهذا وأبو زيد قتلوا عمالك	دخلوا الفوارس في بلا وأحزان
ونحن يا أبو بشارة قوم اقتلنا	أنا وبدير مع ابن سرحان
ترمى علينا مسائل ما نعرفها	ما يعرف اللغو إلى أخى زيدان
وإن كان زيدان ما يعرف سؤالك	قتله يا أمير محمد يمان

واقتل أبو زيد الملالي سلامة واجمع عليهم يا أمير فرسان
أنت صاحب العزة والمجد والعلا أنت صاحب الصيوان والعبدان
وهذا الذي أبصرت يا فخر الملأ وقولي ما به نقصان
(قال الراوي) بادياب أنت تقول ما قتلته وحسن القاضى وزيدان يقولون أيضا
بما قتلوا أحد ومرادى أعلم من هذا الذى قتلهم أخبروني وأصدقوا المقال وإلا
قتلتكم فى الحال فقال لهم دياب أعلم بأحابى ما حدث قتل عمامك والابطال أبو زيد
الأمير زيدان وأنا أعلمك بصديق اللسان وما بقى على ملام ولا قتلنا جميعا تكون
فستخت الزمان فقال زيدان ويملك دياب من قتل بدرين والخزاعى فى ذلك المقام
والمراعى فانت تعمل عمالك وتتهم غيرك وأنت دايما فى العانيات ومالك فى شوم
أحابى وطيمك العدا والهزيمات وأنشد يقول :

قال زيدان قصيدة من ضميره	أبيات كالدر موروثة بميزان
وحتى عيسى وموسى والنبي محمد	قولى صحيح ما فيه بهتان
دياب هو الذى قتل ابن عمك	قتل بدرين بسيفه وسنان
أيضا مثل الخزاعى ما اختشى هناك	بحقيق يا أبو بشارة ما أنت وثمان
حننا يا أهل المرومة بالسباع	واجمل دمه فوق الارض غدران
بهيأت رأسك تشفى خاطره منه	هذا يقين فتن كتبه شيطان
وهذه المسائل يحلها دياب بساع	وإن ما عرفها اجعله اليوم قربان
اضربه على رقبتك بالسكف وحياتك	يا فارس الفرسان يوم طعان

قال الراوى فلما فرغ زيدان من كلامه والجميع يسمعون نظامه فقال حننا كيف يا أبو
بشارة دياب يقنع أهلنا ورجالنا وأنت ساكت عنه بهياتى عليك تشفى خاطرى
عنه فقال ارموه تحت الضروب فرموه وقام أبو بشارة وأخذ العكاز فى يده ومال
عليه حتى كسر أجنابه من القتل والنفض إلى القاضى وقال له مرادى ارمى
عليه مسائل أن ما جيت عنهم ضربتك مثل رفيقك فقال له سل عما تريد أيها
الملك السعيد أخبرنى كم طير نزل بالسكناب فقال له تسعة فقال حننا وما - التسعة
قال الذباب والنمل وطير الأبايل والجراد وطير عيسى وهو الخفاش والغراب والهدد

والصغا والاهو وهو السمك فلما أتم كلامه قال أخبرني عن طير يمن ويحيض وعن شيء إذا حبس عاش وإن شئتم أروي مات فقال أما الطير فهو الوطواط وأما الثاني هو السمك ثم إن القاضي التفت نحو أبو بشارة وقال له مرادى أسألك سؤال هو أخبرني عن شيء كان حلال ثم صار حرام فقال له البيضة حلال وإذا وضعت تحت الفرخة صارت حرام فقال القاضي أخبرني يا أبو بشارة عن رجل قام إلى الصلاة مسلم من يمنة وجب عليه مائة دينار وسلم عن شماله طلقت زوجته وإلى موضع سجوده بهاتك صلاته فأشار يشير صلاته ويقول :

أبو بشارة يا قاضي العرب	أنت فهم تعرف الآيات
اسمع كلامي يا أمير وافهم	واصغى لقولي يا فني وأبياقي
وحق ديني إنني مشفق عليك	وإلا دعيتك كنت بالخفراقي
دياب قربت بهذا منيتك	أيضا حسن أسقى له كاساتي
جاءوا المقارع واضربوهم بالعجل	لحسن يروحوا الكحل للسفراقي
ترمي على يا بدير مسائل	أنت فما تعرف أمور صلاتي
هل كان يصلي يا قاضي العرب	عليه مائة دينار من الطالباتي
نظر عن يمنة شاف الهلال	وجب عليه المال بالجزاتي
نظر عن يساره قد شاف المرا	وعيب عليه طلاقها بثبات
لأنه حالف عليها بالطلاق	بأن ما تطلع من الآيات
نظر فدامه موضع ما سجد	وجد النجاسة مانجوز صلاتي
الله يهدينا إلى أوقاتها	بحق من أنزل الآيات
كلام أبو بشارة يا بدير	وحيات راسك لأجلك رفقاتي

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه والقاضي بدير يسمع نظامه فقال عفا الله يا أمير على هذا السلم لك يا خفيف عليك تكون عابد النار ويكون عندك هذا العلم فضحك وقال يا قاضي خلص وحك ولا أقولك أنت ورفقاتك فقال القاضي أريد أن أسألك سؤال فقال قل ما شئت قال أخبرني عن خمسة أراح أكلوا وشربوا ولا لهم أم ولا أب فقال لهم أنا أعرفك سؤالك التفت أبو بشارة إلى رفقاه وقال

أجيبوا سؤال هذا المسلم فقال إذا ما كان عرفت سؤاله ماذا يعرفنا فقال يا قاضى ما عرفنا سؤالك فأشرحه لنا وخذ لك خمس دجاجات محشيات رز وسنوبر و كان أبو زيد مراده يطعمهم لحم حتى ترد روحهم اليه فقال له بدير يا أمير هؤلاء هم آدم وحواء وكهش اسماعيل وعصى موسى وناقة صالح فقال أبو زيد أخبرنى عن موضع لا يجوز فيه صلاة المسلمين وهو طاهر فقال له ظهر السمكة فأمر أبو زيد بأخذه إلى موضعهم فأجابوه بالسمع والطاعة وأما أبو زيد رتب له كل يوم خمس دجاجات وما زالوا على هذه مدة أيام (قال الراوى) وفي ذات يوم من الايام قال أبو زيد يا أمير احنا مرادى أن أسير إلى بنى هلال واقتل أبطالهم ورجالهم وأدعهم بأوشم حال واقتل أبو زيد وتبقى قد يرفى هلال رجالهم ثم أشار يعلمه هذه القصيدة يقول :

عتب على دهرى وفي سهيوان ارمانى	عند قوم بين القاضى والدانى
الدهر دولاب لا تأمن له باللك	فى أرض صهيون هذا اليوم ارمانى
نقى حمى وحلى هل بضاعة	حتى أروح سواح فى آخر البلدان
واعمل وليمة واجمع فرسانك	وأحط يدى عليهم وثم ذرعانى
وهذه المحابيس يوم العيد نذبحهم	واجمل دماهم فى الأرض طوفان
وأجيب ابو زيد وأعماله الماكر	كى يظفر العذاب أشكال وألوان
وحياة دنى لاجمل قتلة شهرة واج	هل صد القلب واكشف الاحزان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والملك حنا يسمع نظامه قال افعلى مرادك وما فينا من يخالف مقالك هذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من أمانة بنى هلال فيبيناهم بالذل والحقيل تفكروا أهلهم والحلان وكيف عادوا فى الذل والهوان من بعد عزهم فقال القاضى ما يصير علينا إلا ما كتبه الله لنا هذا ما كان منهم وأما ما كان من أبو زيد فانه التفت حنا إلى وزيره جرجس وقال لهم هذه الليلة مرادنا نعمل كيفية فقالوا حبا وكرامة وما كان إلا برهة من الزمان حتى حضر الخمر وجعلوا فى ذلك المسكان وقالوا من يكون الساقى علينا يا إخوان فقال أحد الامارة وما أحد يسقينا غير أبو بشارة لأن يده مباركة فقام المذكور من ساعته وصار يسكب الخمر ويسقيهم حتى سكروا الجميع ما عاد يعرف الاول من الآخر

فتركهم أبو زيد وسلك عليهم الباب وصار على الاعتاب في البراري والهضاب حتى وصل إلى أمارة بني هلال وفتح باب السجن ودخل عليهم وقال قوموا ولما رأوه ارتعدوا منه وقالوا نحن في جحيمك يا أبو بشارة فقال لا تخافوا أنا لست أنا أبو بشارة فقالوا من تكون أنت يا فارس الفرسان أعلننا بالحال فقال لهم أنا أخوكم أبو زيد وعليكم الأمان من نوائب الزمان فقال لله درك يا أبو صبرة وشيبان ولولاك متنا من زمان في هذا المسكان ولكن أعطى بالك من أبي بشارة لربما يعرفك في هذا المسكان فقال لهم كونوا براحة بال من هذا الأمر ولازم أذيقه كأس الحمام فطيب خاطرهم ورفع عن وجهه اللثام وحدثهم بما جرى بينه وبين أبو بشارة من الأحكام بالتمام وحدثهم بما فعل بهم فلما سمعوا منه هذا الكلام قاموا له على الأقدام وقبلوه بين الأعيان وشكروه بكل شفه ولسان فعند ذلك تقدم إليهم وفسكهم من وثاقهم وأخذهم في جفجف الظلام وساروا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا لقومهم ففرحوا بهم فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وطمعوا لاقومهم بالطير والزمور وفرحوا على سلامتهم وشكروا الأمير أبو زيد على تلك الأعمال التي تعجز عنها صنائد الأبطال وهازلوا سائرين حتى التقوا في بعضهم البعض فسلموا على حسن ودياب وزايد ونزلوا في تلك القفار في الخيام وقدموا لهم الطعام وبعد ذلك قاموا على الأقدام وتقلدوا بأنواع السلاح وهاتوا ينتظرون الصباح (قال الراوي) هذا ما كان من أمر بني هلال وأما ما كان من أمر حنا والابطال فكانوا خمرانين كما تقدم الكلام ولما كان الصباح استنفدوا الأسارى فاجدوهم وفتشوا أبو بشارة فاجدوه خيئذ علموا القضية وبما كانت مطلوبة ثم صاح حنا في الفرسان وأمرهم يركبوا الخيل فعند ذلك ركبوا ظهور المهارة وجدوا في قطع الصحارى طالبين بني هلال وما زالوا مجدين في سيدهم حتى قاربوا الأرض التي فيها بني هلال فقال لهم الوزير وأخوه مريض خلدوا أهبتكم للقتال واستعدوا للحرب والنزال فلما سمع حنا المقال قال ما لكم ومن بني هلال فقال جريس إذا قمنا إلى وقت السحر وسرنا بلا مهل نصف

(٩ — تغريبة)

النهار إلى بني هلال فقاتل الفرسان لقد نظر جريس موضع النور لان من أمسى وأصبح على خطر لا يأمن من القضاء والقدر ثم لأنهم باتوا في ذلك المكان يتقلبون تحت مشيئة الرحمن وعولوا على ما قال جريس من الخطوب وفيما هم على ذلك وإذا بنجيل بني هلال طلعت ولعلت رماحها في شعاع الشمس وهي غائصة في الزرد والسلاح تحن خلفها قطع الرماح وفي أوائلها أبو زيد ومن جواره دياب وحسن والقاضي وزيدان فرسان الحرب والطمان فتبادرت إليهم عساكر جريس وحنا صاحوا بهم فارتجت لصيحتهم الوديان ثم سأل من أنتم أيها اللئام فحمل عليهم دياب بدون جواب فتلقاه فارس يقال له الدهقان وتهاول هو وياؤه ساعة من الزمان حكم دياب عليه السنان وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره وكان معه عشرة من الفرسان فلما نظروا ما حل به حملوا على دياب فتلقاهم كأنه أسد وفي أقل من ساعة قتل سبع فرسان وانهزم الباقون وهم ينادون بالعرب أنقلونا فقال الجن قد حل بنا العطب قم الآن يا حنا وقاتل الجان فقد برز اليك من هؤلاء القادمين شيطان بصورة انسان قتل مقدمنا دهقان وسبعة فرسان فلما سمع حنا هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال لهم كان هؤلاء القوم ما عرفوكم حتى قاتلوكم وجه الأرض جندلوكم ولو عرفوكم ما كان حاربوكم وإن صدقني حذري ما هذا الجيش المعسكر إلا مع أبو زيد الأسد المغوار وأظن أنه لما خاص الأسارى إلى العرب وأنا لأطلب والآن يحمل بهم العطب ثم أنه غاب عنهم ولما وقعت العين على العين لا وصاح من الفريقين ووقع السيف بين الطايفتين ونادى حنا أنتم لئام غير كرام تظنون إنى لكم مالى وما نهبتوا من أفعالى وما قتلت من رجالى اليوم أبلغ منكم ما ربى وآمالى فلما سمع أبو زيد من كلامه عرفه وقال له ويلك يا فاجر لمثل تفرح هؤلاء الأندال وأنا أبو زيد مقدم الأفيال هم أمر رجاله بالحملة فحملوا من غير إهمال وقع بينهم القتال ساعة من الزمن فوقع بقوم الفناء سنا الدمار وخاب منهم الأمل وأيقنوا بحلول الأجل ووقعت أسنة الرماح في الأرواح والمقل وحذى الدم على تلك البطاح وهطل وضرب في ذلك اليوم المثل بأن الخطأ والزال وعليت نه ان الحرب كغليان المراحل وكان حظها

هو امر الراح الذبل وخاضت بنو هلال الغبار الفسطل وابر الرقاب واعنوا الصدور
بالاسل وقاتلوا اغتيال الجبابرة الاول فلله در أبو زيد وما فعل وقد استقل وسطا
زيدان وسط البطل ونول الأمير حسن في جملته بين تلك الامم حتى التقى الوزير
مرقص أخو جريس فرآه ينحني من حوله الفرسان فأقبل عليه وطعنه بصدرة بالراح
خرج بالجمع من ظهره فلما انظرت قوم حنا إلى مرقص هو قتيلا تصايحوا على حسن وطلبوه
من كل مكان فعند ذلك حملت القومين فرد ذكره واسعر وامن نار الحرب حمرة وساءت
عنهم الدماء وعاد وجود القوم عدما وزاد الحرب وصارت النعم نقما ومالات
الأرض جما وجعلت السروج من ركابها بعدما كانت لها حيا وكحالت الأجفان بمواره
السموات ثبتت عصا كرام الملك حنا واجتهدت وطالبت رد أعدائها فلم قدرت بل أهاهما
رأت وانحلت عزائمها وتفرقت ولم يزال السيف يعمل والدم يجري إلى أن أمسى المساء
فعند ذلك دقت طبول الإفراق وكفوا عن الحرب وكل فريق ذهب إلى مكانه أما
عساكر حنا فعصروا يتأمررون ويقولون ما هم إلا أبو زيد ودياب الذي شاع ذكرهم
في كل الأرض وبقوا يتذكرون في المحاضر أعمالهم وأخبارهم وإن كان الأمر عن
هذا الشأن فهذه مصيبة لا تترد إلا بكثرة الفرسان ومعاونة إخوان هذا ما كان من
هؤلاء وأما ما كان من بنو هلال فإنهم هنوا بعضهم بعضا بهذا النصر وباتوا تلك
الليلة مسرورين ولما أصبح الصباح نهضوا للحرب والكفاح وأصطفوا ميمنة
وجناح وإذا بالوزير جريس يبرز إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل إليه
الأمير دياب فالتقاء جريس بقلب لايهاب وقال له ماذا بلغك من أتنا حتى دخلت
أرضنا فدع عنك الحاجة وما لك فيها حاجة ولو ما كنت جاهل لما دخلت هذه
الأوطان وطالبت تلاقيا في شرذمة من الفرسان فاستدرك أمرك قبل الفوات وادخل
على والي مقدمنا حتى نهطيك الزمام وما تم كلاءه حتى أشهر دياب سيفه وضربه
على هامه حط رأسه قدماه فلما انظر حنا إلى وزيره قتيلا غاب عن الصواب
وصاح في قومه إنوني بهذه المصيبة القليلة حتى أشفي منها غيلى فحملوا عليه من
كل جانب فالتقوا بنو هلال كالأسود السكوا مسر وانطبقوا على بعض وغطت

الدماء الأرض وأبو زيد في قلب العسكر ينثر الروس ويبلى الفرسان بعد وجودها بالعدم فكانت ساعة مكدرة وقد طاعت على الطائفتين الغيرة حتى وقع عسكر الملك حنا التقصير ولما نظر إلى عساكره قد انكسرت وعصابه بنى هلال قد انتصرت خاف على نفسه وبلاده ونادى العساكر وشجعهم على الثبات فانطلقوا على بنى هلال انطباق الليالي على الايام وحمل حنا وأهلهم ونشرت الأعلام فوق رأسه وأخذ ينحى الفرسان وبينما هو كذلك إذ التقى به أبو زيد فحمل عليه وضربه بالحمام بين عينيه يلعب من الفخذين وقطع الجواد قطعتين وأما نيباب وبقية الفرسان فاهم فرقوا السكائب وأظهروا المعائب ولما رأت عساكر الأعداء ما حل بهم من الدمار ولت الأدبار واركنت إلى الفرار والتجأت إلى القاعة فتبعهم أبو زيد والفرسان فعندما طلب الأمان فأعطاهم الأمان ورتبوا عليهم الجزية في كل عام ورجعوا إلى مضاربهم كسيانين غانمين وفرق الأمير حسن ما غنموه من الجميع وأقاموا على شرب قهوة وأكل طعام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الأطلال فهدمت الخيام وانتشرت الرايات والأعلام وركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالرماح والنصول وركبت النساء والبناات في الهودج والعماريات وجدوا في قطع البراري والآكام حتى وصلوا إلى حصن فأقاموا فيها خمسة أيام وكانت تأتهم الهدايا من جميع الولاة والحكام وارتحلوا من بعلبك ومها إلى زحلة وقد طابت أيامهم في هذه الرحلة لأنهم كانوا يهرفون الاوقات في السرور والطرب وقد زال عنهم العناء والكرب وبعد ذلك صاروا قاصدين مدينة الشام فوصلوا اليها عند الظلام وانضموا إلى المضارب والخيام .

(تمت هذه القصة ويليهما قصة التبعي)

قصة شبيب التبعي

قال الراوى تقدم لنا فى الجزء الرابع أن بنو هلال بعدما قتلوا أبو بشارة
القطار حاكم بلاد صهيون جدوا فى قطع الغلوات حتى أقبلوا على مدينة الشام
كان الحاكم فى تلك الأيام على دمشق ملكا أشد فرسان المعارك واسمه شبيب التبعي
ابن مالك كان فى تلك الأيام قد رأى - لما فى المنام - فقام خائفا فجمع أكابر لديوان
والوزراء والاعيان وقال لهم قد رأيت رؤيا الآن قالوا ما هو يا مملك العصر والآن
قال رأيت فى منامى أنه قد أتى إلى هذه البلاد سباع شبه الجراد وكان كل سبع
يأتى إلى شجرة يقطعها بأنيابه ولا يبالي من الأخطار وكان لهذا الملك وزير عاقل
خبير واسمه الوزير عميرة فلما سمع من الملك هذا الكلام نهض وقال :

يقول عمارة وثقؤاد محسر	من أهل عامر يا شبيب تحذرو
بنى هلال بجمعهم قد أقبلوا	مثل الجراد يا شبيب وأكثر
من نجد قد رحلوا بجمع وافر	وفرسانهم من كل ليث قسور
قتلوا الديبسى بعد حرب هائل	وأثروا إلى الكوفة بهذا العسكر
لأقام الخرمندى سلطان العجم	قتله أبو مزعى بمجد الإبر
أما الفتى القمقام فارس قومه	قتله الفقى الزغبى الأشقر
قتلوا الخزاعى بن حامد فى حاب	ثم غربوا إلى حماة وسفجور
أما السباع بنى هلال وحرهم	أما الشجر أبطلنا تنثر
فالتقوم منهم ما يسلم روحه	الا بضرب السيف حتى يتكسر
حتى القوم قد بان عندى يا مملك	هذا منامك يا شبيب قفسر

فلما فرغ الوزير فهم نفسه حله استعظم هذه الأمور وكان قد بلغه قدوم بنى
هلال إلى الشام فراد ذلك الأمر اهتماما على اهتمام لأن أبو زيد كان عند رجوعه
من تونس ومروده إلى الشام كما سبق الكلام قد استنطق من داره سرية عربية
واسمها قنوع وسار بها نحو بنى هلال فتأثر شبيب من هذه الأفعال فاستدعى
بنجاح وأمره أن يسهر فى الحال ويكشف له أخبار بنى هلال فساد ودخل على

بنى هلال فأضافوه ثلاثة أيام ورجع لعند سيده وصار يخبر به هذه القصيدة يقول:

يقول مسرور عما جرى له ونيران قلبي زائدات شرار
ذهبت أكشف في هلال نزولهم فسرت وفي قلبي طيب النار
مازالت ساير في البراري وسملها حتى وصلت لنزلهم والدار
ولما وصلت يا شبيب لأرضهم نظرت خلائق مثل موج البحار
مسافة خمسة أيام يا أمير نزولهم ويوم وأيلة عرض يا مغوار
دخلت صيوان الأمير أبو علي مليك عظيم على المقدار
وقال أهلاً وسهلاً ألفين مرحبة لك الخبير مني أنت ضيف الدار
وأمر لي حسن بخلمه سنية بعشر مفاتيح وخمس زوار
وجدت فنوع العامرية جالسة ومن حولها الشبان والأمار
بانت فنوع ترفع الصورت بالغنا بصوت يحاكي العود والمزمار
قد مدحت بالسكر حتى تمايلت وقد طار عنها برقع وخمار
تميل مثل الرياح وتثني إلى أن عرفتني بغير إسكار
فقلت أوصي شبيب وقل له يلاقى هلال صفاء ووقار
إذا جاء أبو زيد يبغي حربكم يكن شبيب في لقاء حذار
تري عدد قوم هلال وعامر أربع تسعينات ألوف جوار
أبو زيد مع أجاريد قومه عددهم تسعين ألفاً كلهم أمار
ودياب في تسعين ألف محارب من آل زغبة من فروع كبار
وتسعين للقاضي بدير القائد قاضي هلال فارس الجبار
وتسعين إلى حسن أبو علي أمير جوى جاها وكل وقار
وهذا الذي أبصرت! بأفخر الملا وقولي صحيح ما به إسكار

فلما سمع شبيب هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الحديث والكلام صار الضياء في عينيه
كالظلام فقال للاكابر والاعيان ومن حضر في الديوان ما هو رأيكم في هذا الشأن لان
بنى هلال قد حضروا الآن إلى هذه الاطلال بعساكر كعدد الرمال فقالوا إن الرأي
هو أن نبادر القتال ولسكننا في أول القتال أرسل واطلب منهم عشر المائال فإن أجابوك

إلى هذا الطلب بلغت القصد والارباب وإلا نهارهم في العسكر وتشقتهم في البر
 فاستصوب شبيب رأى القوم وأرسل يطلب منهم عشر المالك وكتب إليهم يقول:
 يقول المدعو شبيب بن مالك لي قلب أقوى من صفا العامود
 أنا صاحب العز والمجد والعلا أنا صاحب الصيوان والعامود
 أنا صاحب الدرع الذي ورثته عن جدودي من عمل داود
 أنا صاحب السيف الثقيل قرابه بياضه شبه المشعل الموقود
 وفي خوة من عهد جددي ورثتها لها عشر تفاحات وخمس بنود
 وباحسن قدم لنا المال عشره وقدم لنا من أحسن الموجود
 وقدم لنا عشر الخيول جميعها عشر الحرير بيضا والسود
 وقدم الفين عود من اللقا وقدم لنا ألفين سيف منود
 وقدم لنا ألفين عقد جواهر عقود ثمينة قليلة الوجود
 وقدم لنا ألفين طير جوارح ومعهما ضواري وكسرات الأسود
 وقدم لنا قنوع العاصرية بخندرها وهاتوا عطور الورد أم الجود
 وهاتوا فتاة الحى أم محمد صبيحة الوجود أم العميون السود
 وقدم لنا جمال الطعن بذات سلامة ووطفا وريا غاية المقصود
 ومن بعد هذا امكثوا في بلادنا وتكثفوا من شرنا ونسكود
 مقال شبيب التابعي بن مالك وما كان عارف يفهم المقصود
 وإياك تمهل كل شيء ذكرته وإلا تروحوا للحيال شروذ
 فلما فرغ شبيب من شعره طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله مع نجاب إلى الأمير
 حسن فأخذ الكتاب وسار إلى أن وصل إلى الأمير حسن وأعطاه الكتاب فلما فتحه
 وقرأه قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم جمع بين هلال وأخبرهم بالكيفية وقال ما هو رأيكم
 فقال الأمير أبو دياب ليس عندنا جواب إلا الرمح المكعب والسيف المقاطع
 والقرضاب فحينئذ قال الأمير حسن للرسول اذهب إلى مولاك شبيب وقل له إنى سارسله
 جواب في وقت قريب وبعد ذهاب النجاب نهض أبو زيد كليث الغاب والقي
 الأمير حسن هذا الخطاب أيها الملك الهام أن شبيب ملك دمشق والشام استعدوا الحاربتنا

وجمع الرجال لمصادمتنا والرأى الصواب وأمر بعض الفرسان الاختيار إلى تلك الديار
لكشف الاخبار والوقوف على عدد العساكر والابطال التي تجوزت للحرب والقتال
وذلك في شعراء حتى لا يعلم أحد ولا يدري وبهذه الوسيلة تبلغ المقصود فاستصوب
الأمير حسن هذا الكلام وقال لقد أصبحت ثم استقر على مسير أبو زيد والامير دياب
مع الأمير عدي بن ندر والرياض مفرح وأبو الليث السكندى العارف بعلم الرمل والحساب
إلى تلك الديار ليجدوا الاخبار في ثاني يوم استعد أبو زيد إلى المسير إلى الشام مع
الفرسان وتركوا الحى وفارقوه وجدوا في قطع البرارى حتى وصلوا إلى دمشق الشام
فدخلوا بسلام وقصدهم الأمير شبيب في مراتبه حتى دخلوا على حضرة فسلوا عليه
وتمتوا بين يديه وكان جالساً على كرسي مرصع بالجواهر يدهش العقل ويذهل البصر
وحوله الاتباع والخدم فرد عليهم السلام قال من تكونوا من العرب الاجواد وما هو
سبب قدومكم إلى هذه البلاد نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بالقصائد
الحسان ونرجع بالخلع والاحسان وقد سمعنا بحجودك ونداك ومكارم أخلاقك
وحسن مزايك فأقمنا إليك وقصدنا لندحك وننقل ثناك ونرجع مجبورين الخاطر
إلى الديار وندعو لك بطول العمر على مدى الدهور والاعصار ثم ان أبا زيد
بعد هذا الخطاب عدل الباب وصار يمدح الأمير شبيب بهذه الابيات :

يقول الفتى المدعو سلامة	بدمع جرى فوق الحدود سكيب
ركبنا وجينا يا امير على نقا	من فوق نوق شبه ربح هيب
فقلنا لهم يا قوم أين مسيركم	فقلنا إلى نحو الأمير شبيب
شبيب بن شيبان بن مالك	امير البوادي والبلاد شبيب
شبيب الذى كل البلاد عياله	ونحن بقينا من عيال شبيب
شبيب الذى إن قل ماله يوماً	فيعزى إلى مال العدى ويحب
شبيب من لا يوجد في البر مش	له ولا ربه العربان مثل شبيب
أقمنا إلى ملك العراق يدربنا	فالج وصالح والامير نجوب
فجاد علينا بالمسكارم والعطا	وبالجود معك أيضاً ثم مسك رطيب
يا امير أعطنا ولك الثنا منا	فثنى عليك عند الضحى ومغيب

فلما فرغ أبو زيد من كلامه شكره شبيب على حسن نظامه ثم صرف معهم هذا النهار في الحديث والاختبار ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولأح ركب شبيب إلى الصيد وركبت معه الفرسان وابنه صقر ما عدا الشعراء وأبو زيد انفتت شبيب إلى الشعراء وقال لهم لماذا لا تركبوا معنا في هذا النهار فقالوا له اعلم يا بدر المسالك أن الذي يمنحنا عن ذلك هو عدم وجود الخيل لأن مطايانا لا تصلح للركوب وفي الوعر والسهول فأمر لهم شبيب بخمسة أفراس من الخيل الجياد فركبوا عليها ما عدا أبو زيد فارس الطراد فقال له شبيب علامك لا تركب وما هو السبب فقال إن هذا الجواد لا يحملي وهذا هو السبب الذي يمنعي فأمر السائس أن يأخذه إلى الاسطبل ويختار له جواد من أطايب الأفراس فذهب معه الاسطبل وجعل أبو زيد ينظر في الخيول فلم يعجبه سوى جواد شبيب وهو غطاس وكان أبو زيد قصد بهذا العمل الغريب هو الاكتشاف على خيول شبيب وكان السائس قد رجع على الأثر واعلم شبيب بذلك الخبر فقال له وقد زاد تعجبه أعطيه إياه إن كان يتقدر يركبه فعاد السائس إلى الاسطبل من قريب واعلم أبو زيد بما سمعه من الأمير شبيب وقال لعلمي يا شاعر العرب ونخبة الأدب أن الحصان هو جواد الأمير شبيب الغطاس الذي تضرب به الأمثال بين الناس فلا يقدر أحد منا أن يقربه ولا يدنيه وإذا أردنا أن نطعمه ندلى له الشعير من سقف البيت الذي هو فيه فخلد إن كنت تقدر عليه فتقدم أبو زيد إليه فسهل الحصان حتى زعزع المكان لأنه كان بطران فطعمه أبو زيد بالسكف بين عينيه وسرجه وركب عليه وسار إلى عهده شبيب فتعجب منه كل العجب وقال في نفسه وحق ذمة العرب أن هذا الأمر مستغرب وهذه الأفعال والأعمال لا يقدرها الشعراء بل صناديد الأبطال وقد تأمر من ذلك الأمر ثم إنهم ساروا في جوائب البر وجعلوا يصطادون حتى صار وقت العصر ثم إنهم ارتدوا راجعين قبل دخول الليل وفي أثناء طريقهم رأى شبيب ميذاً أسباق الخيل فامتثلت أمراء الفرسان وجعلوا يقسبسون في الميدان فعلم أبو زيد على جميع الشجعان بالسيف والسمان حتى حير العقول وأذهل الأبصار وكثرت فيه الظنون والافكار فرجموا إلى الهدى ونزل أبو زيد في دار الضيافة مع جماعته وكان التبعية

رمال اسمه عكرمة وكان قد خرج معه للصيد فاجتمع به في قاعته على أنفراد وقال له
لأعلم أيها الرمال أننى في حيرة من جهة أولئك الرجال الذين حضروا نهار أمس
عند غروب الشمس وادعوا أنهم من الشعراء وما أقول إلا مديح حسن هذا الكلام
إلا أنهم جواسيس نظراً لما رأيت من أفعال أحدهم في هذا اليوم لأنه علم على جميع
الناس فأريد منك الآن أن تضرب الرمل وتعلمنى بواقعة الحال لأننى قد صرت
مشغول البال فقال السمع والطاعة وأنا أظهر لك صحة الأمر في هذه الساعة ثم
أنه أحضر الرمل وولد البنات من بطون الأمهات وجعل يعلمه بهذه الآيات :

يقول عكرمة الرمال صادق خرجنا يا شبيب إلى البرارى
وجدنا صيده يا نعم صيده أكرم من فوق الماهوى
فهم خمسة كأنهم أسود ومنظرهم عفاف كالدرارى
وفهم سديد مشهم ورأيت بكل حوادث الأيام دارى
وفى جسمه وسوم كثيرة تدل على معانى كالدرارى
عريض الصدر مدموج السواعد وسميع الوجه مثل سبع ضارى
صماه يكون أبو زيد الهلالي وترميه المنية فى الديارى
تذكر فعله بنهار أمس بوادى السطر عند الاعتكار
وهو محشم جواده بين طى كحلمات المراهف والقطار
ورفاقته فيهم مرأه هلال عاسن وجههم مثل الدرارى
فاقطع يد أبو زيد الهلالي واطلع أنفه هذا النمارى
فهذا يا أمير قد بان عتدى وقولى حق ليس فيه فشارى

فلما فرغ الرمال من هذا الشعر والنظام وعرف شبيب خوى الحديث والكلام
غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وفى الحال أحضر أبو زيد ومن معه من الرجال
وصاح فيهم وقال أقيم أيها الاشرار إلى هذه الديار لتجسوا الاخبار والسيتم أنفسكم
بأنكم شعراء تمدحون الملوك والأمراء فلا بد من قتلناكم وأمر العبيد والخدم أن
ياخذوهم إلى المشقة فامتثلوا أمره وأخذهم فى تلك الساعة ووضعوا المراسم فى رقابهم

ودوم في منازلهم والاطلال وبعد ذلك رجعو إلى المشنقة وأرادوا أن يفعلوا الشفاعة
 وإذا بصقر بن الأمير شبيب أتى من الصيد والقنص فلما نظر ذلك سأل عن الخبر ف أخبره
 بالأمور المنكرة فعند ذلك نزل عن ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد وخلصهم من ذلك الشأن
 وقطع المراس من رقابهم فوصل الخبر إلى شبيب فأحضرهم عنده في الديوان ووبخ
 ولده على الشأن وقال هؤلاء من بنى هلال أعداؤنا أوتوا إلى منازلنا والاطلال
 لاجل أن يقتلوا الرجال ويدعونا بأوشم الاحوال قال صقريا ابني ما عندي خبر من
 ذلك إلا أخبار وهذا الأمر قد جرى وصار شفقتي في هؤلاء الشعار و تبطل كلامي ونقص
 بين الشهاب مقامى فالأوفق أن تبصرهم إهانة ولا تقتلهم وتدعى من الدنيا مر تهمهم
 وإلا يرموا عليهم رموز أسامى وإذا ما عرفوهم حينئذ قتلوهم قال شبيب هذا هو الصواب
 والأمر الذى لا يعاب ثم أنه التفت إلى أبو زيد وقال يا صنديدا ما كارك اليوم يا أديب
 قال شاعر لببيب قال مرادى أدعى شعرائنا وأحضرهم إلى دياره وأدعيهم أن يرموا
 عليك رموزان ما عرفتهم فإني أقتلك من الدنيا أمر تملك قال أبو زيد فاعل ما تريد يا ابن
 الأماجد فعند ذلك أدعى الأمير شبيب إلى شعراء بلاده وكانوا أربعة وعشرين شاعرا
 وكبيرهم يدعى صولجان بن ماهر فلما حضروا أمرهم أن يرموا رموزا على أبو زيد
 ورفاقته فأجابوه السمع والطاعة فاحتبك الديوان في تلك الساعة فالتفت
 أبو زيد إلى صولجان وقال له يا سيد الفرسان مرادى قبل أن تبدى شعره وقصيدة تسبى
 إلى موضعك وتأتى لنا بطعام حتى يصير بينك خبز وملح فأجابه بما قال وسار إلى
 بيته في ساعة من الزمان وأحضر إلى أبو زيد قطعة ملائنة عصيد وفيها ملحقة وقال كل
 يا ابن الكرام وأدعى لنا بدوام العز والإكرام فأخذ أبو زيد شفقة برأس الملحقة
 وذاق شيء قليل ووجد ما مره مثل الخنضل قال هذا زادك لارحم الله شهابك قم يا ذليل
 يا مهان وهات ما عندك من الأوزان فعند ذلك تقدم الصولجان وأخذ الرباب وبدأ
 حتى أطرب ذوى العقول والآيا ب وأما أبو زيد يراقب السكواكب فنظر نجمه حاجب
 وهو سعيد ففرح بذلك فرح أشد بدأ ما عليه من مزيد فلما رآه الصولجان ينظر في
 السكواكب ظن أنه ينظر إلى بنات نهم أشار يقول:

رأيت ناظرا إلى بنات نعش
 فهل عادت نجم هواها
 ففحن في حمانا كل ما
 فلما بصرك تقطع وتباع
 كأنك ضفدعة في قاع جب
 فاذا أتاه الماء تسبح
 فقل لي بين السحاب باما
 وعن عزه تغنى جهنح ليل
 وعيناها طوال وهي عمية
 فلا فرح ولا بئس لوالها
 قل لي لانسكن جاهلا غشيا
 غلما فرغ الصولجان وأبو زيد سامع نظامه وأشار بجوابه يقول :

أراد تدانئ الأشعار دفنى
 فذلك عن أبو زيد الهلالى
 فأنتم تعرفون فلا تراعوا
 فيكم من يوم قيس أجرعوكم
 فسرف أن هذا الحديث يجرى
 ويهيب ضيفكم ضربا وطعنا
 وتنظرون على حرام طهرمه
 ويجهز المعتدين بالهر معنا
 وعيب عليكم إذ لم تعرفوني
 فأنه يطعمك طعنة عموسى
 تكون من يد أبو وطفا دياب
 لأنك لا تصد ولا ترد
 أنا ياطول ما أقريت ضيفى
 وما عندك من العقل ولا شى
 غشيا ما يعرف العجرا إلا بشى
 فقول الصدق مابه من غشى
 ميم الأفاعى من سم وودقى
 ويمفش في صدر الخيل عفشى
 وتبقى الروس مكدوشات كدشى
 أرش الدم على الأرض رشى
 وتنقش دياركم بالدم نقشى
 أربح الخيل فالأرماع مقشى
 من يد فارس قط ما يرحشى
 يروح الريح في كرشك ويمشى
 ولا تلقى الضيوف ولا نعشى
 لخطار لما أهدى مفافلى ومحشى

أنا أبو زيد أنا صور الصبايا ولست بفارما منكم بنشور
أنا حذرتمكم لا تجمسوني بتمهشكم سباع البر نمشه
أيا صولجان اعلم بأني عرفت مسائك صفما ونقشه
تسألني عن عرش عظيم فكمكم بيته وبين الأرض كشه
وعن عنزه أغنى بمنح ليلي دوما بالأرض عطشه ثم عطشه
تقدم أخبرني عشرة عشرة عددتم خمسة تريح وترشي
وهم من حين خلق أبوك آدم إلى يوم الحساب ولم يموش
يموتوا ثم يحبو بعد موت ومنهم شيء لم يتبعش
ومنهم طائفة تأكل وتشرب كما منهم عنده عمره ما رمش
عن حوت وفوق الحوت حوت وتحت السكل بحر الماء يمش
ودولاب يدور الشغل منه مجموع فيه مر نصف البانمش
إذا لم تخبروني لمن ما أقلك وإلا أنت عندي مثل جمش
فنحن لشبع الخطار الحما ونخمش منهم بالزاد نخش
وحيا إلى أجاريد الرجال ومن هو لكلامي يسممش

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وشاعر طي السمع نظامه تديجوا الامارة من ذكائه
أبو زيد وما عاد الشاعر يعرف يحاويه قاغناظ شبيب غيظا شديدا ما عاياه من دريد
وحلق ذقن الشاعر وطرده من عنده والتفت إلى أبو زيد وقال له بقي لي عليك
ست أشياء إن عرفتكم خلصت من دهام وإذا ما عرفتكم قتلت أنت ورفقتك فأجابته
مام أخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشاكين والمدافقين ورمالين الذهاب
وشاهلين العلم وطباخين الكما لهم بعد ذلك قال إذا ما أجبته على ذلك فأني
لا شاهد ما لك ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إنهم بانوا تلك الليلة
إلى الصباح فقام شبيب وأحضر كبير المصارعين وكان بطل رزين ماله من قرين
فلما رآه أبو زيد قال له يا أخا العرب دونك العرب لأنه إن أجعلك في التراب ولا
تظن الصراخ أكله حلو فقال له المصارع دع عنك شائقة اسان يا ذليل يامهان واليوم
بيان الشجاع من الجبان فقال أبو زيد اليوم عندي عيد بقتلك يا مهان ثم نهض

وأدبى الأقدام وأسرع إليه مثل الأسد الضرعام والتقى البعاليين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وزهق فوق رأس غراب البين قال وكان المصارع دافق في ركن التبان حربه مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مدخرها لمثل هذا اليوم ويريد بها هلاك أبو زيد في تلك البيد فرأها دياب وقال له خذ بالك يا أمير من هذا الشيطان الرجيم وانظر هذه الحربة التي كأنها نعمة أنا رأيته قبلك يا أمير دباب وهذا اليوم أدعيه ملقى على التراب ثم اصطدما واقتربا واقتربا وابتعدوا ما زالوا على هذا الحال مقدار ساعة من الزمان حتى وجد المصارع ماله من أبو زيد طالع فعند ذلك هجم عليه وأدخل دماغه بين رجليه وأراد أن يلقاه ويقصف عمره فما كان من أبو زيد إلا أنه أطبق عليه صوابين ركبتيه وانسكأ على رقبة المصارع وفك جوزة رقبته وما زال كما مشا عليه حتى خرجت روحه من بين جنتيه فقلب على قفاه قدام شبيب وصاح غيره يا أمير يسلم رأسك بها النحرير ثم تقدم المدافق ودفق أبو زيد ساعة من الزمان فالتقاء بهمة وعلو شأن وضربه بالعصا على دماغه فطرش بالدرع وقال غيره يا أمير شبيب قدم فارس نجيب فتقدم المشابك وشابك أبو زيد ففرك أنامله ولقطه من يده ما بها من الباط فتقدم رامي النشاب فذهب أبو زيد ووقف في تلك المضاب وأما ذلك الرجل مرشق أبو زيد أربعين فاستعان عليه برب العالمين في أصابه شيء ضربه أبو زيد موقفاه على الأرض رماه فوق قتل بدماءه جديل فعند ذلك تقدم شايين العلم فخلبهم وكذلك طباطخين الكيمياء طلعت طبيختهم أحسن من طبيختهم ثم التفت إلى شبيب وقال له يا أمير المؤمنين لك عندنا شيء بعد من هذا التفكير فانركنا نذهب إلى أهلنا وعيالنا فعند ذلك غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال له لا شك أنك عفريت من عفاريت سليمان وبعد ذلك أمر الخدم أن يأخذهم إلى السجن لأجل الفصاص والإنتقام فأخذوهم في الحال ووضعوا في أرجلهم القيود والأغلال ووكلوا بهم جماعة من صفايد الرجال وكان الأمير دياب ومن معه من الأصحاب في خوف واحتراس خوفاً من القتل والعذاب وكأوا في شدة وإضاعة وقد قطعوا السلامة فجعل أبو زيد يشجعهم في المقال ويوعدهم في الخلاص من الاعتقال ويقول لهم أن الفرع قريب بعون الله السميع المجيب وأنا

في هذه الليلة ذاهبين إلى أهلهما ونفال المأمول فاطماً نوا وجعلوا يتحدثن بالسلام
حتى أظلم الظلام ونامت الحراس فعند ذلك أخرج أبو زيد السكيس المغناطيسي
والأمير أبو زيد السكيس فقاموا فصاح على الأمير دياب وباقي الفرسان
الأنجاب وقال لهموا للذهاب فقد تخلفنا بأذن الله فتمضوا في الحال وجدوا
في قطع الروابي والتلال حتى وصلوا إلى بني هلال وكان وصولهم عند الصباح
فدخلوا على الأمير حسن فالتقاهم بالسروور والأفراح لأن أفكارة كانت مشغولة
عليهم فقهاهم بن عفيفهم وقال لهم الله على سلامةكم لأنني كنت مضطرب الأفكار
من جهة غيابةكم فأخبروني بأحوالكم وقصصكم وما جرى لكم مع شبيب في سفرنا
فأخبره بمحدثهم من الأول إلى الآخر وأطلعوه على الباطن والظاهر فشكروا الله
على خلاصهم من الاعتقال وأثنى على أبو زيد نظراً لما بدأ من حسن الفعل
وبيناهم في هذا الحال إلا وقد أتى إليهم مرسال من عند الأمير شبيب بحواب
لأنه تفقد الحابيس فلم يجدهم ثم إن السلطان حسن بعد أن عرف حقيقة الأحوال
وعرف ما عند شبيب من الفرسان والأبطال صار يكتب له الجواب يقول فيه:
يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي في حربة كلشمعل الموقود
ولي عمة تملو على كل ماجد أخلى الأعداء ع الجبال شرو
تتأغداً يا شبيب الحربنا مع أبطالك وكل الجنود
فكم حاكم ملكا بلادنا من بعد حرب يشيب المولود
ونجد ملكناها بمجد سيوفنا وزلت لنا يوم القتال جنود
تريد منا اليوم عشر أموالنا فسوف ترى منا رجال أسود
فلما فرغ حسن من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلبه للنجاب وأمره أن يسير
إلى سيده بأعجل فأجاب وأمتثل ولما دخل على سيده سلمه الكتاب ولما قرأ غاب
عن الصواب وفي الحال أمر العساكر والأبطال للاستعداد إلى الحرب والقتال
فاجتمع عنده مائة ألف مقاتل بين فارس ورجال وكلهم بالسيوف والرماح والأت
السلاح فلما أصبح الصباح رأضاء بنوره وراح دقت طبول الحرب واستعدت العساكر
للطعن والضرب وركب في أول الفرسان ومن حوله الوزراء والاعيان وسار بهذا

الجيش الكثير والعدد الحفيع إلى قتال بني هلال وكانت بنو هلال قد استعدت في ذلك النهار واصطففت من اليمين والشمال ولما تقابل الجيشان برز شبيب إلى ساحة الميدان ومقام الطعان وطلب برز الشجعان فبرز وزاد إليه وانطلق الفرسان على بعضهم مثل أسود الآجام وأخذوا في الحرب والصدام وكان شبيب كما تقدم الكلام من جبايرة تلك الأيام فقاتل قتال الأسود وفعل فعل تشيب المولود فثبت أبو زيد أمامه كالجبل الراسخ التقاه بقلب أفوى من الصوان للمقامى فكان تارة يتقدمان وتارة يناخران كأنهما أسدان كاسران وقد تعجبت من قتالهم جميع الفرسان وتعلت منهما حقيقة الضرب والطعان ومازالا على تلك الحال وهما في أشد قتال قرب زال وكان أبو زيد قد انحمل عظمه وقصر فرجع إلى الوراء وتأخر فعند ذلك دقت طبول الانفصال فالتفت العساكر من ميدان القتال ورجع أبو زيد في أسوأ حال مما شاهد من الأهوال فسأله الأمير حسن عن خصمه فقال له فارس شديد وبطل صنديد وإنى قد بارزت الأبطال في معارك النزال فما وجدت أفرس منه في القتال ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول واصطففت الصفوف ورتبت المئات والألوف فكان أول من برز إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان الأمير شبيب الفارس النجيب فبرز إليه الأمير دياب وهجم عليه كليث الغاب فالتقاء شبيب في الحال والتمحم بينه الفارسين القتال وجرى بينهم عجائب وأموال تشيب رؤوس الأبطال ومازالا في قتال وصدام إلى أن أقبل الظلام وكان الأمير دياب قد أبصر في ذلك النهار من قتال شبيب ما يذهل الأبصار ويحير العقول والافكار فلم يقدر أن ينال منه مرام لا بضرب الرمح ولا بضرب الحسام فارتد راجعا إلى الوراء ثم نزل إلى الميدان القاضي بدير بن فايد وجعل يتصادم مع شبيب في ساحة الميدان نحو ثلاث ساعات من الزمان وكان القاضي قد كل ومل وضمف عزمه وانحل فرجع وتأخر خوفاً من وقوع الخطر فبرز الأمير زيدان من أمامه خوفاً من حربه وصدامه ثم تقدم هاجم أبو دياب واقتتل معه القتال الشديد ولبس ثبوت الجبايرة الصناديد إلا أنه لم يكن من رجاله ولا يعد من أقرانه فما لبس أكثر من ثلاث ساعات من النهار

حتى طلب المهرية والفرار فبرز الأمير عرندس كأنه المفترس فطال معه وصال
وتقائلا في ساحة المجال وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وكان عرندس
قد ضعف وتعتنع فولى وارتجع وبعد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت عن
بعضها الفرسان والأبطال وكانت بنو هلال قد اعترأها الأذهال وخافت من عواقب
الأحوال فلما رجعت إلى الخيام وجمع الأمير الأمراء الكرام ومن يعتمد عليهم
من فرسان الصدام واستشارهم في أمر شبيب ملك الشام فقالوا له فارس جبار وبطل
مغوار لا يصطلي بنار له هجمات الأسود وقلبه أقوى من الجامود ومن الصواب
أن تحاربه غدا بالعسكر وترك برازه إلى يوم آخر ربما يكون قد تعب من القتال
حينئذ تبرز إليه الأبطال فاستصوب الأمير حسن الخطاب ورآه عين الصواب وباتوا
تلك الليلة على هذه النية وفي قلوبهم نار الحمية ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره
ولاح استعدت بنو هلال للحرب والقتال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور
الخيل واهتقلت بالرماح وللنصال وركب الأمير حسن على ظهر حصانه وتبعته
جميع أبطاله وارسانه وكان شبيب الآخر قد انتقامه العسكر فعند ذلك صاح
وحمل معه فرسان السكفاح وفي الحال التحم القتال والتقت الرجال بالرجال
والأبطال بالأبطال وجرى الدم وسال وعظمت الأحوال ونزعت الروابي والنلال
من صياح للفرسان وقهقهة السنان وكان بينهم وقعة عظيمة وممعة جسيمة قتل
فيها خلق كثير وعدده غير فته در الأمير أبو زيد والأمير دياب فإنهما هجما
كأسود الغاب وحكما السيوف والحرب في الصدور والرقاب ونكسا إليهم
بطعن أشد من نزول الصواعق وفعل شبيب أيضا في ذلك النهار العجب وأتى نفسه
في العطب وداهوا على تلك الحال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال
فرجعت الفرسان والأبطال وفي اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت المنات
والألوف والتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وكان يوم شديد الأحوال
انتصرت فيه عساكر الشام وأسرت فيه عدة من البنات والنسوان وقتلت جملة
من الفرسان ولما أقبل الظلام رجعوا وباتوا في الخيام وهم في قلق واهتمام وفي
الحادى والثلاثين برز الأمير حسن مع السادات والمقدمين وطلب شبيب وقلبه

آخر من نار الحبيب فما أنتم كلامه حتى صار شبيب أمامه وانطابق على بعضهما حتى
حجبهما الغبار عن العيون والأبصار وما زال الأمير حسن يحارب شبيب حتى
قرب وقت المغيب وكان قد أبصر منه الأحوال فالتفت إليه وقال قد ولي النهار
وزال فدعنا الآن من القتال وفي الصباح نعود إلى البراز والقتال فتبسم من
هذا الكلام وقال إني أنا أمهلك ثلاثة أيام ثم رجعت بمن معه الجميع وفي أثناء الدرك
نزع عنه الدرع وعنه رجوع حسن قالت الجارية أم محمد علامك رجعت
بالعسكر ولعود العرب لها رجعات في الوقائع والغارات فتحمس الأمير حسن
من هذا المقال ورجع إلى خصمه وصاح فيه وطعنه طعنة بهمة وحمية فأصابته في
وقبته وانجرح ووقف على ظهر الجواد فأدركوه قومه في الحال ونشلوه من ساحة
انجبال وأخذوه العسكر إلى داره وهو في حالة النزال يقاسي الألم والأوجاع هذا وقد
ارتدت المساكر على بعضها البعض واقتتلوا قتالا شديدا في تلك الأرض حتى كان
ذلك اليوم مثل العرس كثرت فيه الأهوال وجرى فيه الدم وسال وزاد الخوف
وعظم البلاء وتمددت القتلى على وجه الفلا واستمر القتال على هذا المنوال إلى وقت
الزوال وكانت بنو هلال قد حلت أمراها من الأسر والاعتقال بضرب السيوف
وطحن النصال فعند هادقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضهما الفرسان ورجعت
بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك لانجاح والإنتصار وأما الملك شبيب فإنه كان
كما تقدم قد أشرف ذلك الرمح على العدم فلما رأى حاله طربح الفراش زاد عليه
الخوف والارتعاش وقد عظم عليه راسودت الدنيا في عينيه ولا سيما رأى الأهل
والأصحاب في عويل وانتحاب فتنهد من فؤاد مهتول وأنشد يقول :

يقول شبيب التبعي بن مالك قد زال عقلي يا ناس وراح
أنقني جنوب ناطم على خدردها وهي في عويل وكثر نواح
فقلت لها تحملي واصبري إن طلبت باكر ما عز وراح
أنا إن سلت يا جنوب إلى غدا ترى الاعادي في بكاء ونواح
سأقتل منهم كل قرم غشمت في عز راق وطعن رماح
ولمات أمي لأمي وأرضي بحكم الواحد القهار

(قال الراوى) فلما فرغ شبيب من نظمه غاب عن الدنيا بكثرة آلامه فوقع في قومه البكاه والنحيب هذا ما كان من أمر شبيب وأما ما كان من بنى هلال فان الامير حسن كان قد جمع سادات الرجال وقال لهم مرادى هذا الصباح ابادروا لى ما رى يا اقبال والسكفاح فقال له أبوزيد تبهر فسوف تبلغ القصد والامل وأنا مرادى عند طلوع البهلوان ادخل المدينة واكتشف اسكنم الخبر وأنا بصفة طبيب فعلى اجتماع شبيب في فرح قلبى وبطبيب فقال حسن افعلى ما تريد أيها الفارس الصنديد فعند ذلك سار أبوزيد إلى مضر به وهو يؤمل بدلوغ ما ربه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح بهض أبوزيد بالعجل واليس أخيراً الحلال وتعمم بهامة كهيره ولبس جباً قصيرة وغسل وجهه ببعض العقاير فصار أبيض مثل الثلج وأنعم من الحرير لم يعد يعرفه أحد من الأنام ثم ركب ظهر كديته عرجا ودخل مدينة الشام وهو في هذا الزى والهندام وجعل يحول في الاسواق وهو ينادى أنا الطبيب أنا الحكيم فن كان فيه علة ان انها عنه يا ذن الاله الفتح وما زال يطوف ويحول وينادى ويقول أنا الحكيم أنا الطبيب حتى وصل إلى قصر شبيب وكان لشبيب ولد مثل البدر يقال له حقر فاتفق أنه كان هناك وسمعه من الشباك فقال في نفسه إن هذا الطبيب رجل غريب ولو لم يكن من الشطار والخذاق ما كان يطوف في الاسواق فرادى أن أتعرف بيه أو أجعله يداويه لعله يشفيه ثم طلبه فحضر وسلم وقال أنت حكيم قال نعم قال إذا شفيت أبى من هذه العلة والمرض وأزلت عنه المرض أغنيك إلى الابد وقدمت على أطباء البلد فقال إنى سأبدل الجهد وأداويه ولا أخرج من هذا القصر حتى أشفيه ففرح كل من حضر هناك بهذا الخبر وزال عن قلوبهم الغم والسكدر ولم يعلموا بأن الطبيب هو عدوهم الا كبر ثم تقدم أبوزيد إلى شبيب في صفة حكيم وطبيب وهو يترقب الفرصة ليعدهم انجاة عن قريب وكان رأسه منصوباً بمنديل وهو يتنهى من قلب هليل فملك العصبية ومسح الدم ووضع له المراهم وقال لقد زالت الاقدار يا ذن الواسد القهار فاتفق أن شبيب ففتح عينيه فرأى أبوزيد حوله يخاف وأندر وأيقن بالموت الأحمر فصاح من حلاوة الروح بصوت خفيف هذا أبوزيد صاحب المسكر والسكيد فقال الحاضرون ما هذا الذى يقول أيها الطبيب قال يريد أن تملوا الاسراج

زيت أو تخرجوا جميعكم من البيت حتى يستريح أو يزول عنه البأس لأن العليل
تضييق أخلاقه بكثرة الناس فخرجوا الفرحة الشديدة الذي ما عليه من مزيد وخرجوا
من القاعة ولما خلى المسكان من الجماعة أخرج أبو زيد من جنبه السكين وذبح شبيب
من الوريد إلى الوريد وقد بلغ قصده ثم غطاه إلى فوق رأسه وخرج فسأله عن
حال شبيب الجماعة فقال لها إنه بخير فلا تدخلوا عليه إلا بعد ساعة بينما يكون قد
صحى من النوم ولا بد أن يشفى من علته في هذا اليوم لأنى عالجه بأحسن علاج
فلا تسكنوا في قلق وانزعاج فشكروه على ذلك ووعدوه بالخلع والآنعام وبلوغ
القصود المرام ثم ودعهم وسار ولو كان له أجنحة أطار هذا ما كان من أبو زيد
وما فعله في تلك النهار وأما زوجة شبيب وباقي الجماعة فافهم بعد ذهاب أبو زيد
بساعة دخلوا على شبيب في القاعة فوجدوه على تلك الحال وخرجوا من
دائرة الاعتدال وعلموا أن الطبيب كان أبو زيد المحتال لأنهم كانوا يسمعون عنه
أشياء كثيرة فاستعظموا الأمر وأخذتهم الحيرة وأقاموا العزاء والنحيب على
وفاة شبيب وهم يلعنون ذلك الطبيب وكان لشبيب أخ اسمه الصحصاح وكان من أبطال
الكفاح فأسودت الدنيا في عيبيه وحظم الأمر عليه وقال لا بد لي أن أتبع هذا الغدار
واسقيه كأس السم لئلا يفر مني بأخي الحبيب وأضرمت في قلبي نار اللهب وركب وسار
وراءه وهو يهدر كالأسد إلى أن التقى به بقرب طاحونة خارج البلد فلما نظره أبو زيد
وراءه عرف أنه الصحصاح وأنه يريد قتله ووقاه فدخل على الطاحون وغيره بالاعشاب
ونزع منه الشياب ثم خرج ووقف على الباب فلما وصل الصحصاح إليه اشتبه أمره
عليه فقال له من قاتل محزون عيني من صاحب هذا السكندش فقال في الطاحون فنزل
على ظهر الحصان وسامه مع الرمح أبو زيد فارس الميدان ثم مل سيفه ودخل إلى
الطاحون وهو من شدة الغيظ مثل المجنون فلم يجد سوى الطاحون هناك فضربه وأورثه
الملاك وخرج في الحال وهو يظن أنه بلغ الأمان وقتل أبو زيد المحتال فوجد أبو زيد
على ظهر الحصان يتعجب من ذلك الشأن وقال له من تسكون قافلاً أتم كلامه حتى طعنه
أبو زيد بالرمح في صدره خرج يلعب من ظهره فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه جديلاً
وسار أبو زيد بالهجل وهو مسرور على ما فعل حتى دخل على الأمير حسن في الصيوان.

وحوله الامراء والاعيان فاعلمه بما جرى وكيف قتل شبيب والصمصاح ورجع
 بالفوز والنجاح فشكروه الجميع على ذلك الاهتمام وقالوا لاعدائناك يا فارس الصمصاح فقد
 هان علينا الحال وبلغنا المرام وسوف نبادر الاعداء بالحرب والمهاجمة لانهم بعد شبيب
 لا يقوم لهم قائمة هذا ما كان من بني هلال اما ما كان من اهل شبيب فاسم لما علموا بقتل
 الصمصاح زاد عندهم النواح واحضروه لاجاب أخيه وأقاموا عليهمما النحيب
 فتقدمت جنوب زرجة شبيب ترثيه بهذه الابيات وزادت عليهم الحسرات :
 تقول جنوب الخير بما جرى بدمع جرى فوق الحدود سكوب
 الايام والدنيا كفى شرها ومن عاش فيها ينظر التمسكيب
 فما أضحكك إلا بككت بعد ضحكها فيالها من حسرة بعد شبيب
 ألا يا نجوم الليل عامليه لعل أوجاع الفؤاد تطيب
 شبيب الذي فرقع له الرعد بالسما وصاحت دوك العرش مات شبيب
 شبيب الذي ما رأت البرك مثله وما ربت الدايات مثل شبيب
 شبيب الذي يلقي الضبوف بفرجة ومسرة ولو كان الزمان جديب
 غيا لبت من كان السبب بفراقنا يقتل بمجد الماضيات قريب
 ألا يا حمام النوح توجوهوا واندبوا وابكوا عن فقد الامير شبيب
 يا هل ترى الايام عادت تلمنا وتجمعنا به بوقت قريب
 شبيب الذي بكته الناس كلها وصاحت ديوك العرش مات شبيب
 تقول فتاة الحى ما أصابها ولا عيش لى بعد الحبيب يطيب
 قلما فرغت من هذه المراثية جملة تبكى وتنوح من فؤاد مجروح وتعلم على خدودها
 عن شدة الاسف وتقول والله لقد انهدم شبيب العز والشرف فبكت الماس ابكاها
 وعزوها على ما دهاها ثم اجلسوا شبيب على كرسي من الذهب الاصفر مرصع بالدر
 والجوهر والبسوه عدة الحرب وبكوا على ملكهم حتى كثر الصباح وارتفع الهكام
 والنواح وتسكرت السيوف والرماح ثم تقدمت جنوده وهى ترتع بالسيوف وبعدة
 ذلك تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقال باطل عنك يا أبى الحسناء ما لك نايم يا مرمى
 الضيوف قم وانظر هؤلاء الامراء الذين جاءوا لضيافتك فالملك لا تقوم بواجبهم وهى

ترقص بالسيوف وتقول من بعدك لا أريد الحياة ثم وضعت رأس السيوف في بطونها وقبضته
وفي الأرض وانكبت عليه فخرج يلعب من ظهرها فجئته ضج الجميع في العويل وكثر
الولاويل ثم دفنوها مع الصحصاح بكل احترام ومن بعد ما دفنوها باحتفال وأقاموا
مناحة طويلة وأظهروا أحزاناً جزيلة في سائر الأيام في شدة الحزن والاعتمام
هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير حسن وبني هلال فانهم بعد الحال استعدوا
للحرب والقتال فاعتقلوا بالسيوف والنصال وهجموا على المدينة بقلوب كالجبال
ومكثوا الضرب على الرجال من اليمن والشمال ونهسوا ما فيهما من الأمتعة والأموال فعند
ذلك خرجت الأمراء والأعيان وابنه في جماعة من النسوان وطلبوا من الأمير حسن
العفو والأمان فاجابهم إلى ذلك الشان وأرسل منادياً في الأسواق بالأمان فتوقف
القتال وخرجت هلال واقامت في الخيام وبلغت المرام وزالت الأرواح وبعد عشرة
أيام ولي الأمير حسن الأمير صقر مكان أبيه على تخت مدينة ثم أمر بدق طبل الأرمحال
والمسير من تلك الأطلال وفي الحال هدمت الخيام والمضارب وركبت الفرسان
ظهور الدجائب وجددوا في قطع الروابي والآكام حتى وصلوا إلى القدس الشريف
بعد ستة أيام فنزلوا خارج المدينة في المضارب والخيام وزاروا الأماكن المقدسة
بكل احترام وتصدقوا على الأراامل والأيتام ثم رحلوا منها بعد عشرة أيام قاصدين
غزة بقلوب معتزة وما زالوا يجدون في قطع البراري والآكام حتى أقبلوا على تلك
المدينة وهي مدينة مشيدة حصينة فنصبوا فيها الخيام والأعلام وفرقوا مواشيهم
وجابوا أقطارها وأكلوا من محصول أثمارها فلما رأت الرعيان تلك الفرسان قدملات
البراري والقيان ذهبوا إلى ما سلكهم وأعلموه بذلك الشان وكان ملكهم قوى الجفان
لاهاب فقال الشجعان لا يبالى أحدهما كان صاحب جيوش ومواكب يقال له السر كسى
ابن قارب وكان عدد عساكره خمسمائة ألف من الأبطال الذي يعتمد عليهم في الحرب
والقتال فلما بلغه الخبر من الرعيان يقدم بني هلال إلى الأوطان اغتاظ وتكدر وطار
عن عينيه الشر وجمع الوزراء والأعيان وأكابر الديوان واستشارهم في ذلك الشان وكان
هنده وزير عاقل وخبير ذو رأى وتدبير يقال له الأمير واشد فكان كثير الشر معاً فلما
سمع من السر كسى هذا الكلام قال أعلم أيها الملك المهام أني أخبر الناس ببني هلال وأعرف

ما عندهم من الغنم والجمال والخيل والأموال لأنني قد ذهبت إليهم من نحو عشرة
أعوام وقت فيها جملة أيام فمددهم أربع تسعينات ألف من الذكور وبناتهم
مثل البدور من حيث قد أقبلوا إلى هذه الأطلال فن الصواب أن تبادروهم
بالحرب والقتال ونهب ما عندهم من الأموال لأننا أشد منهم بأسا وأقوى
مراسا وفي الحال كتب لهم هذا الكتاب يطلب منهم عشر المال وهو يقول :

يقول السر كسي هو ابن نارب	بدمع جرى فوق الخردد يسيل
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي	يدب لها على الضلوع شعيل
يا سائر بالله خذ لي رسالتى	مكرية منى بلا تمهيل
إلى حسن أمير قيس وعامر	أمير البوادي في الملوك جليل
فأرسل لنا عشر المال مع الغنم	وعشر النساء جمالكم والخيل
وما نوا فتاة الجازية أم محمد	لها عين سود وطرف كحيل
وأرسل مطور بفتك بلا خفا	بعيون سود مكحلات بمهيل
وما نم ربا ثم وطقا بعدها	ليس لهم بين النساء مثيل
وإن لم نجيبوا ما أراه لطاي	أخلى دماكم في الفلا نسيل
وأقتل دياب الخيل بحد صارمى	وادمى الفتى زيدان بالتشكيل
وأقتل أبو زيد الأتلى سلامة	واقطع رأسه في حسام طويل
وأقتل جميع هلال في حد صارمى	وادمى نساكم في بكا وعويل
مقال الفتى السر كسي بن نارب	حاكم بلاده بين ملوك جليل

(قال الراوى) فلما فرغ السر كسي من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلبه إلى
النجاب وأمره أن يأخذه إلى الأمير حسن ويأنيه بالجواب فأخذه رسار وجد في
قطع القفار وما زال يقطع الروابي والتلال حتى وصل إلى نجع بنى هلال فدخل على
الأمير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب ورأس يزيديه وكان حسن جالسا في وسط
الديوان وحوله الأمراء والأعيان منهم الأمير أبو زيد والأمير دياب وغيرهم من
السادات والانباب فلما افتح الكتاب وقرأه وعرف حقيقة ما حواه اشتغل بالله وتغيت
أحواله ثم عرجه على الأمراء وقال لهم ما رأيكم أيها السادات فقال الأمير أبو زيد والأمير

دياب ما عندنا إلا الطعن فعند ذلك أشار الأمير حسن بجواب السر كسى بهذه الأبيات:

يقول الفتى حسن الهلال أبو علي	بدمع جرى فوق الخد نقوع
ونيران قلبي كذا أقول تنظفي	هب لما طلى الضلوع لدوع
لأسمع ترى يا سر كسى لمقاساتي	فأنت تريد المجازية قنوع
تطلب بنات عسكات كواعب	وتريد تأخذ سيوفنا ودروع
فمالك عندي سوى السيف والفتنا	أجمع عليكم من دريد جموع
أبو زيد والزغب دياب بن غام	لهم ضرب يقطع بين عسكرك وجموع
فنجن ملوك هلال ليس مثالننا	ويأما قتلنا من ملوك وجموع
وكم قتلنا ملوك مثلكم	تركنا دماهم في الفلاة بفوع

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير حسن من هذا الجواب طوى الكتاب وسلمه إلى ذلك النجباء فأخذه وسار يقطع السباسب والأوحار حتى وصل إلى السر كسى ابن زايد فسلم عليه وقبل الأرض بين يديه ثم ناوله السكفاب فلما قرأه وعرف ما تضمنته من الخطاب طار الشرار من عينيه وأمر الوزير أن يجمع العساكر والابطال لمحاربة بنى هلال فامتثل أمره بالعجل وجمع ثلاثة آلاف بطل وكلها بالأسلحة الكاملة والعدد الشاملة وركب الأمير السر كسى في أول العسكر مع الأمير راشد الوزير الأكبر ومن حوله الأعلام والرايات والفرسان والسادات وجد في قطع البرارى والقفار قاصدا قتال بنى هلال ونهب الأمتعة والأموال ولما شد من القوم وعرفت بنى هلال بقدمه في ذلك اليوم استعدت للقتال والطعان والنزال وركب الأمير حسن في عاجل الحال وتبعته بنو هلال وكان الأمير أبو زيد راكبا عن يمينه بفرسانه وأبطاله والأمير دياب راكبا عن شماله بجموعه ولما التقت العساكر ببعضها البعض وقف كل فريق في ناحية من الأرض وكان أول من برز إلى مساحة الميدان وطاب براز الفرسان السر كسى وهو كالليث الواثب فبرز إليه أبو زيد في الحال فالتقاء السر كسى كالجنان وأشار يهدد بهذا المقال:

يقول السر كسى هو نازب	ونارى بالحشا زادت شالى
ونيران بقلبي أحرقتنى	هل ما قد فعلتم يا هلالى

عاطيت المال منك والعطايا وعشر الخيل ايضاً والجمال
فلم ترسل لنا مال ونوقا وأتم ما تخافوا من قتال
فجردت العساكر إل اقامكم لاقتلكم على وجه التلال
فلما فرغ السرکسی من هذا المقال أجابه الامه أبو زيد في الحال :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه والنار في قلبي تزيد حرام
أرسلت تطلب خيلنا ورجا لنا وتطلب بنانا شبه بدر تمام
أما استحي تطلب بنات كواعب وأما ره أضياب فروع حرب صدام
فلا بد من قتلک وقتل رجالک يوم المدهى عند حرب صدام

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق على السرکسی
انطبق الرعد في الغمام التقاه السرکسی كأنه لبت الآجام وأخذ معه في طعن الرمح
وضرب الحسام وكان السرکسی أفرس زمانه ولا أحد يماذله في ميدانه وفي
ضربه وطعانه وكانت تضرب به الأمثال وتهاجم الفرسان والأبطال فقاتله خصمه
أشد قتال حتى تعب وأكره به بحد الحسام قاصداً أن يسقيه كأس الحمام فاستترأ أبو زيد
بالدرة نزلت للضربة على رقبة الحصان صاعقة فبرتها كما يبرى إلى كتاب القلم فوقع
أبو زيد على الأرض وانحطم فهجم السرکسی عليه هجمة الاسد وأراد أن يثني
عليه بالسيف المهند فلما رأى أبو زيد تلك الحال من الهلاك والوبال طلب منه
أن يعفو عنه فأجابه إلى ذلك الشدان وقال له اذهب من الميدان وأرسل لي الامه
دياب حتى أعلمه حقيقة الضرب والطعن أو تحضروا إلى عشر المال حتى أوقف
عنكم القتال فرجع أبو زيد على الاثر في حالة الذل والسكدر ورجع معه باقي
الجيش والعسكر حيث كان قد أظلم الظلام واعتكروا ولما وصل إلى المضارب
والابيات التفت النساء والبنات وسألوه عن حاله وما جرى له في قتاله وكانت
أمم البنات عطور الجهد ابنة الامير حسن فصار اليهن يقول :

قال أبو زيد الهلالي سلامه والدمع من فوق الخدود سجام
أيا عطور الجهد إن السرکسی يشبه الذئب قد حظى بغنائم
ووحى وقولى لا بیک أبو على ينزل اليه باكر ويهاجم

ما دامن النسوان ثولى فى الورى تظهر فوارس كالسباع تصادم
 هذا السركى ما أحد يصادمه إذا قام فى ظهر الحصان يلاطم
 قامض إلى حسن الهلالى والدك وقولى له أبوزيد ولى هزائم
 (قال الراوى) فلما فرغ أبوزيد من هذا الشعر تعجبن البنات واستعظمن الامن .
 ورجعن وفى قلوبهن اريب الجمر وعلمن أن السركى بطل غنبد وفارس صنديد ثم أن
 أبوزيد ذهب إلى عند الامير حسن وهو فى الديوان وأعلمه بما جرى وكان فتعجب
 الامير حسن وباقي الامراء على ما تم وجرى وقالوا ما دام الامر على هذا الحال
 فما بقى غير الامير دياب أن يبرز إلى السركى فى ساحة المجال لعله يقضى الاشغال
 ويبلغ منه الآمال وإلا تضعضعت منا الاحوال وسمعت فينا أطلال غزوه دون باقى
 الابطال فاستصوب الامير حسن هذا الكلام وصار يحس الامير دياب بهذا الشعر
 قال الفتى حسن الهلالى دياب أنت فارس الخيل شهم منتخب
 فقم وانزل قتله يا أمير واسفيه بالحراب كاسات العطب
 واتركه فوق الوطى كما فعلت بالخزاعى حلب
 بالحرب والمرحلة أنت مخرب يا عز قيس المكاره والكرب
 قال الفتى أمير قيس وعامر اليوم أقتله وتبلغ الارب
 فلما فرغ الامير حسن من كلامه سار الامير دياب يحببه على حديثه :
 يقول الرغبى دياب المنتخب وحق النبي ومن بمكة قد خطب
 لا بد عن قتله يا أمير الملا وادعى دونه دلى الارض تنسكب
 واليوم نملك فى بلاده حقا ونجعل عزه تحت أحكام العرب
 نحن ملوك فرسان الوفا وايوت حسن لا نخاف من العطب
 فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكره الامير حسن وباقي الامراء على حسن
 اهتمامه وباتوا على تلك الليلة وعلى تلك النية وقد خافوا من دواقب القضية ولما أصبح
 الصباح وأضاء بنوره ولاح برز السركى إلى ساحة المجال فصاح وجادل وطالب
 بمرار الابطال فبرز اليه دياب كأنه ليث وهو راكب على فرسه الماضى وكل العين
 تنظر اليه وترى ولما صار فى ساحة الميدان والتفاه السركى بقلب كالصوان وقال له

من تكون من الفرسان فقال أنا المصادم والبيت المقارم الذي صار ذكره في الأطارب
والأعاجم الأمير دياب بن غانم فضحك السركسي من هذا المقال والتقى خصمه
في ساحة الميدان واقتلا بالرمح والنصال أقوى قتال وهجما على بعضهما هجوم
الأسود حتى خدرت منها الزنود وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وكان
السركسي كما تقدم الكلام أقوى من أقوى الفرسان العظيم في تلك الأيام فإنه استطاع على
الأمير دياب بعد أن لعب عليه من الأبواب الثمين وسبعين باب فهرب من أمامه
مع عسكره وخلافه ولم يثبت لحره وصدامه حتى دخل المضارب والحمام وهو مقهور
ورجع السركسي إلى قومه وهو بغاية الفرح والسرور وبات تلك الليلة مشروح
النفوذ على نيل المراد وأما دياب فرجع غائب عن الصواب حتى أقبل على صهيوان
الأمير حسن فلما رآه قال علامك يا أمهر دياب فأتى أراك في خوف راضطراب
فصار يخبره بهذه الآبيات على مواقع الامراء والسادات :

قال المدعو الأمير دياب واثار في قلبي تزيد لهاب
يا حسن اسمع كلامي وافهمهم واصغى إلى قولي وزد جواب
السركسي ما رأيت مثله فارس يفتح على الحروب أبواب
وقد هالني بروح ويرجع نزل على مثل سبع الغاب
ماه مثيل في هلال وعامر أيضا ولا في ساير الاعراب
نوموا بنا الليل حتى نزل يا أبو على الرأس منى شاب

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه وأمرأه بنى هلال تسمع نظامه
حسوا أمر السركسي وخافوا من الشرور وعواقب الأمور وجعلوا يتخابرون
كيف يكون العمل في قتال ذلك البطل وباتوا تلك الليلة وفي الثاني جمع الأمير حسن
الابطال والفرسان ونزلوا إلى ساحة الميدان فالتقهم عسكر السركسي في ساحة المجال
واقتلوا أشد قتال وهجموا على بعضهم البعض واشتبك بين العسكرين القتال وجري
الدم وسال حتى كلت منهم الزنود وبقوا على هذا الحال إلى نصف النهار فما كنت ترى
إلا رؤوساً طائرة ودماء وفرسان غابرة حتى دارت على قوم السركسي الدائرة
وفيما هم على مثل هذا الحال ومتعضا يتعين بالحرب والقتال وقد أيسوا من النجاة

وكانت بنو هلال محيطة بهم من اليمين والشمال فبيناهم في ضربات قاطعات بهذه الجبال
الراسيات وإذا بغيار من خلفهم قد ثار حتى مسد المفاوز والاقطار وبان عن
عسكر جرار ليس له قرار في مقدمتهم الوزير راشد الاسد المعاند فانه جهز مائتين
ألف فارس أسود حوابس وكان السبب في قدومهم أن السركسي أرسل يطالب منهم
الامداد للحرب والطراد لحضر الوزير بمائتين ألف عنان فلما وصل إلى ساحة
الميدان ووجد بقومه من الذل والهوان هجم على بنى هلال وأحاط بهم من اليمين
والشمال وخلص السركسي من بين أيدي بنى هلال واقتحم هو والعساكر إلى
ساحة المجال بقلوب كالجبال ومازاله الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يبذل إلى
أن انكسرت بنى هلال أشد انكسار وانهمز الأمير دياب ببني زغبى وأبو زيد
ببني زحلان والأمير حسن والقاضي بدير ببقية الفرسان وبعيهم الوزير راشد
بكل بطل مغوار وأسد كرار وشقتهم في جوامب القفار مسافة ثلاثة أيام وكسب
منهم غنائم كثيرة وأموال عزيزة ولما أظلم الظلام رجعت الفرسان عن بعضهم
البعض ورجع الوزير والجبال وصارت بنى هلال مشتتين في البرارى والتلال في
تلك الليلة اجتمع الأمير حسن والأمير دياب والأمير أبو زيد وأكابر الديوان
وأخذوا يتشاورون في خلاص ما أخذه منهم قوم السركسي وكيف يقتلوا
الوزير الذى كان سبب هذا البلاء .

(قال الراوى) وكان للأمير حسن ابن أخت شديد الباس قوى المراس يسمى
الامير عقل وكانت أوصافه بمدوحة مستحسنة وعمره أربعة عشر سنة فلما رأى
ما جرى وكان وانهرام الابطال والفرسان من قتال السركسي في ساحة الميدان
واستعظم ذلك الشأن فجاء إلى عنده خاله الأمير حسن وتعهد له بقتل السركسي
وإزالة السكروب والمحن بشرط أن تذهب معه للنساء والبساتين فيجمعوه في
الحرب والشباب ثم انه بعد ذلك الكلام أنشد هذا الشعر والنظام :

يقول الفتى الأمير عقل بما جرى	ونيران قلبى زائدات وقيد
أما فارس الفرسان فى حومة الوغا	أحلى الاغادى بالنفلا شريد
فتنادى بنات هلال تأتى بسرعة	ونادى لنا أم أم الامير شديد

ونادى الجارية أم محمد وغيا وريا ثم أم الحبيد
ونادى لوطفا بنت عمى وزينب وعليها ونجلا حسنين يزيد
قاربك فعلى فيه يا أبو على وأريه طعنا فى الجبال شديد
على ظهر حمرا ليس يوجد مثاها أنا فوقها قمر أصيل عفيف
مقال الفتى الأمير عقل بما جرى لآخر فى رجل يكون عفيف
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عقل من كلامه شكره الأمير حسن وباقي الأمراء
على حسن اهتمامه وقد تعجبوا من ذلك وقالوا لعل الله أن يأتي على يده بالفرج
والنصر ثم أن الأمير حسن أمر الجارية أن تلتخب فى الحال مائة بنت من خيار
البنات الأبنكار اللواتى يشبهن الأقارب فحضرت بهن عند أخيها بالعجل وقالت له
ماذا تريد أن تفعل قال تذهبى مع البنات ومع الأمير عقل إلى ساحة الميدان
وتشددونه بالأشعار الحسان كما فعلتم مع غيره ومن الفرسان حتى ينحس على قتل
السركسى بن نازب فاعله يقتضى بالأشغال وتنازل المقاصد فلما سمعت الجارية خوى
كلامه استعظمت الحال وقالت كيف نذهب مع عقل وهو ولد صغير السن أليس
هو صغير السن والقتال إذا كان أبو زيد ودياب ما قدروا على السركسى فكيف
يقدر هذا الصبي وربما نحن بهذه الوسيلة تقطع فى أرضه الويلة ويأسرنا السركسى
وتبقى معيرة بين الأعادى فلما انتهت من هذا الخطاب تقدمت وطفلا بنت الأمير
دياب وأشدت تقول :

تقول فتاة الحى التى شكت بدمع جرى فوق الحدود بدايد
أبو زيد وأبى دياب الغانم ما مثاهم بين الملوك شديد
راحوا هزائم منه يا أمير أبو على فكيف ترسلنا مع طفل وايد
مقالة فتاة الوغا البين قلبها فاحكم بهدل لا تسكون عنيده
(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وعرف الأمير حسن خوى
كلامها اغناظ الغيظ الشديد وقال لها هذا الكلام لا يفيد ثم أمرها بالركوب مع الأمير
عقل وفى الحال ركبت العماريات أمام الفرسان والأبطال واعتقلوا بالرماح والفضال
وقصدوا ساحة القتال فلما وصلوا اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف

وكان الأمير عقل مشربل بالسلاح وهو راكب على ظهر جواد يسابق الرياح فيبرز إلى الميدان عرض ريان وطلب براز الفرسان فيبرز إليه السر كسى كأه قلة من القتل أو قطعة فصلت من جبل فقال له من تكون من الابطال وصناديد الرجال فاني أرى نفسك شاحنة معقزة قال أنا السر كسى أمير غزة وأنت من تكون من الشبان قال الأمير عقل ابن الأمير بدر ثم ألتشد وقال :

يقول الفتى الأمير بما جرى بدمع جرى فوق الحدود منهدا
أنا فارس الفرسان في حومة الوغا خلى دماكم على الاراضى سكايب
ونحن الهلايون ما بنا خبا فمن نجد يملكها الارض المغارب
ولا بد مدعى لشخصك مجندلا وتصير غزة من بعدك خرايب
دونك سوق الحرب يعني وبينك تشد بنات القوم من كل جانب
فقال الفتى نعل بقول صادق فلا بد من سيفى تراح شغايب
فلما انتهى الأمير عقل من شعره وأجابه السر كسى على نظامه :

يقول السر كسى بن نازب ونيران قلبى زائدات نثايب
غيا أيها الشاب الذى ضرب نفسه اظنك مجنون بلا عقل ذاهب
مالك ومال الخيل تلوى عنانها تمحارب أصحاب اللحى والشوارب
فان طعنى اسلم بروحك وانهمز وارجع إلى أهلك وولى هرايب
هجمنا على عسكر هلال وعامر فساروا وولوا في البرارى هرايب
فارجع إلى الميدان يا ولد الخنا لادعى دماك على الارض سكايب

(قال الراوى) فلما فرغ السر كسى من كلامه التقاه الأمير عقل وأخذ في حربه وصدامه هذا والنقى البطلان في ساحة الميدان كأنهما جبلان أو أسدان كاسران وعلا عليهما الغبار حتى حجبا عن الابصار وقد حثت حوافر خيلهما شرار النار ومازالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال إلى قريب الزوال وكان السر كسى قد تعجب من حرب الأمير عقل واستعظم قتاله لانه رأى منه فى مواضع الطعن والضرب ما أدهشه وأهاله ثم ضربا فى الدبوس فاصدان يمدمه الحياة ويجعل القبر مأواه فخلى عنها فراحت الضربة خائبة بعد أن كانت صائبة ثم إن الأمير عقل ارتد

على خصمه مثل الأسد وضربه بالسيف المهند فجاءت الضربة على وقبة الجواد فبرتها كما يرى السكايب القلم فوق العرس كسى على الأرض واتعظم فادر كوه قومه في عاجل الحال راشده من ساحة القتال فهم عليهم الأمير عقل بالحسام فولوا وطلبوا الانهزام حتى وصلوا إلى غرة عند الظلام فرجع الأمير عقل والفرسان من المعركة والصدام وهم في فرح واستبشار ورجعت عالية البينات الابكار وقد تعجب من أمره نظراً لصغر سنه فدخل على الأمير حسن ومسلم عليه وعلى جميع الأمراء الذين جواله وأعلمه بما جرى وكان وكيف أن خصمه رلى عن ساحة الميدان بعد أن حارب به طوال النهار وقال له إن كنت في ريب من كلامي فاسأل البينات الابكار وشهدت له البينات بالاشجاعة والفرسية والهمة العالية فشكره الأمير حسن على فعله وقد تعجب من قتاله وإيمانه واجلسه بقربه في صدر الديوان رده عنه بالجمل والإحسان ورفعته إلى درجة الأمراء والأعيان هذا ما كان من بني هلال وأما ما كان من السركسي فانه رجع لساعته للقتال وهو مشغول بالبال فاجتمع بوزيره وأعلمه بقتال الأمير عقل وواجهه بالكلام ولا مهادنة ولا ملام وقال قد كنا في غنى عن هذا التعب ولعلنا لا نك أنت الذي أتيت في حرب بني هلال دون باقي الأمراء والسادات حتى جرى ما قد جرى في هذا النهار من ذلك الولد الجبار والبطل المغوار فغال له الوزير لا نخاف يا مالك الزمان إن شاء الله نهار غد أنزل إلى الميدان وبارز هذا الولد وأذيقه الأهوال والشدائد وباتوا ثلثة الليلة يتحدثون وفي الصباح اصطف الجيشان وتقاتل العسكران وبرز الوزير راشد إلى ساحة الميدان وطلب الفرسان فيبرز إليه الأمير عقل فالتقاء راشد بقلب كالجبل والتحم بينهما القتال في ساحة الجمل وتضاربا بالسيف واطعنا بالرمح وفعلا أفعالا تعجز عنها صنائد الأبطال ومازالا على تلك الحال وهما كل يوم في حرب يشيب الأطفال قبل الفطام مدة خمسة أيام على التمام وفي اليوم السادس التقيا في ساحة الميدان وتقابلا أمام الفرسان إلى أن اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الأمير عقل فجاءت الضربة على رأس الوزير راشد فوق وقع قتيلاً وفي دمه جدلاً فلما رأى قومه ما حل به من الوبال لشملوه من ساحة القتال رأوا السركسي لما نظر ما جرى وكان كيف لمن وزيره قد قتل وحل به الوبال غاب عن دائرة العيوب وهجم على الأمير

عقل مثل ليث الغار فالنقاه السر كسى بقلب أقسى من انصوان وتقاتلا معهم في
ساحة الميدان حتى تهيئت من قتالهما الفرسان ومازال على تلك الحال وهما في أشد
قتال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فوجعا عن الحرب
ورجع السر كسى وهو غضبان على ما قاسى من الحرب والطعان في ساحة الميدان
وخصوصاً على ما أصاب الوزير من الهلاك والتدهور وصمم النية على أن في الثاني أيام
يهجم الفرسان والابطال على بنى هلال وبذيقهم العذاب والتكالي هذا ما كان
من السر كسى وما جرى له من الاحوال وأما بنو هلال فان الأمير حسن بعد
رجوعه إلى المضارب والآيات أحضر إليه الامراء والسادات وقال لهم : اعدوا
أيها الرجال إنه قد طال علينا مطر الاطلال ونحن رجال قصدنا الوصول إلى
تونس الغرب ليخلص من أسر الزناتي خليفة بالحرب والطعن والضرب والرأى عندي
الآن أن نهجم في الصباح بالابطال والفرسان ومحارب أعدائنا بقوة الجنان
حتى نبلغ الآمال ونسعد بالعبء من هذه الاطلال ويركب الأمير دياب في بنى
زغبي الشجعان والقاضى بديرو الخفاجى عامر مع الأمير زيدان الرياشى وفرج
وعرندس الالوعى والأمير عقل يقصدون الميدان والأمير أبو زيد يركب في بنى
زحلان ويقصدون أبواب غرة بعد حضور السر كسى إلى الميدان وهكذا تم الاتفاق
وسار الاقران .

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب
وركب الفرسان للطعن والضرب واندفعت الشجعان إلى ساحة الميدان من كل جهة
ومكان وطلب السر كسى معركة القتال وطلب براز الابطال فبرز إليه الأمير دياب
معه ساعة من الزمان ثم هجمت العساكر على بعضها البعض في تلك البقاع كأنها
كواصر السباع وجعلوا يتضاربون بالسيف ويتطاعنون بالرمح حتى جرى الدم
وساح وزهقت الارواح وما زالوا على تلك الحال إلى قرب الزوال فعند ذلك
هجم الأمير عقل وزيدان واقتلوا السر كسى من ظهر الحصان وارتقا بالاسل
والقيود وأخذاه إلى الخيام وبلغوا المقصود ولما بلغ أبو زيد هذا الخبر فرح استبشر
وكان كما تقدم الكلام لأنه محيط بالبلد من جهة الشمال فعند ذلك هجم الفرسان

والابطال عساكر السركسى الذين انهزموا من ساحة المجال وحكم فيهم ضرب
السيف الفصال وبعد أن دخلت بنو هلال غزة بقلوب معتزة فغنموا الأموال وبلغوا
الأول وخاصوا صباياهم من الاعتقال وكان أظلم الظلام فخرجوا وباتوا في الخيام
وفي اليوم الثانى أقبلت أهالى البلد والأكابر والعمد وطلبوا من الأمير حسن الأمان
فأجابهم إلى ذلك الشأن وأرسل منادياً ينادى بالأمان والإطمئنان فاستكنفت الأحوال
واستبشر بنو هلال بالعز والإقبال ثم حضرت قواد الفرسان والأمرام والشجعان
إلى عند الأمير حسن فشكروهم على ذلك الاهتمام وغرهم بالعطايا والإنعام ثم
أحضرهم عقل وأكرمهم غاية الإكرام على ما أبداه من الحرب والعصام من مزيد
الإعتناء والاهتمام وقلده الأمير حسن مقام الأمراء العظام والبسة سيفاً مرصعاً
بنفيس الجواهر ثم أشار بمدحه بهذه الأبيات ويعرض عليه ما يريد من بنات النساء
والسادات مكافأة لأفعاله ومجازاة لأعماله وأشار يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على بدمع جرى فوق الحدود بديد
عقل اسمع الى كلامى وافهم يا ليت عمرك كل يوم يزيد
أنت نصرت الهلالى فى حد سيفك ورحلت إلى السركسى فى البيد
نحن كفا غافلين بحربنا نصرت قوم هلالى بالتأييد
لولاك كنا فى حالة الردى صبايا عرايا فى البلاد شريد
فخذ لك منى ما تريد وتشتهى وأطلب منى كل شىء تريد
هذه بنات هلال ما فيهم خفا صبايا عليهم من خلاع جديد
فلما فرغ الأمير حسن من نظامه وفهم الأمير خوى كلامه فشكره وأثنى عليه
أمام السادات وقال يا جمال أوجوك أن أجوز الاشمال بنظرك السعيد طول السنين
والأجيال لأنه ما حل وقت زواجى وطلوع نجم أبراجى فتقدم الأمير زيدان
شيخ الشبان والنس من الأمير حسن أن يأمر بعمل عرس لأولاد الامارة الذين
حان وقت زواجهم فى هذه الإدارة حيث تمت الوقائع والحروب واسترحنا من
الشدائد والسكروب فقال له حسن لا بأس وركبت أولاد الامارة فوق ظهور
الأمهار والأبراش وعملوا هراضة عظيمة لها قدر وقيمة وبعده عملوا عرساً طالحاً
(١١ — قبة)

بالنسرات وقصص أمامهم النساء والبنات المخدرات ومكثوا على هذا الحال ثلاثة أيام بالفرح والسرور وشربا المدام والخمر حتى دخلوا العقل جارا بعد ذلك أحضروا السر كسي مقيد بالأغلال وهو صامت الفم واللسان وأدخلوه عند الأمير حسن يترامى على أقدامه ويطلب العفو والأمان وكان الأمير أبوزيد عن يمينه والأمير دياب عن شماله فهدده الأمير دياب بالعقاب والانتقام على ما جرى حينئذ طلب منه العفو والأمان وقال يا أمير دياب الوزير ياشق وكان هو سبب الأخيرة والضرر وكان سببا لسبي النساء الحسنات وأرخته العنان في ذلك غشيان فاربعوك أن تعفو عني فأمر السلطان حسن بإطلاق الأغلال عنه وقال يا سر كسي العفو عنك إذا حفظت الشرائع الملوكية وهي أوصيك بمحبة الله وحفظ شرايعه ووصاياه ما دمت على قيد الحياة ولا تكون لحواحي الكلام ولا مدمنا لشرب بل حافظ لومام الإحتشام متخافا بأخلاق الكرام مع الخاص والعام متجنبيا كلام الجرم والهذيان واقيا نفسك من عثار اللسان لأن سدود الأحرار قبورها فن صان نفسه ملك أمره ومن باع لم ينجح وزاد بدمه واحذر يا سر كسي من النساء الأشرار فان مكرهن عظيم وخطواتهن تؤدي إلى قاع الجحيم لانهن أصل الأذى والضرر وسلاح إبليس عدو البشر يتظاهرون بين الرجال تحت برقع العفاف والكمال وهن أغدر من كل إنسان ومن أعظم البلوات وهن الشيطان على ملك سليمان وكان أعظم حكاء الزمان وأفضل رجال العصر والأوان حتى غدره وطمغاه ونال منه صينغاه ثم لما تساط على أيوب بأمر الله كان هو مذكور في التوراة وأعدامه كل جيرانه وجميعه بينيه وبناته واتخذ امرأته له سلاحا فكان يمار به بها مساء وصباح وهو الذي وسوس إلى حوام فأغوت آدم وبها دخلت الخطية إلى العالم وبها أخطية الموت الذي لا مفر منه فبالجملة أنهن مفاتيح الشرور فلا تركز اليهن أمر من الآدميين لأن ليس هن عهد ولا أمانة البلاد عوض الإصلاح ورفع العباد فتضع الحق والانصاف وبكثرة الجور ترتفع الأدناء على الأشراف وتساقط إليهم ثم على الأكابر بالبراطيل والولاء بدل على الدراهم فتساقط الملكة الهلالية وبصه ووجهها كالعدم بين ملوك الأمم لأن القسوة والصولة وتمسكين قواعد الدولة لا يقوم بكثرة

الجنود ولا باتساع الاقاليم والحدود بل بالوزير وحسن التدبير والإدارة وعدالة
 السلاطين والملوك والتصرف بأحسن السلوك فايك أيها الأمير أن تسمى وزير
 أو تقيمه مديراً ومشيراً إلا بعد الفحص والادتحال ولو كان ابن ولا شريف ولا
 ديانة إذا استغنى زوجين أمرضنه بأستنانين وإذا افتقر كلته بأستنانين وإن شاب
 واكتمل عاليه الجفارة الملل وجهه من جملة وجهه وصاحبه جليلا غيره ولو كان
 فقيراً أو صعلوكاً حقير وإن مات تزوج بعده وما حفظن حقه وعمره كما هو ظاهر
 العيان في كل عصر وزمان سد عليك يا سر كسى لسكى نسمع وصيتي وتعي إلى نصيحتي
 بحضور أرباب الدولة فقال السر كسى أنا طوع بديك وجميع أهودي راجعة إليك
 فشنف أذنأى بأقوالك اللطيفة راحا لك الطريفة لأنى لأمر كسامع ولوصاياك
 خاضع فقال له الساطان حسن متى توليت أحكام البلاد وبحكمت على رقاب العباد
 أيك أن تغفل عن أحوال الرعية وتعدى القواعد الخلالية وتخاف قواهم وشرايع
 الملوكية بل سالك الطريق المرصية معاملة الكبير والصغير بالسوية رافعاً لشكوى
 المظلوم حجابك فأتحنى وجهه بابك واضعاً الاشياء في محلها ولمناصبى يد أهلها
 ولا سيارلة الا نظار وأرباب الوظائف الكمار فينبغى أن يكون هؤلاء الرجال من
 خواص العيان ومن أهل الفضل والكمال موصوف بالاستقامة والأمانة ومشهور
 لهم بالحلم وصدق الديانة لا يميزون بين الحقير وتشريف ولا بظاهرون القوى على
 الضعيف فهم جميع المأمورين ويقبض بهم بين باقى المستخدين لا هم أصحاب
 الكلام وولاية الأحكام ويندبهم أزمة الأمور وتديبر مصالح الجمهور ومحافظة
 الحدود والشعور فاذا كانوا على هذه الحالة تستقيم أحوال الرعايا وينتشر العدل في
 كل مكان فتزى الذناب مع الغنم وتبات العصافير مع الرحم وكأول أحوال هذه
 الأوصاف ما بين الاعوجاج والانحراف لا ييلون منافع الخلق ولا يبالون
 بقضيه الحق بل يصرفون الاوقات بالذات وسماة الاعلى والأصوات والتكباب
 المكبات والمشكرات ويسمعون كلام الوشاة وينقادون فتغيبان القضاة وتضطرب
 الأحوال ويوقع الاختلاف ويكون سببا لضرر رعية وسال حتى تسلم سؤلك
 وتعيد به أحوال رعيته فهذا الذى يقضيه منك ومعه في الدارين شتاك

ولهاك أن تغتر في الدنيا وتلبي بأفراحها ومسراتها فاتها محتالة غدرة جميع أمورها
مستارة فلا تترك الهيا ولا تنفق عليها وتعتمد عليها فكم افنت من الملوك وفنتك
بالأنبياء وما هي الا كظل زائل وجدار مائل واعلم يا أمير السركسي أن مراتب
العليا وشعادة الانسان في هذه الديار لا تقال بالفصاحة والمهارة ولا بكثرة السعي
ومغطة التجار ولا بالقوى وأقوى اليأس كما يتوهم بعض الناس وإنما هي موجب
وعطايا وعناية من رب البرايا لاناس خصصهم الله دون الغير وفتح في وجههم
أبواب الخير وذلك لغايات ما تدركها العقول وأسباب لا تمضي إلى معرفتها الفلاسفة
الفحول فمنهم أنبياء وأبرار ومنهم أشقياء وأشرار كما هو ظاهر بالاختيار كالشمس
في رابعة النهار ولكن يجب على صاحب الدولة ولا يأكل عن مساعده العناية
ويصرف وقته في الكل دون أدنى عمل لكن عليه أن يسعى ويجهد عن طريق الشر
يحمي ويبتعد فيجب على الإنسان الخاذق أن يخضع لأوامر الخاق ويقبلها بالرضا
والنسيان لأن الله كريم وعادل وحكيم وهو الشفوق على عباده كما الوالد وأولاده فلا
اعتراض إذا ما حكم فيما سمح به وأوصى به وهدى فتصبح هذه الأمور يوم النفور عندما
تقوم المارق من القبور فتظهر الحقائق وتعرف الخلائق مقاصد الخاق وأوصيك
حتى قوليت تحت ملكة غرة وأوصيك في الحكمة والحكم والسياسة والقلم واجب عليك أن
ترسل إلى الخازنة في كل عام حينئذ نهض السركسي فقبل يديه وقال أنا طوع يدك
وجميع أموري متجهة إليك وما أنسى جميلك وإحسانك مادمت على قيد الحياة حينئذ
أمر له السلطان بخلفه سبعة وحلة ملوكة نهض أبو زيد ودياب وألبسوه إياها أمام
الوزراء والقواد وأرسلوه إلى محكمته في احتفال عظيم وأجلسوه على تخت المملكة
ودعوا بعضهم ثم أخذوا في أهبتهم المسير إلى بلاد العرب لكي يخلصوا أولادهم من
الاسر والسكرب فركبت الأربع تسعينات الأولوف وانتشرت البيارق والصقوف
والطبول في الصحاري والسهول وأخذوا يجدون في السير ويسابقون في سيرهم الطير إلى
أن وصلوا العريش فنصبوا المضارب والخيام وسرحوا في مسيرهم تلك الوادي والآكام
(قال الرازي) أنه كان في العريش ما كان من الملوك العظيم صاحب بعش واة ام يقال له
البرد ريل من راشد وكان فارس شديدا وبطل عنيد وكان باقي له قصر مشيد لا يمكن طلي

البنيان وحوله العساكر والفرسان وكان بخوسى يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد
لشمس كل نهار ويلبس طاقية الاخفا ويقرأ الاطلاسم والبراهين فما يعود أحد ينظره
من الفرسان وبهذا الشأن يقهر الابطال في بعض الايام أخذ خبير بنت الملك سديس
الملك مرصاد حاكم هاتيك البلاد وعنده ثلاثة آلاف فارس ما بين مدرع ولا بس والبنت
اسمها عليا وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وهاء وكال فلما سمع البردويل
بوصفها ما بقي يملك من العقل ولا درهم فكتب كتاب إلى أبوها الملك مرصاد
يطلب ابنته عليا إلى الزواج فأبى الملك مرصاد ذلك فجاء به البردويل وقتله وزيره
وأخذ بنته عليا زوجة له هذا ما كان من أمر بردويل والملك مرصاد وانزعج
بالسكلام إلى بنى هلال انتهوا من حرب السركسى في غزاة قصدوا وادى العريش
فنهضوا فيها المضارب وسرحوا مواشيهم على الكبرارى والاكام وكانت هاتيك
البلاد يحكم عليها البردويل فلما سمع بقدم بنى هلال ونزولهم في وادى العريش ضد
مرادها طاقوا طروشهم في كرومه يكون يأكلون ويتلفون الاشجار واغناظ وتكدو
وشجر ونخروا قسم رب البشر لا يبقى من بنى هلال لاحدا ولا أسرا واستمعى
بوزيره منصور اليه فتمثل بين يديه فقال له ما رأى في هؤلاء العربان الذى
سوادهم ملا البطاح والوديان وأشار يقول :

قال الهامى ودمعى شجاني	انا ابن راشد قاصم الاخصاصى
جونا هلال فوق الجمالى	ونزلوا قبالى وبنو الخيام
وبنو البيوتى التخنوتى وهبوا	الرخوتى لخليل وأملوا الاراضى
طولا وعرض اليهم لامضى	بجنح الظلامى معهم دروعى
سيوفا لموعى جملة جموعى	يوما لزامى معهم رماحى بيضا
صفاحى لاجل الكفاحى	اليوم الصدام يا وزير منصور
قل لى ما الشوب نركب وندور	ندركم قوامى اتركب عليهم
وتبلغ اليهم ونهجم عليهم وقت	المنام دولا خوارج جونا
خوارج الدحارج ادفعهم امامى	يقول ابن راشد للقول ناشد

والاعدا جاحد فى الزحامى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه والوزير يسمع نظامه أجابه
قال طويل العمر رفيع القدران كنت تريد رأى وشورى ولا تقع لقول غبرى
أكتب إلى الامير حسن في طلب عشر المال والنوق والجمال فان أعطى كان قتالهم
حرام وإن ما أعطى كان قتالهم حلال وملام فبعد أن أتم الوزير هذا الكلام
عندها طلب البردويل قلم وقرطاس ودراية من الذهب الخالص وأخذ يكتب
لى حسن فى طاب عشر المال والخليل والجمال :

يقول الفتى البردويل بن راشد	وفارس الهيجا يوم طرادى
ولى همسة تعلق على ماجد	ولى فى ملاقاته الملوك عوادى
يا حسن اسمع كلامى وافهم	واصغ لقولى لا تسكون منادى
من أى أرض أتيتوا لبلادنا	وأنا حاميا فوق ظهر جوادى
يا بو على وادى العريش جيتها	بسيفى ورعى للدماء بدادى
يا بو على قدم لنا عشر خياكم	عشر المواشى مع جمال بوادى
وقدم لنا وطفا وبلت القاضى	وقدم لنا بئتك بغير عنادى
ولم تجميعوا كل شىء طلبته	ردوا إلى مجد شريع زادى
فما قال البردويل بن راشد	وأنا دوام سيفى للعدا عنادى

فلما فرغ البردويل من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى عبده سعيد فأخذه
وصار إلى أن وصل إلى بنى هلال وأعطى الكتاب للسلطان حسن فقرأه وفهم معناه
فأسودت الدنيا فى وجهه وارتبك فى حاله فكان أبو زيد موجودا لما رأى ذلك أخذ
الجواب وقرأه وفهم معناه فقال أبو زيد للعبد سعيد قل لسيديك ليس لك عندهم غير
الحرب ورمى الرقاب فسار سعيد وأخبر مولاه البردويل بذلك فغضب وفى هذا
الحال أمر وزيره المغضد وكان تعبلا ببايركب فى مائة ألف فارس وينزل إلى الدرب
وأن لا يذكر منهم صغداً وكبيرا إلا الله فسار البطل منصور حتى وصل إلى السيد
فسر إليه الامير وقالوا جالا وصالا واصطدم وضرب أبو زيد منصورا دياب بالرمح
تخل منها دياب وضربه بالحربة خرجت تلمع من ظهره وولت رجاله ودخلت على
البردويل وأخبرته بما جرى فلما جلس البردويل على ثلاثة دروع فوق بعض ووضع فى

جميعه طاقة الاخفا - نزل إلى الميدان فجمعوا بنو هلال رقد وقع في قلوبهم الرعب
ولكن لله در بعض أبطالهم فإنهم اظهروا الحمدواخفوا السكندومع كل ما جاهدوا
وعانوا واستظهرت عليهم عساكر وكسروهم في آخر النهار فرجعوا على أعقابهم
مقهورين وقد كان أبو زيد غائب في الصعيد والقنص ولم يعلم ما جرى من هذه القصص
في صنوان حسن ومر بعد رجوع بني هلال من هذه الواقعة التي كانت عليهم أشأم الواقع
اجتمعوا وأخذوا يتشاورون في دفع الجزية للبردويل وإذا هم في الحديث أقبل
أبو زيد فلانموا السكوت فساء لهم أبو زيد ما لهم وعما لقوه من حرب البردويل أجابه
حسن وقال له والله إن البردويل ما أحد يلقاه إلا أس ولا جان فقال له أبو زيد
الله يا حسن قد أغراكم الوهم ولا شك إنكم تتشاورون في دفع الجزية للعدو فوالله
ما أطاوعكم أبداً ولا أرسل الجزية ما دمت أقدر على ركوب الجواد وتقله
في آله الحرب والجلاد وراح يتكنا بقل البردويل وهو يقول :

قال أبو زيد الهلالي يا حسن اسمع كلامي أنت منع من حضر
لا تخافوا من طعان البردويل انني أطفئ أسكم منه الحبر
وغداً باكر أأزل إليه فوق مهر مثل طير أو صقر
سوف أسقيه المنية عاجلاً ثم أدركه حديثاً يتذكر
ما يشاء ربي ويركبني الجواد لا تخافوا من ملوك ووزراء
وكفى التسليم في كل الأمور وهنيئاً الذي بلغ الوطر

فلما فرغ أبو زيد من كلامه توجه كل أمير للصيوان ولم يبق عند السلطان حسن
غير دياب والقاضي بدير وعلى بن مالك وأبو عوف وعامر وحامد وعريس فتشاوروا
مع بعضهم وقالوا غداً يذهب أبو زيد إلى البردويل فيقتله البردويل ويبقى بعده
في حزن طويل ما يكون عملنا ثم نهض حسن ودخل إلى خزانة السلاح وطالع قيد
المملوك وهو أربعة أرتال فضة ووضعه على منديل وأعطاه إلى دياب وقال اذهب
إلى أبو زيد أنت وخالك القاضي بدير وعلى بن مالك وأبو عوف وعامر وحامد
وعملك عريس وقول له إن كنت طابع الله والأمير توضع رجلك في هذا القيد
لبكرة وباكر نجي انفتح لك فان حسن خاف عليك أن تذهب إلى البردويل ويقتلك

فأخذ القيد دياب والامارة الذي قال عنهم حسن وساروا إلى أبو زيد ودخلوا
وسلموا عليه فقام لهم على قدميه وترحب بهم وأجلسهم في دار الضيافة وبعده قال
لهم ما هذه الجية فقام دياب ووضع المديبل قدام أبو زيد وقال له باعت لك إياه
ابن عمك حسن فقام أبو زيد فتجده ووجد فيه القيد فقال ما هذا يا أجاويد قالوا
لأجل أن توضع في رجلك أبكره وأخبروه بما قال حسن قال صبرا جميل وبهت
ساعة وقال إن خالفت حسن فما أحدى طيعه ومن يقدر يسفه كلام الأجاويد ثم أنه
أخذ القيد ووضع في رجله وقال سمعا وطاعة فقال لله در الأمير وإسكن عليكم
وحدة تجميئوا وتخلوا إلى القيد بكرة من صلاة الصبح فقالوا سمعا وطاعة وذهبوا
وعلموا حسن فخاف حسن أن يتعرفوا على أبو زيد فبعث وراءه أم غنيمر وقال لها
يا أم غنيمر خذي مفتاح القيد خطيه معك ولما تشوفي الفجر لاح يمكن الامارة
يتعرفوا على بعلك وأبقى أعطى المفتاح من عند الأمير حسن وإياك يا أم غنيمر أن
يعلم بك أبو زيد ويخبره عن المفتاح فقالت سمعا وطاعة ثم ذهبت إلى عند أبو زيد
وقعدت قبالة هذا ما جرى على أبو زيد الدرغام ورجع إلى البردويل الهام فانه في
الصباح دق طبول الحرب والسكماح وبرز إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان
فأحذر إليه الأمير حسن وحين التفت العين بالعين قال له البردويل أهلا وسهلا
يا أمير بني هلال وعامرو من الديار والخييل علينا نغمار أما حسن فلما شهد البردويل
ومره جسته وكبر هامته وغلظ رقبته فقال والله إن هذا من عفاريت السيد سليمان
ومن أفرس أبطال الجن فانطبق عليه وأخذ في الصدام من الصباح إلى وقت الظلام
فاثرقوا على سلام ورجع كل منهم إلى الخيام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره
ولاح رز البردويل إلى ساحة الميدان فبرز إليه قاضي العربان فلما نظر البردويل
قال أنت قاضي العربان تريد تحارب الفرسان فقال له اليوم أريك الموم أفعالي
وأبليك بنزال وهجم عليه وتقاربا وتصادما ولم يمض عليهما ساعتين حتى أن
البردويل هجم والدبوس في أيده وضرب بين كنفه فظن أن روحه خرجت من بين
جنبه فدار رأس جواده إلى هارب إلى النجاة طالب فأنحدر إليه زيدان وانطبق
عليه انطبق الغمام فما أطال عليه المطال حتى كل في الحال هارب وإلى النجاة

طالب فبرز إليه مخيمر وبعده عكرمة ثم مفلج أيضاً بطل حتى برز إليه خمسة وعشرون أميراً من الفرسان المشهورة والأبطال المعروفة فنهر الجميع وعلم على الكبير والصغير ولا يمكنك لو أحد أكثر من ساعة إلا ويولى هارب وإلى النجاة طالب وماز الواعلى هذا حتى أمسى المساء ولما أقبل الظلام ودقت طبول الانفصال أخذ كل منهم شطراً مما أصابه من هذا الأسد الريبال وفي ثانی الايام برز الأمير دياب الأسد المهاب وصال وجال ولعب برعه للمضال حتى حير عقول الشيوخ والشبان وطالب برز الفرسان فبرز إليه البردويل وهو بعظم جثة الفيل فالتقى البطلان كأنهما جبلين وحان عليهما الحين رعى فوق رأسهما غراب البين وأخذوا في كرو وفر واقتراب وابتعاد فلما شاهد الأمير دياب أن خصمه شديد وقوم عنيد فأشار إلى بني زغبة فظفروا على قوم البردويل فتلقوهم أولئك في ضرب مثل النار حتى ماعدت تنظر في ذلك الهار إلى الرؤوس طائرة ودماها فائرة وفرسان غائرة وأندال حائرة والرؤوس تنساق مثل ورق الشجر فيألفها من رقة مهولة تشيب رؤوس الأطفال ويحير عقول الأبطال وكان ذلك اليوم على بني هلال بنس الايام وأشهر الاعوام وقد كسرتهم عما كره البردويل وأرجعهم إلى الخيام بنوحون على مصائب الايام ورجع البردويل إلى قصره فرحان وهو يندم كالأسد الغضبان هذا كله والأمير أبو زيد مقيد فلما قال لنا أبو زيد هذا الخبر ، ما قبل وما جرى على بني هلال من العبر اغتاظ وتكدر وصارت عيناه تقدم شرر وصار أبو زيد يتقلب على الفرش مثل الثعبان فقامت له أم مخيمر علامك أنت حامل كل هذا الهم وأنت عندك مال أكثر من غيرك وأنت الامارة ما يدفعون غفارة لاي شيء اترى روحك في المها لك مع هذا الصاحر وأنت ما سمعت ماذا عمل مع العباد فقال لها أبو زيد والله ما هو على شيء ولكن من غيظي من حسن ودياب ما يهتفي ولازم أروح للبردويل واقتله وإن يعون الله ده ثلاث مرات بكل ما يمكن أو ما للبردويل قد طلب مال وخيل وجمال وعبيد وجوار وسلاح وبنات ملاح وأول ما طلب بنتك جمال الطمن كيف يعطيه إياها قالت لا يرحم الله ولكن أنت تقدر عليه وعلى طلائمه وتخره فقال لها إن شاء الله تعالى وأنت ما تعرفي ملك يأم مخيمر والأمير حسن كل يوم عند الصباح وعليك المفتاح ومرادى الآن في هذا الليل أن تسيرى إليه وتسرقى

المفتاح من جيبه وتجي تفتح القيد وأتوجه إلى البردويل وأقتله وأخذ يا حبة على
 بنى هلال فضحك وقالت ماذا تعطي الذي يجيب المفتاح فقال لها ما تريد أن أقام
 وعند أربعين ليلة فإذا كنت تريد أن تفرجى كرى افتح القيد وأطلقى البار للصيد
 فقالت إن الأمير حسن قد أقسم على أن لا أفتح لك إلا في الصباح أين تريد الذهب في هذا
 الليل فاني أخاف عليك من البردويل أن يقتلك ويعجب بدمارك فقال لها إن قتلتني
 تأخذى لك رجل آخر وإنك لمك بعدى فما أنت أحسن منى فقالت له يا ذلنا من بعدك
 يا أبو شهبان وأخرجت له المفتاح وفتحت له القيد فوثب في الحال مثل الجرذان
 وشد على ابن الحصان وتصفح بضمس من البولاد وابس المدرع المصفح وشد رحاله
 بأواع له الحرب حتى صار قطعة من البولاد وعقل على ظهر الجواد كأنه كتلة من
 السكتل وقطعة فصلت من جبل وشاحت عليه وعلى الحصان هياكل الطلسم وانقسام
 وتحولت بآيات الله العظيم وسلم روحه إلى الواحد العلام وقد وجد السيل للجال حتى بلغ
 قصر البردويل الرمال ودار حوله ثلاث دورات فوجده على البنيان رفيع الارتفاع
 وهو منبسط عن القوم مسافة نصف يوم وكان وصول أبو زيد عند طلوع الشمس
 فكان البردويل نايم على ركة عليا وتمدد مثل العفريت من أول القصر إلى آخره
 فعند وصول أبو زيد إلى الباب وجده مصفح في ألواح البولاد كأنه من بنيان ثمود
 وعاد فرفع يده وضرب الباب في دبوس الحديد فتزعج القصر بسكاته وكاد يزيح
 من مكانه فعند ذلك أتى على فراقه وصار يتأمل فيمن يرد عليه ويفتح له فما
 أحد رد عليه فدق الباب ثانی وثالث فأتاه سعيده عند البردويل وأطل من الشباك
 فرأى أبو زيد راكب على ظهر الجواد وهو كقطعة من البولاد فقال ما تريد أيها الفارس
 العنيد والبطل الصندي فقال له أبو زيد أريد مولاك البردويل يا أيها العبد الذليل
 فاذهب اليه وقل له فارس على الباب طاب لك في الحرب والمكفاح فاندش العبد من
 هذه الجسارة ورجع وأخبر سيده عليا بهذه العبارة فإن مولاه البردويل كان نايم
 على ركبته فقال لها يا مولاي إن فارس بالباب أسمر اللون بطل عنيد كأنه البرج
 المشيد وهو قد ملأ الأرض بصر أخيه ولما رأي قال لي قل لمولاك البردويل أن يبرز

إلى الحرب والكفاح فقالت له ما قال اسمه أجابها لا ولكن هيئته تدل على أنه عراقي
وبينا العبيد يتخبرها بذلك إذ سمعت صوت من خارج القصر يقف كالرعد حتى
كادت تهتز منه أسامات القصر وكان الصوت صوت أبو زيد وهو يقول قم
يا بردويل من نومك الآن وفيما بعد أدهوك تنام إلى الأبد فلما سمعت عليا هذا الصوت
أرتعشت فرائصها ورفعت رأس البردويل عن ركبته ووضعته على مخدة ناعمة
وأشرفت إلى الباب قبال الأمير أبو زيد وتأملت فيه فإذا هو مثل الصقر وقالبه
أشد من الصخر ، فلما نظر أبو زيد ذلك المنظر كأنها البدر المنير حول نظره
عنها فقالت له ما مرادك ومن أي قبيلة أنت فقال لها أنا الأمير أبو زيد من بني
هلال ومرادى أحارب البردويل هذا النهار ودعوه ينزل إلى حربي فلما سمعت
هذا الكلام أخذت تترعب به وتخبره عن حالها وتقول :

أسمع يا صنديد منى وافتهم	أسمع لقولى ولا تكون جنوف
أن الملك مرصداً مثله حديد	حكم على قوم بغير جنوف
مائة أمه تركب مع أبى	ومائة ألف عساكره وصفوف
خمسين ألف من العبيد وغيره	مأكولهم لحم الغنم معلوف
أنا الذى فاق حسنى على القمر	حتى دعا البردويل كسوف
قتل أبوى بوسط عكا يظلمه	ودعاه من فوق الثرى مجدوف
وأباد عساكرنا وشتت شملنا	وأنا أخذنى غصب عنى عسوف
أنا وثمان سنين أئدب حائرة	حتى لاهى من سماء يشوف
فأراد أخذى ابن راشد زوجة	أيام سعدى قد أتت سموف
إن كنت يا صنديد تفرج همنا	خير القلب الخائف الملهوف
ادعوا لربك من سماء تخاضك	من شر هذا الناكِر المهروف
ما قالت عليا عما جرى لها	يا ناز قاي لا تزيد لهوف

فلما فرغت عليا من كلامها قالت لأبو زيد أنا خائفة عليك من البردويل أنه
يذيقك الحرب الويل لأنه فارس ماله مثيل ولا يوجد مثله في الآفاق قال لها أبو زيد

عليه أن يأتي من دون إطالة كلام واليوم تنظرين فعالي والسلام لا بد أن تذكره
فعالي على الدوام فعند ذلك توجهت عليا إلى البردويل فرأته غارقا في المنام فلما أفاق
قصت عليه ما سمعت من الكلام وأخبرته عن قدوم البطل أبو زيد الصديدي وأنه عن
قتله لا يحيد فلما سمع كلامها من الأول إلى الآخر قام وقعد ورغى وأزبد وقال لها
بغضب اقليني وسأخذ بئارك لو كانت أعز من حياتي وشاع فيك غرامي وشجوني
اسكنت ضربت عنقك بهذا الحسام فسكيف تخيفيني من فارس أو من مائا فارس أو
من ألف فارس وأنا لا أحسب لكل من دب على الخبراء وطارف السماء حساب فقامت
له أهل كل الرجال رجال والتعالب مثل أسد الدكار فإزالت النساء تهمل وتلد على
وجه الأرض شاطر فلما سمع من عليا هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وصرخ
صوت أدبرت له الجبال واهتز من هوله التلال وقال لها كفالك عربان يا بنت اللتام إلا
قطعت رأسك بهذا الحسام فلما سمعه أبو زيد من خارج الدار صاح عليه صوتا وقال له
اسكت يا حماروا نزل إلى قتلى فستري بلائي أنزل قبالي وإلا أهدم عليك القصر قبل أن
يأتي وقت العصر فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام فقام لساعته
ولبس آلة حربه وعدته وأفرد على بدنه ذراع داوودي مصفح وتقلد في سيف كأنه
البرق اللامع أو الموت الماحق ووضع على جنبه طاقة لا خفا ونادى على عبده مسعود
وقال شدي على جوادى المعهود في الحال شد عليه فأحضره إليه فوئب ركب عليه وعلا
فوق ظهره كالبرق المشيد وهو كقطعة من حديد حتى صار كأنه كتلة من الكتل أو قطعة
فصلت من جبل وقال للعبد افتح لي الباب وحافظ لي ما في القصر وإلا أذيقك العذاب
ففتح العبد الباب وكان مصفحاً بالجديد وحصل أبو زيد على فرح ما عليه من
مزيد ولما فتح الباب تأخر إلى الوراء وأخذ يقرأ آيات الله العظيم ويقول
عونك يارب الآتام وحينئذ خرج البردويل كأنه سبع كاسر أو أسد ظافر
أخذ يلاعب حصانه كأنه فرخ جان أو من عقاريت سليمان وكان أبو زيد متكئ
على راحته يلتفت ذات اليمين وذات الشمال فتهمز الملك البردويل إليه .

قصة الملك الفرمند

حاکم مصر ونزول أمراء بني هلال عليه وما جرى من
الحروب والأهوال التي تشيبت لحوها الأطفال وفيه قتل
البردويل بن راشد ملك العريش على يد الأمير أبو زيد
الفرس الهام

(قال الراوى) لهذه السيرة الغريبة أن الأمير أبو زيد لما علم بانسكسار أمراء
بني هلال أمام البردويل كان ذلك الوقت مقيد بقيد من الحديد فعمل كل حيلة على
زوجته حتى فتحت القيد منه فقام في الحال وتقلد بعدة الحرب وركب وسار بمفرده
إلى أن وصل إلى قصر البردويل بن راشد فناداه أبو زيد بصوت كالرعد فنزل إليه
البردويل وناداه قائلاً تعالى يا أعرابي حتى أنظر ما هو مرادك ومن الذي قادك
وغربك فأخذت أبو زيد الحية الجاهلية والنخوة العربية وهجم عليه هجمة الأسود
فالتقى البطالين كأنهم ماجيلين أو أسدين درغاميين وعلف منهما الصبيحات حتى ملأت
الفلوات فعند ما رأى البردويل أنه تعبان من صدمات أبو زيد طلب سيفه في الحال قال

قال ابن راشد من فؤاد ميلى والنار في قلبي تزيد وقادى
أيما ملوك الحال فالتفتوا وافهموا ما قالت من الانهاد
يا ملك شيوخ أتيتي بعروك وعكرش ومكرش ثم ابن جرادى
وأنت يا غيلان هات لقومك مثل الجراد وربطوا بالوادي
يا شمرزان فلا تخاف كلتي واشفى لقلبي مرة في مرادى
فلما فرغ البردويل من كلامه وأبو زيد رافع عينيه إلى السماء غير مكترث
نظامه بل كان يقرأ الفاتحة ويذكر كلام الله ثم بعد ذلك التفت إلى البردويل فوجده
لابس الطاقية ويقول أراك جهول ثم أشار بيده إلى الملوك العلويين وقال :
يقول أبو زيد الهلالي سلامة فانا بقمل المسكرات أنادى
أصيل من الجدين فخر قبيلة شريف دأكى الأصبل من أمجاد

وامي شريفة يا ابن راشد أصابها
 واسم أمك صالحا يا بردويل
 أبوك فرنجي وجدك حقا
 إن كنت ما تسام دهيتهك طمعة
 عتدي عزائم موايده كثيرة
 سبع قبائل والملوك سبعة
 والسكوكب والمنازل والبردوج
 ضربت أنا بالرمل أخذت علامك
 أنا أسأل ربي بموسى وعيسى
 فأرسل ملائكتك يعنوا بحراسي
 وأرسل روفائيل نحوي بعيني
 يا رب يا رحمن اسمع دعوتي
 واغثني بالطفك يا سميع مرادى
 فلما فرغ أبو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظامه استشاط غضبا وغیظا
 فلما عدت تسمع الإصباح وهدير ودعامة في السن مختلفة وكنت تسمع الصوت
 ولا ترى الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر أن يخفى من قدام
 أبو زيد حيث أن الملائكة العلوية طردت ملوك الجان السفلية إلى سبع أرض
 وأبطلت عزيمتهم على ما فرط منه في حرب أبو زيد وكانت عليا زوجة البردويل
 تتفرج من الشباك فلما نظرت زوجها انقطع أمره وأبو زيد غاب فرحت وصارت
 تزغرت فظن البردويل أن هذا الغناء لأجله ولم يعلم أنه لأجل عجزه وفشله فأخذته
 الحماصة والنخوة وهجم على أبو زيد مثل النمر إذا خطر فتلقاه أبو زيد كما تلقى
 الأرض المطشاه وأبل المطر وعلا منهما الصياح حتى ملائكة الروابي والبطاح
 وسار الأمير أبو زيد حول البردويل حينئذ يثقن في ذهاب روحه وزوال سعادته
 فبرز أبو زيد في يده عود الزان ورفع يده وقال اللهم استر عبدك يا من رفعت
 وبسطت الأرض وطعن البردويل في صدره خرج يلعب من ظهره ومن عظم
 الطعنة أصاب بالرمح مسخرة كانت وراء البردويل فشققها فوقع البردويل على الأرض

مختبئ طوله بالعرض فقالت عليا لا شئت يداك يا فارس وحالا نزل أبو زيد
عن ظهر الجواد وسحب لسانه وأزال أسنانه وأخذ الساقية والدروع والسيف
والخوذة والرمح ثم تقدم إلى تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة
أبو زيد الهلالي سلامة وملعون ابن ملعون كل من يمر بهذا المكان ويقرا الكتابة
ولم يمض الخيال عنها والصخرة الآن في مريش مصر ثم التفت عليا وقالت
يا أمير أبو زيد خذ هذه بدلة زوجي البردويل فانت أحق بها من ظهرك لأنك
أنت القاتل لهذا الشيطان فأخذها أبو زيد وعاق الجميع في قريوس ابن الحيصا
وأتى باب القصر وكان ذلك وقت العصر وختمه بختمه وركب على ظهر الجواد وقال
هاشمان خاطرك يا بنت الكرام فارجوك عندما تطالبين للشهادة تظهرين
واقعة الحال كالعادة وتكلمى كما نظرت فقالت أرجوك تدخل القصر اترتاح ثم
تناول الطعام أيها البطل الدرغام واللحم الهام فانتك تعبت من الحرب والكفاح
في البيض الصفاح فقال الأمير أبو زيد أما لم أدخل الدار خوفا عليك من العار
لسكونك غريبة فيكون كلام الناس أمر من ضرب السلاح وأما أنت فاعطيني
المفتاح لكي أنقل عليك القصر حينئذ حققت عليا شهادته وعرفت نغوته
وأكدت أنه من أمارة بني هلال فأعطته المفتاح فأخذه وقفل القصر وأدار رأس
جواده إلى ناحية بني هلال فوصل في نصف الليل ثم دخل صيوان أم غنيم
فراها تبكي فقال لها أبو زيد الحمد لله على اجتماع شملنا ثم قام ووضع ما أتى به
من أمتعة البردويل في الصندوق وقيد نفسه بالقيد الذهبي وتظاهر بأن له ولا عليه
هذا ما كان منه وأما ما كان من حسن وهو في الديوان وحواليه الامارة فقال لهم
البارح قد انتهينا بالضيوف وتركتنا أبو زيد وما رأينا كيف حاله والبردويل ما عاه
علينا للحرب فقوموا واذهبوا لعنده ودعوه يأتي ننظر ما هو رأيه فراح أحد
الامارة وأخذ معه المفتاح غير الذي كان مع أم غنيم ودخل على أبو زيد قال له
عن أمر السلطان ارفع القيد من رجلك وأذهب اليه فقال أبو زيد قد صار لي
ثلاثة أيام ما نظرت أحد منكم نسيتم اليوم أبو زيد وسكن الله يجازي كل واحد
بأعماله فقال الأمير فايد والله يا أبو زيد ما لسينك ولسكن كان موجود ضيوف عند

حسن وهذا المانع من زيارتك فيعد هذا الكلام فك القيد من رجله وركب دون سلاح رما حمل معه سوى عصاه بيده وتوجه نحو حسن حين وصل إلى الخيام قام الجميع على أقدامهم وحيوه بأحسن تحية ثم قال له حسن لا تؤاخذني يا ابن عمي قد غفلنا عنك بمقابلة الضيوف فقال أبو زيد وماذا عملتم من المصالح في حرب البردويل فقالوا نحن أرسلنا ورامك لاخذ رأيك فقال أبو زيد والله ان البردويل فارس من الفرسان ولا حد يقدر يحاربه فقال رأى إلا أن ترسل له عشر الممال والنساء والعيال وتذهب إليه المحارم في رقابتنا فقال حسن في هذا الوقت قد قامت الصواب بارك الله فيك وأعطاك كل ما يكفيك إلا أن أرحمت أفسكارنا واشتريت أعمارنا هذا ما كان منهم اسمع ما جرى بعد ذلك أنه صباح اليوم الثاني الذي قبل قتل البردويل أخذت الرعيان في تسريح المواشي حسب العادة فصار منهم ثلاثة رهيان وسرحوا بقربه قصر البردويل وكان لهم عادة يناموا في ظل القصر كان البردويل ما كان يقوم إلا العصر فقبل أن يبلغوا المكان المقصود نظروا شخص للبردويل على الثرى مدود وهو منفوخ مثل البرميل ولم يعلموا أنه قتل ولكن توهموا بأنه راصد لهم إيقانهم فقالوا لبعضهم هذه النومة مشتومة فتأخروا من ذلك المكان خوفا من أن يسطى عليهم هذا القران وكان معهم عبد اسمه مسعود قال لهم أنا مرادى أذهب إليه وأنظر ما حو اليه فانظروني أقول له أنا أتيت بهذا الطوس من عند العرب وأريد أن أعيش في ظلك وأنال الأرب وان ماشافني أزهو وترك عني الفزع فقالوا رأيك مناسب فتوجه مسعود إلى أن وصل إلى قرب القصر فرأى البردويل مقتول وعلى الثرى مغلول ودظم جثته كجثة الغول ورأى رأسه بعيد عن جثته ولسانه مأخوذ منه أخذ يتفرج على ذلك الرأس وهو قد رأس الثور الكبير فأخذه الرعب وصار يلثقت يميناً وشمالاً فلم يجد أحد أقوى قلبه وسكن روعه وكانت عايلة في الشباك فصاح مسعود هيا أصحاب قصر هلام سيدكم قتلوا أتم نيام يا حيف هذا البناء يترك هذا المقام فاجابته عايلة من الشباك وهي تضحك عليه فسأل عن زوجها البردويل فأشارت تقول :

تقول فتاة الحى عليا بما جرى والنار جوا الحشا زادت ضرام
اسمع كلامي يا مسعود وافهم ما أتى راع ولا قد جاء هلام

هذا بعلي البردويل بلا خفا من أم أناه السهم هل من الغمام
 بان لي بالك أنت غريمه باين عليك أنت من فوارس عظام
 ليفخر بقتله بعين الملوك يبقى لك هيبة كما سبع الآكام
 فلما فرغت عالية من كلامها وسعود العبيد يسمع نظامها ظن انه يخذعها
 وقال أنا الذي قتلتك والحياء أعدمته ومرادى أخذ رأسه إلى أميرنا حسن الهلالى وافترس
 في قتله على جميع العربان فقالت أفعل ما تريد فأخذ مسعود الرأس وكان هال جدا فقدم
 المدينتين وربط الرأس في فرسه وعاقه في كتفه وراح يترنم بقوله ما كل العبيد عبيد ولا
 المولى موالى وكان العبيد حول مسعود يخنوا له الأغاني ويفشدون النشائد وكان هو
 حامل رأس البردويل على كتفه حتى وصل صيوان الأمير حسن ورمى الرأس
 قدام الصيوان كرأس مردة الجان فخرج الأمير حسن والامارة يتفرجون على ذلك
 الرأس المايل والشعر فيه كالجدائل وقد تعجب الأمير من فعل مسعود البطل المعبود
 فقال حسن والله من أنى رأس البردويل هو بطل ماله مثيل وله منى الانعام الجليل
 فوثب مسعود وقال لعينيك يا سيدي عبدك مسعود أنى بالرأس واخذ من ذلك الشقى
 الانفاس وأهدمه لإحساس فقال الأمير حسن لله العجب من كان يقول ان منية
 البردويل تفضى على يد عبدنا مسعود وقد كان هذا يخطف الأرواح ويتركها
 كالإشباح وذقنا من حربه البلاء والكرب وانواع الذل والتعب ثم التفت إلى العبد
 مسعود وقال كيف عملت في قتل البردويل فقام وقبل يد الأمير حسن وقال قد كان عبده
 دواتكم في البردويل والجمال سارحة فأخذتنا هجمة النوم فقمنا قليلا ثم استيقظنا
 فوجدنا شئنا غائب عن أعيننا حتى بلغت قصر البردويل وتلك الفقرة فتوجهت بنفسى
 لأردوها وعن عنادها اهددها فلاقاني راشدون نهرنى وظن انى بها ورنى لكن لم أرد عليه
 وتقدمت اليها لأردوها فأنا فى وهو مثيل كما سبع الحكام ووقع يده بالدوس وأراد
 إعدامى الحياة ويذيقنى المات فراح الضربة خائبة من غير صابئة ثم وضعت حجرأفى
 هقلاعى وفعلت فعل داود فى حليات وأذقت البردويل الحسرات لأنه بالقضاء والقدر
 أنت الضربة بين عينيه فخرج الدم يتدفق من بين شفطيه وحالا تقدمت اليه وعجلت
 (١٢ - تغريبه)

عليه وطرحته على الأرض انقطع منه النفس وسحبت في يدي السكين وقطعت رأسه
واخذت نفسه وجميع العبيد يشهدون لي بذلك فقالت العبيد نعم إنه قد قطع رأس
ابن راشد أمانا فقال مسعود أريد منك يا سيدي أن تجعلني سيداً على كافة العبيد
وأن تزوجني ابنة يبيضاء وأربع جوار سود وأن تعطيني جواد من خواص الخيل
وعدة حرب كاملة والف دينار ومواشي وعبيد وغلان فقال القاضى تستاهل
يا مسعود أزود من ذلك ففي الحال نهض أبو زيد على أقدامه وقال كفك يا عبد السوء
ما تستحق إنك تقول قتلت البردويل أما المييل قال العبد نعم وحياة رأسك ورأس
الاهم حسن فقال له يا عبد السوء أنت أفرس منى ومن دياب فقال مسعود إن
لكل إنسان منية ومنية البردويل على يدي فقال أبو زيد في أى شئ مقتله فقال حسن
كيف ما كان قتله أراحنا بما كان يلعب في المييدان وقنطار فيه الحصان ومسعود
هر رأسه فقال أبو زيد تمهل يا حسن قليلاً ثم قام وفتح فم البردويل وقال أظنه
كان أخرس كان ليس له لسان فإذا اللسان وقام الجميع ونظروا ذلك وتعجبوا
فقال يا مسعود لما البردويل طلع ما كليك فقال نعم وكان صوته مثل الرعد القاصف
فبالحال وقف أبو زيد وقال له أين درعه وأين طاقيته وسيفه ورمحه وبداته وحصانه
وقد أخذت من أبو زيد الحدة فقام وركب جواده إلى عمدة أم خمير وأتى بعده
البردويل والحصان والطاقية والسيف والرمح وكل ما كان عنده من أمتعة البردويل
وأتى بهم إلى صيوان حسن ووضع الجميع أمام الامارة ثم رمى بلسان البردويل أمام
دياب وقال له تفرج على هذا اللسان وبهتوا الامارة وتعجبوا من هذا الامر وأما
مسعود والعبيد حين نظر ما جرى سار ينسحب بمخافة إلى أن هرب من الصوان لعند
الرعيان وأما الامارة فأقاموا من ساعتهم وركبوا أخيو لهم وكانوا ألفين فارس من
الفرسان المدودة والرجال المشهورة وقالوا إلى أبو زيد اركب معنا فقال أنا ما أروح
حتى ينكشف اسم الخبير فركبوا وفي أوائلهم حسن وساروا الجميع نحو قصر البردويل
وعند وصولهم إليه وجدوه قصر عال البنيان فتقدم حسن نحو باب القصر فوجدوه
مختوم بختم أبو زيد فقال حسن يا ترى هل يوجد أحد في هذا القصر فأتى كلامه
إلا وعاليه أشرفت من الشباك فشاهدت حسن وامارة بنى هلال وكان للقصر

باب صغير غير الذي قفله أبو زيد وختمه بختمه فنزلت عاليه منه وأقبلت أمام حسن وقبلت يديه وتمثل بختمه وحينئذ سألها من قتل ابن راشد فحككت له ما جرى لأبو زيد معه وما فعل العبد مسعود بعد ذلك .

فلما فرغت عالية من كلامها وحسن وبقيّة الامارة يسمعون قواها قال حسن والله ما هذه إلا أفعال أبو زيد ثم قال إلى عالية وأين المفتاح فقالت له مع أبو زيد وبيننا هم في الحديث إذ أقبل أبو زيد راكب على الحصان فعند ما أقبل قاموا له على الأقدام ولأقرب وحيوه في الأكرام وأثنوا عليه وقالوا له لله درك من بطل لا تخشى نواب الأيام وحينئذ قام أبو زيد وأخذ مفتاح البيت المصفيح الحديد والزرد النضيد وفتح لهم وأدخلهم إلى القصر لينفروا على حسن فرشه هذا ما كان من هؤلاء وما ما كان من قوم البردويل عندما علموا بموت ما ليكمهم ساروا عند ابن أخته مسعود وكان عدواً لخاله البردويل وكان نازل في أطراف العريش فأخبره بفعل خاله البردويل ثم قال له سعيد ما الرأي عندكم في بني هلال قالوا الجميع عن فرد لسان أن بني هلال يحرم سعيدهم عالي وأميرهم حسن الهلالي وهذا قد ارتقى ما لا يرقى غيره من درج المعالي فأننا نشير عليك أن نركب جميعنا ونسير اليه ونوقع بين يديه ونطلب منه أن يجلسك مكان خالك فاستصوب سعيد كلامهم وسار معهم لعند حسن فلما وصلوا إلى دار بني هلال طالبوا أن يؤذن لهم بالدخول على حسن فدخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وأخبروه عن حالهم فترحب بهم حسن غاية الترحيب وأجلس الأمير سعيد خلعة سنية وحلة ملوكية وأجلسه مكان خاله وعين عليه الجزية وكتبوا كتاب سعيد على الست عالية امرأة خاله البردويل وبعد ذلك أمر حسن بدق الطبول وأن يرحلوا من تلك النبل فنشرت الرايات وركبت العماويات على الهودج واعتلوا الفرسان ظهور الخيول وأخذوا يمدون السيف حتى وصلوا إلى مصر للقاهرة وكان في بلد مصر ملك يسمى الفرغند بن متوج وكان ملك عظيم الشأن يحكم على أبطال وفرسان بكل عن وصفها اللسان ولما بنى هلال قتلوا البردويل وولوا مكانه ابن أخته سعيد قاموا وتهبشوا على الرحيل فقطعوا كل سهل وورحى وصلوا إلى مصر فنزلوا في تلك النواحي والأطراف وودعوا الزرع حتى حصدوا

الحصيد هذا ما كان من بني هلال وأما ما كان من فرمند ملك مصر فإنه في تلك الليلة
 حلم منام هائل المنظر فقام مرعوب فأحضر الرمال وأشار يخبره عن ذلك يقول :
 يقول الفتى الفرمند بن متوج رأيت مناما آخر الليل راعى
 رأيت نارا ضرمت في بلادنا رأيت سباع ماليا السهل والفضا
 يهبوا لي بالعين قدام ناظرى فهميت إلى اللبوات أصيدهم
 ورفع إلى هتفه لهم ناشى فوليت نحو القصر هارب مرته
 ضربنى بمنقاره وحط مغالبه فقريت من هذا المنام خائف
 بدمع جرى فوق الحدود سجام وألقنى والعالمين نيام
 قد أحرق أشجارها وأكرام ومعهم لبوات بحسن قوام
 كغزلان زنجى في مراح خزام إلا وسبع أسمر على حام
 فوليت منه هاربا وهزام ب إلا وطير أبيض على حام
 في وسط قاي والدما قد عام فحيرت يافاس في هذه الاحلام

فلما فرغ الفرمند من كلامه والرمال يسمع منه نظامه أشار الرمال يفسر منامه
 يقول ابن بدر ان الفهم الى شكى فالتار هذه يصير وضجة
 هذه عرب يسموا بنو هلال بن عامر وخرجوا بعد الاعجام قبل ما أنوا
 وأما السباع التى تقول رأيتهم والسيح الأسمر هذا الهلال سلامه
 والطير الذى جاء من البر لا شك فهذا أبو موسى دياب بن غانم
 عمرك بيده يا ملك في بلادنا فان طعتنى يا أمير لا تعرض لهم
 فانيزل أرضك وما يقربونها بحايسهم عند الزناتى خلافة
 فسبحان ربى واحد علام وتعلموا عجايبه وضرب حسام
 هربان على أحد الحصا وردام ومن بعده خرجوا بلاد الشام
 وهم يتزاحون في البلاد زحام أمير الملا ساير بهم قدام
 وخلى دماك على الثرى سجام وتحتته شبه طير وعام
 وتنمى عليك الأهل والزام سما بوادى خيدين كرام
 ولا ينصبوا في البلاد خيام لهم عنده مدة سبع أعوام

وإنا بنصحك يا أمير لا تتعرض لهم وأنا نصحك والنصح خير كلام
وهذا كلامي يا ملك مصر أفهمه والله كل الأمر والأحكام

فأما فرغ الرمال من كلامه اضطرب اضطراباً عظيماً وهو في هذا الحال إذ دخل
عليه المهمل حاكم الصالحية وسلم عليه وبكى بين يديه وأشار يعلمه بواقعة الحال ويذكر
قصور بني هلال إلى تلك الاطلال فلما فرغ المهمل وفهم الفرمند خوى كلامه واشتدت
عليه المصائب وخاف من العواقب فاحضر الوزراء والأعيان وعقد مجلساً بهذا
الشأن وبعد جلسة طويلة استتم الرأي بوجه الاجمال في أن يرسل بطاليم بعشر
المال والنوق والجمال فان أجابوه بهذا السؤال كان جل القصد والمراد وإلا يبادروهم
بالحرب والملاذ فاستصوب هذا الرأي وكتب لهم بذلك جواباً وأعطاه إلى
تجانب ليأخذه إلى السلطان حسن ويأنيه بالجواب وسار وجد في قطع القفار
حتى وصل إلى القوم في ذلك اليوم فدخل على السلطان حسن وهو في الصيوان وكان عنده
جملة من الأمور والأعيان فقدم وسلم بأصح لسان وتكلم وأوله الكتاب ووقف
من جملة الحجاب بانتظار الجواب فلما فتحه وقرأه عرف معناه اغتاظ الغيظ الشديد
وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كل ما وصلنا إلى أقليم يبادرنا أمره
بالتهديد ويطلب منا عشر المال والحرب والقتال ثم أمر الخدام أن تأخذ الرسول إلى دار
الضيافة وبعد ذلك قرأ الكتاب على أرباب الديوان واستشارهم فقال أبو زيد أرى من
الصواب أيها المهمل إرسال الجواب وتوعد باجزاء الطلب وأطالب منه مئة عشرة أيام
فميناً نكون قد أخذنا الاستعداد التام للحرب والعداء فاستحسن هذا الخطاب وفي
الحال أرسله وسلمه بذلك ولما وصل الفرمند فرح واستبشر وزال عنه الهم والكدر
وأيقن ببلوغ الأمل وظن أنه سينال ما يطلبه من المواشي والفضة والذهب ولم يعلم أن
دون الطالب الملاك والعطب ولما مضى الوقت المعين ولم يقف على إقادة من السلطان حسن
كتم غيظه وقد زاد عليه الحال وكتب للسلطان حسن يطلب منه عشر المال بخطاب (قال
الراوي) فلما فرغ الفرمند من هذا الخطاب طوى الكتاب وأعطاه إلى نجاب وأمره أن يسير
به إلى السلطان ويأنيه بسرعة الجواب فأخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل إلى بني هلال

قبل الزوال فدخل على السلطان حسن وسلم وبأفصح لسان تكلم وأعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قرأه وعرف خواه إلى من حوله من الأمر والأعيان وأعلمهم بما كتب لهم الفرزند وقال ما رأيكم في هذا الشأن فقال أبو زيد للنجاب سر بأمان وقل لمولائك الملك في هذا النهار ينال المطلوب ففرح النجباب بهذا الخبر ورجع على الأمر وأخبر مولاه بما سمع وبصر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وبعد ذهاب النجباب التفت السلطان حسن إلى أبي زيد ليث الغاب وقال له ما ذا عولت أن تفعل يا أبا الحيل قال مرادى أن احتال على الفرزند بحيلة يكون ما سبقني عليها أحد وهو أن اخنار أربعين بنت من بنات العرب ومن جملة هذه الجارية أم محمد واحضر أربعين صندوق يكون طبقتين فاجعل الطبقة الأولى للقماش والحريز والطبقة الثانية للأفرسان المغاور وتحملمهم ظهروا بالجمال واركب مع البنات والأحمال ونسبر إلى الفرزند على سبيل تقديم المال وتدخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى إذا وصلنا إلى هناك احتلنا عليه وبغتناه وبلغنا ما رسمناه ونهبنا ما في قصره من الأموال ثم ارتحلنا بالحريم والعميل من هذه الاطلاع وليس لنا غير هذا التذبير فاما انتهى أبو زيد من هذا الخطاب التفت إليه دياب وقال له ليس هذا الرأي بصواب لأننا نخاف أن ينكشف الحال ويعود الأمر إلى وبال وتقع البنات الأبيكار في أيدي الأندال والرأى عندي أن يبادرهم بالقتال ونشتعل فيهم ضرب السيوف وطعن النصال فتعهد أبو زيد أمام السادات في النساء والبنات بأنه يرجع من سلمات فقال له السلطان حسن أفعل ما تريد أيها الفارس الصندي فعهد ذلك تجهزت البنات في الحال وفعل أبو زيد كما أشار وكانت هذه البنات من المحصنات وكان من جملة هذه وطفا بنت دياب وجمال الطعن بنت أبو زيد وبنت القاضي بدير والست ريا وبدر النعام وجوهر العقول وسعد الرجا وليس أبو زيد قرون من جلد الثعالب والذئاب وتقلد بأسيف من تحت الثياب وأرغى له سوا الفه طوال من أذنان الكدش والبعال وجعل بزمام نافذة الجازية أم محمد وقد تعجبت من أفعاله السادات والعمد وقال له السلطان حسن قد درك على هذه الحيلة التي لم يسبق عليها أحد وودعه وسار بمن معه من البنات الأبيكار والصناديق والبكار ومن داخلهن الأقمشة الحسان والأبطال والفرسان حتى دخل إلى المدينة وطلع إلى قصر الفرزند

فوجدوه بأحسن الزينة والمفروشات الثمينة وكان الفرند قد بلغه قدومهم من
 الخدام فالتفاهم بالترحاب والاكرام فسلطن النساء عليه وجلسن حوايه فقال أهلا
 بالاكواعب والاكرام والاصدقاء والاحباب وكان أبوزيد أمام الجميع وهو يرقص
 ويلعب ويضحك ويعطرب وكان لا يلبس تلك الثياب التي ذكرناها وهو بالصفة التي
 وصفناها فسأل الفرند البنات والنساء ومن يكون هذا الانسان فقالن هذا فرج
 الغموم بمركانه ففرح والسراية السرور وسأله عن اسمه قال قشمر بن منصور
 قال فتلك من يصاح تسامره الملوك لما فيك من الحركات وحسن السلوك فأملى هذا
 الكاس حتى أشربه أمام الجلاس ويحول عن البأس فاملاه وناوله إياه فأخذه الملك
 وهو مسرور الفؤاد وقد بلغه أنه المراد وحصل على ما أراد ولم يعلم أن دون ذلك
 خراط القتاد فعمد ذلك غنى البنات ودقت على الآلات حتى كاد يرقص القاب ويظهر
 من شدة الطرب والفرح الكثير وكان الملك وقعت عينه على الجازية فهام بها وتعلقت
 نفسه فيها لأنها كانت كما تقدم الخبر جميلة المنظر ولطيفة المحضر فأجلسها على جانب
 الأيسر والنفت إلى أبوزيد من تكون هذه يا قشمر فقال هذه الجازية ذات الوجه الحسن
 وأخت الأمير حسن فالتفت إليها وقال لها غنى لي على الكاس يا صبيبة الجمال فان قلبى قد مال
 وما زال يشتد عاها ريثئذ لي بها حتى أجابته إلى مناله وأخذت تغنيه بهذه الأبيات تقول
 تقول الجازية بقاب عروق فنحن اليوم قد جئنا هدية
 هدية من أنى مرعى الهلال أمير البوادي والرمية
 اخي ابن سرحان المسمى أمير ابن أميرة بومكية
 وجئنا لمصر عندنا لك حلل ولا عاذ فيه وواح ولاجيه
 تقول الجازية من قاب عروق أيا حيف الزمان أحيف عليا
 فلما فرغت الجازية من كلامها طرب الفرند من نظامها وشرب الكاس عن اسمها
 وهو يتأمل في محاسنها وبياض جسمها ثم أمر قشمر أن يملأ له كأس آخر فلامه وناوله
 إياه فأخذه وتقدم إلى وطفاء بنت الأمير دياب وقال غنى على هذا الكاس يا بنت الاعماد
 فجعلت تغنى وتقول :

تقول وطفاء فؤادى اكثوى بدمع جرى فوق الخردود قرار

ونهران قلبي كلما أقول تنظفي يهب لها في وسط قلبي شرار
الاياملك سمعك على الناس دابر وطاعت لأمرك سائر الاقطار
يا أمير حبيك سكن في ضامري وألب حشاي ياملك بالانوار
يا أمير مصر اشرب واسكر باهنا وانظر بنات تشبه الاقمار
وانظر جمال واعتدالي وبهجتي وحسني فاق على أفتار
وعنقي كعنق الريم أو عنق شادر وانظر وشامي يحير الافكار
محن الهلايات مافي مثلها تشبه التفاح على الاشجار

فلما فرغت من كلامها انشرح الفرغ من نظمها وشرب الكاس على اسمها واعطاه
لقشمر فلاه وقد زاد عشقه وهو انه ثم تقدم وجلس أمام جمال الطعن وقال من تكونين
ياربة الحسن قالت أنا بنت أبو زيد قال أنت بغية المراد وأنا أسأل رب العباد
يرزقني منك بولد يكون جده الأسد كل هذا وأبو زيد يسمع الكلام يلتفت
إلى وراء ثم قال لها وحيات رأسي أن تغني على كاسي فأشارت تقول :

قالت جمال الطعن بنت سلامة أبيات شعر لا تفات غرائب
ياملك مصر الإشارة فانشرح وانظر بنات فائنات كواعب
انظر بنات هلال يا أمير نظره المنا ونحن كالأسود جايب

فلما فرغت من كلامها وسمع الفرغ من نظمها طرب من كثرة شرب المدام ولعاد
يميز بين النور والظلام ثم صرف الاغوات والخدم حتى لا يكون أحد في هذا المقام
وبعد ذلك شرب الكاس على اسمها وشكرها على نظامها وأعطاه لقشمر ليملاه فلاه
وأعطاه إياه وجلس أمامه نحلا وكذلك جلس أمام جميع البنات الأبقار وهن ينشدونه
بالأشعار وهو يشرب العقار حتى فقد الوجود وصار بصفة مفقود فعند ذلك منحه
أبو زيد حتى غاب ونهض كالأسد ونزع ما كان عليه من الثياب حتى عراه وجعله
هبرة لمن يراه ولفه بحرام عتيق ثم فتح الصندوق فخرجت الأبطال مثل الأسود
فهبوا مافي القصر من الاموال والتحف الغوالي ولم يتركو شيئا في القصر الا أخذوه
باهتمام وكانت وطقة قد أخذت خاتم الفرغند وهو على تلك الحال التي تقشع منها
الابدان ولو أرادوا اقتلوه وأسقوه كأس الهوان وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد

فاغترضهم الحارس فأورته وطفأ خاتمهم الفرند وقالوا نحن جملة الخدام قاصدين الآن
أهلاً لاجل المنام فعند ذلك فتح لهم الباب ولم يعرف حقيقة الأسلوب فساروا في
سرور وأفراح وقد استبشروا بالفوز والنجاح إلى أن وصلوا إلى بني هلال ففرحت
بقدمهم جميع الرجال ودخل أبو زيد على الأمير حسن بن سرحان وأعلمه بما جرى
وكان فالنقاء بالترحاب والإكرام وشكره على ذلك الاهتمام وسأله بواقعة الحال
وما فعله من الفعال فأجابه وقال :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة يا بو على جيت البنات وجيت
وجيت لك مال كثير وعدة تحف وجواهر يا ملك عبيت
وجيت دروع ثم طرس مذهبة دبابيس مع أطيار لك لميت
وجيت معادن وسيوف مسفطة ودجاج معركة وكتان لك شديت
دخلت إلى قصر الملك أبو علي وأركانه يا أمه لك هديت
وقصت للملك وطيبت خاطره ومن بعد ذلك كاسه أسقيت
انقلب فرند على الأرض واقع فقصت أنا من ساعتى فريت
جئنا بعون الله يا أمير كلنا فلا تحسبوني نمت وانسريت
وضمنت أنا البيض من كل ربيعة وقت بقولى يا حسن ووفيت
وجيت البنات والموالي جميعها وهذه فعالي والذي سويت
قول أبو زيد الهلالي سلامة وقسط يوم الروح ما ذليت

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير أبو زيد من كلامه وفهمت الامراء خوى نظامه
وقالوا عن فرداسان الاوفق لنا أن نرحل من المكان قبل أن تهزمنا الأبطال والفرسان
فاستحسن الأمير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وفى الحال أمر بدق الطبول
والمسير والارتحال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتحلوا من تلك
الاطلال بالحريم والعيال حتى ابتعدوا مسافة مسيرة يومين على البلد خوفاً من أن يتجدد
وكان الأمير دياب وزيدان في أول الطعن يبق الفرسان هذا ما كان من هؤلاء وما
جرى لهم من الأحوال وأما ما كان من وزياد الفرندوا كبار الأعيان فانهم كانوا
قد استبطروا حضور ملكهم إلى الديوان فلما فات الوقت ولم يحضر أخذهم القلق

والضجر وقالوا لابد لهذه العاقبة من سبب وكان له ابن أخت اسمه محمود الغنصوف
 وكان وزيره الأكبر وقائد العسكر فسمد إلى القصر في جماعة من الحجاب وقرع
 الباب فلم يجبه أحد فذاع الباب ودخل إلى القاعة فوجدها خالية ووجد خاله موقوف
 بالحرام ومطروح على الأرض فغاب عن الصواب واستعظم هذا المصائب فأرسل
 وأحضر أرباب الديوان ولما دخلوا الأمر ونظروا ما ليكم على هذا الحال فادترام
 إلا أنه قال ثم إن ابن أخته أعطاه ضد البنج فمطس وهو في آخر نفس ووجدوه مافوقا
 في ذلك الحرام وهو في حالة الذل والهوان ولم يجد أحد من البنات والفسوان فراد
 مصابه وعظم لكتابه فبادر ابن أخته بالعجل وأنوا بحلة من أفخر الخلل فلبسها له
 وقد اعتراه الخجل لا سيما رأى خاله على تلك الحال وهو بين الوزراء وسادات
 الرجال ولكنه تصبر فالتفت المالك إلى من حوله من الوزراء وقواد العسكر وقال
 لهم أتعلمون من فعل بي هذا الفعال واحتمال على هذا الاحتيال حتى بلغ القصد
 والامال قالوا من يكون يا ملك الزمان فأخبرهم بوقعة الحال فطلب منهم أن يكونوا
 مستعدين للحرب والقتال فاستمعوا للقضية واستغروا النكاح العملي وكيف أن أبا
 زيد جاءه بتلك الوسيلة وانطلت عليه الحيلة فقالوا الأمر إليك وما نحن بين يديك
 فامر بندق طبول الحرب والاستعداد للطعن والضرب فدفقت في الحال واجتمعت
 الفرسان والابطال وكانت نحو مائتي ألف مقاتل فركبوا في الحال واستعدوا للقتال
 وركب محمود في مقدمة الجنود وخففت على رأسه الرايات والبشود فقال له الفرند اتبع
 بفي هلال الانزال وامنعهم عن المصير والارتحال فيم فيهم ضرب السيف والنضال من
 اليمن والشمال وأنا أتبعك بباقي الرجال في عاجل الحال ثم سار الوزير بالفرسان
 والابطال وجدوا في قطع الروابي والتلال حتى أدرك بفي هلال فلما رأته بنو هلال
 المساكر المصرية قد أقبلت من تلك البرية استعدوا للحرب والقتال وركب
 الفرسان والابطال والتفت بعضها لبعض في تلك الأرض وخرج الوزير محمود من بين
 الابطال فصال وجال في ساحة المجال وطلب براز الفرسان والابطال وقال لهم هل
 من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي كسلان ولا عاجز اليوم يوم هز الهرايز
 (قال الراوي) فلم يترك أبو زيد الوزير يتم كلامه حتى صار قد امه وانطبق انطبق

الامداد بدون شعور ولا إلتقاء فالتقاء الوزير بالمجمل وهجم عليه وحمل وأخذ في الطعن والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام واستمر على تلك الحال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقا على سلامة ولم يبعث أحدهما على الآخر بعلامة وعند رجوع أبو زيد إلى الخيام سأله الأمير حسن على خصمه فقال هو بطل ممام وليث درغام فقال الأمير حسن لا بد من ثانی الايام أن نهجم عليه بالمواكب ونيلهم الويل والمصائب لأن الحریم والعیال سبعة ونا مع الأمير دياب وفي ثانی الايام استعدت العساكر للحرب والصدام فنفخت الزمور ودقت الطبول وركب الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالسيوف والنصول وهجموا كباواكب والكتائب على الكتائب وتطاعنوا بالرمح فله در أبو زيد فارس الجحججاج وكذلك الأمير زيدان وباقي الأبطال والفرسان فانهم قاتلوا أشد قتال وما زال السيف يعمل والدم يبذل فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الأبطال .

(قال الراوى) واستمر الحال كذلك مدة ثلاثه أيام وفي اليوم الرابع انكسرت عساكر الوزير ولم يعد لها أدنى ثبات فزلت في جوانب البراري والقلوات وانفق لها في ذلك اليوم قدوم الفرمنديباقي الجنده قد أشرف إلى ذلك المكان ورأى ما جرى فاغتاظ وحمل على بني هلال بمن معه من العساكر واحتاط بهم من كل جانب فنكس بفعاله الميامن والميامر وحكم الطعن في الصدور والحواطر وكانت العساكر المنكسرة لما رأت جهاشها ظافرة ارتدت إلى معركة الصدام وفانلت بعد ذلك الانزواء وكان الملك الفرمندي قد التقى بالأمير حسن في ساحة الميدان وهو ينحى الفرسان الأبطال فتقدم اليه وهجم عليه فالتقاء حسن بالمجمل وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القل حتى اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الفرمندي فرأى خالته بعدما كانت صامية وأما ضربته حسن فالتقاها الفرمندي في درقه الهولاد فسقطت على رقبة الجواد فبرتها فوق الفرمندي على الأرض وانحطم وصار هو وجواده كالعدم فعند ذلك هجمت فرسانه مثل سيل المطر وخطفوه وخلصوه من الخطر وفي الحال التقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وقاتلوا إلى الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فخرجت العساكر عن بعضها ونزلت كل طائفة من أرضها ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره

ولاح جمع الأمير حسن أ كابر الديوان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم مرادى
أن أكتب الآن واستدعى الأمير دياب ليحضر إلى هذا المكان يساعدنا على الحرب
والطعان وإلا طال الحال وقتلت الفرسان لأنه كما تقدم الأمير دياب كان قد سبقهم
بالحریم والعيال فاستنصروا رأييه وقالوا لقد أشرت بالصواب فكتب إلى الأمير
دياب فعند ذلك كتب إليه يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	ونيران قلبى زایدات لهاب
على ماجرى فينا وقد أصابنا	وصرنا بحيرة والامور ضباب
أيا غاديا منى على متن ضامر	فقل إلى الرضى الأمير دياب
أتونا جموع كالجراد كثيرة	قروم شداد مثل سيل سحاب
نزل من الميدان فرمذرات تحى	وقال كل ينزل من الانجاب
فأين المسمى الأمير سلامة	وابن حسن ثم الأمير دياب
فقلت إبيك يا فارس الوغا	ونزات أنا لحر به يا أمير دياب
ضربته فى القرح ضاب يا أمير ضربته	ففتحت جواده وكادهو ينصاب
والتقى الحيشان فى ساحة الوغا	ويا ما قتلنا من شيوخ وشباب
مقال الفتى حسن الهلالى أبو على	أنا شعر راسى قبل وقته شاب

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير حسن من هذا الخطاب ختمه وسلمه إلى النجاب
وأمره أن يسير به إلى عند دياب ويعود إليه بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد في
قطع الغفار حتى وصل إلى عند دياب فسلمه الجواب وطالب منه رده فلما فتحه وقرأه
وعرف ما حواه احررت عيناه وزادت لها بلاه وأمر بدق الطبول فى الحال وأقبلت
إليه الفرسان والابطال فاعلمهم بحماية الأحوال وقال لهم استعدوا لمساعدة بنى هلال
قبل أن يهبط بهم الوبال وتسى الحریم والعيال فلولم يكونوا فى أشد الأحوال ما كان
كتبلى حسن هذا الكتاب وأرسله للنجاب فلما سمعوا منه هذا الخطاب تحسست
مهم جميع الجمال والشباب وركبوا فى ساعة الحال طالبين معركة الصدام وفى
مقدمتهم البطل دياب ليث الغاب والبطل زيدان شيخ الشبان حتى أشرفوا على
بنى هلال عند الغياب فالتفؤم بالاكرام والترحاب وشكروهم على ذلك الاهتمام وفى

لاني الايام ركبت الابطال والفرسان وطلبت منهم معركة الطعام وكان اول من برز
إلى ساحة الميدان وطلب براز الشجعان الوزير محمد بن أخت الفر منند قائد الجنود ولما
صار إلى ساحة المجال قال هيا يا بني هلال أين فوارسكم المشهورة وابطالكم المذكورة أين
الامير دياب الذي تلقبوه بليث الغاب فما تم كلامه حتى صار دياب أمامه فعند
ذلك أشار يده بهذا القصيد ويقول :

يقول الفتى محمود عما جرى له أنا ناطح الابطال يوم نسكيد
يا ابن غانم أنت صرت غنيمة فسوف ترى مني قتال أكيد
إن طعنتي اسلم بروحك يا دياب اخلع الدرع وما عليك من حديد
وارمي اسيفك ممرحك والسياب واترك الحضرا لائكون عنيد
فلما انتهى من كلامه فأجابه دياب على شعره ونظامه وهو يقول وعمر السامعين يطول

أني دياب الخيل في حومة الوغا قاتل الابطال وكل قوم عنيد
كم فارس جندلته بمهندى وجهات من بعد عزه فقيد
محمود لا تصلح تشوش لحيلنا من كان مثلك نجعله بين العميد
لا بد ماضربك لرأسك بالحسام واترك دماك على الفلاة بديد
مقال أبو موسى دياب بن غانم اسمع كلامي يا أمه لا تزيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انطبق على خصمه مثل
صاعقة انغمم والفقاه الامير كسيع الآجام وأخذ في العراك والصدام ومازالا في قتال
شديد وضرب يشيب الطفل الوائد نحو ساعة من النهار وقد اختلف بين الاثنين ضربت
وكان السابق الامير دياب ليث العاب فجاءت الضربة على رأس الوزير لخل به الهلاك
والتمير فوقع على الأرض يخبط بعضه ببعض فلما رأت العساكر المصرية ما حل
برزيرها من البلية عظمت عليهم الامور وانقضوا على بنى هلال مثل الصقور وأحاطوا
بهم من اليمين واليسار وقال الراوى فالتقطهم بنو هلال كالجبال وتقاتلوا أشد قتال
حتى جرى الدم وسال وعظمه الاحوال ومازالوا على تلك الحال إلى وقت الزوال
فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن ساحة المجال أما الفر منند
فانه بات مشغول البال وفي قلبه نيران الاشتعال على ما تقدم منه من الرجال ولا سيما قتل

محمود ابن أخته فانه كان عنده أعر من مهجته فما صدق أن يطالع الصباح حتى رز إلى
 مساحة الكفاح كأنه ليث البطاح ثم صال وصال في ساحة الجبال وقال لا يبرز لي من الأبطال
 خير أبو زيد فما تم كلامه حتى صار أبو زيد قدماه وانطبق غايه بقلب أشد من الحديد
 وأخذ معه في الحرب والجلاذ بدون جواب وانشاد فالتقاء الفرزدق بقلب كالجبال
 وأخذ معه في الحرب والقتال وهان عليه الأحوال وبلوغ الآمال فقاتل قتال من استقبل
 فثبت أبو زيد لقتاله وفعل كفعاله وما زال في الحرب والصدام مدة عشرة أيام وفي اليوم
 الحادى عشر ظفر به أبو زيد واستظهر فهجم عليه هجمة جبار وضربه على عنقه بالسيف
 البتار وإذا برأسه قد نازف فوق على الأرض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رأى المصريون
 تلك الأحوال خابت منهم الآمال وأيقنت الهلاك والربال واجتهدت أن تخلص جثة
 ملكها فما قدرت وقد أمارها ما رأت رأبصرت وأحملت عزائمها وتأخرت واشتد
 عليها الحصر وخاب أملاها من النصر فرجعت وطأت مصر وهي على أسوأ حال لا تعرف
 النمين من الشمال فنبهتهم بنو هلال على الأقدام وفي مقدمتهم أبو زيد ودياب وزيدان
 شيخ الشباب وحكموا فيهم ضرب السيف القرضاب على الأجسام والرقاب حتى دخلوا
 البلد وهم في حالة الذل والنكد فامارات أكابر المدينة والاعيان ما جرى وكيف أن
 الفرزدق شرب كأس الهوان وما خرجوا إلى عند السلطان حسن بن مرحان وطلب منه
 العفو والامان فأجابهم إلى ذلك الشان وأوصى الأبطال والفرسان لا ينهبوا من أمتعة
 المدينة لا رخيصة ولا ثمنية بل يكونوا في هدوء واحدة شاملاً كراما لمرارات الاولياء
 ومقامات العلماء والعظماء كان الفرزدق ولده مقتدر اسمه الأمير منذر فأحضر اليه قبلة بين
 عينيه ثم ولاه مكان أبيه بحضور أكابر البلاد والنواب والعمد بعد أن أوصاه أن يتصرف
 بمحسن السلوك ويتخلق أخلاق الملوك ثم قامت الأفراح وزالت الهموم والاتراح
 وكان السلطان حسن قد استحسن مصر كل الاستحسان لسكبرها وما فيها من الابنية
 الحسان فضمهم أن يبنى له فيها على اسمه جامعاً يسكون ذكرى له على طول الزمان فأمر
 البنائين والمهندسين ببناء الجامع المذكور في ظرف ستة شهور فأجابوه إلى ذلك المرام
 وبعد أن تم بتمام أمر أن يفرشوه بتفيس الفرش وينقش حيطانه بأحسن النقش
 فقامت أموره في الحال كما قال فكان جامعاً عظيم المنال يزهر كاللؤلؤ وكان مكتوب

على بابيه بالذهب هذا جامع الأمير حسن الهلال سيد العرب وبعد ذلك بثانية أيام أمر الأمير حسن بهدم المضارب والخيام فهدت في الحال وركبت الأبطال ظهور الخيل والجمال وسارت العماريات بالنساء والعيال أمام الفرسان والأبطال وجد في القترحاب قاصدين بلاد الغرب وما مضى ابن مقرب وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مكان يقال له المحاضنة (قال الراوى) وبالأمر المقدور أن الماء في ذلك المكان المسمى المحاضنة كان في ذلك الوقت عند السهول والبساتين والحقول وكان الأمير يبدان والنساء والعيال سائرين أمام الفرسان والأبطال وكان أبو زيد خلف جميع بني هلال فعند وصولهم إلى هذا المكان تضرعت أحوال الرجال والنساء والأطفال والشبان لأن الماء كان جارياً في تلك السهول كالظفر فان فوضت الأحمال عن ظهور والجمال وصاحت النساء والعيال وصرخت الأطفال خوفاً من الغريق ولم يمدوا يرفوف الطريق وقد هموا بالسعادة والتوفيق فلما شاهد الأمير حسن تلك الحال خاف على الحریم والعيال وتضرعت منه الحال وأيقن بالهلاك والوبال فقال لبعض القوم أين أبو زيد بنى هذا اليوم فقال هو مع عمه حسن الجمهرى في آخر الطعن مع حریمه وصياها فأرسل واستدعاه إليه فقال له الأمير حسن قد امتدت علينا المحن وأنا خائف الآن على الحریم والعيال من الغرق وأنشد يقول :

قال الفتي حسن الهلالى أبو على	تفكرت في الدنيا وكل حوليها
رحلنا من نجد المدينة بلادنا	نريد بلاد الغرب نبغى وصولها
أبو زيد الهلالى على الماء نزاحت	كثير من الغربان عرفت جمالها
هل هو حلال يا أبو مخيمر أنه	تغرق إنساناً مع جميع أطفالنا
ترى إن كان لك حاجة تريد نوالها	خذ لك ثلاث حاجات منى بدلها
وإن كان صابك يا أمير مصيبة	بعلم القلم يا أمير عندى زوالها
وإن كنت خائف إن عليا تفارقه	لك فاجعلها قدام وامشى قبلها
قول الفتي حسن الهلالى أبو على	وإن قلبي زائدات شعاليها
فلما فرغ حسن من شعره ونظامه وفهم أبو زيد خوى كلامه صار يقول :	
يقول أبو زيد الهلالى سلامه	فكم جهد قلبي ما يقاسى غباين

من قال لكم يا أمير تمشوا بالعرب
أما تأخرت مع طعن عمى الجمبرى
تقول يا أمير يأتى مكدر
فأقف قليلا حتى أتىك بسرعة
وأجيب عمى فيمشى بقربنا
مقالات أبو زيد الهلالي سلامه
وتمشون وسط الماء وأنتم طماين
حسين أبو عليا وبعض الطماين
علامك يا ابن سرحان كائن
وأتى بعليا مع باقى الطماين
هذا غريب الدار يا أمير حارن
من حزن قلبى صرت حارن
فلما انتهى أبو زيد من شعره ونظامه وفهم الحاضرون معنى كلامه قالوا عن فرد لسان
قطع أبو زيد للعربان فلكر الحصان وبين لهم طريق الأمان لأنه كان لا يعرف المكان
قبل ذلك إلا أن لجأت نوارى العزل وقد استأمنت من العطب وكأول من غير
الجازية وعليها زوجة الأمير أبو زيد الغضنفر فانفق إن هجتها تراحت بعضها ببعض حتى
كاد يقعد على الأرض فتشأنا بالكلام وتخاصما أشد خصام وكانت الجازية ازدردت
عليها وتكلمت معها كلاما لا يرضيها فاغتاظت عليها من الكلام ورجعت إلى الوراء
وأهملت أيتها غانم بما جرى وأشارت تقول :

قالت عليا ولار قلبى تسعرا
ولقد جرى لى يا أبى مشاجرة
عند الخاصة هودجى زاحم لها
نادت وقالت يا عشيقه عبدا
رديت الهودج لأجل كلامها
ارجع أبى عن هلال لأرضنا
لا تحمل المعابر يا أمير الملا
عليها تقول وليس قولى كاذب
اسمع كلامى يا أبى وتبصرا
من بنت سرحان كلاما منكرا
وتخطمت أطرافه فتكسرا
ردى لهودجك بغير تغيرا
والدمع من عيني غدا يتفجرا
ولا تروح عن المغارب تخسرا
القلب منى أو الفؤاد تسعرا
ما عاد لى جلد به أتصبرا

(قال الراوى) فلما فرغت عليا من شعرها وفهم أبوها خوى كلامها اغتاظ
الغيظ الشديد الذى ما عليه من مزيد وعلم أن هذا كان من الجازية عدوان واغترى
وأمر عربيه فى الحال ترد الطعن وترجع إلى الوراء فامتثلوا أمره فى الحال ورجعت
العربان بالنزوق والجمال فى عاجل الحال فلما رأى أبو زيد الطعن راجعة وهى وراء

بعضها متتابعة اندهش وتعجب وسأل عن السبب فقالوا أعلم يا أبا العين هذه طعن
عمك حسن وهو قاصد أن يرجع الاعلال بالحريم والعيسال فلما سمع أبو زيد
هذا الكلام صار الغنياء في عنبه ظلام ثم ركب فرسه الخرا وقصده عمه حتى التقى
به في الصحراء وقال له يا أمك ارجع إلى الورا فبكى عمه وأندب يقول :

قال الأمير الجعبرى بما جرى	العرض منى منك بين الملا
اسمع كلامى يا أمير سلامه	النار فى قلبى تهب وتشعل
عند المحاضة اجتمعت نسام	وبنائكم فوق الموادج تنجلا
فتزاحمت عليها وجازية بالموادج	عند المحاضة والمياه يتجدلا
شتمت عايا الجازية بكلامها	وعات عليها المصائب والبلا
قالت لها عاليا ما هذا البلا	منك أيا بنت سرحان العلا
أنا زوجة أبو زيد الفتى	هو ابن عمك فى الرجال جملا
قالت فروحى يا عشيقه هبنا	سأقطع رأسك ما أخاف من الملا
زادت على عاليا كلام يغیظها	كسرت لحرمتها أنتنى تر فلا
فبكت وشكت وقالت ارجع	فرديت طمنى يا سلامة عاجلا
وحياة رأسك ما بقينا نرجع	للغرب وحياة النبی المرسل

فلما فرغ حسين الجعبرى من كلامه وفهم أبو زيد دخوى شعره ونظامه وكان ذلك
عليه أقوى من ضرب السيف وأشد ولكنه أخفى الكمد وأظهر الضبر والجلد وقال له
أعلم أيها العم المحترم أنه ليس على كل النساء ارتباط والتفت إلى زوجته وقال أعلمنى
يا بنت الكرام بما جرى بينك وبين الجازية من النفور والخصام فأعلمته بواقعة
الحال وأوقفته على جليلة الأحوال وكيف أنها قابلتها بوجه الغضب وشتمتها بدون
سبب وجعلتها عبر بين نساء العرب فقال اخزى عنك الشيطان وقومى بنا حتى نرجع
الآن قالت إذا رجع أبى رجعت أنا لجل يتلطف بخاطر عمه ويطلب منه الرجوع فقال
إن كلامك على العين والرأس إلا فى هذا الأمر فإنه غير مقبول ومسموع إلا بشرط أن
تقطع رأس الجازية وتعدمها الحياة فعند ذلك أرجع وأكون قد بلغت ما أتمناه فقال
(١٤ - مغربية)

أبشر بما طلبت يا عماء فعند ذلك رجع أبو زيد على الأثر والسيف بيده مشتهر حتى دخل على الأمير حسن وهو في السبوان وحوله الأمر وأكابر الأعيان فسلم عليه وهو عابس فقال له السلطان حسن علامك يا زين الفوارس فأنى أراك عابس غضبان فاعلمه بما جرى وكان وقال له في آخر الكلام أن مرادى اقتل الجازية بحد الحسام واسقيها كأس الحمام على ما بدا وحدث من كلام الذم والافتراء وحدثه بما فعلت من الأول إلى الآخر فقال السلطان دع عنك كلام النسوان ولا تغتاض من هذا الشأن وقم بنا الآن حتى نستعطف بخاطر عمك ونعود ولا نجعل لشيانة العدو الحسود فأجابته إلى ذلك المرام وركب هو وإياه وعتد وصولها المضارب والخيام استقبلها محسين الجمهرى بالترحاب والإكرام فأخذ حسن يستعطف خاطره بالكلام ويقول له ارجع يا ابن السكرام ودع عنك كلام النسوان ولا تشمت بنا الاعداء في هذا المكان لانما هرباء الاوطان ولا يجوز أن نختلف في المكان فقال وحق الواحد الاحد انى لا ارجع إلا برأس الجازية فقال أبشر بما طلبت وارجع بالعجل فأنى ابليغك القصد والامل فعند ذلك أجاب وامتثل ورجع معهما في الحال بمن معه من العيال ولما بلغ الجازية هذا الخبر أخذها القلق والضجر وخافت من الخطر فسارت إلى عند القاضي بدير وسلمت عليه وتراعت على قدميه وقالت أنا في جيرتك وقد وقعت على حضرتك لأنك كهف الانام ومن ينجى عليك فلا يضام فقال لها أبشري بالسلامة والخير فقد صرت في جوار القاضي بدير ثم انه أخذها إلى عند الحريم وزادها في التسكريم والتمظيم لأنها من أشرف نساء العربان ولا سيما أنها أخت الأمير حسن عظيم الشأن ثم رجع وهو ينسحب من ذلك الشأن وحوادث الزمان وبينما هو كذلك إذ أقبل الأمير حسن وأبو زيد فارس المعارك فالتقاهم بالبشاشة والترحاب وأخذ معهما في الحديث والخطاب وقال لهما مالكما متكدران فاعلماه ذلك الشأن وان مرادهما قتل الجازية دون باقى النسوان فقال نفسى فداها فسكرى فمكنى أن اسلمكم إياها وقد دخلت إلى دارى وصارت في زمامى فهذا لا يصير ولو شربت كأس حامى فقال أبو زيد لا بد من قتلها على وقاحتها وفعلها فتقدم حسن إلى القاضي بدير سرا وقال أخاف من رجوع أبو زيد إلى نجد إذا ما بلغنا غاية

للقصد ونقع في هذه الديار ويحل بنا الهلاك والدمار فقال القاضى من الصواب
أيها الاحباب أن تمحشروا عليا والجازبة للمحاكمة والاستنطاق فإني تكون مدينة
مهما تستوجب القتل والاستحقاق ولا يعود يلومنا أحد من الناس لأن هذا الأمر
مخرج عن حد القياس فلما انتهى القاضى من هذا الخطاب رآه عين الصواب
وهكذا استقر الحال ورجع أبو زيد إلى عند عمه فأعلمه بوقعة الحال وأرجعه
مع ابنته عليا إلى الديوان وكذلك حضرت العجائبة المرافعة في ذلك الشأن فجعلت
خلف الستار خوفا أن يقتلها أبو زيد بالسيف البتار فعند ذلك سألتها القاضى عن
سبب إهانتها لعلها ما هو الداعى الموجب لذلك المقال الذى يورث القيل والقال
فأبكرت أمام الحاضرين بانها ما قالت لها كلاما يغضب ولا يهين بل كان كلاما على
سبيل العتاب وهو عادة الاحباب فالتفت إلى عليا وقال يظهر من هذا المقال بأن
الجازبة لم تتكلم في حقك شئ يورث القيل والقال فإن كان معك شهودا فاحضريهم لىكى
يشهدوا عليها فذهبت البنات اللواتى كن في ذلك الوقت حوالىها وأعلمتهن بما جرى
وكانت طلبت منهن يحضرن معها للديوان فقلن نحن لا نذهب معك ولا نترك العجائبة
وتنبهك فعادت على الأثر وأعلمت القاضى بذلك الخبر فقال هى بريئة ليس عليها
أذى حق وقد تكلمت بكلام الصدق ثم دخلت لعند الحريم ووجعت عليها عند
أبيها وهى في غم عظيم فلما رآها أبو زيد راجعة تنهد من فؤاد قريح وقلب جريح
بعظمت عليه المصيبة وقال لو لم تكن معى عليا فى هذه التخرية ما كنا ملكنا بح
ولا ظفرا باحد ولو كنا أضعاف هذا العدد لآنى كنت إذا نظرتهم وهى فى المبدان
يمتد منى الحان ولا أعود أشبع من الطعام ثم تنهد بعد ذلك وأشد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة إلى التوب قد سارت جميع الفوارس
أنا ثالث الاثنين أبجدت سيرهم وأبهم وان حوجت كفت خامس
أنا مزعج الفرسان في حومة الوغا وأنى قرى العزم صعب المراس
وبدم أبونا الملوك وجمهروا وقد أسروا الزينات ثم التواعس
وقالت عليا - يا أبو زيد عيشنا أيا أمير لا نخشى حديث المجالس
ثمانين بنتاً من هلال أسارى بنات أمارا لابسين الاطاس

وقلنا إلينا يا هلال انجدونا غدينا سببا مع الوجوه العوابس
 أبو زيد انجدنا واسترنا عيوبنا فتلك من يصلح الحرب الفوارس
 فلما سمعت القول صاحت ضامري وقد ثار مني ما سارى هادس
 فشجعت نفسي فركبت لي العدا ومكنت ضربتي لدروع الوابس
 ولما رأت عاليا هجرى على العدا فخافت أن أكون على الأرض ناكس
 ناديت أيا زغبى فانجد سلامة أحاطت به الفرسان مثل الأفارس
 أتاني الفتى الزغبى دياب بن غانم يطارد الأعداء كاليث هابس
 فخمسة منا طاردوا خمسمائة وفيهم أمانجد ثم فيهم فوارس
 فأولنا كان الخفاجى عامر وثالثنا القاضى يكيد الفوارس
 وثالثنا الهلال أبو على ورابعنا الزغبى وثا كنت خامس
 مقال أبو زيد الهلالى سلامة أنا راجع إلى نجد دون الفوارس
 فلما فرغ أبو زيد من هذا الانشاد ركب ظهر الجواد وقال والله لقد ملئت من
 الحرب وليس لي بعد حاجة في بلاد الغرب ثم رآته الأمراء والفرسان قد رجع إلى
 الوراء وازدادوا غما وكدا واستعظموا الحال وعلموا أنهم بدونه لا ينفعون في
 القتال فعند ذلك تقدم الأمير زيدان وقال للأسادات نحن والله بدون أبو زيد لا نقدر
 على عمل الحيلة ولولاه ما كنا قطعنا كل هذه المسافة الطويلة ثم أشار يقول :
 يقول الفتى زيدان عما جرى له أرى أبو زيد الهلالى راح
 إذ راح أبو زيد الهلالى مشرق ما عاد لكم بين الأنعام نجاح
 أبو زيد ما له بالمغرب حاجة حتى يسير له ينجد رواح
 ولأن رجعتهم يهاكوا أولادكم ويقوا على وجه الأراضى طراح
 ولنجد ما تقدر تعود بطعننا يوجد لنا أعداء بكل بطاح
 أبو زيد أن عاد يذهب بينهم في حيلة منه وحرب صفاح
 قوموا إليه وادركوه بالعجل بكباركم وصغاركم ملاح
 فلما فرغ زيدان من هذا الشعر والنظام وسمعه الأمير حسن وباقي الأمراء
 الكرام قالوا لقد تسكمت بالصواب وأشرت بأمر لا يعاب لأن أبا زيد سيفنك

الصقيل ورعنا الطويل وقال الأمير حسن مرادى أذهب إليه وأخ في الكلام عليه
عساه أن يسمع ويرجع وإلا بدونه فلا نصلح ولا ننتفع ثم ركب في الحال وأخذ معه
جماعة من الأبطال وصار إلى عند حسن الجعبرى وقد علم أن أبو زيد محق في رجوعه
وغير مفترى فالتقاء بالتمظيم والاحترام وأكرمه كل الأكرام وبعد ذلك قال له
الأمير حسن إن كل غاية مرادك أن ترجع إلى أرضك وبلادك فدفع أبو زيد
يوصلنا إلى بلاد الغرب ولا تشقت شملنا ثم أشار يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو هلى ولى قلب بين الجواهر طار
أيا أمير قد جيتاك نرجو لعمرك أيا لست أطول الأعمار
فأولادنا بالقهروان وقابس وهابن وهم فى قلعة وحصار
تريد ترد أبو زيد ياملك يدانا للقيروان جهار
فادخل عليه لا بد يعمل عزمك يا برمكى يا مكرم الخطار
حتى تروح إلى البلاد نعيمهم وتجمل بلاد القيروان دمار
فقلبى على مرعى قد ذاب وانسكوى وشيت بقلبى والضائر نار
لأن سلامة خاضعنا لأوامرك وأنت معى أرجع وتسددار
ورخلى كلام المجازبة أم محمد فلا بد أتركها تروح دثار
هشاش مرعى هنت خالى وجيتكم واثرك هلال كبارهم وصغار

فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه فهم حسين الجعبرى فحوى كلامه قال أنا
لا بد لى من الرجوع إلى ديارى وتلك الربوع ثم أنه التفت إلى أبو زيد قال بحبائى أن
ترجع إلى قومك بنى هلال وتذهب معهم إلى بلاد الغرب وتلك الاطلال فقال سمعنا
وطاعة ثم ودع زوجته وعمه ورجع من ساعته وكان قد تأمر على فراق عليها لأنها
كانت أهو عليه من نساء الدنيا فبكى بدمع مرهاقه من ألم الفراق فلما اشتد عليه الحزن
اجتمع صف الأمراء والأعيان ودخلوا على الأمير حسن فى الصيوان وقالوا ما هو رأيك
أما السيد المحترم فإن أبو زيد كثير الفلق والغم فقال هرندس ودياب وجماعة من
أكابر الجهال والشعاب أنه من الصواب أن يتزوج فتزول عنه الشدة ويحصل على الفرح

فصار كل واحد منهم يقول أنا أزوجه ابنتي وأشاركه في مالي ونعمتي ثم جمعوا بنات
 أمراء القبيلة وزبنوهم بأحسن الشباب الجميلة وكان من جملتهم ثمانين بنت من بنات
 الأماة وهم بنت الأمير دياب بنت الغاب وبنت الأمير حسن وبنت الرباعي وبنت
 عرندس الأسد المفترس وأسد الليث السكندى والقاضى بدر والجازية أم محمد التى
 بسببها حصل النزاع والنكدوا حضروهم أمام أبوزيد وأعرضوه عن عليه وأوقدوه من
 بين يديه وقالوا له اختار لك واحدة من هذه البنات زوجة لك عوض عليا فإن كل
 واحدة منهن أجمل منها وأحلى وألت أحق من وأولى فلم يرضى ولم يقبل أحد منهن
 ثم تقدمت الجازية إلى بين يديه وعرضت نفسها عليه وكانت كما تقدم عنها الخمر
 جميلة المنظر ومحبوبة من جميع البشر فقال لها ارجعى ارجعى على مرتين وإلا جعلتك
 بسيفي قطعتين فاغتاظت من هذا الكلام وكانت تظن أن ينزوجهما وتباغ المراد ثم
 خرجت هى والبنات إلى المضارب والأبيات وفى اليوم الثانى عبرت بنو هلال نهر
 النيل ومازالوا يقطعون البرارى والبيد حتى وصلوا إلى بلاد الصعيد وكان الحاكم
 عليها فى تلك الأيام رجل صاحب قدر ومقام وفضل واحترام قد اتصف بالجلود
 والكرم ومحاسن الشيم وبجوده كانت تضرب الأمثال فى الشرق والغرب واسمه
 الماضى بن مقرب وكان صاحب حسب ونسب وأصله من بلاد العرب وكانت إقامته
 فى بلاد نجد العديّة إلى أن تسلّكها بنو هلال بالقوة الجبرية وقتل ملكها الهيد بنى
 عطية واستوطنوا فيها وانتشروا فى جميع نواحيها فاصطحب الماضى من الأمير
 حسن وسادات بنى هلال غير أنه لكثرة الرجال وازدحام المراعى بالنوق والجمال
 ارتحل الماضى من تلك الأرض وسار بأهله وعياله ونوقه وجماله ومن يلوذ به من
 رجاله وأتى إلى بلاد الصعيد وسكن فى تلك البيد وكان ملكها رجل جبار صاحب
 بطش واقتدار وهيبة ووقار يقال له نصار فاتفق مع الماضى أشد ائتلاف وجملة
 ناكبه فى تلك البلاد كما تقدم التّقام وشاركه فى ماله ونعمته وبعد موت الملك نصار
 تسلطن الماضى على الديار وكان محبوبا من الكبار والصغار فلما وصلت بنو هلال

إلى تلك البلاد كما تقدم التقام الماضي بالترحاب والاحترام وأظهرهم مزيد الإكرام نظرا لما بينه وبينهم من الحب القديم والود وأنزاهم في بلاده مع رعاياه وأجناده وأخذ الأمير حسن ومن يلوذ بهضرتة وأعوانه وأكابر عشيرته إلى سرايته وأجلاسهم في أعز مقام وذبح لهم الطيور والأغنام فشكرته الأمراء على حسن اهتمامه ثم أخذهم إلى أبياته وأقام الأمير حسن في ضيافته مع أهله وسادات عشيرته مدة عشرة أيام في الاعزاز والإكرام وشرب مدام وأكل وطعام وبعد ذلك نفرقوا في بلاد الصعيد وانتشروا في البيوت وهم في سرور وأفراح وبسطوا الشراخ فانفق في بعض الأيام فيما كان الماضي جالسا على الطعام قال له أحد الأعوان اعلم يا مملك الزمان قد بلغني من بعض النسموان أنه يوجد في بني هلال امرأة بديعة الجمال عديمة المثال في الحسن والسكال والقند والاعتدال وفصاحة المقال لا يوجد مثلهما بين الخلق لا في الغرب ولا في الشرق اسمها الجازية كأنها الشمس الصاحبة إذا خطبتها منهم حصلت على السرور والأفراح لأن طلعتها تنعش الصدور والأرواح فقال الماضي يا قومنا ان طلبنا منهم بقولوا الماضي يريد حق صيانتهم منا بنت من بناتنا فقال له الوزير يا مملك الزمان الزواج بين الناس ما هو عيب والذي يتقرب من الناس خير من الذي يبعد عنهم فقال بعض الحاضرين وكان من الوزراء المقيمين أقدم سمعت أنا أيضا بنهر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ولكن اعلم أنهم لا يزوجونها بأحد ولو كان من الملوك أعظم العمد فإذا كان ولا بد لك أيها الملك من ذلك فاطلب أولا فرس دياب الخضر التي لا يوجد مثلهما في جميع الممالك وأنا أعلم أنه لا يعطيها لأن نفسه معاقبة فيها وبهذه الحيلة يصير لك واسأله على أن تطلب الجازية وتقال المراد بعون رب العباد فلما سمع الماضي هذا الكلام تعاق قلبه بالجازية وكان استحسن هذا ورآه عين الصواب فمكتتب إلى الأمير حسن يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتي الماضي بن مقرب و دمي جبري من فوق خدي حاتم
وغاديا مني على متن ضامر تسبق هبوب الريح أم النسيم
إذا جئت إلى هند الأمير أبو علي حسن بن سرحان وفي الزمام

وقول له اسمع يا أمير مقاتي وافهم من الماضي معاني لوازم
فانقد بلغني يا أمير بأنه موجود في قومك خيول أكارم
إلا فارسلوا من خيار جيادكم أريد أنا خضرة دياب بن غانم
وإن كان تعطوني يا أمير نظيرها فابقوا عطيتك إلا يا أكارم
فقال الفتي الماضي على ما جرى له أنا مستحي منكم والله أعلم
فلما انتهى من هذا الخطاب سلمه نجاب وأمره أن يسير في الحال إلى بني
هلال ويسلم الكتاب إلى الأمير حسن فأخذه وسار حتى وصل إلى بني هلال فدخل
على الأمير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب فلما فضله وقرأه وعرف حقيقة خرواه
احتار من هذا الطلب ثم أعطى أبوزيد الكتاب وقال له كيف عاد الرأى عندك
أنا أعلم أن دياب ما يطلع عن الخضرة ولو ذهبت بني هلال فلما سمع أبوزيد
هذا الكلام أشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	هذه أمور مشكلات صعب
احضر أكارنا وكل شيوخنا	ونسير إل عند الأمير دياب
نطلب الخضرا منك يا ملك	وإن أبي لاتكون مرتاب
نرسل عوضها الجازية في هودج	نجهز بها الماضي يا أحبابي
وتقول له رحلنا لئند الزغي	من أجل خضرة الجميع ركابي
وأعطيه مال وأخيه سوابق	وأعطيه خدم وهود رقابي
قول الفتي المسمى الأمير سلامة	يا أبو علي هذا جميع جواني

فلما فرغ أبوزيد من كلامه والأمير حسن يسمع لظامه فقال أبوزيد إن الرأى
هندي أيها الملك المهاب أن أذهب أنا وأنت مع القاضي بدير إلى منازل الأمير دياب
ونعلمه بما تم وجرى ونطلب منه ينضم علينا بالخضرا وندفع له عوضها من
الأموال والخيول والجياد والاسامات أحوالنا واشغل بالنا فقال الأمير حسن دبر
يا أبوزيد برأيك الحسن فركبوا وساروا في الحال حتى أشرقوا على تلك الاطلال
فالتفاهم الأمير دياب بالأكرام والترحاب وأولم لهم ألوانهم وقال أهلا وسهلا ياسادات

ولا كرام وبعد أن جلسوا قليلا التفت الأمير حسن إلى دياب بن غانم وقال له لي
هذه حاجة أريد أن تقضيها وتبلغ أماننا ثم أشار بخطبه بهذه الآيات أمام
الأمراء والسادات :

يا أمير زغبى افهم أعلامى	يقول الفتى حسن الهلالى أبو على
سلاما ومن بعد السلام كلام	أنا من الماضى كتابا يقول به
أمير بنى زغبه غنام	يقول أبو زيد حشرة دياب الغانم
وبوشى وما لى يافتى وغنام	ألا دياب خذ خيولى جميعهم
واسترونا يا ابن خير كرام	وخذ بنتى يا أمير جلملة
أنى دغيملك يا أبو غانم	مقال الفتى حسن الأمير أبو على

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من كلامه فهم دياب خوى قصده ومرامه وقال
بمحضور السادات يا أمير حسن كل شئ عندى فى قبضة يدك إلا الحضر أو ما فيها تفريط
لأن روحى وروحها سوا فلما فرغ الأمير دياب من كلامه التفت إليه خاله الفاضل
بديرو وقال له هتكت الأمانة وكيف يبيعوا إلى عندك وما تقضى غرضهم قل له يا خال إن
الحضر أعز على من البنين والبنات فخذ عوضها مهما تريد من الخيول لأنى لا أعطيها
لأحد لو اجتمعت على كل الخلائق فاغتاز حسن من هذا المال وعول على الرجوع
إلى بنى هلال فنعه الأمير غانم عن الرجوع وأضافه عنده بمن معه من الجموع وذبح
لهم الأغنام وأكرمهم غاية الإكرام وفى ثمانى الأيام دخل على أبيه دياب وعاتبه
أشد عتاب وعافى عليه فى الخطاب وأمره أن يعطيه الحضر أو غنما منه وجبرا فأجاب به
لذلك المرام ولم يقدر يخالفه بالكلام ثم أنه سرج الحضر فى الحال وقادها الأمير
حسن وأشد يقول :

يا أمير زغبى دياب الغانم	يقول الفتى زغبى دياب الغانم
ولا أنا بين الملا مرصاد	يا أبو على لست بخيول ولا أرى
تريدوا إلى الحضر يا أجواد	ولكن جيتم يا أمير لنحونا

وما طاق قلبي يا أمير فراقها
وقلت ما هي عطية لأبو على
ولكن سيرسها لابن مقرب
وقدرك كبير عندنا يا أبو على
تدى المسال ثم الابل يا ملك
أنا تحت أمرك يا أمير أبو على
مقال الفتى دياب الغانم
(قال الراوى) فاما فرغ دياب من كلامه شكره الأمير حسن على حسن اهتمامه.

وأشار يحميه بهذه الابيات على مسامح الأمراء والسادات :

يقول الهلالى أبو على
أجاد أبو وطفا دياب الغانم
غدرتك منى يا أمير فبالها
خذ لك ميتين بكرة عذيلة
وخذلك ميتين حمل من الذهب
وخذلك بنقى يا أمير عطية
وأنت عمرك ما بخات بحاجة
يالمت عمرك الف عام من المدا
مقال حسن الهلالى أبو على
أجاد الفتى الزغبى أجاد
أمهها بين الأكار ساد
ثمانين فاطر تعجب النقاد
وميتين ذرعا من شغل بواد
وحاين عنبر ثم حمل زباد
يا ابن قوم جيدين جواد
وأنت دياب سيد الأسياد
تعيش ولا تنظر ألم ونسكاد
أنا أطبق وطفا بلا ميعاد

فلما فرغ الأمير حسن من هذا المقال قال أبو زيد أكتب كتاب إلى القاضي

وارسل له الخضر فى الحال فكتب له يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على
أيا ماضى الفتى حسن الهلالى أبو على
أرسلتها اليك بسرجهما
وما مثلها عند الملوك جميعها
خاشا لمثل أن يكون بخيل
أريد أنا خضره دياب عجيل
والدرع والدبوس بالتسكيل
وليس لها عند الملوك مثيل

أيا ليلها يا عم مباركة فوكل عليها يا أمهر وكيل
 مقال حسن الهلال أبو على تمنيت عمرك أن يكون طويل
 فلما انتهى حسن من هذا الخطاب ساهم إلى النجباء وأمره أن يسير بالخصر
 لعند الماضى ويعطيه الكتاب فبكى دياب على فراقها وتقدم إليها وأعانها فأخذها النجباء
 وجد في قطع الأراضى حتى وصل إلى عند الماضى فقدم له الفرس وأعطاه الكتاب
 فلما قرأه ورأى الخصر أعجب من كرم الأمير دياب ثم أنه سلمها إلى اثنا عشر
 سايس ووكلها جماعة من الفوارس والتمت من حوله أكار قوم وهنود من نحو
 الخصر ونظروا إليها فلما رأوه لها نظريين الخيل فقالوا له يا أمير ماضى هنيئنا لك
 بهذه الفرس الله يجعلها مباركة . فبينما هم بالكلام وإذا بنجباء مقبل من صدر البر
 وقد كان قاصد الماضى ولا يزال إلى أن وصل إلى باب صيوانه فحول على باب
 الصيوان وسلمه كتابا وتمثل ووقف بين يديه ففتحه الماضى وقرأه بين السادات
 والعمد وإذا به من عند شكر الشريف بن هاشم زوج العجازية أم محمد يتضمن على سلام
 وافر وشوق متكاثرو من عجب ما تضمنه وحواء هو تنازل عن العجازية وتقديمها
 له لتكون من جملة نسائه وكان السبب الذى وجب لهذا الأمر المستغرب
 الذى لم يسمع مثله فى الغرب والعجم هو أن بنى هلال عند وصولهم إلى مدينة
 الشام وحروبها مع شبيب التبعى كما سبق الكلام كانت العجازية أرسلت إلى بعلمها
 المشار إليه كتابا تسلم عليه وتعلمهم عن مسيرهم إلى بلاد الغرب وأنهم سيجتازون
 في طريقهم على الأمير الماضى بين المقرب وأنه بالكاد أن ترجع إليه وتراه فلما اطلع
 زوجها على هذا التحرير وقرأه وعرف حقيقة حقواه أوجبه الحال أن يكتب
 الماضى ذلك المقال لأنه كان محبة ونور قربة فتنازل عن زوجته نظرا لفرط
 مودته وأرسل له أيضا صورة الكتاب على سبيل العهد والميثاق وهذه صورته :
 قال الفتى شكر الشريف بن هاشم لى قلب من وسط الحشا موجوع
 وعينى لاتنام ولاتألف السكرى جرى دمعها فوق الخدود نبوع
 وخصى بحور الماشقهن جميعها وانحط لى فى وسطهن قلوب

وهذه مقاديف المراكب في يدي
 ما ليح صبا قلبي وروحي مهيج
 نعم أيها الغادي على متن ضامر
 إذا جئت إلى الماضي بن مقرب
 فأمر الملا سلطان كل بلاده
 أيما ماضى جاك العرب فمن بلادنا
 عرب إن احتاجوا إليك تخاضع
 فقيم فتاة البجازية أم محمد
 إذا خيط الخياط وصنف ثوبها
 أرسلت لك يا ابن مقرب حليتي
 يا زخرة المحتاج إن قل ماله
 أهدتها لك نخذها زوجة
 فهذه تكون مني لك عطية
 فان عصوا فلم عليهم بأمر جموعك
 نعم هكذا قال الشريف بن هاشم

فلما فرغ القاضى من قراءة الكتاب وفهم الحاضرون ما حواه من الخطاب اعترام
 العجب واخذهم الطرب وقالوا وحق علام الغيوب لقد جاء هذا الكتاب طبق
 المرغوب لأنه لم يخطر قط على بال أحد بأن شكر الشريف يتنازل عن الجازية أم محمد فانفق
 رأى الجمهور وجهه إلى جمال على أن الماضى يرسل الخضر إلى بنى هلال ويعلمهم
 بواقعة الحال ويطلب منهم الجازية بدون ائمال فاستصوب الماضى هذا القرار
 وأيقن ببلاغ الاوطار وكتب إلى الأمير حسن بهذا الصدد وأرسل الخضر وطلب
 منه الجازية أم محمد وهذه صورة الكتاب وما تضمنه من الخطاب :

يقول الفتى الماضى بن مقرب بدمع جرى فوق الحدود بدار
 ياريت عمرك ألف عام على المدا تنال الهنا والخير والاسعاد

أرسلت لك خضرا دياب بن غانم
وسامح بهامن أراد منك جزائها
تورث للعداوة يا أمير وبعضه
إذا قصرت الشر والخلف بينكم
ونحن نعرف يا أمير مكارمك
وأنت نعم الطالب على الحساب
أريد فتاة الجازية أم محمد
تخدمني ميتين فتاة الجازية أم محمد
وميت يمى حرير صنعة اليمن
وميت عبد يا أمير وعبد
وميتين ملوك من الترك أصلهم
والفين حربة صنعة أبو جبار
وميتين درع يا أمير وخوذة
وخلة لك ثمانين من الدراهم
مقال الفتى الماضى بن مقرب

وأبذل فيها أموال مم جبار
ولكن قلبه فيه كثير حقاد
ونحو أمورا هائلات شداد
وأطفيت نارا موقدة بوقاد
وكفك سخي طول المدا مداد
أريد منك النفس بلا ميعاد
وهى بنت عمى بغيتى ومرادى
وميت حصان ادوجى شداد
وميت حل من عمل بغداد
وميتين سرية من الأهداد
والفين سيف صنعة النهاد
مركبة يا أمير على أعماد
والفين دبوس من البولاد
ذهب مصرى يعب للنفاد
وأنت انا يا أبو على إسناد

تمت هذه القصة ويلها قصة الزناني خليفة

قصة الزناتي خليفة

حاكم بلاد الغرب ونزول بني هلال وما حصل لهم من
الحروب والأموال التي تشيب الأطفال وتدهش العقول
وتحير الأفكار

(قال الراوى) لهذه السيرة أن الماضى كتب كتاب تقدم في الجزء السادس
حيث بعد قراءته على مسامع وزرائه وكبار دولته أوجده مناسب وبعد ذلك سلمه إلى
النجباء وسلمه الخضر فارس دياب وأمره أن يسير إلى عند الأمير حسن ويأخيه
بالجواب فامتل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل إلى عند بني هلال قبل الزاويل
فدخل على الأمير حسن وسلمه وطلب منه الجواب واتفق بالامر المقدر أن الأمير
دياب كان حاضراً في ذلك المحضر فلما فتح الكتاب وقراه وقال الحمد لله فقد زال العنا
والسكرب وقد حصلنا على بلوغ الأرب ثم التفت إلى الأمير دياب وقال له أمام الأمر
والاعيان ما فرسك قد رجعت إليك فقم وخذها بأمان واشكر الإله الرحمن على
هذا الجليل والاحسان فقال دياب إنني ما ذهبت قط في حياتي وعدت استرجعها إلى
أبياتي فابقها لك واجعلها من جملة خيولك فقال هذا لا يكون كتر الله خيرك فأنت
صاحب المعروف وأحق بها من غيرك فعند ذلك أخذها دياب وسار وهو في غاية
الفرح والاستبشار وبعد ذهاب الأمير دياب استدعى السلطان حسن بأخته الجارية
فأنت ودخلت عليه وقبلت رأسه وبين عينييه وقالت له ماذا تريد أيها الملك السعيد
فأخبرها كيف أرسل الماضى بطلبها ومراده يتزوج بها ولما سمعت هذا الخطاب تكذرت
وقالت كيف يتم هذا الأمر وبعلى وهو شكر الشريف وأبو ولادى محمد وعمر
والشدة نقول :

تقول فتاة الحى الجارية أم محمد	بدمع جرى فوق الحدود بداد
أنا بعلى شكر الشريف بن هاشم	سلطان مكة من أب وجداد
ورافقت أولادى بنغير إرادتى	وطاوعتك ما كان لى بمرادى
ومافرة الأولاد إلا مصيبة	فما يدخل هينى قط سهاد
وما شفت عسى من شكر نسكية	كلاما مغلظا ثم زود عناني

وما طالتني أريد مدله وصار يتلى لميب ووقاد
فوالله لست للشريف رايدة ولكن ترى لي هنده أولاد
مقال فتاة الحى الجازية أم محمد وميكدا حكم ربي على عاد
(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من كلامها والامير حسن يسمع نظامها كتب
الامير حسن هذا المكتوب يمتدح للماضى عن تقديم المطلوب .

(قال الراوى) فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه الى نجاب ليأخذه الى الماضى
ويأتيه بالرد فامتلأ وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى الماضى فأعطاه اليه فلما
قرأه وعرف معناه كتب الى حسن بذلك الصدد وكيف ان شكر الشريف قد تنازل
عن الجازية أم محمد ثم أرسل ذلك الشريف مع الرسول الذى حضر من عند شكر
الشريف فلما وصل اليه وسلم عليه وكان جالسا فى الديوان وعنده جماعة من الامراء
والاعيان وكانت الجازية من جملة الحاضرين فى ذلك المكان فلما فتح حسن
الكتاب وقرأه وعرف رموزه ومعناه تعجب وانتهز من ذلك الخبر الذى لم يخطر
على فكر بشر ثم التفت الى النجاب القادم وقال له كيف أحوال شكر الشريف بن
هاشم فقال الحمد لله بخير وعافيه وهو يهديكم جزيل الاشواق الوافية فعند ذلك
أخبر الحاضرين بذلك التعريف وما كتبه الى الماضى شكر الشريف فلما أطاعت الجازية
على هذا الحال اعترأها الاندهاش وقالت هذا لا يكون أبداً ولو شربت كأس الردى
فقال أبو زيد أنه من الصواب يا بنت الكرام أن نوسلك الى الماضى بكل إكرام
لأن له علينا جميل واحسان ولا سيما ان زوجك قد رخص له هذا الشأن ففى صرت
هنده حاوليه بأمر الزواج وأن أخاصك من هذه القضية وتذهبين معنا الى الغرب
بالسوية وهكذا انقضت الأشغال وتمت الأحوال واغتسلت الجازية بالأطياب
ولبست أحسن الملابس وكانت كما تقدم الخبر بدیعة المنظر تزهو كالقمر فازداد
حسنها عن الاول لما تزينت بأغفر الحلال ولبست الجواهر تذهل البصائر ثم ركب
فى هودجها بجماعة من الذنوان وركب معها أيضاً الامير حسن وعدة من الفرسان
وجدوا فى قطع الاراضى طالبين الماضى وأوسلوا يعلموه بقدم الجازية والامير
حسن عليه فأخذه الكتاب وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى عند الماضى

فأعطاه إياه فلما قرأه زادت أفراحه وكثر انشراحه وأيقن بلقا الحبيب في وقت
قريب وأمر أحد وزراءه العمدان يركب المصاكر والعدد ويلاقي الأمير حسن
والجارية بر البلد فركب في الحال بثلاث آلاف من الفرسان وسار يقطع
للقفار بالأغاني وسار معه جماعة من النسوان الذين لهم قدر وشأن فكانت النساء
تدق بالدفوف والمزامير والفرسان تلعب بالرماح والسيوف الهواتر إلى أن التقوا
بعضهم البعض في تلك الأرض فزادت بينهم الأفراح وجدوا في قطع البطاح حتى
دخلوا نصف النهار وكان يوم يستحق الاعتبار لم يسمع مثله في سالف الأعصار وكان
الماضي قد زين القصر بأنواع الحرير والقماش الفاخر وعند وصولهم استقبلهم أحسن
استقبال وأجلس حسن في صدر المقام وجلست حواله الأمراء الفخام ونزلت
العروس عند الحريم وهي في تعظيم ثم دارت الحلويات وكاسات الشربات على
مائدة الأمراء والسادات وبعد ذلك حضرت سفرة الطعام وفي أمن جميع اللحومات
كالضأن والدجاج وبعد أن أكلوا وشربوا ولذوا وقصت النساء والبنات وغفت
المغنيات بأنواع الاصوات فكانت لم يسمع بمثالها ولم يفعل أحد كمشكلها واستمر
الحال على هذا المنوال والقوم في فرح وسرور وغبطة وحبور مدة ثلاثة أيام على
النمام وانفق في اليوم الرابع استأذن الأمير حسن من الماضي بالسفر لبلاد الغرب
فقال الماضي أيها الملك تقوم عندي في هذه الاطلال فبلادى واسعة كثيرة المراعى
والأوفى نبقى معاً .

فلما فرغ الماضي من كلامه شكره حسن على اهتمامه وقال لا بد من المسير فعرف
الماضي بأن لا بد لهم بالتوفيق وبلوغ الوطن ولما صمت بنى هلال على الذهاب والرحيل
جعلت الجازية تبكى بدمع غزير لأنه لم يكن لها صبر ولا سلوان على فراقهم ساعة من
الزمان فلما زاد عليها الحال كثرت من النحيب والأحوال انزعج الماضي من تلك
القضية وسمح لها بالذهاب معهم إلى الغربية ففرح بذلك الأمير حسن وحالا أمر
الفرسان بالركوب فركبت الفرسان ظهور الخيول وساروا قاصدين بلاد الغرب وتلك
الديار فعند ذلك رغب الماضي بالفرسان وساروا بصحبته مسافة أيام ثم حاف
حسن عليه بالرجوع فترجلت حينئذ الفرسان وودعوا بعضهم بعض فدهى ماضى

بالتوفيق والانتصار وصارت بنو هلال لهلال تونس لحواصل مرعى ويحيى
ويونس . قال الراوى ومازال بنو هلال تقطع السهول والبوادي من بعد رحيلهم
من هند الماضى حتى وصلوا لهلال الغرب ودخلوها ونزلوا فى وادى اسمه وادى
الرشاش وكان ذلك الوادى بين جبليين فلما نزلوا بنو هلال فيه مدوه جبل الى
جبل وكانت الوحوش يحفل منهم وكان الزناتى له ابن أخت يقال له العلام بن غضبة
فالتفت الزناتى للعلام وقال له أخرج للصيد وأنا بما تصيده فأجابه سمعاً وطاعة فقام
وركب وأخذ جماتهم ومعهم السكلاب والصقارة وطلع الى الصيد فامضوا الى اقليل
وإذا بالوحوش من كل جنس بين أرجلهم فاصطادوا حتى حملوا خيلهم ورجع هو
ومن معه فلما دخل العلام هو ومن معه وألقوا الصيد أمام الزناتى قال له يا علام
ما هذا أنا أرى خير لأن ما جاب هذا الصيد إلا العجايب فقال له العلام وأنا أقول إن
ذلك العيد الذى حبست وفاته راح وأناى لنا بقومه .

فلما فرغ العلام من كلامه والزناتى يسمع عادى الحساب وأمر صهاب ثم أنه
فك للديوان وكل من طلب محله والاطوان والزناتى نام فرأى فى منامه ولديداً أحلامه
إن آتته عربان مثل الجمان ولهم سلطان كبير الشأن ومعهم العبد الذى أتى إلى عنده
وراح وخلق وفاته وشاف فارس اشقر مثل السبع الغضنفر على اسم الديب وقضى
العرب فى حكمه وملكوه بلادهم وقتل اجناده فقام من مقامه طابش المعقل واستود
من الشيطان وراح من باله هذا المذام واستدعى بان عمه العلام وقال له وأيت منام
فقال العلام ما يكون فاستحضر الرمل وحطه قدومه وحرز الاشكال على شرع البال
وولد البنات من بطون الامهات فبات عنده أموال وضر به رمال وتصال من عرب
كالرمل فيهم كل أمير يكثر جيش الجرار الكثير فقال :

يقول الفتى العلام ولد غضبة لقد بان عندى يا أمير حزوف
فهذا عربان الهلالى أبو على عليهم الذهب وهم قاعدى دقوف
هذا ملكهم ابن سرحان ياملك أمير ابن أمير سيد المعروف
فلما فرغ من كلامه والزناتى يسمع نظامه فعاد الزناتى فى هم وتكد وإقفا
بالمصيص قد قبل وأخواته بصحبته فقدم الزناتى ومن فى المقام لملاقاته واستقبله
(١٤ — تغريبة)

وانزله في أعز المقام ثم جلسوا على الطعام وأخذوا يتقارضون بالكلام فقال
 الهيصم يا اخوان مالي أراكم مغيرين الأحوال فأخبره الزناني بما حله من
 الأحوال فقال وأنا حلمت بمثل هذا وأشار يقول :

منما حلمت بآخر الليل راعني بنارين من حولي تزيد لهيب
 وقد حرقت ذيل وهبت بأرضنا وصار تحرق كل أرض خصيب
 وقد أحرقت شجرة النخل وغيره وحاد لها بالفيران وبواب
 ومن بعدها قد راعني ديب أبيه ضفأ مثله بين السكوان ديب
 وبعدها قد شفت فارس أحر تحاربت أنا وإياه حرب مصيب
 ضربني وماني عالوطا يا زناني وراح جوادى من وراء جنب ديب
 فلما فرغ الهيصم من كلامه والزناني خافية يسمع نظامه وكان حاضر أرجل
 اسمه سليمان خبير في طرق وأراضى تلك البلدان. فقال يا سليمان اذهب واكشف لنا
 هؤلاء العرب وآتينا بالخبر عن حقيقة أمرهم وإن فعلت يكون لك جزيل الإحسان
 وردقة الشأن فأجابهم سمعنا وطاعة وركب جواده وخرج عن تلك الساعة وما زال
 يقطع في القباب والأوعار والمسامع والأقفار حتى وصل إلى وادي الرشاش فوجدهم
 قد أكسوا تلك الأرض فتخيل لهم يوم العرض راياتهم تخفق بين الوقوف وبيوتهم
 كالبحر الزاخر ولا ينظر لها أول من آخر فسأل عن بيت أمير العربان فأرشده
 فدخل على الصيوان نراه مثل زهرة البستان وصاحبه الأمير حسن يترحب بكل من
 جاء ويودع من ذهب وأدهشه كرم ابن سرحان وما رأى في بيت القاضي من الأموال
 فعاد إلى أن وصل أهله فدخل على الزناني وسلم عليه وتمثل بين يديه فقال الزناني
 يا سليمان اسمعنا عما خرجت إليه فأشدد يقول :

يقول الفتى سليمان عما جرى له أرى الهول يا جواد منذ التقابل
 ألا فاسمعوا إلى يا مارك بما جرى أنا جيتسكم يا عزوتي بالزعابل
 حضرت لوادي الرشاش وأرضها نظرت لقوم كأنى بحر جابل
 يقولون معهم ميت ألف مدرع وميتين ألف فالقن الزوايل
 وميتين ألف بالصوارم والفنا عليهم من الهمة لبس السكوامل

وقالوا أولادنا عند خليفة بالحبس أولاد الملوك الأصايل
ونحن قد جئنا نخاف أولادنا من تونس جئنا اليها نوازل
وقد طلب سلطان مصر أموالهم فقاموا اليه بالقتال والقبائل
ومعهم قلع أبو زيد الف قلعة و خلى دما الأبطال على الأرض سايل
ونزلوا المضى بن مقرب قدم لهم خيرات عادت جرايل
ورحلوا من أرض الصعيد لاجلنا وهذا خير تحقيق ما فيه زلايل
فلما فرغ سليمان من كلامه والزناى وأخوه يسمعون نظامه فصاروا في حساب
وأدكار صهاب وتغيرت من الزناى ألوان وعاد في بلاد واحمان من هؤلاء العربان
فقال لهم بهر علامك يا أخى تغير لونك وارتعبت كونك وأنت سلطان هذه
البلاد نحكم على الفوارس والاجناد وتحب يدك أربعة وعشرون أمير وكل أمير يحكم
على مائة ألف عنان فقال الزناى أكتب يا أخى إلى بلادنا فاستدعى الهصبص بقلم
وقرطاس وأشار يكتب إلى ملوك بلاده يقول :

يقول الفقى الهصبص قام الحربى	والنصر بالله والسيوف الحدب
يا حاضرين اسمعوا ثم انصروا	قوموا وسهروا لبلاد الغرب
وأنت يا علام روح بالاندلس	إياك تحكى أو تنادى تسكسبى
وأنت يا منصور روح لفارس	هات لهم أبدال من صبي
وأنت يا زيتون روح لقاعة	قول لهم أتوك ركبى
وأنت يا عضرون روح لئاسة	حتى يقفوا كأنهم بالضرب
وأنت يا ضرغام روح لمغبرة	أيضا بلاد السكرم قوم النجيب
وأنت يا مقداد روح المنذرة	وأرض زبلالى يجونا بقربى
وأنت يا شمعون روح لاكره	وقول لهم القوم عادت قربى
وأنت يا طلبان روح لباجة	وقول لهم القوم عادت قربى
وأنت يا عماد روح لاغمداش	ولجليل ولد يروم ابن المتغنى
وأنت يا جفال روح لسكرة	مثل الهبوب وقل لهم يا غضبى
وأنت يا وداح روح لسنراة	الميد وسليمان المغربى

وأنت يا فراج روح وانفض ونادى لكركم ثم بلاد المنب
وأنت يا عجاج روح انغريب لأرض مراکش ثم لأرض السلب
وأنت يا بلهيص روح انورس إلى أرض ثم أرض القصب
وأنت يا حماد روح ونادر لأرض مكناش وبلاد القصب
وأنت يا بولاد روح لحرية ودور كل دايه المنهشي
وأنت يا شداد روح لقابس دعهم يقيموا عند باب الدرب
وأنت يا عبود روح عن بجى ونادى بأعلى الصوت حاكم كربي
وأنت يا حماد روح مقصد واركب جوادك لبلاد الهدى
وأنت يا سليمان أظهر الحور في قيروان وقابس الغربى
وأظهر الأخبار بأعلى صوتك في أجهر العلا تغيب

فلما فرغ الهصيص من كلامه والزناى بسمع نظامه فبعث الزناى إلى جميع الأمراء
وأعلمهم في هؤلاء العرب الذى مثل الجواد ويرجع الكلام إلى الهصيص فركب هو
والعلام وجردوا قوم الثمانمائة وقال إلى أخيه ابق مكانك وأنا أريح أفكارك وكل
ما جاءك ورقة أرسلها حتى ما تخلى العرب تدخل جدارنا وسار الهصيص في القوم وبعد
أيام قليلة وصلوا إلى وادى الرشاش فقال الهصيص إلى ابن عمه العلام روح قد امتنا
بألف فارس واكشف لنا العرب أين نازلين فأخذ العلام ألف فارس وسار قليلا
وإذا بمقيل عليهم فرسان مثل الجراد الزحاف وكان الأمير أبو زيد ومعه من الأمازيغ
الخفاجى عامر وزيدان بن غام فلما نظر الأمير أبو زيد إلى قدم العلام قال إلى
رفاقه احترسوا من هؤلاء الأبطال هذا هم قوم العلام بن الزناى فوصل بعضهم
ووقعت العين على العين ونزل العلام للميدان وغاص وبان وسقط إليه أبو زيد مثل
سبع الجردان فقال له العلام من تكون من المرسان جئت إلى تملك الاوطان أنت
هيد الخايس المردان قال نعم يا جبان فقال له أين الرجال وقال أبو زيد أنا مع
الف والباقرن خلف رأنا أبو زيد اللهم فلما سمع العلام هذا الكلام صار الضياء في وجهه
ظلام والتقوا البطالين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب
البين فاحتافت بينهم ضربتين قاتلتين وكان السابق في الضربة الأمير أبو زيد في

ذلك الحام فأخذ العلامة في ترس البو لاد فسهطت على رقبة الجواد فأبرتها كما يبرى السكايب
 القلم فوق العلامة على الأرض فأدركوه قومه فأخذوه من قدام أبو زيد قام أبو
 زيد من العيين والشمال وأهلك الأبطال فولوا هاربين والنجاة طالبيز ووقعوا فيهم
 بني هلال حتى أدخلوهم في الجبال وبقيت حالهم أسوأ حال فرجعت عنهم بني هلال كاسبين
 الخيل والأموال ولما أقبل العلامة وقومه على الهيصص وهم على تلك الحال فصاح فيهم
 وقال أعلموني بما جرى من هؤلاء العربان فأخبروه فطلع الهيصص ومن معه بالجدل مثل
 السيل إذا سال والبحر إذا جال حتى أقبلوا إلى بني هلال فينظر أبو زيد وإذا يغبار
 فقد حجب الأبصار فقال إلى قومه كثرت عليكم القوم يا شجيمان فقالوا نحن فذاك ونلقى
 أعداك ونزل إلى الأرض وكرم أبو حزم خيلهم وجالوا في الطول والعرض وشنوا
 على الأعداء غارة وعاسوا في القوم والامارة وارموهم في الذل والخسارة والغبار
 ملأ الأقطار واليهودج كالآفار والعماريات تنعى الفرسان على قتل الدثبان وأول
 ما أدرك أبو زيد الأمير دباب وراهه أقبلت جميع العربان فلما نظر الهيصص وقومه
 أعطوه كسرة وأرادوا الحرب فلما تكاملت العربان إلا أبو زيد كسرهم في آخر النهار
 ورد الخيل الشاردة والعدد المبددة وعاد الهيصص إلى موضعه وكن الليل وركب
 هو وقومه وكتب بني هلال وأقاموا فيهم الرعية فقامت من العرب الصبيان وعلت
 الضيحات من كل الجهات وأدخلوا بني هلال الأبيات وأخذوا يوم الهيصص خيلهم
 والبنات والنوق وطابت المغاربة الزواج فكان أبو زيد حالا جمع أربع كرات
 وركبت معه العماريات وسبق القوم ومسكهم الطريق وإذا قد أقبلت عليهم الأعداء
 فتلافوا الفرسان على الجازية أوائل البنات فرد عليهم الأمير دباب فتلقاه الهيصص
 مثل الرخ المقاب وخر به بدبوس على الطلعة فخر كخصرته وولى من الهيصص هارب
 إلى النجاة طالب ولحقه قومه بني زغبة فر على البنات فنظروا فتنادته بنته وطفه
 علامك يا أبي هارب فارادو خلاها وإذا بالقاضي بديرمزوم هو وقومه فتنادته
 الجازية لاتروح وتخاينا فقال ورا أخوكي وإذا قومه هاربين فتنادته الجازية لاتروح
 وتخاينا فقال لها الهيصص يخافكم من الأسر فإذا أبو زيد أتى عليهم فلما نظروه
 حضبوا عليه وقالوا له ما نظرنا فلما رأى أبو زيد حادته بما أنه هملات ورجع هو

وقومه واطلق العنان وخشم الفرسان على اقاء لاعدا موحت ظهر الشجعان فالتقاء
 الهصيص في الميدان فوقع فيما بينهم ضرب شديد يفتك الزناد الحديد فقام الزناني
 في عز الركاب وضرب الهصيص بالرخ فشك في درعه بتره ورماه على الارض
 رخاه فهجمت قومه وخلصوه وصار طعن يفتك زرد الحديد والبغات تناديه
 وتبخرى قوم أبو زيد وتزغرت لهم وأبو زيد وأولاهم فولوا قوم الهصيص شريدا
 واخذوا منهم بني هلال خيلهم وأموالهم وعادوا الى أهالهم فلاقتهم الاولاد والبنات
 بالدفوف والمضجات وراحوا قوم الهصيص شتات وأما بني هلال فاجتمعوا في
 صيوان الامير حسن صارت الجارية تشتم وتوبخ من هرب وتمدح من ثبت فقال
 لهم أبو زيد يا أحاييد هلال لا تحسبوا أن الهصيص قد انكسر وراح فلدوا بعضهم
 واعطوا بالسك الى حالكم والذي وراءه ماله هدر فاجعلوا حرس يهرس في
 الليل وأما أبو زيد كان تعب من الكون وعرق وبرد في الليل وهو داير في الحرص
 فاهتزاه وجمع في جوفه وما عاد يقدر يجلس على ظهر الجواد فوق الخفاجى عامر
 موضع أبو زيد وبقى أبو زيد سبعة أيام ضعيف هذا ما جرى لبني هلال وأما ما كان
 من الهصيص اخو الزناني فجمع قومه وقال لهم والله أنا أريد عمل لهم حيلة تسووه
 قبيلة وأرمدى الاسمر بينهم حتى تنال مرادنا منهم ولويدى أن أبو زيد ناسم لغاو عليهم
 بالنهاجر جهرا ثم قال لقومه اركبوا والحقوني وأنى الى ناحية بني هلال من ناحية
 الشرق وأرسل الى الامير حسن يخبره ان الزناني عدونا ونحن جايين نهده معكم
 وسعر روحه الامير مقلد وأشار يقول :

يقول الفتى المسمى الامير مقلد	من أرض كرج بالكبار جميع
أتينا بيدي يا حسن مع قومك	أمانة هلال كل قوم شجاع
أريد أسلفكم جيلا طيبا	ومن سلف الاجواد ليس بضيع
لما سمعنا بسيفكم جيفا لكم	وتكسب غدايمهم وكل بخت رفيع
فلا تحملوم الزناني خليفة	أنا لكم عوناً سريع مطيع
ولا بد نملك أرض تواسى بلادكم	وندهى خايقة في المجال يضيع
هذا كلامي يا أمانة افهموا	أنا مقلد بالطراد ولهم

(قال الراوى) فلما فرغ مقلد من كلامه طوى الكتاب وختمه في ختمه وأرسله إلى الأمير حسن فقراه وعرف معناه وكان أبو زيد له ثلاثة أيام مريض وكان حاضر دياب ربه هلال جميعهم فقرأ عليهم حسن الكتاب وأعلم بني هلال ما فيه فقال دياب أنونا في وقتهم وأشار حسن يكتب إلى مقلد ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	وأخبارنا فى كل أمر تشيع
فيا مرحبا فيا أنانا جميعهم	لكم فضة الدنيا وكل ربيع
فيا مقلد أقبل اليوم عاجلا	واركب معانا هم أنا سريع
لأن الفتى الهيص يأمير هنا	بحرب شديد يأمير سريع
كسينا بجنى الليل اربع قلوبنا	وذقنا مرار الهول والتفشيح
فاجابه سلامه والفتى بالفا	والروح فى سوق المجال تضيق
وضربه أبو زيد ورماه على الوطا	فن كان معه أدركوه جميع
فوصل مخوفا فى جموعه هارب	من حرب أبو زيد الأمير شجيع
ولكن سلامة انعقد يامقلد	وقد عاد من فوق الفراش وجميع
والحمد لله جميع الينا عاجل	وصرت لنا أخا رفيع تبيع
وان ملكك الغرب أعدك نصفها	وتصير عفى فى مكان رفيع
هذا ما قال الهلالى أبو على	يامرحبا فى من أنانا وضع

(قال الراوى) وركب الأمير حسن ودياب والقاضى بدير وأكابر بني هلال نحو ألف فارس يلاقوهم من غير عدد سوى المزارين لأن البدوى ما راح رجه كتفه فلما قارب الهيص ركب ولا قام ودق طبله ولشر الأعلام وشهرا الحمام ومهجم على بني هلال مثل السهم الغضبان وتفرقت قومه من كل مكان وغاروا على البيوت ونهبوا الأموال ومالوا يمين وشمال وأخذوا الخيل والجمل ومائة بنت فايقات الجال وأخذ البيوت من أهلها وساروا نحو قومهم قرحانين كاسيين وقال الهيص أنا ما نظرت الاسم ولا سمعت صوته أنه يكون قد قتل اليوم أما أبو زيد فكان نائم من الضعف فسمع الضجة فقام من نومه وقال ما الخبر بهذه الهرجة فخره فى حيلة الهيص وما فعل فى بني هلال وكيف نهب البوش والمال ونهب النساء والعيال وكيف هربت الرجال وماله

عليهم في الحال فصاح من قلب جريح وفؤاد قريع ونهض من ساعته ونهب حموية
ودق طبله وعدل راية فاجتمع عنده بنى هلال اثني عشر فارس والباقي كانوا اماريين على
رؤوس الجبال وأخذوا الحاضرين وساروا إلى القوم وربطوا لهم الطريق وصاح فيهم
قومكم فررفت النساء على أبو زيد مثل ردف الحمام وقالت اليينا يا اصور الحرير فقالوا
أبشروا يا بيض وقوم بالهده عامودا لحد يد فصاح في القوم وقال خلوا الحرير والمال
هجم عليهم بالاحسام فدعاهم وقام وكانت ساعة تحير الإنس والجان وغار على الفرسان
كوفرخ الحمام وهو يميل على الميامن والميامر فأنى الهصيص إلى ناحيته أبو زيد مبادر
وهو كالسبع السكارى وتقابل مع أبو زيد راحص طفت الجيوش ووقعت العين على العين
وقال الهصيص أنت باقى حتى وفي كل موضع أراك قال أبو زيد في هذا الوقت أريك
أفعالي وأشار أبو زيد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة لي همه للخذ أنا محبيها
أيا ابن رزق الخيل قرم رفاقك صور العذارى في الوغى حامها
هصيص اسمع كلامي وافتهم أنا خصمك جئت لأرميها
بالد يا بوق بقت بقومنا لازم اعلامك ياردي أخفيها
تريد تأخذ مالنا ورجالنا من هو الذي لا حريمها
واليوم يا هصيص لازم أقتلك بين الحوافر جئتكم القيمها
ولا بد من قنلك وأخذ جوادك لي حربه بالسم أنا ساقيمها
لاهلك ياردي من بعدك من حد سيني ما حد يحميها
قال أبو زيد الهلالي سلامه واليوم أفنى عصبتك وأردنيها
فلما فرغ أبو زيد من كلامه أشار الملك الهصيص يقول :

قال الفتي الهصيص قول صادق فني همي نيران هبت فيها
أنا لي زمان أريد حريك والصدام لي همه لأجلك أنا نخبيها
أنت أبو زيد الذي قد جئتنا رواد جت لرفقتك تسميها
وحسبهم حتى جيت فسكاكم ومدامك من أجلم تخفيها
سقتكم بكم سعدا أو كنت غاربه من أجل مرعى كلويها

روح يا أبو زيد نحو بلادكم وجيت قومك والنذل غاشيها
 وجيت وأميتم في وسط الفضا شورك علم في البلاد مالبها
 لا بد عنكم باهلال أهدمكم وحريمكم لا بد ما أسفيها
 ما في المغارب يلقى سطوتي أبطال قومي يشهدوا لي فيها
 دونه يا أبو زيد سوق غزالها روحك بسيفي في الوضا اشتريها
 قال الفتى المصيص فيما قد جرى سوق المجال متعوا حميها
 (قال الراوى) فعندهما التقى البطالين كأنهم جملين وطار من تحتهم الغبار وقد
 خفت حوافر الخيل نار هذا الفريقين تنظر إلى نحوهم وحريم بنى هلال كوعظ على
 أبو زيد من وراء السكى يخاضهم من أعدائهم فعند ما صرخ المصيص صوت دوت
 له الجبال وقام باعه في المزارق وطوحه إلى أبو زيد فأخذه بالسيف أبراه كما يرى
 الأقدام وأبو زيد ضايق المصيص ولا صقه وسدعا به طرفه وطرايقه وهو بيده
 عود الزان حتى دق السكع إلى السمان وطعنه من بين بزيه طلع من بين لوحيه
 ثم أنى عليه بالسيف فطير رأسه ولما نظر راجعته ما صار ولوا الأديار وتبعهم قوم
 الأخبار وقتلوا مقتلة عظيمة وما بقي لهم قيمة وعاد أبو زيد وجماعته إلى الخيل الشاردة
 والعدو المبدوه وإذا بالأمير دياب والامير حسن والقاضى وقومهم كانوا قد سمعوا
 أن أبو زيد لحق المصيص رجال قليلة فتلموا واحقوه وكان السابق إلى عنده الامير
 دياب فقال ابن أصدجل يا أبو زيد فقال اكتبيت بعون الله تعالى فدونكم خيل أعدائكم
 فقال دياب يا أبو زيد أنت طول عمرك تفرج عن بنى هلال غيها فقال كونوا على حذر
 لأن الدين حاربناهم نقطة في بحر لأن قوم الزنا تى أربعة وعشرين سلطان وكل أحد يحكم
 على كرهه ما عمة الف را أنا في هذه البلاد أخبر منكم واسكن البوش يخاف عليه من العدا لئلا
 يأخذه ومرا دنا فبعث معه أمير فقالوا يروح مع بوش ورا أم محمد لأن كانت لها ثلث
 الشورى فان أرميت السلام فردوا عليها السلام وأجاسوها في أعز مقام ثم بعده ما دارت
 القهوة وكاسات الشراب التفت الأمير حسن نحو اللجانبة وقال لها قد أرسلنا وراك
 لكى تشاورك في أمر البوش لأنه لنا امره لبوشنا في هذه البلاد فدنا من رسله لغير موضع
 فشمورى علينا من يروح مع البوش أبو زيد ما اتابعه تدبير وأن أكون أنا لا يصلح

لأبي أمير ويخاف أن تطمع بنا الأعداء ويقولون أميرهم راعي والقاضي يدير أوصاله
مقطعة ولا يصاح إلا دياب لأنه يحميه من الأعداء فأخبرنا ما هو فقامت له هذه
رأس الشور فأشار السلطان ينجيه ويقول :

قال الأمير حسن والقلب في حرقه نحن نخاف الزناتي عدا يمشغلنا
والبوش تأتيه أبطال وسربلة وارب لنا المال واحميه من الديب
وادي الغبار والغبارين أقصدوه عدا في ست آلاف عوج كالعواقب
وامكنوا فيه شهرين متتابعة حتى تبرد اتونس وبلاد المغارب
نملك مداينها ونقتل فوارسها أما الزناتي فتركه إلى الديب
ولسقيه كأس الموت من فاعلنا ندعى قصور العهد نعدى محارب
والقيب العالية لا بد نكسبها وكل من جاء إلينا راح نقصيب
مرعى ويحيى ويونس نخلصهم نجيب فتورينا سرديب
تنظر لنا مال أبيها مع خراينه واللبس أيضاً وأموال المغارب
يصير مرعى إلى سعدا لها بغلام قولا أكيد من غير تسكذيب
دياب من بطل يحمل الفلا غيرك اليوم يوم العشمة كن الديب
السيف ما ينظر إلى لحونه يوم السكرية نظر الأهاجيب
يا ليت عمرك طويل زايد الأفراح أما عدوك برى عكسا وتفكيب
فلما فرغ الأمير حسن من كلامه ودياب يسمع نظامه عرف أنها مكيدة من الجازية
أخفى السكند وأظهر الجلد وأشار بطيب خاطر حسن ويقول :

أنا دياب بن غانم يا حسن طيب ولا تخافوا على لوسطى الديب
طيبا لقلبك على بوشك يا ملك ولا تخافوا على في المخارب
المال مال ما يدنو عليه أحد لأنى مجرب بإذن الله تجريب
أنا ابن غانم وكل الناس تعرفنى فعل شهودى وتعرفه الأقارب
وأنتم كونوا حذاري نحو أنفسكم وحافظوا على حريمى والمراكب

ثم احضروا الزناني حين يطلبكم كونوا قوما هو ابس في المضارب
 انتم هلال ماحد يهركم حكتم الارض شرقا وغربا
 كم من ملك عدا عار ملكه قهوا ودعيت قومه شرقا وغربا
 الهند والسند ثم السريب واليمن كل الملوك بقوا مهاريب
 قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه فشكروه
 وقالوا له من علينا صاحب العفارة وترد عنا القوم في كل غارة وأشار يقول :
 قال أبو زيد المسمى . كلام أكيد من جدى خذالبوش وروح دعاه . وسير الى
 قصي الحردى تسلم المال ملك هلال . كذا صعبان مع العبدى ومثلك من مجيى ذا
 البوش . همام مثلك ما احده . ان كان توفى بالبوش . يا أميراً لك كالعبد تسود علينا
 يا عوننا . ويبقى لك ثغر المجدى . احفظ بنفسك والرعيان من ابطال ومن يرد أخاف
 عليك من الغارات نحوكم ليلا بالبرد إياك بالليل تنام إياك تخبى النوم مع الرقدى .
 وأكرم من جالك قاصد إياك بقولك ترتدى ومن يثبت منكم معانيئال الخير والقصدى
 غدا خليفة بقاناوا كون له الجندى . نخاف يروح مال هلال ويأتى الهم مع السكد
 أبو سعد يا قوم مجرب وهديه مثل الرعد هذا الزناني وضربته ترتدى باكر يصوح باقانا
 فى البود وفى الزرد ومعه جيش بانبا على خال ضمرك الجراد وانا يا . واد احضركم
 بوزيد انا السند أغنكم منهم مكاسب لا تتعدى وتروح هو ادجنا يفوح المسك
 مع الندى انا اوصيكم يا فرسان كونوا عصابة مشتدى عدا أبو سعد أتينا لا يمشى
 ضربة حدى لا تزل يا أمير دهاب فتكون بعزمك مشتدى خذالبوش واشرع فيه
 بألف غلام تتعدى الفين فارس خيالة وثلاثين ألف جدى احضر على الاموال
 وتأتونا على العبد اسمع يا أبو وطفا ودياب يا ابن غانم اجتمع لولاك هلال ما سكنك
 دياب الغرب ولا تجد المال تسكفل فيه وزغى حوائك كالاسد .

كم وقعت أشفيك هلال أنت يا زكى الجدى

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال حسن يا أمه أنت خير ودياب مشهور
 كالاسد انكم دم لها اليوم وأما المقوم كالعبد وقام الحرب بيوم السكر وطعن
 وضرب اهل جهدى وخيل يحول ودم يسول وكم مقتول وعدى أبو زيد هوش

«لم جبهوش بوجه بشوش بالجردي وأخاف محول بليل دهل لاجميع ملوك اهم جلدي
 إن قام حراب إياب ونهاب . واسمع لدياب لما يدي : وإن جاك صديق كن شفيق
 وأنت وثيق وكم بعدى فاسمع لدياب سبع الغاب أنت مهاب أنت السند وفي ركب
 دياب في قوم زغبة تسعين ألف فارس وكل الف راية بيضاء وسار أبو زيد بدله
 على وادي الغباين وساقوا البوش والرعيان وكانوا ست آلاف راعي وسار
 الجميع إلى أن وصلوا إلى وادي الغباين فلاقوا فيه الزهور فاتحة المياه سابعة
 فنزلهم أبو زيد في الوادي وأوصاهم من الأعادي وعاد ابني هلال والأمير دياب
 غنضب صيوانه في الوادي وأوقف رقباء على الجبال أربعة آلاف خوقا من العدا
 ويرجع الكلام إلى أمير بلاد الغرب فنظر ذلك أبو زيد وكان في ألم شديد فنظر في
 الزناني وقال له من أنت حتى تنزل للسلطان أما أنت عبد المحاييس قال نعم فقال
 الزناني أين المال فقال معي والوقي خلف قال أنت رحت تجيب المال أو رجال
 مفرد الجواب ويده السيف :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	ألا يا زناني أنت في الأحلام
لاكوناني حافك الشر والبلا	اظنك بنومك قد رأيت منام
أفيا يا بنت تعتقنا ما كنت جيتكم	رلا كنت جيت القوم بالأحسام
فلو كنت تزور يوم أتينا بلادكم	ونحن ببستان لكم ومقام
فناديت للجلاد حالا فقادنا	لتحت المشاق في حبال برام
لولا الصخير كانت راحت روحنا	ومالك علينا عفة وزمام
فكفى جيت أوريك فعلمنا	أروى قومك في البلاد هواتم
وأوريك حربا من يمين سلامه	وطعن يفتك الزرع والألحام
وأنتم تروحوا مثل ماراح غيركم	بحد الصوارم ما ترون سلام
وتواس ترى فيها تخت الأمير حسن	هلال لكن عليك حرام
أنا أبو زيد الهلالي سلامة	أنا ما حق الأبطال والخصام

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والزناني يسمع نظامه التقوا البطلان كأنهم جباين
 عرجان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهم غراب البين فاختلف بينهم ضربتين قاطعتين

فكان السابق في الضربة أبوزيد فأخذها الزناتي بطارقة البولاد فشحطت على رقبة
الجواد فبرتها كبرى القلم فوق الزناتي على الأرض فركضت القومين على بعضهم
البعض وأقاموا الزناتي وخلصوه وانتقوا الجيدين والتحم الفريقين وقاسوا
الأموال وبطل القيل والقال حتى أقبل الزوال ودقت طبول الانفصال وقعدوا
القومين إلى الصباح فأعدوا بنو هلال ونزلوا طلبوا السكفاح ونزل الزناتي مع قومه
للميدان فجاءت المشجعان وظهر الشجيع وولى الجحان وطارت الرموس عن الأبدان
وحجم أبوزيد وقحم حتى خلى القوم عدم وبقوا على هذا الحال إلى وقت الزوال
فدقوا طبول الانفصال وكل منهم طلب الأهل والأوطان فلما عادت بنو هلال
جلسوا في صيوان الأمير حسن بن سرحان فقال الأمير حسن لماذا يا أبوزيد
تقاتل القوم أنت بنفسك وما تعطيني خبر أنت والله ما عدت تركب معنا وأمر
في قيده وقل يا أبوزيد إن كنت طامع الله بأمر فزع وجليك في هذا القيد قال
أبوزيد سمأ وطاعة وأنا أتبع كلامك في كل ساعة وحط القيد في رجليه وقعد
في بيت الأمير حسن فلما أصبح أصبح بنو هلال وطولم ونزلوا إلى الميدان
فنزل الزناتي فلما رأى أبوزيد ليس معهم فطمع فيهم وغاز عليهم مثل أسد بالنعيم وقتل
منهم كل جبان وعق الفرسان ودخل فيهم في باب من أبواب الجنان وشتمهم بين
الروابي والآكام ونزل موضعهم وقام وأسدل عليهم وكسهم حتى رحلهم سبعة
مراحل وفي آخر مرحلة حمل عليهم وقام الرعب فيهم وقتل الرجال وأخذ الخيل
والجمال والحريم والأطفال فراحوا بنو هلال إلى عند أبوزيد وهو مقيد فقالوا
مق يا أبوزيد قم فك القيد من رجلك فأشار يقول قال أبو زيد اسمعوا يا من
أقلى رجعو أروم منكم يشفع اليوم يوم الحري حسن دق طبولكم ثم شد خيولكم
قوم الزناتي جولة فرسان قوم الغربي يا عبدة أمت الحرا وأقلم طوامي السمراء مات
بنيت الحرائق سرحها وركاني وسبق الهاني عند من عهد أبي وجدى مدووظ دائما
هندي لأجل الوغى والحري هلال يا شجعان يا منية الأعيان عدوكم جاني هيا نقيم
فيه الرعي وقوموا بنا لنقام بسيدوفنا نصحاهم ونفوز بكسب غناهم بهامنا والتهرب
وشوفوا الزناتي حاكم يريد سفك دماكم هذا العدو أتاكم قيموا عليه الحرب حظين

في العبد وما كان رأيك جيدي مثل أميري وسهدي وأنا حاكم في السر فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامارة يسمعون نظامه شكروه وقالوا له يا من بعدك ثم استعد للحرب ودق طبوله ونزل في الميدان فسمع الزناني طبوله بنى هلال فنزل هو وقومه إلى ساحة الميدان فقال الزناني لا ينزلني إلا أبو زيد فما أتم كلامه إلا وأبو زيد صار قدماه فقال له أين كنت متجنى يا أبو زيد صاحب المسكر والكيد فقال له كنت غائب واليوم جيتك محارب فالتقى البطالين كأنهم أسدين در غاهين وثنى فوق رؤسهم غراب البين حتى تعب منهم الساعدين وكلت من تحمهم الجوادين ودأبوا في قتال وجدال إلى قرب الزوال ودقت طبول الافصال كل فرقة وطاب حبه والاطلال وباتوا يتحدون إلى أن أصبح الصباح فركب القومين واصطف الجيشين ووقعت اللين على العين وصار قتال وأهوال قرب الزوال وبقوا على ذلك سبعة أيام حتى كانت منهم الزود وذابت الكبود وفي آخر النهار ولي هارب إلى النجاة طالب فغار عليهم أبو زيد بقومه وبقى غاير حتى أربعة عشر مرحلة إلى الوداء وأدخلهم البلد فلما دخل الزناني إلى المدينة دخل أبواب تونس وسكوها وراه وقال أنا ما بقيت أقاتل أبو زيد ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواة من الذهب وأشار يكتب إلى الأمير حسن ويقول :

قال الزناني طاره يا معشر الخطاره من أجل قوم جورنا خلو الهلاد دماره الزناني هندی أبطال ما نعدى الحرب بحكم عندي يشبه ابيب النار يا بو على القاني في حومة الميدان لأريك طعن الزان يا ما قتلت أماره يا حسن في بالك أن الدهر يصفالك لا بد ما تشوف حالك وتشوف ثوب صاره ارجل بطعنك عادي في عزوك وبوادي هذه الهلاد بلادى لا لغيره داره إياك من أبو سعده يحبك مثل الرعدة نجمة خدمه نجمك عليه غباره جاك الزناني غاير من فوق أدم طايير بيده حسام شاهان صاب وأسلك طاره والله أنا سأفنيكم وبناتكم ننعىكم قصاب لأعمل فيكم وأعمل لكم جزاره كم فارس مقتولى من ظننا المازولى وأبطال تأنى حولى بالعزلى تزكاره بالهز والناموس ثوب الفخر ملبوس ما يوم يخطى قوسى دايم كسبه ناره يا حسن على قاتله للحرب لا تغير هند القاتل تحير في طعن مثل النار .

فلما فرغ الزناني من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله إلى الأمير حسن فأخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه أشار يرد عليه بهذه القصيدة :

مقال الفتى حسن المسمى	كريم الحمد من فرع أصيل
كريم الجواد من فروع أصايل	أمير صاحب القدر الجليل
نحن ما أتينا إليك عمدا	ولا جزنا بلادك من قليل
فقلوا حبست يحيى ويونس	ومرعى ذاك إلى روحى عديل
فقلوا طلقتم نلت الغنائم	وتكسب ياملك منا الجليل
ولا كنا أتينا إلى بلادك	ولا للغرب أبو زيد الدليل
وكم جبار من حربى قتل	وكم أمير من سيفى قتل
خذنى لك باكر لا تمواى	غدا ما بيننا يوم طويل
ولسقى الشاربين وهم عكارى	وأرواح الملوك وهم نزيل
أنا وإياك يابحجر المسكارم	بميدان الحروب لنا هويل
أنا أمير وسيد آل عامر	معز الجلد حامى للنزير
وكم أمير أخربنا دياره	وكم صنديد خضع لى ذليل
ملوك الأرض خافت من لقانا	بلاد الهند مع أرض الخليل
وفى الملا قد صار حكمى	ولولا أبو زيد ما بعثنا دليل
ولا نخينا مطايا بأرضك	ولا البسر العوالى لك يميل
حبست أولادنا وقد عبت فينا	وتنهى علينا يا هـزير
أما تأخذونا يا زناني	أما نحن فيكم قد تمجيل
غدا ينصب بيننا سوق المنايا	ويبقى النصر من رب جليل
ونحسكم أرضكم ونشيخ فيها	ونحكم بكم دهرًا طويل
مقال الفتى حسن الدويدى	وغيران القلوب أها شميل

فلما فرغ من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله إلى الزناني فلما وصل إليه قرأه وعرف رموزه ومعناه قطع الكتاب ورماه وصاح على من عنده من الفرسان وأمر بدق الطبول والركوب على الخيول وأما الأمير حسن فبعدها أرسل

رد الجواب دق طبول الكسكفاح وطلب النصر من الله الفتح ونزل هو وقومه
 الميدان فنزل الزناتي وخاص وبان وقال لا ينزل لي ردى ولا جبان ولا يبرزلى.
 إلا أمير العربان فلما انتهى من كلامه صار حسن قدومه فقال الزناتي أنت مثل
 وأنا مثلك فعندها التقى البطالين كأنهم جبالين وحان عليهم الحين وزعق فرق رؤسهم.
 غراب البين وداموا في قتال حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال وعاد كل إلى
 مكانه ولما أصبح الصباح نزل أبو زيد إلى الميدان وطالب مبارزة الفرسان فنزل
 إليه الزناتي وقال له من أمرك تنزل الحربى أنا طالع حتى خفى اذيقه طعنى وضربى.
 فقال أنا أبو زيد أنا خصمك جيتك فعند ذلك التقوا للبطالين كأنهم أسدين أو
 جبالين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهم غراب البين حتى كلت منهم الساعدان
 وتعمت منهم الزندين وبقوا على هذا الحال إلى وقت الزوال وفى ثمانى الأيام نزلوا
 إلى الحرب والكسكفاح فأما أبو زيد أراد الحرب على الزناتي خائفة وإن كان الزناتي
 مالقى أرب فدار رأس جواده وولى هارب وللنجاة طالع فانكسر قومه
 فداركه أبو زيد حتى وصل إلى مدينة تونس ففتح البواب للزناتي حتى دخل
 وغلق الباب فى وجهه أبو زيد فقام أبو زيد من عزم الركاب وضرب الرمح فى
 الباب وعاد إلى قومه والاصحاب من بعد فرق خلفه وقتل منهم كل قوم حانى إلى
 أن وصفت بنى هلال إلى بيت الأمير حسن ردار فيما بينهم من الكلام وشكروا
 أبو زيد الهمام ومن بعد ذلك مد لهم الطعام حتى أكتفى الخاص والعام وبعد ذلك
 أشار أبو زيد يقول :

قال أبو زيد المسمى بقلب قاسى ليس يابى أبو مرعى اسمع قولى وافهم قول لاقوا الهين.
 أبو زيد مياج الضمن غفير البيض حى المسكين كم أمهر أهلكت وجيت لخليله
 همدى حين ملكك الشرق بحد السيف وعدنا فيما حاكين ما كنا نهد بحد السيف
 وهذه حصون البنائين سبع قبائل شتتناولوا منهم أفرعنا من ملكنا بعزم دياب أمهر
 زغى المضمونين أما حسن فيها سلطان حاكى فيها بالتمكين وسيفه طال فى الأبطال
 ولم أهوال قسامين وطاب العيش وراق البال وقصاصين بذات هلال جمال ظراف

كالغزلان العطشائين لما غلب السعد وراح جاننا الحبل ودام سفين خمس أعوام علينا
 دام متوالين جاني مرعى مثل السبع ويحي ويونس كاشهين ثلاث شبان كالعقبان
 قالوا لتونس مشتاقين بسرعة السرية وفاضت دموع البكاين قطعنا جبال بجموع الليل
 سلكتنا أرض الرواحين ثلاث شهور نمشى ليونس جينا عيائين نزلنا في بستان
 قبلنا عبيد غضبائين ربطونا وقد ساقونا عدا منهم فزحانين لاجا بونا لعند الأمير
 الأمير نهرني وقال يا مسكين كيف جيتونا يا مكارأتم جيتم جساسين قلت له اسمع
 يا أمير تونس جئتنا طالين سمعنا في ذكرك يا جيد إنك تكرم على المسكين غضب
 ودعا الجلال وجاء شيخ الجلالين ضربنا مثل النار وأشتى فينا الحسادين وقال أشفقهم
 يا جلال ودار غمر الغمازين شفعت فينا بنته سمعه وحاد الأعادي حيرانين وقال
 يا سمعه خديهم بين السجائين راحت أخذتنا سمعه بقينا فرحانين قالت مرعى
 محبوبى حبلى دون الحبائين ركبت هجين أنا ومررت الهجائين وجيت لاجد بهمذا
 الوقت لقيت ملال متضايقين قال حسن هربت الطمن وحفظ لضعفك ضعائين ملوك
 الأرض دهكناها بالضرب وطعن الطعائين دخلنا الغرب وقام الحرب وحميت
 النار الشعائين وقام تسوق أبو سمعدى ونادت أين الشربين وحسن يهرز إلى لقاء
 حسن سلطان بلا بوهين برزت للحرب يا بن العم تقول سباع وغضائين بمعدك لاجيت
 للميدان لقيت البنائين قامت لنا أبو زيد اليك التعنائين على حرا جيتك للحرب
 أشجع من سبع كمين وهاج الحرب وقال القرب وأصله نار الوقادين وجاني عايزه مثل
 الغول ومثل فهد الفهدين طعنته في عزمى وطعنته طعن القاتلين ثابته طعنة بالعرفان
 قطعت له اندرع المتين وثالث طعنة يا فرسان بشهاب نار الشعلائين وقايعنا في
 الأرواح تجار الحرب البياعين ضربنا ما بعنا منه دليل البيع السرايين وغدا مرعوب
 أبو سمعه وحاله دون البوابين غلق أبواب خلفه وكانوا أربع بوابين ضربت الباب
 يعود صلب يسمى عود الثلاثين حديد قديم يقيم سفين وكم حداد يهتج إليها تعود
 عينيه متقسمين فراح الباب ثمان كعاب وهيك داون الصاربين

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامارة تسمع نظامه فقالوا يا ويلنا
 من بعدك يا أبو شيان ويا حاكم الأطماع لم يرجع الكلام إلى الزناقى لما تحرب من ضربة
 (١٥ — تغرية)

أبو زيد جاءت وقومه إلى عنده وقالوا له عن الضربة التي ضربها أبو زيد بخربت الباب ثمانية كعاب فعاذ الزناتى فى حساب وأمر صعاب وجمع قومه وقال لهم كيف الراى ثم باتوا فى بلادهم أما أبو زيد ثامى يوم دق طبله واستعد للقتال وطلب اللقاء فدخل البواب الى عند سيده الزناتى وقال له من ينزل إلى الميدان فقال الزناتى احضر الأرباب من ينزل إلى عزرائيل قباض الأرواح ثم كتب إلى الأمير أبو زيد كتابا وأرسله مع الوزير فلما وصل إليه أخذه وتوجه نحو صيوان الأمير حسن وأعطاه الكتاب فقال بحيث أن الزناتى خليفة ذل من حربنا بعث له أن يعتق أولادنا من الحبس ويرسل لنا إياهم فراح أبو زيد يكتب إلى الزناتى ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	ولى قاب أقوى من حجر صوان
ولى عزم بالهيجا إذا قام سوقها	ولى طعن ماكن يكسر السندان
وكم من مثلك كان مجرب	بطعن يهد العزم راجح مهان
من الشرق إلى الغرب راحت ملو	كما وكم ذل لسيف أمير مع سلطان
خليفة تبعك الكلام تقول لى	هذا كلامك زور مع بهتان
إن كان ماقلته صدق مؤكد	اطلق لنا أولادنا من الآن
هذا مرادنا يكون منك ياملك	ونا منك من ضرب عود الزان
فلو تزرع الحوادث يا ولد صالح	حصدت بداله أربع وثمان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوى الكتاب ونختمه وأعطاه إلى المرسل فصار إلى أن وصل لعند الزناتى أعطاه الكتاب فحمد الله الذى رخصنا فى فكك الأولاد فبعث الزناتى إلى بنته سعدة وقال لها اطلقي المحابيس حتى ترسلهم إلى أهلهم فلما وصل الخبر إلى سعدة إلى عند أبيها وقالت يا حيف يا أبى أنت صدقت كلام العرب هؤلاء العرب ما بقوا يفارقوا هذه البلاد فقال لها والله لقد صدقتى لو عدنا للحياة ما عدنا نرسلهم وكان تلك الساعة مرعى عندنا :

تقول سعدة بنت أمير تونس	وجرح الهوى قد عاقنى حبايله
جرحنى الهوى فى قلب أهائى	ومشعل نار الجدد أشعل فتايله
أنا ما ضناتى غير مرعى وذائى	فيارب تجمع شملنا وأواصله

طوله يشابه للردى إذا مشى متى تسمح الأيام وانظر حمايله
أنا خائفة بطلقكم وترحلوا لأن سلامة كل يوم يزعله
فإن كان يرسلكم تروحوا لأهلكم وينظر لكم حسن ويفنى نحايه
أنا خائفة يا بطل حربنا مع قومكم بفرح بمرعى حين ينظر حمايله
ما قالت سعدى للهوى قد صابني على حب مرعى فى فؤادى تحمايله
(قال الراوى) فلما فرغت سعدى من كلامها قالت سعدى يحاربها ويقول :

يقول الفتى مرعى بعين وجبة لها بين نور الهامعين دراف
لأن حبك يامليحة ذابنى وجانى هواك والغرام صداد
بوسكن أبوك يامليحة أهاننى بالحبس صرنا موجوعين ضعاف
وان كان يطلقنا فلا يمنعه حتى نروح لأهلنا وسلاف
وأخبر حسن بما فعلت به معنا أبوك بين الملا عراف
ويوسل إلينا أبوك نخطبك منه ونعطيك خيلامع أموال ظراف
هذا مرادى يا مليحة ومنيتى نريد الحلال وما نريد خلاف
وأما الخنا فليس فيه تطابق لأنى أنا من نسل قوم شراف
ولا بد بملك أرضكم وببلادكم وأخذك حقاً بغير خلاف
فلا نحمّل إلا حراً وغاية المنا يداركننا الرحمن بغير خلاف

فلما فرغ مرعى من كلامه وسعدا تسمع نظامه فبقوا على ما كانوا عليه أولاف
الأنهار تنزل إلى الحبس وفى الليل تجيبه إلى عندها وتنام وإياه أما ما كان من بنى
هلال لقوا أولادهم ما طاعوا إلى الحبس نام أبوزيد ودق طبوله ونزل إلى الميدان
فما أحد جاء إليه فغار فى جواده ودق باب تونس فردعاه البواب وقال من تكون قال
أبوزيد أريد سيدك حتى آخذ روحه من جسده فراح البواب اعند سيده وأشار يقول :
قال خضر اسمع يا ملك قلبى احترق من الأمور بنار
جاءنا سلامه كأنه سبيع كاسر من فوق حمرة مثل طير طار
وقال لى حارس لا كسر واسلك امرع الى سيدك وهات أخبار

قوم انحدرو اليه وكون صادم واسقيه كاساً حنظلاً مرار
 وإن كنت ما تنزل اليه أنا له أجيب لك رأسه مع الاخبار
 هات لي خورثاً ودرعاً مانعاً وهات لي سيف يكون بنار
 إن عانني ربي لا قطع رأسه وأقيم أنا من فوق رأس طار
 قال خضر في كلامه صادق في وسط قايي اليوم هبت نار
 فلما فرغ خضر من كلامه والزنانى يسمع نظامه فأعطاه درع وسيف وخورثة
 وقال له يا خضر إن كنت تقتل أبوزيد أعطيك مدينة معاف وأعطيك سعدة فقال
 ياسيدي أنا أكفيك شره فبرز إلى أبوزيد فقال له من تكون من الفرسان حتى تنزل الميدان
 قال له أنا خضر بن موسى فضحك أبوزيد ووقف يشوف ماذا يريد فأشار خضر يقول

يقول خضر بن موسى الذى شكا	أنا الزنانى يافى بواب
ترى خليفة ما عاد ينزل لمثلك	ولا يلتقيك يافى بحراب
ارعدنى إذا جيت له رأسك	يعطينى ستحق بغير عقاب
وجيت اليك اليوم لكى أقاتلك	ولابد منى ما تدوق عذاب
الأيام كلها اما تجي معك سعادة	يوم به خير ويوم نكاب
والابطال يا أبوزيد كلها سوى	هذا فارس وهذا صعب مراب
أنت أبوزيد وأنى خضر باكر	لا شك فى أنك قلت صواب
رد أبو زيد الهلالي يقول له	احترقت بنار القلوب احراق
حرقنى الزنانى من فعاليه	وكان علينا باغيا مراق
نزلت الميدان للزنانى اقاتله	لا بد منى ما يروح محاق
يا أيها الرجل الذى جاء لحربنا	غرقت فى بحر ماله وفاق
ان كنت فارس من خيل بنى حر	بك لأنك أتيت إلى الحرب مشتاق
ان ما يلتقىنى إلا خليفة أميركم	لأن الزنانى فارس سباق
تكاونت أنا وإياه فى حومة	للوغالر لا مداخل قصره راح محاق
قد أرسلك لا يريد إلا هلا	كك تضحى قتيلاً تحت تل طباق

(قال الراوى) فأطعوا على بعضهم فقام أبو زيد وحرك الجواد ولاطف إلى
 كان حصره وطسه أماره تحت الحصان فقال الخضر أنا بغيرك يا ابن الأجاويد فقال
 أبو زيد قم اشلح عدة الحرب ما تستاهل القتل لأن ما عليك مقدر فقام البواب وطاق
 وهو يبكي حتى وصل إلى عند الزناني فقال كيف حالك مع أبو زيد فقال يا ملك
 الزمان كأنى رأيت مقام أحسب الحرب مثل فتح الباب وغلقه وراح يخبر الزناني
 فاستدعى بقلم وقرطاس وأشار يقول :

قال أبو سعده الزناني خليفه	ازدادت ميموى اليوم ثم النكايد
جفتنا إلى العز صارت رزبه	ولا عاد تأتينا ليسالى السعايد
أنازل عنيد فى حرب بلادنا	من وقت ما جانا أبو زيد رايد
فعتقه عفوا وحالا فقد غدا	وجابت ألوانا من قروم حشايد
حسرتنى سلامة حسرة وهى حسرة	ولا اى على حرب الهلاى جلايد
أيا غاديا منى على متن ضامر	تجد الثرى فى قربها والبعمايد
إذا جيت الهلاى سلامه	فاخبره عنى أكيد النفايد
وقل يا عزيز قيس وعامر	يا من على الأجاود فى الجود زايد
سألتك بحق يا أمه خيرتى	لدينك إذا ما كنت للدين رايد
لأنك أعفو عن قتال وترجع	ينالك طرى من طيبات
وأنا عنيتك يا أمير سلامة	وكسب الشا والجود هو لك هائد

(قال الراوى) فلما فرغ الزناني من كلامه طوى الكتاب وأرسله مع عبده إلى
 أبو زيد فأخذه وصار إلى أن وصل فرقع وباس يد أبو زيد وأعطاه الكتاب وأخذه
 أبو زيد وقرأه وهرف وموزه ومعناه وأخذه لعند الأمير حسن فقرأه أيضا وم
 فى الحديث إلا وعبد من عند الساعان حسن اسمه غازى كان راح ودار بلاد الغرب
 الجوامى من يوم دخل بلاد الزناني لأن بلاد الغرب الجوامى تسمى الشقور وفيها
 سبعة ملوك كل ملك يركب بمائة ألف خيال وارجع وأبتدأ بنجد الأمير يقول :
 أنا قال الفتى غازى يا ملك جتكم عساكر مثل بحر طافع

جونا ملوك المغارب كلها من فوق غيلا صافات قوادح
 قد رحلت بلاد الغرب ورأيتهم فانها كما رف الجواد السامح
 أرسل أبو سعده جابهم أتوه نجدات من بعد المطارح
 من لم يقاتل عند غرضه يقتل الجند لا يرضى فعل القبايح
 (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والامارة يسمعون نظامه قال أبو زيد
 ارتاحوا على جميعهم وحدى ثم أنه نبه فرسانه وراح إلى صيوانه فقام السلطان
 حسن وراح لعهده وقال يا أبو زيد أنت ذاهب وأنا خائف من الزناتى يميننا ويأخذ
 حق الله منا فقال أبو زيد أحط لىكم راية حرام على باب تونس فلا يطلع اليكم
 ما دام الهوى يلوح بها وتمشى بالليل وتندق طبل حتى تلاقى وترمى فيهم الحوم
 فعاد الأمير وأما من أبو زيد صبر إلى الليل وركب هو وقومه بنى زحلا ومشوا
 نحو ذلك العدوان مقدار سبعة أيام حتى وصلوا إلى موضع فيه ربيع ومياه فقال
 أبو زيد حولوا حولوا وفرشوا له الحرام فتمس أبو زيد ونام وتوقع أن ذلك على
 وكر تعبنا فطلع وضرب أبو زيد في فخذه وانقلب وأرمى سمه ففارق أبو زيد من
 ضربة الشعبان وقال بصوت من صميم الفؤاد يا جواد فر كضع على اخوانه فبحشوا
 على الشعبان قتلوه وإذا هو عشرة وعاد في قلب أبو زيد لهيب النار وعاد القوم
 في أكبرهم خلوا وعادوا به إلى البيت فقامت عياله بالبكاء والنواح على هذا
 الأسد المسموم وصار الفكاب في بنى هلال فعرف السلطان حسن وخاف من
 الزناتى وأما منه لما عرف أن أبو زيد مسموم ودياب غائب قوى عزمه وفرح
 وبات مستعد على حرب بنى هلال وأشار يكتب إلى السلطان حسن يقول :
 يقول أبو سعده الزناتى خليفه وقابى عليكم يا هلال حقوم
 قتلتم رجال فى المجال غصيبة وعاد دماهم فى البلاد يدوم
 قتلتم أخى الهيصم غد وبوقه وهو كان ضد الظالمين عنود
 ولى طار سائف من هود قديمة طارىء عندكم من زمان حدود
 والله لا جرد عليكم عساكر واحشد عليكم الانام حدود

وَأَمْرُ حَلَالِكُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَكُمْ . وَأَبْدَلَ الطَّيِّبَ هَيْشَكُمْ بِسُكُودِ
 أَنَا أَبُو سَعْدٍ أَنَا قَاهِرُ الْعَدَا . وَلِي فِي نَعَالِي يَا كِرَامَ شُهُودِ
 شُهُودِي تَهْودِي وَالْقَائِمُ صَارُمِي . بِيضُ الدَّمَارِي رَاخِيَاتِ جُودِ
 يَا أَبُو عَلَى قَوْمِ التَّقَى بَلَا بَطَا . وَتَرُوحُ مِنْ سَيْفِي طَعَامُ الدُّودِ
 خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ عَشْرَةِ جُمُوعِنَا . عَلَيْهِمْ مِنَ الزُّرْدِ لَمَتَيْنِ بَنُودِ
 يَا أَبُو عَلَى ارْحَلْ بِصَفْتِكَ مِنْ أَرْضِنَا . وَفُوزُ بِنَفْسِكَ تَبْلُغُ الْمَقْصُودِ
 مَا لَكَ عِنْدِي إِلَّا الطَّعْنُ وَالْقَنَا . وَضَرْبُ يَشِيبِ هَامَةِ الْمُوَلُودِ
 فَإِنْ عَانِي رَبِّي سَرِيعاً أَهْلِكْتُكُمْ . وَاعْقِدْ عَلَيْكُمْ كُلَّ يَوْمٍ عَقُودِ
 أَنَا أَبُو سَعْدٍ الزَّنَاتِي خَلِيفَةُ . هُنَيْثَا لِمَنْ خَالِي عَنَا وَحَقُودِ
 (قَالَ الرَّاوِي) فَلَمَّا فَرَّغَ الزَّنَاتِي مِنْ قَوْلِهِ طَوَى الْكِتَابَ وَأَرْسَلَهُ إِلَى السَّالْطَانِ
 حَسَنٍ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ كَتَبَ لَهُ الْجَوَابَ فَأَنشَدَ يَقُولُ :

يَقُولُ الْفَتَى حَسَنُ الْهَلَالِي أَبُو عَلَى . مَضَى الْعَمْرُ مِنْهَا بِشَدَّةٍ وَنَسُكُودِ
 مَضَى عَمْرُنَا بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَالْقَنَا . أَزْمَانُ مَضَى مَا عَادَ ظَنُّ يَهُودِ
 مِنْ نَجْدٍ إِلَى تَوَلَسٍ قَهْرُنَا مُلُوكَهَا . وَكَمْ جَيْشُ سُلْطَانِ غَدَا مَطْرُودِ
 مَا عَادَ غَيْرُكَ يَا زَنَاتِي مَصَادِمِ . كَمْ وَاحِدٌ غَدَا يَمْدُودِ
 غَدَا وَاللَّهِ يَنْصَفُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ . أَجِيكَ بِدَرْعٍ مِنْ عَمَلِ دَاوُدِ
 وَجَرْدٍ لِسَيْفِي وَالْقَنَا صَارُمِي . وَحَوْلَهُ شَبَابُ يَهْبَهُونَ عَهْدِ
 جَاهِلِهِ وَغَازِي يَابْنَ مَدَكُورٍ فَيَمِمْ . عَلَى خَيْلٍ ضَمَرُ بِالطَّرَادِ تَجُودِ
 أَنَا حَسَنُ الْمَسْمِيِّ بْنِ مَرْحَانِ أَبُو عَلَى . أَنَا لِلْأَعَادِي حَنْظَلَا مَبْرُودِ
 أَنَا سَمَكَةُ أَنَا لَوْعَةُ الْبَلَا . يَوْمٌ يَصِيدُ الرِّينَ مِنْهُ حَسُودِ
 وَأَنَا مَا أَنْسِيكَ يَا زَنَاتِي خَلِيفَةُ . وَلَا عَنْ قَتْلِكَ عَاجِزُ مَطْرُودِ
 مَا قَامَ أَنْتَظِرُ الرِّينَاتِ فَعَلَ أَبُو عَلَى . لَهُ فِي صُدُورِ الْمَدْرَعِينَ قَيْرِدِ
 غَدَلُ الْفَتَى حَسَنُ الْهَلَالِي أَبُو عَلَى . يَا سَعْدُ مَنْ لَا شَافَ يَوْمَ سَكُودِ
 (قَالَ الرَّاوِي) فَلَمَّا فَرَّغَ السَّالْطَانُ حَسَنٌ مِنْ قَوْلِهِ طَوَى الْكِتَابَ وَأَعْطَاهُ إِلَى

التياب فأخذه إلى مولاه وأعطاه إياه وقرأه وعرفه وعوزه ومناه ولا أصبح الصباح
 دق طبله وركب وأطلق الغارة على بني هلال فركبت بنو هلال خيولهم ودقت الطبول
 لهم فالتقى الفريقين وانحطت العين فبرز الزناتى إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان
 فبرز إليه السلطان حسن والتقوا البطلين كأنهم جهلين وطار من تحتهم الغبار حتى
 سد منافذ الأقطار وقد حرك حوافر الخيل نار وانكسرت بينهم الرماح والطبول
 والسيوف الثقال وكلت منهم الرنود وزعقت منهم الجهود وبقوا على هذا الحال
 حتى دق الانفصال فافترقا على سلامة وباتوا إلى الصباح يتحدثون فلما أصبح الصباح
 وضأ بنو ره رلاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح فبرز الزناتى للميدان
 ومال ضرب الطمان فأراد السلطان يبرز إليه فنعوه قومه الامارة وقالوا نخاف
 عليك من الزناتى وأبوزيد ملسوع ودياب غايب وإن صار لك حادث تروح بنى
 هلال سراً فى الجبال فقام الخفاجى عامر وطلب الزناتى فنعوه حسن وقال أنت نزيل
 هندنا والنزىل ليس له حرب فقام الخفاجى وأقسم يمين عظيم أن لم ينزل الزناتى
 يرحل بقومه عن بنى هلال فتركه وثنائى يوم دق الزناتى طبله إلى الميدان فبرز إليه
 الخفاجى عامر فالتقوا البطلين كأنهم جهلين وزعق فوق رؤسهم غراب البين وفى
 اليوم الثالث كل الزناتى وولى هارب من قدام الخفاجى وكان عند الزناتى خطيب
 يسمى مطاوع فقال الزناتى اكر انزل اليه وأما مستخفى بين الرنود وإن انكسرت
 قدامه فيلحقك حتى يفوتنى فأجمله من وراءه وأطعنه من قفاه وأهدمه الحياة وأما
 من الخفاجى فإنه رأى مناما أن قدام بيته شجرة طويلة جاهها نجار قطعها وحفر
 شلوشها فقام من منامه مرعوبا واستدعى دواية وامراته قال لهم عن منامه :
 يقول الخفاجى والخفاجى عامر رأيت منام منه عقل طار
 رأيت شجرة ثابتة فى وسط دارنا قطعها سريما يوسف النجار
 وقدم منسكه وحفر شلوشها وقطعها بالقادوم والمنشار
 وأمس أرسل الزناتى يقول لى كلاما أكيدا وضح الأسرار
 يقول لى يا أمير اترك قتالنا وبطل عنا جملة الأضرار
 وعدنى بالمال والملك والمطاوع غبنى فى معدن وابجار

فما ردت في هذه العطايا دوايه وأرمت في قلبي لطيب النار
يخاف أنهم حسبوا احسابي جميعهم ولوم الزناتي كلهم مسكو
لأن منامي يا دوايه راعني وأرمت في قلبي لطيب النار
ولكن مهما يفعل الله جاعلاً الله تعالى واحمد قهار
قال المسسمي الخفاجي عامر من ذا المنام بقيت كالمختار
ردت دوايه بكت عامر تقوله اترك خلية لا تزيدن أشراو
أنا خائفة ذا المنام بعيدنا ويرمي لنا بالهم والاضرار
يخاف عليك من الزناتي خليفه لانه أمير بالملا غداو
له مطاوعة بالحرب ما شئت مثلاً يشبه لسبع الفلا غداو
ما شئت قوم هلال فيما جرى خلى دماهم على الوطا فوار
فامهم ولا تمخ واقعد وامتد يا مصعب للفرقة وبعد النار
ما قالت دوايه واليك حيلها يا حسرتي ان راح عن النار
(قال الراوي) فلما فرغت دوايه من كلامها وأبوها يسمع نظامها قال يا بنتي
إذا ركبوا بني هلال ماذا يكون الجواب وأنا حالف بين أني أحارب الزناتي عشرة
أيام فقالت له عمل ضعيف بمذكرك بني هلال دقوا طبولهم وركبوا خيولهم
وفقدوا الخفاجي عامر فما وجدوه بينهم فسألوا عنه حسن فقالت الجازية أنا أروح
اليه فراحت تلاقى دوايه قائمة تبكي فساتنها عنه قالت أصبح مريضاً فرجعت أخبرتهم
فقال حسن الخفاجي أقسم بين أنه يحارب الزناتي عشرة أيام وحاربه ثلاثة أيام
بقي عليه سبعة أيام فكان حاضر أمير اسمه ظريف محب في الخفاجي فقال أنا أروح
اليه أنظر معانيه فراخ إلى عند الخفاجي فلما وصل كان نائماً جلس على حفيظة وقال
له حول يا خفاجي حول عن جواده فسأله عن حاله فأشار الخفاجي يقول :
قال الخفاجي ولد ديرغام عامر يا ظريف حول تعالى أضيف
وحيل ارتضى مني يا أمير وانقطع وهاد جسمي يا أمير تأليف
مرعوب بما نظرت في منامي ولد عدت من هذا المنام رجيف

وأيت شجرة طالعة وسط دارنا أنا كل عرس نائف وظيف
جانا بجري وقطع غصونها وأحرقها بمنشاره تحريف
وشفت الزناتي راح مني هزيمة وكنت عليه بالطراد جنيف
خايف يكون دبر علينا حيلة ومهما تشوره ما به تخليف
فرد المسمى ظريف وقال له إلا يا خفاجي لا تكن خفيف
شد واركب الزناتي وصادمه وأخاف تصيح بين الأنام خفيف
يا أمير إن العمر من رافع السماء مكن علينا ليس منه خفيف
ما دام لك أجل ما قط تقتل ولو كنت نازل وسط بحر مطيف
حياة الفتى موته بظهر جواده بيوم يكون الريق فيه نشيف
يقتل يكسب الحمد والثناء يبيض لعرسه وثناه نظيف
انهض ولا تخشى المايا جميعها وإلا غشينا بالذل والتخويف

(قال الراوى) فلما فرغ ظريف من كلامه والخفاجي يسمع نظامه وأب كالأسد
وشد على جواده وتقلد بالحرب والجلاد وسار مع ظريف فعندها زغردت البينات
ودقت الماريات وحين شافه الزناتي أنه قد يقول :

يقول الزناتي من فؤادى معمر نيران قلبي زائدات وقودها
أنا الخليفة بالحروب مجرب لى سيفنا بالخيال أنا راددها
ألقى ألوف الخيل ماني خايف أبطال تعرفنى بيوم طرادها
أجول حربى وحين طرادى وتريد فى حربى ترى المسكاذها
أبشر بقصر العمر جالك وأكد لايد ما نتمكن عميق لحامها
رد الفتى المسمى خفاجي وقال له نار الحرب أنت قائم بشرارها
أرسلت لك مكتوب كون صديقى وتعطينى تونس وكل جدادها
ما أرد اخون الميش يا أبوسعيد أخاف ترخص عندنا أسمارها
أولا أكون الخفاجي هامر فى جاه صغارها وكبارها
أصبح هزيل فى هلال مسخ ويكشفون هروضها وصخورها

لكن اليوم جهنت إلى حربك لا بد أسقيك كأس مراوما
 فلما فرغ من كلامه التقوا الفارسين في حرب وصدام وساروا في حرب شديد
 يفتك زرد الحديد فافتك عزم الزناني من شدة حربه فولى هارب والنجاة طالب
 وحكم ضربه فهو جنائين الورد وكان الخطيب كان من بين السجاياء وما سك الروح
 بيده وإذا بالزناني والخنفاجي لاحقه فطلع الخطيب طعن الخنفاجي بين كتفيه خرج
 يلعب من لوحه فرماه قتيل وفي دمه جدل فغار الفريقتين والنعم والاطاقتين وصاح
 على رؤسهم غراب البين وأما ظريف صديق الخنفاجي فقد شوش عليه فالحق الخطيب
 وطعنه بالروح أصاب الجواد ورماه على الأرض فرد الزناني اليه وخلصه من بين
 يديه وركب الجواد ولا زال بينهم القتال حتى ولي النمارق فأنفصلوا عن القتال وامنات
 الأرض من القتلى وأخذ الظريف خنفاجي عامر إلى بيته ومدده فأشار يقول :
 قالت دراية دموع من مآقيها ابرار قلبي من يقدر يطفئها
 جادت علينا سلجما من نواتها وأسفت لها من شربة من أرائها
 فأبكت دواية دموعها لأنجل والد هابت الخنفاجي من يقدر تبكيها
 يا حيف رحنا ما شقنا منازلنا يا حيف يا بدار العز نخامها
 أنا دراية أبو عامر الماجد أنشد المكارم وقد شيد هبائها
 قد كان ملك في أرض العراق له كم كربة من هموم الدهر يحلها
 يارب البين شئت ما مننا حول الليالي تجهزنا ليلها
 حاله مطاوع على شبه مبرشة تشبه لريم الملا السرج عليها
 طعنه بحربه طول الليل يسقيها واح عامر طريح الفراش سالها
 حاله ظريف سريع من فوق سابقه ضرب مطاوع ضربه جامدة فيها
 واضمى والدى بالعري منظرها أطن عدنا الأرض والشرق تغنيها
 من ذا الذي يوصل الأخبار لآها لنا وعلام هامر ترى من عاديجها
 ما قالت دواية ونار القلب مشتعلة حل أنواما وعربها وتاليا
 فلما فرغت من كلامها أفاق أبوها من غهوته وأشار يقول :

يقول الخفاجي بن درغام عامر
 نيران قاي كلما أقول تنطلق
 أنا مثل ضفر زايبا تحت عشه
 نفسي وكره لما طلع من بلاده
 ييات ويمر طالب الصيد الملا
 وإن كان هذا الطير ضييع وكره
 إذا جفاك الدهر يوم بقر به
 ولا نزل إلا في بلاد رقيب
 وشبانها تنقل السيف مع القنبا
 وشيوخها ترمي العدا في المهالك
 تقولوا للطير الذي في بلاده
 ما جاك يكسب الحد والنشا
 يا دواية إن كانت دنت مني
 وبعده موتي ابعثوا الكتب لأهلنا
 ولا أظن خبري إليك من بلادى
 أبى وأمى كيف ترى حالهم
 ولا ولد من بعد منى بقى لهم
 وقولوا لهم عظم الله أجركم
 أوصيك يا حسن يا هلالى
 أنت شفوفا على اليتامى ومحسن
 يا أيها الطير الذى طار بالفلا
 تأكل ربيع بأرض مصر وزرعها
 سلم على أبى وأمى وقل لهم
 جاشهد أن الله لا رب غيره

بدمع جرى لا أظن مثله مدامع
 يهب لها جوا ضلوصى لدابع
 من المحل جابته بروق اللوامع
 وخلي في وكره فروخ الجوازع
 يمنع حتى ما ترى الوفد جامع
 وراح على ذكره مديد آل سابع
 ادال عن الأجواد إن كنت ضايع
 بلاد العديبه حولها السم ناقع
 على كل طافح برعب الخيل قارع
 بالروح ماهو بالمسمات القوانع
 أيضا طيور قد تجمينا تواجع
 تجمنى وتأتبنى بفعل رواجع
 فأوصى ظريفا بجمل القبر واسع
 عسى الخمر منهم يجيكم مسارع
 بلادى بعيدة سهاها واليه قانع
 ينتظروا رجوعى ولست براجع
 دعوم بعدى يسكبون المدامع
 ولدكم عامر عند ربه مطاوع
 دول يتامى مالهم من مدافع
 يعطيك ربك عاليا الموضع
 تسما إلى الدهر الذى بك مطالع
 وثيبض بأرض العراق الموضع
 يرضوا علينا في صلاة الجوامع
 فهو واحد وماله من يغازع

وادعيتكم الله وربي وخالقي ولاني قريت مالها بمال
 وهذا مقالات الخفاجي عامر والروح من رب الخلائق ودائع
 فلما فرغ من قوله شق شهقة واحدة سلم الروح لله وكان حسن سامع كلامه
 فقام عليه الصياح والتهافت عليه العربان من كل ناحية حتى املوا الروابي والبساتح
 وكسروا عليه السيوف والرماح وغسلوه وكفنوه وواروه باثراب يرجع قولنا
 إلى الزناني فانه دق الطبله ونزل الميدان وطلب مبارزة الفرسان فابرز اليه أحد
 فقام حسن وقال علامكم يا بني هلال ما أحد يبرز الزناني فمأخوذ له جواب فقال
 القاضي مرادى أكتب أوراق توضعهم في جواب والذي تطلع ورقته ينزل غضب
 عن رقبته فقال هذا هو الصواب والأمر الذي لا يعاب فكتبوا الأوراق ووضعهم
 في الجراب ومد القاضي يده وشالها فقال ورقتي فقالوا انزل اليه فقال حضر والى
 قبر الخفاجي لأن أهمل قد دنا وحل او تحال من هذه الدنيا ولكن أمر الله مأمته
 مهرب فقالوا له إذا لم الأمر ما لها من زيد ولا عمرو فقام اشتد واعتد وأرمى العمامه
 عن راسه ونزل الميدان فقال له الزناني من تكون من الفرسان قال أنا قاضي العربان
 قال له قاضي وتعرف الحق من الباطل وتجهل حربي وتنزل فاشار يهدده ويقول :
 بهذا الجزم قتل الخفاجي عامر يا حييانه والغدر وما حصل له من رجال الزناني

تمت هذه القصة ويلها قصة القاضي بدير

قصة القاضي بدير

ابن فايد وحرب مفضل مع الزناتى خليفة وقتله بالغدر
والخيانة وشفاء الأمير أبو زيد من لسعة الثعبان على يد
سعد بن الزناتى خليفة وحضور الاله دياب وحربه
مع مكحول وأبو خزيمية إخوة الزناتى خليفة وشجاعة
بنى هلال أمام رجال الزناتى خليفة

(قال الراوى) لهذه السيرة أن الأمير حسن بعد قتل الخفاجى طاهر وجد أن
قومه ملوا من القتال فعمل قرعة وأمر القاضي أن يخرج ورقة فأرل ورقة كانت
باسم القاضي فأخذها ونزل إلى الميدان فلما رآه الزناتى وبخه على ذلك وأشار
يقول وعمر السامعين يطول :

سيفي تهنى في رقاب الظالمين	قال الزناتى من فؤاد الكرى
جميع قوم هلال مني خائفين	كل الفوارس هنتها يوم الوغى
من رعى يفسح الصخر المنيع	خافوا جميع هلال من طعناتي
أيضاً وقد كانوا مني مستهزئين	جونا هلال يملكون بلادنا
ودعيتهم بأفصى البلاد نائمين	لاقيتهم بسرعة بجيش عرمرم
عادوا الأماوى من حسامى هالكين	وهفت منهم كل قرم غششم
كيف تتبع الرجال الجاهلين	ألا يا بدير أنت رجل قاضى
تقرأ كلام الله والعلم المبين	أنت قاضى الشرع ما بين العرب
عن أنتم يأمرة مسلمين	كيف حال قتالنا في شرعكم
وقعت في حربي وما عادك معين	قال الزناتى ما بقى لك مسلك
يا خايفة كن في قولك وزين	رد القاضى بدير وقال له
نهدى جميع الخاق للحق المبين	نحن بشرح الله نحكم دائما
وقد غشمانا المحل في فوجد السنين	لما جاءنا المحل زاد بلادنا
ولاؤنا برق ولا وعد مبين	ساعة سنين ما جاءنا قطره

فما بعثنا الأمير سلامة رفاقه ثلاث شباب مجريين صاروا يرووا في البلاد جميعها كل البلاد أتوا إليها والدين ما أحد يعارضهم في كل الطريق إلا أنت حبستهم يامتين فأرسلت تطلب من أبو زيد هلا كههم جمال وراحم مع ذهب ثمنين ما رضىفا الذل نرسل لك أموال جينا لأرضك يا زناقي واحلين وأنت تخوفنا بحربك والنزال أين فايد قد غدا منى طعين قال الفتى المسمى بدير العابد لا بد أذهبكم جميعا مجندلين (قال الراوى) فلما فرغ القاضى من قوله والزناقي يسمع نظامه وقع فيما بينهم حرب شديد وضرب يقطع الزرد النضيد مقدار نصف ساعة فقام الزناقي في عزم الركاب وضرب القاضى بدير على كتفه الايمن شقه نصفين إلى الخاصرة فوقع القاضى قتيل في دمه جديل فلما رأوا بنى هلال قاضيه قتل التفت الرجال بالرجال حتى جرى الدم وسال وقاضيت الروابي والتلال وما زالوا على تلك الحال إلى أن ولى النهار وأقبل بالانسدال ودفع طبول الانفصال فانفصلوا الطائفتين عن القتال وحملوه إلى بيته وقاموا عليه الصياح وكثر النواح وصارت عراء كأنه يوم القيامة ووقعت الحسيرة والغدامة فقال حسن ما ينفع الميت هذا العديد لىكونه شيء لا ينفيد فغسلوه وكفنوه وفي التراب ودوه وعاد بنى هلال فى حشرة على القاضى وثانى يوم دق الزناقي طبله وبرز للبيدان وطلب مبارزة الفرسان فقال حسن هاتوا الجراب لجابوه تقدم مفضل أخو القاضى بدير ومد يده طلعت ورقته ليس آلة حربه وبرز إلى الزناقي التتاعوا الفارسين فى حومة الميدان وبدأ فيما بينهم الحرب والطعان وما زالوا فى كروفر حتى صار عليهم الغبار وسدت منافس الأقطار وقد حمت حوافر الخيل نار وقد داموا فى الحرب والصدام مقدار خمسة عشر يوما حتى انذهل الزناقي من حرب مفضل فضرب هيوان وقال لقومه من منكم يقتل الأمير مفضل يا فرسان وأشار يقول :

يقول ابن الهران الزناقي خليفة وياها قطرت عيوننا من نكادها والسعد قد ولى وراحت أرواحنا وقد راح من طيب الليالى وقادها لىسالى قطعناها بخير ونعمة حكمت المغارب مع بلادها

ولكن رد الشورى بالرأى ضررى
وجانا أبو زيد كان مجرد
واضحى يطاردنى بميدان حربه
وبعدى قتل قروم هفيتها
أنا كل ماجانى أمير بداله
يا قوم أعجرتنى مفضل بحربه
كنت أقول مثل أبو زيد بينهم
ان كان فيكم يا قوم من يحاربه يذ
ينزل إلى الميدان يقهر مفضل
أعطيه منى ما يريد ويشتمى
ما قال الزناتى خليفه
(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى خليفه من كلامه والخطيب مطاوع يسمع نظامه
قال أنا أنزل إليه وما يتفضل الا الخطيب ولما أصبح الصباح لبس الخطيب آلة
الحرب والقتال وبرز إلى الميدان فنزل إليه مفضل وقال له أين الزناتى فقال أنا
جيت بالنيازة عنه
فلما التحم هو والخطيب ووقع بينهم الحرب والظمن والضرب وقد تقطعت
في أيديهم الرمح واختلف بينهم ضربات شديدة قتله فكان السابق الخطيب ضرب
مفضل بالحمام على هامه حط رأسه قدماه فلما رأته بنو هلال قاضيه قتل التحم
الجهشين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين وأما بنو هلال فأخذوا مفضل قتيلا
من بعد ما راح منهم خاق كثير وأما الزناتى فعاد في غاية الأفراح وزالت عنه
الحوم والاتراح لسكن بذهبه سمعه ما هان عليها بقتل مفضل وكان عند أبوها حكيم
اسمه فتوح فاستدعته لعندها وقالت له أريد منك دوا يبرى السقم من لسع الثعبان
لأنى هندی جارية انقرصت فجيبت لها دوا يقطع آثار السم فاستدعت عبيد من عبيدها
وقالت له خذ هذا الخنجر واعطيه إلى أبو زيد وإياك أن تمخلى أحد يدري فيه وانه
منى كل ما تريد فاخذه العبد واعطاه إلى أبو زيد ورجع فشرى أبو زيد شئ قليل

منه فهدى لوقتة وساعة الحال دقت الطبول وزعقت الزمور وذهبت إلى بني
 هلال الحموم والسكدر فسمع الزناني وعرف أبو زيد اليثما من يبرز منكم فقال
 الخطيب أنا له وألف من أمثاله فبرز الخطيب إلى الميدان وعرض وبان وطلب
 الفرسان فبرز إليه أبو زيد ثم التقى البطلان كأنهما جباين وحن عليهم الحيز وزهق
 على رؤوسهم غراب البين مقدار ساعتين فقام أبو زيد في هزم الركاب وضرب
 الخطيب بالسيف على هامه حط رأسه قدامه فلما رأت قوم الزناني مطاوع قتيل
 وفي دمه جديلى ولوا هاربين وإلى النجاة طالبين فاحفهم أبو صبره وبني هلال
 ودعوا منهم القتلى تلوا وجابوا خيلهم وعددهم وعادت بنو هلال لعند حريمهم
 بالعر والاقبال وأما أهل الغرب فوقع فيها الذل فعند ذلك أرسل خليفة الأخبار
 إلى ملوك الشقور وكانوا سبعة ملوك وكل ملك على ألف هنان وأرسل يقول
 لهم أنه قد أتانا عساكر وعربان ومعهم مكاسب لا يمكن يصفها إلا أن يبادروا
 الآن لناخذ في حد السيف والسنان فلما وصل الخبر إليهم جماعوا عساكرهم بالحال
 فمشوا من يومهم فتواردت أخبارهم إلى بني هلال فقال أبو زيد على فيهم وحدى
 يعون الواحد القهار وأشار بهذه القصيدة يقول :

قال أبو زيد الحجازى سلامه	اصغوا لقولى يا جميع هلال
طمعوا بنا الأعداء جميعا واعتدوا	وجاهدنا فيهم بحرب طال
قتلوا جنود الدريدى وهامر	فرسانا واحوا بمجد اتصال
أنا كنت ملسوعا من الحرب قاصر	أقضى وجعنى العر والانسكال
لما الفرج قد جانا من رب السما	ذهبت عنى الأوجاع والأهوال
نزلت لميدان الزناني أصادم	من الصبح فأكبر طالب الأبطال
أسرع وبارز الخطيب مطاوع	فغدا مطوح فوق تل رسال
وجئت فرسه خلف منه جنبه	والدمع فيها على فراقه سال
يا قوم هموا ثم قوموا واركبوا	متين ألف ثابتة فى الحال
انقصد ملوك الشكور ثم ابديهم	قبل أن يضيقوا على هلال بحال
لا بد ما أفر جميع ملوكهم	وانغم جميع جبالهم وأموال

وأنت يا حسن الهلالى أبو على هذا الزناتى حار فى الأهوال
 قوم غنيد فاحتر حربنا ولا تولوا من القتال ذلال
 وإن زحكم أرسلوا إلى بلاد بطا أحمى وادعى أفتول ذلال
 ما قال أبو زيد الهلالى سلامه لى قلب يشبه صخرها ورجبال
 (قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه دعو له بنى هلال بطول العمر والبقاء
 وركب فى قومه بنى زحلان وأخذ أولاده معه غنيم وشيبان وأخذ معه من بنى
 زغبة الفقيه هنان وساروا إلى ملتنقى الملوك ثلاثة أيام وثلاثة ليال حتى وصلوا إلى
 وادى النسور وكنوا للقوم فى الليل ولما أصبح الصباح أقبلت عليهم الجيوش مثل
 الغمام فعندها التقت الفرسان وركب أبو زيد فى أولهم والتقى القومين فعندها أصبح
 أبو زيد بصوت ومال فيهم على الميمنة وشيبان وباقي القوم على الميسرة حتى خلوا القتلى
 طول والدم نور وقلوا السبع ملوك وجيوشهم وكسبوا خيولهم وأساحتهم وألجعوا
 فيهم نساءهم فعندها علم أبو زيد عسكره ونزلوا وربطوا فى الوادى خوفا من غيرهم
 فهذا ما كان من أبو زيد ورفقاءه وما جرى لهم فيرجع الكلام إلى الزناتى فلما
 بلغه الخبر دق طبله وجرز إلى الميدان فبرز إليه زيدان بن هاشم شيخ الضباب فقال الزناتى
 من أنت وإلى من تنسب من الفرسان فقال الأمير زيدان بن غانم .
 فلما فرغ خائفة من كلامه وقع بينهم الحرب الشديد ذاقوا الجهد إلى آخر النهار
 حتى دقت طبول الانفصال وثانى يوم وثالث يوم كذلك فجاء الأمير زيدان بالطرد
 فولى خليفة هارب وزيدان وراءه إلى باب المدينة فقفلوا الأبواب فى وجه زيدان
 وكانت خطيبة زيدان معه وهى بنت عمه واسمها ضيا فلما تراحت القومين جفل
 هو ودجها ورماء فأخذوه قوم الزناتى ولما رجعوا من القتال أمر الزناتى أن يحضر
 ضيا إلى عنده وأمر سمعه أن تبقى ضيا عندها وتحفظها وأشار يقول وعمر
 السامعين يطول :

يقول ابن مهران الزناتى بلا خفا أما فى المدامع فرح العين لونها
 حل ما جرى بينى وبين أهل عامر فرسانها لو قاتلوا فى جنوبها
 كل يوم أذل أمه راكبه وأقول ما عدا أحد يصونها

يصبح يكلونى أمير وثانى وازداد علينا وأكثرت من ألوانها
 جاءنى القتي زيدان من أصبح باكر ضربناه بالدرع أدوت سنونها
 زيدان يديه أبوزيد بالوخا وطعناته تلك التى تعرفونها
 ولا نظرت مثله فى هلال وعامر يشابه لفرخ الباز عند شيوخها
 تلقاه ببحر السرج يقاب الوطا يبقى يشابه الذى يحسبونها
 ترجع ببحر السرج كأه حامة مبرقة ما بان منها عيونها
 ولى ثلاث أيام أقامى حربه من الصبح حتى الشمس يصفر لونها
 ضربنى ضربة من يمين صميدع قطع زرد درعى بطعن سالونها
 (قال الراوى) فلما فرغ خليفة من كلامه وبنته سمعه فقال أوساه ضيالا بن
 حمهاو أوصاتها أهدأ لها وأما خليفة فقال لقومه كيف رأيتم يا فرسان من منكم باقى
 طرد زيدان وكان لخليفة ابن أخت يسمى مطاوع فقال يا خال أنا له فقال خليفة أنت
 است من رجاله ولا تقدر تلقاه فى مجاله فقال صدقت يا خال لسكن دعنى أعمل ما بدلى
 فأخذ مطاوع رجال وحفر له حفر وغطاها من الخندق خليفة طبله وخرج إلى الميدان
 فخرج إليه زيدان فالتطم الاثنان كاهما أسدان كاسران وحان عليهم الحين وصاح فوق
 رؤوسهم غراب البين فأراد زيدان يضرب خليفة بالرمح فولى خليفة وهرب إلى نحو
 الحفائر فجرو وراءه زيدان فوقع فى الحفرة هو والحصان فرجع له مطاوع وضربه على
 هامه طبت رأسه فداعه وأرسل رأسه مع رؤوس الأماراة على سور تونس فاشتبك
 القومين وأطبقوا على بعضهم الفريقين حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال فرجع
 الفريقين وباتوا إلى الصباح وثانى يوم برز الزناتى للميدان وطلب مبارزة الفرسان
 فبرز إليه بدو بن غانم فالتحموا فى الحرب التحام وحصار بينهم ضرب شديد يقطع
 الزرد الضديد إلى نصف النهار فوقع بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق فى الضرب
 الأمير بدر ضرب الزناتى بالرمح فخلأ منه وثقى عليه بالسيف فأخذها بدرة البرلاد
 وثلت عليه بالدوس فخلأ عنه ببراوته وكثرة شطاراته فاعتدل الزناتى على ظهر الحصان
 وضرب بدر بالسيف فقطع رأسه وأرسله إلى تونس فوضعوه مع رأس أخوه زيدان
 وكان لبدر ولدين واحد اسمه عقل والثانى نصر وكانوا أفراس أهل وقتهم وأجل

أهل عصرهم فقال عقل لا بد أن أقاتل الزناني في غدو كانت والدته الأرواد أخت الساطان
حسن تسمى هولا فسمعت عقل يقول ذلك الكلام فمرت الدنيا في وجهها وخافت
عليه من الزناني لأنه بطل مغوار وإثنايا متى غلب يدبر حيلة في قتل من نازله
فأشارت هولا تنهى عقل من حرب الزناني تقول :

تقول فتاة الحى هولا الحزينة	ودمعي جرى من مقلتي سجين
جسمي أنضى من لوعة اليأس ولي	قلب من جور الزمان حزين
يا عقل أرجع من مقاتلك واهندي	واصغى إلى قولي وكن فطين
أنت صغير السن ما ذقت لوعة	ولوا في خليفة في الحروب متين
ما أنت يا ولدي أراك قبالة	بينك وبينه يافتي خمسين
أما أبوك يافتي غدا وراح بيومه	أنا خائفة يافتي أفقد اثنين
يا الله عليك يا عقل رد كلامك	قلبي صار من ذا الكلام حزين
ما قالت فتاة الحى هولا الحزينة	قلبي انقطع من حلة وعشرين
رد الفتى عقل الذي هاج ما به	قلب من فقد الزمان طعين
طعين من أبو سعد الزناني	قتل والذي وزيدان عمه دفين
يا أمي أنا بالحرب باكر أكر له	بسرق المنايا ما جد لي معين
مهما قضى الله على العبد صابه	وعمر الفتى يا أماء حصن متين
وشورك أنا يا أمي ما أريده	شور المذلة للرجال يهين
فلا بد من قتل الزناني خليفة	بقول حقيق واكد يقين

فلما فرغت عرفت هولا بأن قولها لا يقيد فراخت عند الأمير حسن وهرفته
أمرها فركب وأتى لعنده عقل وصار ينهيه عن قتله فلم يرجع عن عزمه .
فلما علم حسن أنه ماله خلاص قال له الله ينصرك عليه فلما أصبح أصبح الصباح ليس عقل
ابن هولا آلة الحرب الحرب والكفاح وصار عقل في الميدان وعرض ربان وطلب مبارزة
الفرسان فبرز الزناني خليفة وقال من أنت فقال الزناني أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
نقتل كبارهم بجوئى صغارهم فالتطمروا الاثنين كأنهم جبلين أو أسدين زافرين وحى
عليهم الزرد فمرف الزناني أن عقل فارس لا يطاق وأمر من العاقم ومن صغر سنه خبير

بطعن السفان وضرب النان وصاروا الزينات يتخووا الوحى يبعامى الزينات وهقل
قد زاد حربه وأشيع الزناتى من ضربه وحى الميدان بفعله ولازالوا فى قتال
وجهدال لحين الشمس حتى الزوال فدقوا طبول الانفصال ولما أصبح الصباح ركب
القودين والتحموا الفريقين فمزوا إلى الميدان وصاح على رؤسهم غراب البين
وأما أبو سعدة كل وذل وضف قراه وأهل دأوى عنان جواده وولى هارب
ولمى للنجاة طالب فتبعه عقل وأطلق له من بحر راق وقلب مشتاق ولحقته الطعنة
للجواد أرمى الزناتى على الأرض فأدركوه قومه وخاصوه فأيحذف عليهم عقل
وبنى دلال دظم الحرب والضرب ولم يزلوا بالقتال حتى ولى النهار بالزوال
وأقبل الليل بالانسداد فدقت طبول الانفصال فعاد مرهوج وعقد مرهوق
وصار يوصى فرسان قومه على قتل عقل يقول وعمر السامعين بطول :

يقول أبو سعدة الزناتى خايضة ونيران قاي زایدات ضرام
سرب الأعادى طال على ما جاله وكل نهار طال فيه فقام
أيا حبتى وأهل الحشيمة فاسمعوا وكونوا يا كرام فهام
وأعطيه سعدة أن تكون حليلة ويكون عندما فى أعز مقام
ويشتفى منى الفؤاد بقتله بالحشيمة يا دلوك يا كرام
فلما مقال الزناتى خايضة حربى من كيد العدا سجام

(قال الراوى) فلما فرغ خليفة من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقام ابن أخته
مطالع وقال يا أخا له إن كان ما قتلت فى حومة الوضى أجيب سابقه يحرم على
نقل الرمح مادمت مسلم ومحرم على القرح والعز والهناء ويحرم على أنشر فوق راوى
أهلام فقال خليفة الله بعينك عليه ولما أصبح الصباح ركب مطالع جواده واعتدل
فى عدته وجلاده ودقت طبول بنى هلال وركب الخيول الاصال وركب عقل أولم
وهو ينادى اليوم لاكل لليوم فلما شافوه الزناتى ولوا هاربين وللنجاة طابين وفى
أولم مطالع فقال له خليفة لماذا انهرمت يا ابن أخى فقال انهرمت قومه من اناضل أحد
فلما عقل وصل عند باب تونس فطالت بنت الزناتى الشامية وكان اسمها بسما فنظرت
إلى عقل وقبح هواه فى قلبها ومملك فؤادها واشدت تقول :

تقول فتاة الحى بسما الذى شكت
وحبك بقلى عقل حنى حالى
خليفة لم أولاد ذكور كلهم
وقال لهم يا غزوة الجود والسخا
فن منكم يرز الى عقل بالوغا
فنهض مطارح وقال يا خال أنا له
وقتا على هذا الشوريا ابن هولا
وأنا علمتك يا عقل شفقة عليك
وأنا أرى يا فنى رد لاهلك
وهذا الخيد يا عقل اصحى وافهم
قالت فتاة الحى بذك خليفة

فلما فرغت الست بسما من كلامها فأشار الأمير عقل يقول :

يقول الفتى عقل ابن هولا المقيم
جرحى الهوى يا بسما على ضبا
وقد عدت يا بسما من الوجد هايم
وأنا ما أحب إلا الهوى كل كاعبه
أحب طراد الخيول وحرب اللقا
أخوض غبار الخيل دارى عقيدتها
أيا بسما قولى كلامك واقصرى
لا تحسبى أنى أخاف من العدا
شايلى عنى يا مليحة قرورك
أبوك غدا مهزوماً من فاخمشى
وداح ومهجم ابن أخت مطارح
فلو جاد لى بما ألف مطارح
وهذا كلامى يا مليحة فاسمعى

جرح الهوى خلا الفؤاد نحيل
ولا يلتفت لى بالغرام نحيل
ركبت الهوى عسفاً بغمد دليل
بنات الأمانة للعقول تزيل
إذا أصلت نار الحرب شعيل
يرمق نحو كل طرف كحيل
أنا عقل حانى بالشباب هزيل
ولا أنا من حروب الرجال حويل
ينسبونك معى والقروم عميل
وقد ذاق من حربى بلا تسكيل
ويريد قتلى بالطراد عجيل
فالיום يوم الحرب والتكيل
ولا تفكرى لى المقال ثم القيل

(قال الراوى) فلما فرغ عقل من كلامه وبسما تسمع نظامه عاد مطاوع لعند
العماريات وبرز الى الميدان فاستقبله عقل وسحبوا الحسام وانعقد غبار حتى سد
مناقب الاقطار وهم في حرب وصدام واقتراق والتحام وتجهيز الزوام قدح
حوافر خيلهم نار وطار من سلاحهم الشرار فيا لهم من أسدين درغامين وبهريين
متلاطمين أما مطاوع فرأى قدامه فارس كرا وأسد مغوار وشاف من عقل حرب
حير عقول الاطفال فعول على الهرب والفرار فاشتاق عليه الزناتى خليفة فغار على
عقل والثانى واح إلى مطاوع والثالث قدامه وحطوا عقل ابن هولا واسطة فالتفت
عقل وضرب واحد منهم أرماه وغار على الذى قدامه فلانوا الجميع من قدامه
هاربين فنزل عقل على جواده وعقل فوق العماريات وغار على قوم الزناتى وكل
فارس وقع أمامه زوروه المقابر فنزل إليه مطاوع والغلام وعلام بن بجدة الفين من
قدام واثنين من وراءه وغدرة مطاوع ثم طعنه وأرماه فقال الزناتى خذوه
فتزاحم عليه الرجال فراح عقل تحت نعال الخيل ما بان له أثر وانكسرت بنى
هلال ودقت طبول الانفصال فرجع القومين الى الاطلاق وكان إلى عقل أخ
يسمى نصر فقال غدا أنزل إلى الميدان آخذ ثاوى من هؤلاء الغدارين فلما
سمعت أمه هولا بكمت بكاء شديدا وتحسرت على عقل وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى هولا حزينه	وفى القاب نهران تزيد اهاب
وحزن عقل الخويل أضنى احوالى	فتى من جميع العالمين تهاب
فتى خليفة الاجواد قوم مجرب	له فعل بالهيجا كسبوع الغاب
غدوره مطاوع والزناتى خليفة	وخلى دموى جاريات سكاب
فيا نصر انظر أخوك ابن والدك	هفوة العدا تحت نعال تراب
فراح المسمى قيل مطاوع	أتى مزود من مس فينا طاب
أريد له يا ناصر تاخذ بشاره	وتزيل عنى الغار يا أحباب
أريد يا ناصر تقتل مطاوع	وتدعى دمه على الوطا سكايب
فلما فرغت هولا من كلامها وولدها نصر بسمع نظامها أشار يقول :	
يقول الفتى الذى فنت الحزن قلبه	يا أم لا بدرى على عتاب

فلا تحسب أني خائف من العدا أنا نصر يسمى قاهر الطلاب
 فان كان أخى قد راح بيومه وليس الأجل بعيد ولا بعتاب
 وموت الفتى يمه مثل عرسه إذا قام سوق الصافنات للطلاب
 إذا كنت لم آخذ بشار ابن والدى أكون ردى الأصل والانصاب
 غدا تنظرى شبيهة مطاوع جنيتى ودماه من فوق الثراب سكتاب
 ولا بد من قتل الزناتى خليفه بشار شيخ أبطالها وشباب
 أنا نصر الزغبى ما فى عيال أبو على خالى وعمى دياب
 قال الراوى فلما فرغ من كلامه قد طيب خاطر أمه وثانى الأيام برز نصر إلى
 الميدان ونادى فى أعلى الصوت وقال أبرز الأبطال فبرز إليه الزناتى وظن أنه عقل
 ما كان يعرف أحدهما من الآخر فصدمه الأمير نصر صدمة جبار لا يهاب فالتقاء
 يقلب أقوى من النصوان والنظموا البطالين كأنهم جبالين واختلفت بينهما ضربتين
 فاطعتين كان السابى نصر الزناتى بالسيف فالتقاء بالدرقة فنزل السيف على رقبة الجواد
 براها كبرى القلم فوقع الزناتى على الأرض فأدركوه قومه فى جواد وأركبوه
 ومالت المواكب وهاجت الكتائب وما عاد يعرف العدو من الصاحب وكان يوم
 مذكور كأنه يوم النصر المنظور وبقى السيف القرصاب يعمل على الرقاب حتى ولت
 الشمس إلى الغياب فدقوا طبول الانفصال وباتوا الفريقين يتحادثون إلى الصباح
 فركب نصر وبرز إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز إليه مطاوع وأطبقوا
 بالحرب الشديد حتى حى الزرد النضيد فاختلف بينهم ضربتين كان السابى نصر أوقع
 ومخفى صدر مطاوع فطلع السنان يلمع من ظهره فوقع قتيل وفى دمه جديل فعندما
 غارت قوم الزناتى وحملت أيضا بنى هلال وزادت المصائب والأهوال والنجموا
 الفريقين فى الجمال وصار الزناتى وفرسانه يهاوروا نصر وأمر الزناتى فى أناس تقاقل
 وأناس تهمر حفار وما زال الحرب حتى وقع نصر فى الحفير فقار حاليه الزناتى وضربه
 بالسيف على هامه حط رأسه قدماه فأخذه وأمر أن يهطوه على صور تونس جنوب
 وأس حقل فغارت القومين وتزاحم الفريقين وزحق على رؤوسهم غراب العين ولم
 يزالوا فى القتال حتى ولى التهاروا قبل الليل بالإنسداد وجعوا عن الحرب والصدام

واخذوا نصر يفتنونه في جانب أباه ولحق بعمه وأخيه وأما أمه وأخته فصوا
شعرهم وقاموا أحزانهم وأشارت أمه تقول :

تقول فتاة الحى هولا الحزينة بدمع جرى فوق الحدود بنار
على ما جرى فينا وقد أصابنا والفكر والعقل منى طار
على عقل عقلى راح مستقرة ويا نصر ما لي بعدكم أنصار
ونزلت دموعى كالأنهار والجارية وجاني البلا قاصد الأفكار
يا دمعى جودى واجر صبا به على أخوين كانوا كالأقار
غلو أن نهر النيل بالقلب يجرى وسيمحون مع جيعجون الإبحار
ونهر الفرات ودجلة والشط كلها وعاصى وحمى كل نهر دار
هل نار قلبي أيس يطفى لهيبها وتزيد فيه حرقة وشرار
يا بنتى قومى ابدى طول عمرى غل اخوتك كانوا حماة الدار
غيا طول حزنى كلما ذمت بالحيا إن جاء دياب الحى وسط الدار

قلما فرغت من شعرها أشارت بنتها فتنة تقول :

قالت فتنة بدمع جرى سهام يجرى على الحد شبه السيل طفاح
كنا بخير وعز قبل فرقتهم وفارحين غد شم أفراح *
ودوم عقل إلى الخطار يكرهم للسيف والضيف موقف دوم دباح
ونصر مثله ولا غيب بخالطهم هم غضاريف عدة الحرب وكفاح
فلما فرغت فتنة من كلامها أقاموها الناس هى وأما من على القبور وقال غانم
أنا من بعد أولادى لا أريد حياة ومرادى أنزل للزناق وأحاربه إما أقتله وأخذ
منه الثار وإما أن يقتلنى واستريح من الأحزان فبرز إلى الميدان وطلب مبارزة
الفرسان فبرز أول الزناق قدامه وأشار يقول :

قال الزناق بن مهران صادق ول قلب أقوى من حجر صوان
يا أتم علينا يا أتم اعتديتم زرتم بلادى وخربتم البلدان
قلت أولادك واحوا بذاتهم بذلك الفتى المسمى أخوزيدان
وأولادهم بوزوا يريدوا قتالنا عقل وأخوه زينة الشبان

قاتلهم راحوا بغامض الثرى وصفت راس السكل على الحيطان
 تسعين أمير صارت رؤسهم عندي ورميت من بعدهم ثرى النسوان
 ما عاد إلا أنت يا أمير جتنا فأنشد شايب بالسكبر وزمان
 فروج يا مسكين لا تقل عقلك ما يلتقى حربى سوى المردان
 فارجع روح صلبى واعبد ربك واختم لهم فى سورة الرحمن
 أنا لا أقتلك وحطه حطك برقبتي قتلك تراه ضد وعدوان

فلما فرغ من كلامه التقوا البطاير كأنهم جباين ولم يزالوا فى قتال وجدال حتى
 ان الشمس ولت بالارقال فدفقت طورا الانفصال فرجوه وعن الحرب والكفاح ولم
 يزالوا على ذلك مدة أشهر على الكمال وبعد ذلك ما عاد غانم ينزل إلى حربيه ولا أحد
 غيره فغضب الزناتى ديوان وقال لقومه ما رأيكم فتنه دم ابن عمه الامام وأشار يقول

يقول الفتى العلام ولد غضبيه أو صيكت وأنت عارف ثم فاهم
 أو صيكت لا نأمن من زمانك لوصفا وافعل فعال الخير ما دمت قادر
 ولا نأمن الدنيا الغرورة ولوصفت ورجل يماندهما نعليه قام
 أيا نار قلبي يزيد - لحيها يزيد شعيلها فى فؤادى ضرايم
 على أيام أبوسعده الزناتى خليفة زمن اجتماع الشمل كنا ملايم
 فلا نعرف للشدة ولا نعرف لرخا وكنا فى نعمة الخير داييم
 ولا ليلالى قد سمعت فراقنا وطهر النينا فوق الديار حاييم
 بيوم أضين للهلالى أبو على بأربع كرات ألوف باغوا الغنايم
 تسعين ألف الحلالى سلامة وتسعين لآبو على بالسعد داييم
 وتسعين لآبدر بن فايد وتسعين ألف له توابع وقدم
 بدل بهم أبوزيد فى أرض تونس وبهم أماره كالجبال الصدايم
 بهم كل قرم ينطح ألف واحد أجاويد شجعان بوقت المزايم
 صبرنا لهم قلنا يقوموا يرحلوا وهم قد أتوا طالين الغنايم
 وزحفوا علينا كالجراد إذا زحف وتلاحمت بارنا أسمايم

أول نهار لا علينا ولا لنا
 وثالث نهار لممس ما بان ضوءها
 والرثالث احمرت الأرض فالدما
 ومابع نهار عند عاينا غبارها
 وثامن نهار خاضت الخيل بالدماء
 وقالت عزيزة يا زناى خليفة
 رأيت مناما يا أبى قد رأيت
 رأيت طيور الشرق أتوا البلادنا
 وفيهم طير مثل طير برج مشهر
 دخل قرار البيت وارمى عموده
 فذاك العمود أنت بلا خفا
 فقم يا زناى شد واركب
 قالت بنات هلال بن سلامه
 فلو يديه من القيد مدوح
 كسرا سبعة ثم سبعة نظرها
 ولا يعنى إلا بكل مجرب
 أبو زيد مسك أرضها مع يمشها
 ومن يضربه زهدان ما يعود ينتنى
 وعقل ابن هولاء يروح الخيل لورح
 ميتين طعنة لابن هولاء حسبتها
 ينادى ابن عشرة لا يموت ابن سبعة
 يضل ورانا حتى نخش قصورنا
 فيلعب حصانه عند باب تونس
 سباح العذارى لو يقع خيارنا
 وطلبت بسما بك سلطان تونس

وثانى نهاركم تقطع جماجم
 وعاد السود شبه أول الظلايم
 تدوس الخيل الجشت والجماجم
 وما خاضه إلا قوى العزائم
 وعاد عجاج الخيل وقت الظلايم
 أنا حلت حلاً ما حلم به نائم
 سهرت وغدى خالى البال نائم
 طهروا طيور الغرب ولوا هزائم
 ومن فوقه قوى العزائم
 قتت ضربت الرمل بان منه علايم
 والطير خضره دياب بن غانم
 على سابق أشقر من العيب سالم
 ينادون أبو زيد كل الحرايم
 هل ظهر حرام مثل برق الظلايم
 وعاد علينا مثل سبع يزاحم
 ومن يضربه يبقى على الأرض نائم
 وزيدان على الأيسر يسوى العظام
 يعود هل أعلى الدرجات حريم
 من لحنه يعرف جميع الغمام
 ولا طعنة إلا ترمى الجماجم
 ولا بد ما يقضى جميع اللوازم
 وانفق الباب وكل الخارم
 من الصبح لثانى يوم وقت الظلايم
 فيدموا له بالنصر يرتد سالم
 تنظر إلى عقل الشجعان الخاسم

وأنا أخبرك بما كان يا ابن الأكارم
وأظهر لهم خبرك وكل العلّام
يا أهل المروعة يا كبار الحشام
أعطيه نصف الحكم ما دمت سالم
وأعطيه سبعة بنت قاضي القوام
وأعطيه يا ناس كل الغنّام
يا خال أنا ألك بك بعقل على الوازم
يحرم على دلتات الوشّام
يحرم على الزواج بين العوالم
أما أجيب حصان على عقل المخاصم
يلاطم كراديس المنايا يلاطم
مالك وما الحيل فيه تخاصم
وعاد عجاج الخيل للجور قائم
أنا مطاوع مشيد برج النعام
وصاح لحاله ابن يا خال هازم
دعاه مكبوا على الأرض نائم
تفرج عليه ديلات الوشّام
لو كان تغلى بالمواضى قسام
وتزاحمت خيل الجياد الصوارم
وخيل تفرقع في حديد الحزام
وما بان من جسمه رسول العلّام
وصار لها مثل التلول الجحام
وناد الظلام يشبه ليالى الظلام
وقلنا بعد ما عاد فارس يخاصم
طالب لئلا انتق عقل هامم

وقالت له يا عقل انى نصحتك
خليفه جمع أولاد مذكور كلهم
وقال لهم باعزوة الجود والسخا
من منكم يقتل عقل ويحب سابقه
وأعطيه بصره ثم رقائم تونس
وأوليه أسواق المدينة كلها
تنبه مطاوع الزناني وقال
ان كان ما قتل عقل وأجيب سابقه
يحرم على السرج والعز والها
ما يقفنى ويأخذ سابقى
وصوت الزناني يرغب الخيل الوغى
نادى عقل فى الميدان وقال له
فتلاطموا الاثنين فى جومة الوغا
فما د الزناني والفتى عقل راح
ضرب بطعنة من قفاه وماله
رد الزناني لعقل وطعنه
حلقوا الهلاجات ما تخلى قتيلا
حلقوا الزينات ما تأخذوا
بننا طول الليل والحرب بيننا
إلى تانى الأيام واللىنا وقع الفها
وداح ابن هولا بالحوافر واخترق
يوم ابن هولا خاضت الخيل بالدها
وتلاطموا عقده وطبل عجاجهم
قال الزناني سلمنا من ابن هولا
وجانا تانى يوم نصر ابن والده

طلعت هولا من الهوادج وزغرطت
قالت يا نصر الموت خير من الحياة
أنت وأخوك اثنين جيتهم جملة
لا أنا ولا أبوك ولا حد هانكم
ولا شافت الجيران بهجة وجوهكم
وخياكم يا نصر ما في مثاها
حصان عقل أحمر من خيل والدك
لما سمع نصر قوامها ميل نحوها
مرة لشارت الفقى عقل ينتخى
فاتى إلى مطاوع والطاراد وصده
ضرب نصر المطاوع برمح محكم
وراحت معه شبهة مطاوع جنبيه
عمامة وأبوه وأجواد كاسبه الثقل
قتل مطاوع زادنا عليه حسرة
أنا أقول إن الدهر فينا قد لوى
وقوم هلال فعلهم دوام زاهد
قوم افلاين ما فيهم غبا
أنا أخاف يبنوا الشور بينهم
وقد صار لهم عندك ديون كثيرة
وهو الفارس ما في البوادى مثاله
ايا خائفة إن ساسمت منه
فهذا حسابى والذى دوم حسابه
ما قال الفتى العلام ولد عسديه
فقال الزنائى ما قتل دياب مع الذين قتلناهم قال العلام دياب ما هو حاضر
وهو فى وادى العجاين مع بوش بنى هلال قال الزنائى مرادنا رسول له من يقتله ويحبب

حين شافت نصر على الخيل فاحم
وعمر ك ما جلت عفى الهائم
فى بطن واحدة قد جنتم توائم
بمدة خمسة عشر سنة فى الحفائيم
حقو كبتوا الخيل وصرتهم عظاميم
سلايل من خيل شداد الهواميم
وأبو خضره دياب بن غانم
يقشابه عقاب الجوفى الصيد حاييم
ومرة لعين وابلات الوشاييم
وصار عليهم عظم البلا والقتاييم
رما تحب السراج عالارض نايم
واخذ لثا عقل وافى الزمايم
نعم هم قوم من نسل الاكاريم
وبعد مطاوع ما دلنا غاييم
وبعد مطاوع يشنع أهوم نايم
أجاويد طلابه الحرب دايم
ملاهيون طرايين للسمر دايم
يودوا يجيبوا لك دياب بن غانم
يريدوا وفاء ما يرد لك غنايم
قد بان لى عنه بالسكتب علايم
فهان عليك العصب يا أبو الهائم
سهران من كيد العدا است نايم
ويا نار قلبي زایدات الضرايم

البوش منه والتفت إلى واحد من إخوته وكان يسمى أبو خريبة وهو فارس صديد فأمره الزناني في الركوب إلى وادي العباين ويحبب البوش منه فقال سمعاً وطاعة فركب من ساعته وأخذ معه عشرين ألف فارس قروم عوايس ولم يزالوا ساكرين حتى وصلوا إلى وادي العباين وغاروا على قوم بني هلال وعاقوا ضرب السيف فيهم فقامت الرهيان بالعباط والصراخ فلما سمع دياب ركب جواده وطاعت فرسانه وراه فلما انهم الحرب بينهم بطن يقصف الأعمار وصار بينهم ضرب مثل النار فعندها قام دياب في عزم الركاب وضرب خريبة بالسيف على هامه حط رأسه قدماه فوق على الأرض بدماه يحتبب طول وعرض ولما شافوا قومه أميرهم قتيل ولواهارين وإلى النجاة طالين فلاحقوهم بنى زغبة ومدر السيف في أعناقهم وأعدموهم أحبابهم وأصحابهم حتى وصلوا إلى عند الزناني وأخبروه عن قتل أخيه فاستدعى أخاه الثاني وكان اسمه مكحول وقال له خذ قومك وامض إلى دياب بن غام خذ فأرك منه وانهب بوش بني هلال وعهما جبت من هؤلاء يكونوا هبة مني إليك فركب بسائر عسكره مقدار خمسين ألف ممام وغار حتى وصل إلى الوادي وكان دياب وقومه في الصيد وما بقي من البوش إلا مقدار ألف فارس فنارت عليهم الحيل مكحول أولهم وساقوا البوش جميعه فراح الصوت إلى دياب وأعلموه في الخبر فعندها صار حتى وصل إلى القوم وبرز إلى مكحول والنظموا في الخصام ونجر عواشرب كامر الحمام فغضب مكحول دياب في الرمح فقام دياب رجلاه من الركاب وأخذها من تحت تحتة في هزم الركاب وطعن مكحول في الرمح فأراد أن يخل من هائل دياب فجهاد الرمح في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل وفي دمه جديل فأخذ درعه وجواده وغار على قومه وبدأ يذبح فيهم حتى مقدار عشرة آلاف فارس وهربوا الباقي حتى وصلوا لعند الزناني وأعلموه بقتل أخيه فغضب غضباً شديداً ثم في ثاني الأيام برز إلى الميدان وعرض وبان وطلب مبارزة الفرسان ما حد رد عليه . (قال الراوى) فلما فرغ حسن من قوله وإذا بغيره علا وطار حتى سد منافس الأقطار وبان من تحته فرسان على خير لغلان وإذا هو الريش مفرح الذي كان مع أبو زيد في غزو ملوك السفور وخول وسلم عليهم فسأله عما جرى له فصار يخبرهم وفي أول

الكلام وإذا بعيارق حر قد طامع رأبوزيد بأول الخيل فلاقاه الأمير حسن وبنو هلال
ومنوه في السلامة وفرحوا في لقاءه وطلت النساء والأولاد وأهالي القتل الذين قتلهم
الزناشي وقعدوا على المقابر لابسين السواد هاتكين الستور بأكيات نانحات ووصلت
الخيال التي أتت بها أبوزيد من الأهداء والمكاسب والغنائم وأخبر الأمير أبوزيد بما
فعل فيهم الزناشي وكم أباد الفرسان فلما سمع أبوزيد قول حسن صار الضيق في وجهه
كالظلام وحزن حزناً شديداً على من قتل من الفرسان وعندما قام ومنز على المقابر
وشاهد النساء والبنتات فلما شافوا أبوزيد رفعوا أصواتهم في البكاء وصاروا
إليه بما أصابهم فطبيب خواطرهم وقال لهم إن أراد الله نأخذكم بالنار وأترك
ديار الزناشي خراب فعند ذلك لعند عليا وبات لثاني الأيام وقسم القسائم والأموال
وأعطى حسن جزءه وشال إلى دباب قسم ثاني يوم برز أبوزيد إلى الميدان وطلب
مبارزة الفرسان وتعرض تحت أبواب تونس وناذى الزناشي يبرز إلى الحرب
والطعان وأين رجال الحرب أصحاب الطعن والضرب فما أحد رد عليه فوقف
تحت زغلة الباب والأبواب مسكوك لا أحد يخرج ولا يطلع سوى النسوان التي
غوى الأسوار يتفرجون فعندها صاح في البواب افتح وأرسل مولاك فصار البواب
لعند الزناشي قال له قم كلم أبوزيد واقف بالباب يواجهك فقال الزناشي يا بواب
من يقدر يشوف عزرائيل حتى يقبض روحه قال البواب افتح له اسكني يواجهك
دبر مالك لحالك يا مقصوف العمر وهات المفاتيح التي معك فعند ذلك أخذ
مفاتيح أبواب تونس وضعها عنده وخباها له وقال أقعد خلف الباب ولا تفتح
لأحد وإذا أحد سأل عن سيدك فقول له ما يطلع فعاد البواب وأهمل الأمير أبوزيد
الكلام يرجع الكلام إلى الأمير حسن انفضت إلى أبوزيد وقال له مادمت جيت
ها بق الزناشي بفتح الباب ولا يطلب قتيل وفي غيبتك يا ما يعمل بدايع ثم إن الأمير
أبوزيد قال لهم قصدي أعمل حيلة تسوي قبيلة فقال له الأمير ستكون فقال أبوزيد
اندهوا للجارية ثم انهم ندهوا إليها الحضرت بين أيديهم فالتفت إليها الأمير أبوزيد
فقال لها مرادي تجمعي مائة بنت من أحسن بنات العرب واحضرين في الليل فن
ساعتها أحضرت مائة بنت إلى الأمير أبوزيد فقام وليس ثياب بيض مثل النسوان

وليس درعه واحرم بسيفه وصار هو والبناات والجارية وكان نصف الليل إلى أن وصلوا بوابة تونس فقال أبو زيد أقرعي الباب فننادى للبواب من يقرع أبواب تونس في هذا الليل فقالت الجارية نحن من بنات العرب جاين معنا بضايح لكي نبيع واشترى من عندك على قدر احتياجنا فقال لها البواب روحوا ما افتح لكم الباب في الليل ثم انها تدخلت على البواب فافتح وإنمراح إلى عند الزناتى وأخبره الذى صار على الباب فقال روح إياك تفتح لهم أنا قرأت كتبهم قبل أن حض. وإلى هذه البلاد لأن هذه الحيلة من حيل أبو زيد ثم أن البواب رجع إلى عند البناات وأخبرهم بما قال الزناتى ثم أن الجارية ابتدأت هى والبواب وأشارت تقول :

يا بواب صار . افتح للمذاره . حنا مشند إلى حد السورة . وروحى باظريفة .
شاورى لنا خليفة . له جرية رهيفة . تقسم الحجاره . يا بواب منصور افتح باب
السور . ندخل بدستور . ونبيع المطاره . لففناح ما هو بيدى افتح كون طابع
جبنالك بضايح . وحف بدائع . تصالح الامارة لا أفنح ولاشوم . ولا عقل بلاش
وان كنت عطاشى . روحا للبياره . يا بواب افتح على الباب مصفح الزينات تصفح
وتنظر للمذارى . قال عندك رياء . ثم همدى . نجلا ثم سعدا . تصلحوا إليهم حوار
افتح لى شويه . وشوف الحسن فيه . نجيك رزبه . قد شك حماره . روحى بامايحه
أنا أخشى الغضبيحة . وأنى تبق مستريحة . وأنا أقع بناره افتح لا تبالى . ما معنى
جبنالك محالى وحزه للمهاره . فان رحق الله روى عنك ما أخى افتح الباب وعى مالى
يا بواب افتح يا حبيبى . وجودك لا تغيبى . ارحم للغربى كلنا بكارة السلطان حكاى
وقال لا تفتح ولال . دول بنى هلال من قوم مكاره . افتح خاب ظنك خالى المخرج
هناك قياداره وصاره قال أخاف افتح بيميننا ورجال طالين يحوا عابرين على ظهر المهاره
افتح يا مغترولا الكبار تعبر مائة بنت تحضر أمامك جهاره لا كون غالب والامه
غايب ومن طلب المكاسب يقع فى الخسارة افتح يا ابن عمى . حتى يزول غمى
حزامى فوق تسمى . ثاره فوق ثاره . روحى باحامى . لا تزيد فى الكلام . خايف
من سلامه خيلانه كناره . افتح يا أغانى . لا يزيدوا اللغات جملتنا بناتى .
ما فينا ذكره سلامه معاكم سابع لغاتى . هو واقف حدا لم مع بنات الامارة .

(قال الراوى) فلما فرغت الجارية هى والبواب من المنادمات والبنات يسمعون كلامهم أخذهم الأمير أبو زيد ورجع إلى ربيعة يرجع الكلام إلى مرعى وسعد وحامد مرعى قالت له سعدة لا أبكا الله لك عين فقال لها يا سعدة إلى متى الانتظار وقد طال علينا المطال وأبوك لا يطلع إلى محاربة أبوزيد ولا يفتح الباب فضحكت سعدة وقالت أنا أفض هذا المشكل لأن مرعى ما يقتل أى إلا الأمير دياب لأن بان عندي في الكتب ويسكن ساروح الليلة اعند أبوك وأدعيه يحجب دياب فلما دخل الليل استعدت سعدة على أربعين بنت من بنات الأمانة مثل الأقار فلما حضروا أقبلوا ولادتهم وقالوا ما تريد فقال لهم أريد أخذكم معى تنفروا على بنات هلال والأمر حسن أبو المحاسن الذى عندنا ونرجع في هذا الليل فقالوا اسمعوا ألف طاعة ثم أمرت لهم بأربعين خادمة من خاص الحرير والديباج الملون وأمرت بأربعين جواد من خيل الجهاد فصاروا يأخذوا المعقول وركبت سعدة أمامهم مثل البدر المنير لأنه ما كان يوجد في عصرها أحلى منها وتقلدت البنات بأفخر السلاح وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد وقالت للبواب افتح الباب إليك تنكلم قدام أحدنا عذمت الحياة فقال لها ياستى ما في تعب من فتح الباب إن أردت تروحي أو تعدي ولكن المفاتيح مع أبوك أخذهم منى فقالت أنا لا احتاج إليهم وتقدمت للباب وضربتته انفتح من وقته وخرجت هى والبنات وأمرت عبدها الطواشي يقعد على الباب لحيز رجوعهم ففعل الباب وقعد ينتظرهم إلى الرجوع فعند ذلك سارت سعدة هى والبنات حتى وصلوا اعند الحارس فقال العبد ما هذه الخيل في هذا الليل فقالت له سعدة ضيوف فقال مرحباً بالضيوف فقالت أين ملوك الأمير حسن فقال لها نايم فقالت لها ادخل عليه وقل له سعدة بانها الزناتي تريد توجعك وترجع بالليل فقال لها انظري وراء السناد ودخلي لعند الجارية اسمها مبارك قال لها اهلبى أن بنت سلطان تونس حضرت اعندنا ودخات واعلمت مولاها حسن ففتح حجب حسن من حضورها بالليل فخرج وقال لسالم البك فأشدد سالم يقول يا أمير جانا سرية خطارة ملوك منتظرين قسامة يا أمير جانا من بلاد بعهد وأنا بأمرى يا ملك عتارة ارتاح قلبى من نظرهم يا ملك شبهتهم يا أمير شعلة نار (١٧ — تغريمة)

ما راعى إلا الخيول ولبسهم وكلمهم يا أبو على عالمهارة
ولبسهم ديباج بلون واحد من الذهب فوق الصدور زودة
(قال الراوى) فلما فرغ العبد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فرح فرحاً
شديد ما عليه من مزيد وقال للعبد اعزمهم فراح العبد عزهم ونزلهم عن خيولهم
وربطها ومشى قدامهم فسكنت سعدة على السلطان وعرفته بنفسها وبرفتها فسلوا عليها
وسلم على سعدة ومن معها من الحرير وأما أم مرعى لاقتها وضمتها إلى صدرها وقالت
لها دخلك مرعى كيف حاله وقبالتها بين هينها وسلمت عليها سلام الاحباب وأما
حسن سلم على سعدة وصار يبكى ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	وفى قلبى نار تزيد ضرايم
هل ما جرى فينا وما قد أصابنا	من المحل سرنا فى أمور عظام
أرسلت أولادى وأبو زيد أسد	كم يدور لنا أرضاً بها الخلد دايماً
مسكهم أبوك يا مليحة وهانهم	واجنف عليهم كان بالحكم ظالم
وجانى أبو زيد وجاب لى خبرهم	فعدت أنا باللول جنح الظلايم
يا سعدة بالله كيف أحوالهم	مرعى عدل الروح والرب عالم
وأبو زيد حكاى عن أحوالهم	وأخبرنا عن أفعالك والظلايم
وأنت شفوقة يا صغرة عليهم	وخلاصتهم من جميع الوهايم
مقال الفتى حسن الهلالى أبو على	على فقد مرعى عبنى شحائم

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وسعدت نظامه قالت يا أبو على لا يكون
هتدكم افتكار انحو مرعى ورفقاء لانهم فى أعز مكان وإنما الراى عندى أرسلوا لدياب
ابن غانم فذكرها الامير حسن وأثنى عليها وأرسل إلى أبو زيد حالا حضرت عنده
سعدت وسلمت عليه وشرحت الكلام اليه ودعت حسن وأبو زيد وخرجت عليهم
يرسلوا وراها دياب وذميت هى والبنات معها حتى وصلوا القصر ها هذا ما كان من سعدت
يرجع الكلام لحسن وأبو زيد بعدما ذهبت سعدت قال حسن كيف يكون الراى
يا أبو زيد فقال كلامها صدق ولكن أنا إن أهلى كنت بنى هلال وأرسلت وراها دياب
قال حسن وأنا كذلك لم أرسل وراها ولا أريد عيني أن تراها فقال أبو زيد أحضر

البنات وأمرهن أن يكتبوا إلى دياب ويستدعوه إلى أخذ الثأر فأول ما تقدم درابة
بنت الخفافجي عامر كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعت فيه وحطته قدام غانم
أبو دياب ثم تقدمت بعدها وطفلا كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعت قدام
جلدها غانم قال اكتب مكتوب إلى والدك لكي يفرج هذا لأنه خلاصنا من المسبة فأنشد
غانم يكتب إلى والده ويقول :

يقول الغمي غانم على ما جرى له	بدمع جرى فوق الحدود سكيب
ونيران قلبي كلما أقول تنطق	يهب لها جوى الضلوع اهيب
على ما جرى فينا وما قد أصابنا	وأمر جرى فينا تراب عجب
يا من يودى إلى دياب رسالتى	إلى الأمير بالوفا غريب
وقوله فارس النار كلها	ويا عز من نزل القنا وقصيب
أنت الندا ابن الندا حابك الندا	ليك الندا وجرب قهريب
وأنا كبرتى ما بقى لى حيلة	وعزى غدا منى وراح ذهب
وعملك مسلم عم الشيب رأسه	ما عاد له عزم ولا ترتيب
عمك عوندس فارس الخيل والوفا	وأبوك نحنى ما عاد فيه حبيب
وبدر وزيدان أمير بنى اخوتك	قناهم الخليفة أمس وقت المغيب
حقل ونصر أولاد أخوك قتلوا	وقد دعاهم فوق الوطا سكيب
وأخرب أبو سعدة جميع مساكننا	وما عاد لنا سامع وعجب
دأمر كما الدرلاب وولد غانم	ينادى دياب من لقانا هريب
قد طارته ثلاثة أيام ثم أربعة	شس العدى بعد الدموع تخيب
قتلت جواده طالب الشمس باكر	جاء من قدمته سريع عجب
ألا يا دياب الخيل أسرع نهونا	واقتل خليفة يا أمير غصيب
قتل خليفة ابن عمك زامل	وأخوك عند ما عاد فيه نصيب
وشمالك مفضل بن عقى	وكان مفضل فى الحرب وديب
ثلاثة عشر يوم والحرب بينهم	وراح الزانى من لقاء هريب
يوم الرابع عشر أرسل خليفة	خطيب لقد كان قوم نجيب

ضرب مفضل ضربة اباده
 ياما جرى لبنت الامير مفضل
 ثمانين اميراً من هلال وعامر
 لا السقي إلا وعلى بدر مهجى
 قتلهم أبو سعدة الزناتى خليفة
 وانزل معوقل للزناتى وحده
 تبحر على جمع الزناتى خليفة
 وثلاث نهارى السكون بينهم
 ورابع نهار طار رأس معوقل
 غلبه الزناتى بعد ما كان غالبه
 ضربه معوقل ضربة عامرية
 ونادوا على الاندال أين أميركم
 نزل لهم يا أمير خالك بلا بطلا
 ضربه الزناتى ضربة شال رأسه
 وجثنا سعدة آخر الليل بالدجى
 وهم لابسين بزى مردان كلهم
 ونزلت بصيوان الأمير أبو على
 وقالت لهم أن الزناتى خليفة
 ولا يقتله إلا دياب بن غانم
 إلينا إلينا يا دياب بن غانم
 فأنت عود البيت ونحن طنابه
 وجثنا لسام والبنات جميعهم
 جاني حسن البيت على نقا
 دعوك الامارة يا دياب جميعهم
 ورهنت لسانى للبنات بلا خفا

وراح على وجه التراب يجيبه
 لها كل ما حال الظلام نجيب
 دماهم أبو سعدة برح كعيب
 وزيدان راحوا يا دياب غضيب
 ادعى دماهم على الوطاس كعيب
 وقلنا معوقل بالطرد ابيب
 تلقى أبو سعدة كزار ابيب
 من الصبح لما طيب المغيب
 ومن رجفته راح بمرق كعيب
 معوقل نعمة والزناتى ديب
 اقاما على الوطاس قالياً وقليب
 وما عاد فيكم يا هلال مجيب
 بدير بن فايد عاجلا وقريب
 غدت خوذته والدرع منه سكيب
 ومعهما بنات أربعين نجيب
 خلو عقول المسلمين تغيب
 ونادت على أبو زيد جاها مجيب
 على مجموعكم يا أسير عطيب
 وهذا كلامى ما به تسكيب
 وإلا أنت يا دياب غريب
 وما جثنا ملاح وقت مشيب
 والع فراوع والدموع سكيب
 أبو زيد جاني صاحب الزناب
 دعوك الامارة يا دياب ابيب
 بذات لهم بينات وتخريب

يآ آل الرضى انجد هلال و صونهم تنال العلا والفخر والترتيب
ولن لم تفرج همومنا بعد كربنا تقول بك البنات وقول مصيب
قال الفتي غانم على ما جرى له معه ولي قلب طرل الليل بالتهذيب
(قال الراوى) فلما فرغ غانم من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه ووضع
فى مكانب البنات وقال اميده خذ هذه المكاتب إلى مولاك دياب ولا يجنى إلا وهو
مملك وإن رجعت بلاه أعدمك الحياة فعندها أخذ المكاتب وسار طالب واده
الغبان فوصل وجد مولاه وقبل أياديه ووضع المكاتب بين يديه قال له ياسعد
رفعوا الطعام فدخل على مولاه دياب على الطعام والعرب حوله من كل جانب فصبر حتى
أرى وجهك أصفر ما عندك من الاخبار وأشار يسأل العبد ويقول :

يقول الفتي الزغى دياب بن غانم الأيام ما ترى فى أحد من حذارها
علامك ياسعد الدهى مغير كان المنايا ساقيتك كاس مرارها
أسألك عقل ونصر كيف أحوالهم فما بعد لحقوا للوقائع فرارها
وتدور أخى زيدان كيف أحوالهم بخير وإلا المنايا مزارها
أياسعد أنا بعقل وفكرى وخاطرى بأن تورسنا قد غاب منها قارها
اعرف إن قام حرب مع العدا ما يعطيها غيرهم عند نارها
لأنهم جهال لا يفرقوا اللقا وكم جاهل جهله وماء بشارها
فإن كانوا راحوا أو غابوا ذات يومهم وإن عشت أنا ياسعد آخذ بشارها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب وبدأ ينظر إلى كاتب واحد بعد واحد حتى انتهى
فقال لى أرى مكانيب البنات ومكتوب والذى فأن مكاتب الامير حسن أبو زيد
فقال يا مولاي هذه ثمانين مكتوب جميع جيبك حتى يرسل لك حسن وأبو زيد فقال دياب
جيت هذا المكان برأيهم ما جيت بشور البنات فكيف أروح على كلام البنات
حتى يقول لى حسن وأبو زيد إلى أين جيت ومن أرسل وراك وحساب حسن
وأبو زيد قربته ومحبتة من زمان فقال العبد إن البنات ما كتبوا إلا بأمر حسن
وأبو زيد محضورم فقال له أنا إن رحى على كلام البنات وقتلت الزناتى لا يصيدوها
إلى وإن تكلمت يقول لى من بعث وراك فإذا يكون جواب لهم وهذه آخر

الواقعات بيني وبين الزناتي وما هو قليل ومرادى أماليكم الغرب كما ملكتمهم
الشرق وبعد أن أكون سيدها طبول في عرسها فان مقصد بني هلال حضوري
هات لي مكتوبين وحجتين من حسن وأبو زيد حتى أروح وأصنع نار وأحرق
مكاتب البنات قال العبد أبا إن رحمت وأنت ليس معي يقتلون البنات أنا
ما بقيت أقعد هذا خف العبد وقال له أكتب لي الجواب فأشار دياب يقول :

يقول أبو وطفا دياب الماجد	والدمع من عيني على الخد سهول
إن جيت يا عبد إلى غانم والدي	اعطيه هذا الخط من قبل النزول
وقل له يا أمير غانم استمع	من أبو وطفا وما يبدى يقول
يا أبي مالك عقل أترك النساء	وتزيد كلامك يا غانم والفضول
كتب النساء يا أبي جولي حقيق	وكتاب وطفا منك وصول
والله لو قتلوا هلال جميعهم	ما رحمت إليهم ولا أرجع أقول
لو أن العامر عني يرسل لي كتاب	كنت أسمع الكلامه عجول
وكنت أركب خضرتي بالسريع	أترك خليفة وجمعه يغدوا قتل
يا أبي قد ضرتني حزن اخوتي	دمعي لأجل فرائهم نازل مطول
وبشروا ذاك الفارس دياب	بخوض في العدا عرض وطول
قول الفتى دياب الماجد	والنار في قلبي تزيد شعول

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأعطاه للعبد
فأخذه وسار طالب بني هلال فوصل إلى غانم وأعطاه الكتاب ففحصه وقرأه وعرف
رموزه ومعناه فاستدعى البنات وقرأ عليهم المكتوب وقال إنه لم ينج إن لم يرسل
حسن وأبو زيد له مكاتب وإذا ما أرسلوا له ما ينجي مولود فطعموا بني هلال فرجعوا
البنات ودخلوا عند حسن باكين صارخين وقالوا له يا حسن أرسل لنا وراه في هذه
الساعة لكي يأخذ لنا بالنار ويكشف العار عنا وإن لم ترسل وراه نروح كلنا
لعتده فعند ذلك استدعى أبو زيد وقال انظر هؤلاء البنات وما مرادهم وأكتب
لهم مثل ما يريدون واسترح منهم فقال أبو زيد يا حسن أنا ما أكتب ولا أرسل
وراه لأن ما أحبه ولا أطيق ذكره فقال حسن وأنا كذلك فأرسل وراه أبو غانم

ورده يروح وراه فعند ذلك أرسلوا وراه غانم فخر وحياهما بالسلام فقاموا له
على الأقدام فقال حسن يا غانم مرادنا منك تروح ورا لابنك دياب نجيبه فقال
يا حسن ابني ما يجي مالم تكتبوا له أنت وأبو زيد فلما أصبح الصباح حول
والد دياب على السفر فاستدعى بقلم وقرطاس ودواة من الذهب الخالص وحرر
المكتوبين على لسان حسن وأبو زيد إلى دياب وحظهم معه وركب هو وامرأته
وساروا طالعين دياب إلى رادى الغياين وأرسل عبيد يعلم ابنه في قدومه إليه
هو والدة فلما وصل العبيد إلى دياب أخبره بقدومه إليه بالاقايم وتوجه إلى
أمه وأنزلها من الهودج وقبل رأسها وقال من الذى جابك الينا فأشارت تقول :

تقول فتاة لوع البين قلبها	أرجع إلى قومك وأصل الزمام
ونحن يا أمير جئنا لعنك	فهذا المرجو منك يا ابن الأكارم
ضيمت خرق والدك	وسفقت قولى يا قلب الحشاييم
ولو كنت يا ابني حافظ مقامك	فلا كان العدا دعونا هرايم
غظت غانم يا أمير وغطتى	وحاذدمى فوق الحدود سجايم
ترى الزناني قد قتل من رجائنا	قتل اخوتك واحوا رمايم
وخالك بدير مع الخفاجى وحامر	ومن غهم كثرة أماره أكارم
فقم بنا نرجع إلى نجع أرضنا	نعيش بها من غين فضل بن غانم
ما قالت فتاة لوع البين قلوبها	ونيران قلبى زائدات الضرايم

فلما فرغت الام من كلامها أشار دياب يقول :

يقول الوغى دياب الغانم	فضبتم علينا يا وجوه الأكارم
أنا لأجلكم أقتل خليفة بشيقي	وأدعى دماء فوق الأرض سجايم
وأخذ لأر زيدان بساعدى	وأدهى خليفة عالىرى نايم
وأنت يا أمى افرحى وابشرى	أنا جيتكم ما عاد فيها هرايم
فلا بد أنصركم وأشفى قربكم	من فوق خضرا مثل طير الغنايم
وأقتل أنا خليفة حقيق مؤكد	أنا سيد الفرسان عند الغرايم
وتعرفنى الفرسان فى حومة الوغى	وإذا جيت الميدان ولوا هرايم

فلا بد أن آخذ بشارات إخوتي وشارات خالي وللقوم الأكارم
فلما فرغ دياب من كلامه وأمه تسمع نظامه فطالب خاطرهما وتوجهت إلى
الحقيام ولقي بعد ذلك أبوه فلما وصل إليه سلم عليه وقبل يديه وقال السلام
عليك يا أباي فقال له لا تكلمني أنا لا والله ولا أمت ابني وأنا برىء منك
لو كنت ابن كنت سمعت كلامي وأخذت لي ثاري من الزناني الذي قتل أخوك
وأولادي وأحرق فؤادي وأكبادي وأشار يقول :

يقول الفتى غام على ما جرى له	يدمع جرى فوق الحدود سكيب
يا ولدي هذا الزناني خيفة	أهلك فوارسنا وكل نجيب
ثمانين أميراً من قومنا مضوا	ودعاهم طعام للرخم والديب
وجتنا اسام يا أمير قوازع	بعضهم حسن إلى بلاد تكذيب
جاني أبو زيد الهلالي سلامة	أبو زيد هو لك يا أمير حبيب
وكيف يا أمير ما جيت بالعجل	وخليت هذا البوش دعه يعيب
وأرسلت لك يا أمير تحضر لثأرهم	وما أظن من لصدك الملوك يخيب
وظنيت فيك ظنا بلا خفا	وقلت أبشروا يا بنات قريب
ولما أتى سعد يا أمير غايبا	فقد زاد في الحى البسكا ونجيب
جاني الفتى حسن أبو على	وجاني أبو زيد أمير مصيب
أتوني الأمانة يا أمير خواضع	وقالوا روح إلى دياب وجيب
ورطفا لها مكتوب كتبه بخطها	تقول الوحى قبل الحريم ما تسبب

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وولده دياب يسمع نظامه فقال لأبيه إذا
كنت ما جيت ما أروح ولو ما فضل أحد من بنى هلال فأعطاه المكاتب ففضها
وقراها وعرف معناها وعزم على الحضور من بعدها وأمر بذبج الأغنام وعمل
الولائم والضيافة ثلاثة أيام فقامت أم دياب وابنها يمشى خارج الحقيام فقالت
لولدها يا ابني أبوك خرف ما عاد له عقل وقد دعى عليك قدامى وما هان على وحلفت
أن أقول لك فقال يا أماه والذى بمنون ودعاه على ما فى بأس لأنه من حرته على أولاده
وثانيهما قهور من الزناني وثالثا من فراقنا والسكن إن أراد الله تعالى أروح معكم وأطلب

رضاكم وما عدت أخافكم وآخذ لكم بالثأر بعون العزيز الجبار والشديد يقول :

علي ما قال أبو موسى دياب	شربنا الخمر في صافي القداحي
وكم ندل أتى وقت المعارك	يبقى هاربا يطلب رواحى
أسألك يا إلهي أكون طهراً	عقاباً كي أخفق بالجناح
أظهر جهتي برأى سريعا	وأعدى بين مشتبك الرماحي
آخذ الثأر عن حال بدير	وبدر وأخوة زيدان الرباحي
وما فعل الزناني بالامارة	فطار العقل من لايم وصاحي
أني معذرة يا أمي حقيقة	دعيه يقول في عرض قباحي
غدا أرضيه في قتل الزناني	وأبدل حرمكم بالإشراح
قولي الهلال النصر جام	نهار الأحد أعزم الراحي

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وأمه تسمع نظامه فرحمت وقالت يا غانم
 مرادنا نسير لأن بنى هلال في انتظار فقال تأهبوا حتى نسير ونعلم بنى هلال أن دياب
 يحضر يوم الأحد عندهم فركبوا وساروا حتى وصلوا إلى بنى هلال فطاعوا الجميع
 لملاقاتهم فكانت ضجة قوية فنظروا غانم وحرمته وحده فقالوا أين دياب فقال غانم
 أبشروا بالغنيمة يا بنى هلال نهار الأحد يصل إلى عندكم وأما دياب بعد ما راحوا والديه
 من عنده أمر الرعيان بلم الأوش من كل جانب ومكان وساروا الجميع قدماه وساروا إلى
 بنى هلال وفرسان الذين معه قلعوا الصوان وأمر العكام بسيقه وبمنصبه على أبواب
 تونس في نصف الميدان ودفق طيوله ونشر أعلامه وسار حتى بقي بينهما وبين هلال يوم كامل
 وكانوا جميعهم في انتظاره وثاني يوم الأحد خرجوا الأربعاء تسعينات ألوف وتابعهم
 هلال قوه وما فضل من هلال لا كبير ولا صغير حتى طلع مائتي الأهد دياب وخرجوا بالطبول
 والنوبات السلطانية وزالت عنهم الهوم والإراخ وظلوا بالافراح بقدم دياب
 وأدخلوه إلى الحى بنو بة سلطانية عظيمة وأما أهل القتل فأنهم اجتمعوا على التراب وهم في
 السواد وأقواب الحمة أدلكن بشكروا إلى دياب ما فعل الزناني بهم وأما حسن وأبو زيد
 ظلوا في الصبيان ما خرجوا إلى الخيام وأما دياب لما رجع حسن وأبو زيد عرف
 الماتمون وإنما أخذ السكند وأظهر الصبر والجلد ولم يزل سائر في الموكب العظيم

حتى وصل إلى أبواب توأس فرجت منه تلك الأرض في طولها والعرض وطاعته
الحريم على الأسوار الفرجة على الزينة وارتعدت من الزناني خائفة ومن عنده
القلوب وانحلت المفاصل وقال الله يعمينا على حربته وأما دياب رفع رأسه إلى سور
توأس فوجد رؤوس الأمانة ثمانية وأس مشكوكين على الرماح فسأل من
يكونوا هؤلاء فقال له عمه عرنديس هؤلاء رؤوس بني هلال الذي قتلهم الزناني
وهم أولاد عمك فقال كل هذا جرى في غيبي وظل سائر إلى التربة فلاقوه أهل
القتل والبنات وشالوا البراقع وحذفوها إلى دياب فطبيب خاطرهم وأشد يقول :

قال أبو موسى دياب المقتدر	فارس الهميم وخيال الوهر
حامي الزينات سور المحصنات	مفرج السكرات في يوم العسر
منبه الخطار في من القلا	مشيع الجيعان زاكى منتشر
زال عنكم همكم يا ذا البنات	والزناني حل في عمره قصر
وأخذ النار من أبو سمعه حقيق	وجميع قومه من حسامي أنهر
وأخبروني يا بنات بما جرى	وأعدوني بحقائق تسكر
مالكم على القيود جواس	وشعوركن على السكتاف ينشر
كم من أميرة شقت ثوب الحيا	وقبل هذا اليوم كانت تنستر
لمن هذا القبر يا بنت الكرام	من هذا الذي من تحته انطعن
هل أبو زيد والأمير حسن	كم ربيع هدموه وصبيح مندثر
الا بدير العامر خائنا	يا نحيف وجهه بعد نور ينقطر
فأبشروا بالنار أنتم يا بنات	في ما مضى لحدين بولاد اندكر
أنا عليهم مثل سبع كاسر	من هد إليهم يا عذارى انحدر
وانظروا فعل دياب يا بنات	بعون من أمره علينا قد قدر
أفرحوا اليوم يا بنات وابشروا	وخاطركم المسكور مني ينحدر

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه تقدمت فتاة بنت خاله بدير تقول :

قالت فتاة الحى بشف الفاضل	ومع عيني فوق خدي منحدر
أصبحت حيرانه وعقل زایل	والقلب مني يا جماعة انقطر

والبنات جمع حال مثلهم انظر في ميثك فينا وافتكر
من فعل أبو سعد الزناتي خليفة قتل الأبطال في سيفه مكر
وإن كان تأخذ ثارنا بسيفك يبقى ثناك على العوالم مفتخر
(قال الراوى) فلما فرغت بنت القاضى من كلامها طيب بخاطرها وسار مع
المركب حتى دخل البيوت فر على صيوان الأمير حسن وأبو زيد فلما هم يتفرجوا
فلما وصل دياب إلى عند الصيوان دخل وسلم على حسن وأبو زيد فقاموا له على
الأقدام وحيوه بالسلام وأكرموه غاية الإكرام وبعدها قام دياب وركب إلى
بيته وتفرقوا كل واحد لمحله فرجع بنت الأمير حسن وصارت تخبره وتقول:

قال فتنة بنت سلطان الملا اسمع كلامى أنت يا سلطان العرب
طلعت بنات هلال وجميع النساء الجازية طلعت وارخت للنقاب
بجنب وادى أقد وقفوا الجميع ينظروا لدياب قوم مفتخر
لما طلع ضوء النهار وانجلي أقبل دياب الخيل من حوله سرب
والخيل شهباء يا بوى وأقبلت وفوقها من كل فارس منتخب
أما الفتى الزغبى أمامهم ألفين طبل من وراء تضرب
والجمال الخيولهم خاص الحرير وكل من خلفه حصانه قد سحب
لما دأته بنات قيس يا أبى قرعن كل العذارى على التراب
روروا ومسكوا ركابه يا فتى انهد ان قد جاك قاصد للطلب
ان الزناتى قد أباد قرومنا ردمهم فوق الأراضى قد سكب
وزيد أخذ الثار يا أبو موسى ونحن عندنا نبيحات كل العطب
قال لهم يا بيض خدا فابشروا والههم عنكم يا عذارى قد ذهب
لابد عن قتل الزناتى يا بنات قد زال بيت العربته وانغرب
أنا دياب الخيل طعان العدا أنا مريع الخيل مفرج الكرب

فلما فرغت من كلامها وأبوها يسمع نظامها قال مرادنا من يروح اعند دياب لنا
يأتى بالخبر ويكشف كيف يقول في حربه للزناتى فقامت دابة الحرير وقالت أنا أكشف
لك عن ذلك وسارت الصيوان ووصلت إليه فوجدته نائم له بنت صفه واسمها نهية وهو

يلاعيها ويقول أين أطمن الزناتي فقامت له في عينه فقال قولك مبارك وحياتك
ما أطعته إلا في عينه فرجعت الداية إلى عند الأمير حسن وأخبرته عن مارات
هم افتكر وأطرق رأسه إلى الأرض ساعة من الزمان وفاق وتهدد وأنشد يقول:

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على الأجواد تختبر ليوم الزواجب
وما سئدنا إلا دياب بن غانم لأنه صيدع من خيل القرائب
ونرجو من الرحمن يفرج همنا لأن العرب وقعوا معظم المصائب
عسى من الزهى ينجينا غاية ويقتل خليفة بين جميع السكراكب
دياب أمير وابن أمير وأمه ولا مثله في شرقها والمغرب
قال الفتى حسن الهلالى أبو على وقلبي فرح في ملتي الحباب

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وامرأته تسمع نظامه وكان اسمها نافلة
أخت دياب استأقت على حسن أنه دخل الحسد من أخوها فمعه ذلك أشدت تقول:

ما قالت التي قالت نالت رجالها ودمع عين فوق الحدود سجام
سعدنا في بني زغبة دياب شبيه البحر موجه حايلاطم
فلما أقبلت خيله علينا ففرحى البيض دقائق الرشام
طبول حوله يا أمه تضرب شبيه الرعد بوسط الرعد قايم
وخافوا أعادى حين شافوا بني زغبة وهم نسل الأكارم
قال الزناتى لأهل تونس يصيروا أهلنا لنا خدام
قالت التي قتل رجالها ما تعيب يا حسن في ابن غانم

(قال الراوى) فلما فرغت نافلة من كلامها والأمير حسن يسمع نظامها قال لها يا نافلة عسى
الأمير دياب يقتل الزناتى ويملك أرض تونس ونخلص أولادنا فهدا ما جرى للأمير
حسن ونافلة فيرجع الكلام لدياب فأنه التفت إلى القوم وأصرهم إلى المنام قال لهم
يا كراجموا احضروا جميعكم قالوا اسمعوا وطاعة ولا أصبح الصباح نهض الأمير دياب
وطلب مبارزة الفرسان ولعب الخضر في أربعة أركان الميدان وجال وصال واهب
بالرمح حتى حير عقول الشيوخ والهدباب والأبواب مستنكرة لا حديد يخرج ولا يدخل
فتقدم دياب إلى أبواب تونس ودق في عكار الرمح فارتج السور فقال البواب من الداخل

فرد دياب وقال له روح أعلم سيدك الزناتي يخرج لحربي لأجل أن يوفى الناس ديونته
وان سألك عنى فقل له دياب قاتل اخوتك خويبة ومكحول وأبرز اليه وخذنا رم
فضى البواب وأعلم سيده الزناتي فضماقت في وجهه الدنيا وما هادى على حاله لأن
كل منية لها أسباب والزناتي منيته على يد دياب فأرسل أحضر ابنه سعدة وقال لها
يا باغية ما أحدها لب اما البلا خلافك فلو كان من الأول تركتني اقول المحابيس
وأبو زيد كنا ارمحنا من بنى هلال ولا نظرناهم وأنا لا أخاف إلا من دياب
فقال سعدة يا أبى لا تخاف منه أنا رده عنك ثم مضت على شراريف القصر لفوق
دياب فنظرت له يلاعب الحضر افنظر اليها وكف وجهه عنها الحسن صورتها وقال ما اسمك
وما تريدن فقال له وأنت من تكون وما تريد فأشار دياب يقول :

يقول الفتى	الزغبى دياب	ولى قلب يشبه بيضة البرلاد
وعزى كسبح الغاب فى الميدان	راسى بوزان شاخت بولاد	
ألا يا صباح الخير يا وجه البها	أنت تشبهى ريم بالفلأ شراد	
اصغى لى واسمع نظم قصتى	وردى جوابى بعد كل مراد	
واليوم يكون السكون بينى وبينكم	واليوم نار الحرب تزيد وقاد	
دياب جاكم اليوم وعرف دياركم	رقد كان برا قائم الاطراد	
ولا خائفنا منكم ولا من جمعكم	بعون الميمى صاحب الأجداد	
وقد جميع اليكم طالب شركم	واليكم بعد البياض سواد	
ألا يا صغيرة ادهى لابيوكى	وقولى دياب الخيل جاء وحاد	
قولى له ينزل لحربي بلا بطلا	ويلبس الدرع المفقع وزواد	

تمت هذه القصة وبانها قصة قتل الزناتي خاليفة

من يد الأمير دياب بعد الحرب الشديد الذي يشيب رأس
الطفل الرضيع وفيه قصة الأمير صيرة بن الأمير أبو زيد
وقتل الغلام وما حصل لهم من الحروب والأهوال التي
تشيب الأطفال وتدمش العقول والأفكار

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه وشعره الذى تقدم فى الجزء الثامن ماضى سعيدة تجاوبه :

نقول سعدة بنت أمير تونس
 حسبتنا حساباً قبل جميعتنا
 واتشهد لك الأبطال في توها
 فاعني عن الزواني خليفة
 وخذ ما لكنا ثم الرزق كله
 فيطل عنان السكون يا ابن غاتم
 ما قالت بنت أمير تونس
 (قال الراوي) فلما فرغت سعدة من كلامها أشار دياب يقول :

قال الفتى الزغبى دياب بن غانم ولى عزم يقطع الصخر والمجدود
ولى همة تملو على كل ماجد بيوم الوقائع للقروم أصدید
أبوك قد أباد قرومنا فوارس أماره بالطراد تزيد
فلا بد من جرب الزمانى خليفة لو انه جوا الف حصن حديد
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه قالت له سمعه قف عندك
حتى أرسل لك أبى وعادت لأبوها تحمله على حربه فأشار يقول :

يقول أبو سعدة الزناتى خليفة
وعنى ثبات عادمه لذة السكرى
ونيران قلبى زایدات وقید
لأن بها أمل الحديد حديد

أيا سعدة حربة دياب بن غانم سمعت بها بأقصى البلاد وعهد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم لها من يفلح الصفا الجميد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم تغنى بها الشجره نعم قصيد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم فما قط ينظر أحد ويعيد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم بها السم نافع والفعال سديد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم بها تقتل الأبطال حقا وأكيد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم كم راح منها ابن ست وسيد
 فلما فرغ الزناتى من قوله ركب الجواد وبرز إلى الميهران صار على دياب يقول:
 يقول ابن سرحان الزناتى خليفة لى قلب أقوى من رهيف صقال
 فاشتت ما قد صار بتونس قتلت فوارس من قوارب هلال
 قتلت القاضى بن فايد وبدر مع زيدان والأبطال
 وقتلت أيضا الخفاجى هامر وقيل ونصر والفتى سرحان
 ثمانين أميرا قد قتلت بصارمي دعت دمام فى البوادي سال
 أنا فارس الهيجا إذا قام سوقها أدخل البوادي حالوطا وتلال
 رد الفتى الزغبى دياب الغانم أنا ولد غانم أنا الدلال
 أنا تعرف الفرسان عزمى وسيمتى أنا فارس الهيجا بيوم قتال
 جاني أخوك خايبه قتله وأرميته مطروح فوق جبال
 من بعد مكحول جاني مطروح طعنته بحربة عن جواده مال
 اليوم يومك يا زناتى خليفة فلا يد من سبق تروح شلال
 (قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه والزناتى يسمع نظامه فالتطموا
 البطالين كأنهم جبالين وتصادم عدا الأبطال وضربت في جروهم الأمشال وفاق الزناتى
 من حرب دياب ورأى منه أبواب ما كانت تخطر له بحساب رآه بحر ماله قرار وتبان
 ماله عيار فاحتار الزناتى بأمره وغاب عن الشدة وما زالوا فى الحرب والطعان والضرب
 وهم فى أشد ضيق وقتال ونزال إلى نصف النهار فراد الأمير دياب على الزناتى
 بحربة وعاد يقتله وهو على الخضر امثال الساعة فخاف الزناتى وانحل عزمه وولى

من قدام دياب هارب وإلى النجاة طالب إلى أبواب تونس ودخل وهو وعسكره
 وفتحوا له الطريق ودياب لاحقه مثل الأسد السكرار فهجم دياب وعسكره على
 الزناتى والتفت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال إلى الجبال وراح صاحب
 الحملات لضرب الحرب والكفاح فيها لها من وقعة تفسيب الاطفال وراح من الفريقين
 عدد كثير من الفرسان والمشجعان وكان لتونس ثلاث أبواب أحدها خاف الآخر
 ففتحوا حتى دخل الزناتى الأبواب وسكروهم فضرب دياب الباب بالرمح ففرق أربعة
 أكعب فاطبقت قوم الزناتى على قوم دياب فاقامهم بسيفه القرضاب وجندل منهم
 الشيوخ والشباب فهزموا في غلبة وعظمت الأموال وهطل القبل والقال إلى أن رأت
 الشمس الغياب ودقت طبول الانفصال فوات قوم الزناتى من خارج السور هاربين
 وإلى النجاة طالبين ورجع الأمير دياب وقومه إلى بنى هلال فهنوه بالسلامة وأكلوا
 وشربوا وحضر الأمير حسن والأمير أبو زيد لعند دياب وعانقوه وهنوه بالسلامة
 وجلسوا معه في المنادمة والكلام وأمر دياب في الذبائح وعمل الولائم فسألوه عن
 حرب الزناتى فتبسم الأمير دياب من قواهم وقال أبو زيد هل خوفكم الزناتى وإرعب
 قلوبكم بعناية البارئ تعالى أنا أكفيكم شره واقصر عمره فقالت الإمارة أجازك الله
 يا دياب غداً التي الزناتى واقتله وملكنا الغرب كما ملكنا الشرق فقال ان اراد الله تعالى
 وليكن يا حسن الذي يقتل الزناتى يكون سلطان العرب فقال الأمير حسن نحن أولاد
 عم وبين الأهل لا يوجد فرق والرزق واحد والحكم واحد بعد ذلك انصرفوا إلى
 حالهم ولما أصبح الصباح برز دياب إلى الميدان فبرز الزناتى وانطبقتوا على بعضهم
 انطباق الغمام وطال بينهم الطعن والصدام من شروق الشمس إلى وقت الظلام فدقت
 طبول الانفصال وانفصلوا للفريقين عن القتال كل منهم عاد إلى حماه والاطلال فلما
 أصبح الصباح طاعت بنى هلال من خيامهم وركبت سوابقها وأما الزناتى أغاثق أبواب
 تونس وما عاد يفتح ولا عاد له قاب للخروج إلى الميدان خوفاً من الأمير دياب
 وأما الأمير دياب قام من نومه وتقلد سلاحه وركب الخضرأ وبرز إلى الميدان
 فحين نظره الزناتى تحركت في رأسه مروعة الرجال وهانت المنية عليه ببرز الزناتى
 لدياب وصدمه صدمة الجبار لا يهاب نزول الأخطار وهما الزناتى كالجل وطلعت

زبده إلى أشداده لأنه تذكر رزقه وأملأ كدفهات المنية عليه فتلقاه دياب بالسيف
وصده أربقتنخر على الشيوخ والشباب حملوا على بعضهم وطار فيا بينهم الغبار حتى
سد منافذ الأفطار وحجبت عنان السماء واقفوا الحرب والصدام إلى الظلام ودقت
طبول الانفصال واقترقوا على سلامة واستنأموا على هذا الحال شهرين وفي آخر
الأيام برز الأثمين إلى الميدان فغضب دياب وزاد به الغضب فقام في عزم قال الجواد
على الأرض ربي الزناني مطروح وقد أبقت بذهاب الروح فأدركوه قومه في جواه
من الخيل وأركبوه ومال عليهم دياب بالسيف القرصاب وزاد نار الحرب التهاب
وقطعت منهم الزود والركاب وساقهم دياب سوق الغنم ودخلوا المدينة وسكوا أبوابها
فطلع الزناني إلى قصره وأيقن بزوال عمره فنام على فراشه غارق في الأفكار نصف الليل فقام
مرعوب نادى ابنته سعدا فأتت ولما شاهدت حاله بكّت وبدت وصارت تشجع والدها
على حرب دياب وثاني الأيام نزل إلى الميدان فبرز إليه الأمير دياب فأشار الزناني يقول:

يقول ابن سهران الزناني خليفة ولي قلب من جواز الرنان جريح
تسعين أمير من هلال وعامر وكل أمير بالوفا رجيع

استقيم كأس الحمام بلا خفا لسام عليهم بالظلام تصيح
سأقطع لرأسك يابن غانم بهتي وأشرح لحك والحشا تشريح

وآخذ الخضر ورائي جنبيه وأسكر بدمك كالمدام وأصيح
فأعطوا عشر المال والخيل والنسا وتبعوا رعايانا على التوضيح

جرى بساط الصلح يلفي وبينكم ومن يطلب الصلح عاد مليح
رد الفتى الزغي دياب وقال له ترى المرح بين العالمين قبيح

لي تار عندك يا زناني خليفة وقد بان في قومي بكاء وتنويج
قتلت هلال والقروم جميعهم وقتلت منا كل قروم رجيع

تسعين أمير من هلال وعامر عذرا وتطلب أن أكون رجيع
وتطلب مني يا زناني أصالحك أنا والنبي بين الرجال سميع

فمن يعتق الحية يضره سمها ويضحي فؤاده بالسوموم طويج
أين بدير العامري بن فايد أين اخوتي زيدان وبدور مليح

(١٨ — تغرية)

أين سلاحان الخفافى عابري قد كان يوم الطراد رجيع
وتحتي خضرا يقطع العود عزمها متسربة في أماكن النوشيع
ما أظن يا حقيها الطير بالسما أنا بها بين القروم تطيح
وأنا لك منطاح يا زناتي خليفة على سرج خضرا ثم فيك أصبح
فلما انتهى الأمير دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه التقوا البطالين كأنهم
أسدين كاسرين وملايوا في حرب وصدام إلى وقت الظلام فذقت طبول الانفصال
ونماي الأيام برزوا الاثنين إلى الميدان وأنشد الزناتي يقول :

يقول الزناتي يا دياب الغاره حالا الزناتي مثل شعلة نار
جاءك الزناتي فوق أدم ضامر لو كان فيه جناحين لطار
تسعين أمير أمن هلال قتلم زبدان مع بدر الأمير قتلتهم
واليوم لأزم أذبحك بمقتدى أيضاً وحالك كان هو الجار
إن طعنى انزل وبوس ركابي وأسقيك يا دياب كأس مراد
رميت نفسك في حرب خليفة والدخل إلى كي تكون حجار
رد الغيتى الزغبى وقال له قصاب عامل فيكم جزار
من نجد حتى أرض تونس كلها إلا يا زناتي لا تكون فشار
لى نار عندك يا زناتي خليفة وملوكها وأباطلها وأمارا
أنيت سيني وسن قناتي أحرقت قاب رجالنا بالنار
وأملك لفصرك والبلاء جميعها لأن أمورك بالملا تذكر
فألك عندي يا زناتي علم وأخذ حريمك كلها جوار
لا بد أضرم فيك لهيب النار لا بد أضرم فيك لهيب النار

فلما فرغ الاثنين من الشعر والنظام ولم يزالوا في حرب وصدام حتى أتى
الظلام فذقت طبول الانفصال ونماي يوم برز البطالين وأنشد الزناتي يقول :

يوم أبو سعدة الزناتي خليفة لي هزم في البيد كسبح الغاب
أنا القرم أنا الضرعام قاهره دا أنا ملك الأبطال يوم حراب
أنا البطل المسمى الزناتي خليفة كم من ملك جاني وظنه خاب

حكمت على كل الملوك جميعهم وتركت كل خلق تحت ركاب
يادياب الخيل الظرمي لأزوبك أعصب الأعجاب
كم من ملك جيوشه قهرتها عادت دمام ع الوطا سكاب
أنا اليوم خصمك يا ابن غانم لا بد عن قتلك تروح ذهاب
مالك غير الطعن في سمر القنا والضرب من سيف الزاني طلاب
ما قال أبو سعد الزناني خليفته لا بد أذيقك يادياب عذاب
رد الفتى الزغبى دياب المساجد ولي عوم أمضى من سنان رماح
وكم من ملوك قد قهرت بصارمي وكم من مثلك يازناني راح
فراح في حرد السيوف مجندل خلعت دمه ع الوطا سباح
وراح منجد واليدى ومفرج خلعت دمام على الثرى سباح
وان كان ما أشقى غليل منك يحرم على وصال بيض ملاح
قال أبو موسى دياب بن غانم أنا لا مهران ولا مدعى ملاح
فلما فرغ دياب من كلامه والزناني يسمع نظامه أخذوا في حرب وصدام حتى
أقبل الظلام فهدت طبول الانفصال وغانى يرم برز دياب إلى الميدان وطلب
الفرسان فبرز إليه الزناني وصار يقول :

يقول الزناني أفرس الفرسان في القلب منك يا دياب نهران
بليت فيكم يا هلال بابه ربى بكم دون الملا أبلاني
قتلت منكم قوم مالم عدد راحوا طمام الوحوش والغربان
صاقت رؤوس رجالكم أنظرها على الصور منشورة كما الصوان
أنا خليفته يادياب تحذر ياما قهرت أبطال مع شجعان
انزل عن الخضرا وبوس وكابى وتعيش بخدمتى تحت أن
إن طعنتى وخدمتى بتصاحه أء عليك ثوز وتكون عليها سلطان
وإن لم تطعننى أقتلك بسيفي وأسقبك كاساً طابخاً مليان
واوضع لرأسك سور فوق بلادى وأقول رأس دياب قد أكفانى
رد الفتى الزغبى وقال له أقصر كلامك لا تمكن وهمان

أما دياب والدما هو مشربى كاس شربته إلى الفرسان
ل مار هتدك يا زناتى قاصد رعى وسبق في الدما غرقان
خالى بدير وأخى الخفاجى عامر مع بدر أخى والفقى زيدان
أولاد هولاء يا زناتى خفتهم في ماضى المحدثين ضرب يمان
وأشقى ظليل مثلك يا أبو سعد حول من الزينات لا تنسان
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطالين في الحرب والصدام
وهفوا البلاد والمدم حتى مل الزناتى وبعد هزه ذل وعرف حاله مع دياب أنه
قارس مفوار وبطل كرا لا يصطلى له بنار فيقتل في قتال شديد حتى ولى النهار
وأقبل الليل بالاعتكار دقت طبول الانفصال وافترقوا من المجال .
ورجع كل واحد منهم إلى قومه وقد ذل الزناتى بعد عز وبكى على أحواله وماله
وبات تلك الليلة في هم وأنراج إلى وقت الصباح فنهض من وقته وطلب دواية
وقرطاس وكتب كتابا يطلب الصلح وأرسله إلى دياب وكان دياب قد برز إلى الميدان
وجميع أماره بنى هلال راكبة معه فلما وصل الرسول أعطاه الكتاب ففحصه وقرأه
وعرف رموزه فعند ذلك لوى لجام الخضر وأتوجه لعند السلطان حسن وهرض عليه
كتاب الزناتى فقرأه أبو زيد على رموس الأماره فبهتوا جميعا مقدرا ساعة فقال أبو زيد
يا أماره الزناتى طالب الصلح ماذا تقولوا فقالوا الرأى عند حسن وعندك يا أبو زيد
فقال أبو زيد رأيت أنكم أصالحوه ومن أبى هن الصلح يغاب الجازية فلما سمعت
هذا الكلام من الأماره التفتت إليهم وقالت أذل الله الحاكم من بنى العربان
ذليتم عن حرب الزناتى ودياب أيضا من قتل أخوته وأولاد عمه ذل معكم وهو
شاطر في ركوب الخضر وتعرض الصدر وحالا فاذت للنسوان دونكم أركبوا
الحمل ونحن نقهر الزناتى ونأخذ ثارنا منه والتفتت إلى دياب وقالت له انزل
هن الخضر حتى أركبها وأقاتل الزناتى وقالت هذه الأبوات :

تقول فتاة الحمى أم محمد وأنا على قتال الزناتى جهاد
أنا بنت مرجان الأمير بلا خفا أخى حسن سلطان ع القوم صايد
ألا يا بنات اسمعوا شرح قصتى ودعوا طبول القتال مثل الرعايد

ذليتم من قتال أمير تونس أجاريدكم راحوا ولوا شرايد
 تريدوا صلحاً بعد تسعين أميراً حريمهم عليها قايمن العدايد
 وفرحوا فيك يا ولد غانم وقالوا دياب الخيل يا أبو العدايد
 ما قالت فتاة الحى أم محمد فلا بد من حرب خليفه أكاد
 فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يستمعون نظامها فعند ذلك تبادرت
 البنات إلى الخيل وكل واحدة مسكت لهما فرس وقالت لرا كها أنزل واركب
 هو مضعى فى المودج وأنا أركب جوادك وأما الجازية فعادت على دهاب وقالت أنزل
 وأنا أركب موضعك وأحارب خليفه فغضب الأمير دياب وقال لها لا تقولى هذا الكلام
 فكم مرة خلصتك من السبي ولو صالحوه كل بنى هلال ما أفوت ثار أخواتى وأولادى
 ولا صالحت خليفه قومى وأرجعنى هؤلاء البنات وصار يكتب للخليفه رد جوابه يقول

يقول الفتى الزغبى ولد غانم ردم الفتى بعد الفعل حرام
 وحده الفتى بعد الفعل مذمة وحده الفتى بعد الفعل تمام
 أنا دوم مدوح بفعل الأكارم بخير وجود بالافلا خصام
 كم فارس أنا بقناتى قتلته وادعيه داخل اللهود ينتم
 من نجد إلى تونس أبداً فروعها سلاطين ابنو للضيف خيام
 وأخذنا إلى أموالهم وظهرهم وأنا مكاسبهم كل غانم
 وما عاقنا من نجد أن تونس عوابق ولا خيل بها هجام
 نسواك يا أمير من بنى هلال قتلهم فمكتب فينا فى قنا وخسام
 تسعين أمير من بنى هلال قتلهم وراحوا طعام الاوهام
 وباعت تصالحنى من بعد هروقى فهذه أمور مبعديات عظام
 اتينا بلادك يا زعماتى خليفه أصبحت تماربنا بخير لزوم
 تسعين أمير أنت ناسى عددهم أريد الوفاً منك بعد حسام
 ولا بد عنك يا زعماتى خليفه ولو كان حولك مثل ألف غلام
 وإن طردت أو غرت ولا بد هناك ولو كنت جوا ألف برج خام
 إذا اصطفت الخيالن واشتبك القنا ونصرت الاسلام بيوم زحام

فانزل إلى الميدان من غد باكر
 وخذ من يميني طعنة قوية
 ويظهر خبرها في البلاد جميعها
 انا فارس الشرقي والغرب واليمن
 فلا بد ما أملك بلادك كلها
 ما قال الفتى الرغبى دياب بن غانم
 (قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى الزناتى
 خليفة فلما وصل اليه فضته وقراه وعرف رموزه وتمناه انخذت أنفاسه وزاد
 وسواسه ولما أصبح الصباح دقت طبول بنى هلال للحرب والكفاح وربى
 الأُمير دياب إلى الميدان فنظر الزناتى فأشار يكتب إلى دياب يقول :

يقول أبو سعدة الزناتى خليفة
 نادى دياب الخيل يا طيب الثنا
 فاصفح عن حربى وخذ ما تريد
 وأعطيك القيروان وقابس
 وبالحال أرسل للمغارب جميعاً
 واحكم أنت بلادنا وأرضها
 ألهم عليك بجاه ربى تجهد
 وأصير عبدك وعبد عبدك الأبد
 وبطل الحرب عفى ولا تلومنى
 ما قال أبو سعدة الزناتى خليفة

والهم قد جانا مع الوسواس
 يا أمير حاصى حومة البرجاس
 أهوال خلد منى وكل الجفاس
 تولس وقابس ودير المسكانس
 وأنادى اسمك فى جميع الناس
 على الخلايق كلها والناس
 ويحق لله العرش رب الناس
 وفضلك على أعياننا والناس
 ودينى بقولى ما أنا دلاس
 دياب توافق يا شديد الباس

(قال الراوى) فلما فرغ الخليفة من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وقدمه
 للأُمير دياب فلما قرأه من قهروما ووضرخ فى الخادم صرخة أزعجته وقال لولما يكون
 قتل الرسول حرام لأدعيك على الثرى مقتول واسكن ارجع لمولاك وقل له ما عنده
 جواب إلا السيف القرضاب فرجع النجاش وأعلم مولاه بذلك وأما دياب بات تلك
 الليلة إلى الصباح فهب من نومه ونزل إلى الميدان وعرض وبان وطلب القرسان

فما أحد رد عليه جواب فعند ذلك عاد دياب إلى بوابة تواس فحكمت طريقه على خندق كبير فلما نظره حول عن الخضر ارقاس فطلع عمقه خمسة رماح ووسعه ثلاثة فعرّف أن الخضر ا تقفزه فعند ذلك على بظهر الخضر وأرجعها إلى الرواء وصار يلعبها حتى صارت أربعتهما تنحط المسد ورأسه صوب الخندق حتى وصلت إلى حافته وحسبها بالركاب فقفزت إلى الجانب الآخر وظل غاير إلى الباب لقي البواب نائم فلكره بكعب الرمح ففاق البواب فوجد فاروق رأسه قال له الأمير دياب اليوم قفر الخضر فوق غد يقفزه السور فراح البواب وأعلم مولاه ودياب ورجع إلى قومه فعند ذلك نزلت ذموج الزناتي وصار يبكي على حاله وأرسل وراءه سعدا ابنته لكي يودعها وكان قصده قتلها وليس اليها وصول وكانت سعدا ضربت الرمل فعلمت أن هنية أيتها قد قربت فأنت الشباك قهاه وقالت طب نفسا وقرعينا الآن بان عندي بالرمل أنك منصور على دياب وفي ثمانى الايام دق طبله وبرز إلى الميدان وفيه الأمير دياب والتقوا البطلين كأنهم جبابين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين فوقعت بينهما ضربتين قاطعتين كان السابق في الضربة الزناتى - امن دياب بها الرماح فأخلى منها فأصاب الخضر فوقعت على الارض ووقع كأنه طود من الاطواد فطمع الزناتى فيه وسحب السيف من غبده وهجم عليه ليعدمه الحياة فكانوا ابنا هلال أدركوه وقدموا له جوادا من الخيل الجياد فعند ما ركب وانقصر على الزناتى في قلب لا يهاب وما زال السيف بينهم إلى وقت الظلام فانفصلوا على سلامة الحرب والقتال أما دياب فانه حزن على الخضر كثيرا وأمر أن يغسلونها ويكفونها بشفق الحرير ويدفنها وبنى على قبرها قبة عظيمة وذبح على قبرها ألف ناقة و فرقة على الفقراء زكاة على سلايلها وأولادها وثمانى يوم نهض دياب واعتد في عدة جلاديه وركب على ابن الخضر وكان مهر رباحى طويل الباع وبرز إلى الميدان كأنه فرخ جان وطلب مبارزة الزناتى فبرز اليه لأنه فرح بقتل الخضر وظن أنه يملك أربه من دياب ويقتله كما قالت سعده وأما حسن وبنى هلال فتمتق عندهم أن دياب في هذه المبارزة يقتل الزناتى لآمال لأجل ثار الخضر ا فركب الأمير حسن مع سائر بنى هلال وركبوا الامهاريات الحوادج واصطففت العساكر قبالة بعضها البعض والزناتى ودياب في حرب شديد يقطع الزرذال فنهض من الصباح إلى أن صارت

فشمس في قبلة الملك الأعلى فثارت في رأس دياب نفخة الرجال والهمة الكافية العلية ولاه مولاه على الظفر على من عاداه فسحب الدبوس من تحت ثخذه وبرمه في يده وضرب الزناني على رأسه فطيرت أضراسه وثغره طلسه البولاد ونزل على هامه فدار رأس جواده وعول على الفرار من عظيم الألم فاعاد يدري كيف يتوجه فلاجل نفوذ الأحكام فلما هرب الزناني قام دياب من عظيم الركاب وأطلق به لريح لأن الزناني كان هارباً فالتفت لكي ينظر إلى دياب كان لاحقه فأصاب الريح عينه وعدت الحربة من قفاه فتذكر الأمير دياب وقت قول ابنته نهية حين قالت له أنه طعن به بعينه فقال أبو سعدة عن الجواد وعول على الوقوع فسلب دياب من ثخذه سيفاً وضربه على هامه أرمى رأسه قدماه فأخذ دياب الرأس على رأس السنان وعاده ورجاله بنى هلال على قوم الزناني فبدلوا أفراسهم بالكدر فلما شافوا الزناني على الأرض مظلوح كثرت عليهم المصائب والأهوال ما غادر أبعر فون الثين من الشمال فولوا هاربين واما قرايب الزناني وقومهم فأنهم دخلوا وصاحوا الأمان ودخلوا واقعين على دياب ورموا أسلحتهم وسلموا أيواحهم وطلبوا الأمان وأولهم كان العلام وطلبوا من دياب مكان يقيموا فيه ويلجئون حرهم فأعطاهم مدينة الأندلس وما حولها وهم على ثقات الأقوال ورجل العلام وقومه الحرير والعيال وقطنوا بذلك المكان ورجع الأمير حسن والأمير أبو زيد وبنى هلال نحو تونس لينظر واكشف قتل أماد دياب ملك تونس وبالحال نادى عبده خليل وأعطاه الرمح وأمره أن يوضعه فوق تونس وينادى أن الأمير دياب وكل من لا يدخل تحته يقتل ففعل كما أمره مولاه وصار ينادى بندااه فسرت سعدة بقتل أبيها ولبست أفخر ملبوس وصارت تلمن حتى كأنها العروس حتى أتت إلى عند الأمير وهي وهو يتمشى بمناين القصر عند العصر وهو لا لبس الملبس الحرير وهو على رأسه طربوش مغربي حسب عادات أهل الغرب ومنتظر الفرج والتيسير من هذا الأمر العسير ثم دخلت عليه سعدة وقبلت يديه وقالت له أعلم أيها الأمير الخطير قد جاء الفرج بعد التيسير وتهددت وإياه أن لا يأخذ غيرها من النساء وعده أيضاً أن لا تأخذ غيره من الرجال ولو قطعت بالسيف الثقال وبعد ذلك ودهوا بعضهم البعض وكل واحد ذهب إلى حال سبيله فإنه يرجع الكلام إلى الأمير دياب بعد قتل الزناني أمر بتعليق رأسه على رأس

السور وأمر بتنزيل أماره بنى هلال ليدفتوهم وملك دياب تحت الزناتى وحال الملك
والمال والنوال والخدم قدامه وأمر بإطلاق مرعى ويحيى ويونس وخلع عليهم وأرسلهم
إلى عند أهلهم وجلس دياب على تحت الزناتى وليس التاج وهذا التاج مصنوع من قديم الزمان
من أيام مهران خليفه ومرصع كله بالمرجان الأحمر والياقوت الأخضر ومنسوج
بالحرير والجوهر والذهب الأصفر واجتمعت حوله بنى زغبة صفوا واصفوف مثاث والوف
وأقوال الجميع حمو أيده فلما سمعت سمعه يجلس دياب على كرسى أبوها خافت وارتعدت
فراعتها وخاب ظننا بمرعى وتدمت حيث لا ينفعها الندم وتوجهت إلى عند الأمير دياب
وحبت يده وترجته في دفن أبوها فقبل طلبها دياب أن يدفنوا أبوها بين قبور أخوته
هدرو زبدان وطيب بخاطر هاو أدخلها بين حريمه فأكرموها غاية الإكرام هذا ما جرى
إلى دياب وأما ما جرى إلى حسن وأبوزيد وهم راجعين إلى تونس سبق منهم ناس
وشاهدوا رماح دياب والمنادى ينادى اسم دياب والعبد خليل حين رأى الأمير حسن
أو الأمير أبوزيد مقبلين ارتعد فداو ورجع شاو ومولا فقال له دياب ارجع ونادى كما
مرتك فرجع العبد وصار ينادى أن لا سلطان إلا دياب وكل من لا يدخل تحت رعيه
يعدمه الحياة فحين سمع حسن هذا الكلام قال كيف رأى يا أبوزيد ندخل أم لا فقال
أبوزيد هيت يا حسن ندخل وإن ما شال لرمح فكان عبد الأمير حسن وواه ضربه بالرمح
قطعه نصفين فصر به العبد خليل قطعه كما قطع الرمح وأما حسن هجم على ديوان الزناتى
فوجد دياب جالس على التخت وحوله أكابر بنى زغبة والخدم والعبيد بين يديه والتاج
على رأسه فلما نظروا حسن هجم مثل الجمل الهائج وقال ما هذه السعادة يا دياب أما كذاك
مرقتى من تحت رحك وتلبس التاج على رأسك وتريد تورثنى وتعزلى من منسبى
ورقة جدى وأبى ونحن من الذى قصر مناعن حرب الزناتى لا بد عن قتلك يا نفس بعد
هذا العمل وانهدف على دياب فوقف أبوزيد والرجال بوجه حسن وقبلوا أياديه
وقالوا يا مولانا إن دياب خطى مرمته لك المسامحة فمذا كله جرى ودياب جالس على
الكرسى ما هو مفتكر فيه ولا فى كلامه فزاد حسن فى الأضرار وقال أتركونى حتى أقتل
هذا المايب فقال له دياب أنت بعد فبك هذه الشطارة فلما قتلت الزناتى وماتت
حليته ولاى سبب أرسلت ندخل على أنت وأبوزيد وكل بنى هلال حتى قتلت الزناتى

ومهدت لكم البلاد فقال حسن أنا والامير أبو زيد ما أرسانا وراك ولا أحد من جميع
 بني هلال إلا البنات وأبوك غانم قتل دياب المكاتب عندي فقال حسن كذبت وحق
 البيت والجبر والركن المطهر لا بد من قتلهم في هذا الكلام فتقدم أبو زيد وقال
 يقول أبو زيد الهلالي سلامة فالك يا حسن سرحان وهاش
 تريد تقتل دياب يا أبو علي هو حامى طعننا من كل هاش
 لأنه جمل رمحه على باب تونس فهذا ما هو ذنب يا أمير طائش
 حريمنا لبعثوا براقيهم لدياب ليدعى أبو سعد بدنه يشال
 جانا على خضره جندل عدوا لنا وأخذ بشارنا في ماضيات الطرايش
 (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه تقدم دياب وقال له يا ابن العم العين لا تملو عن الحاجب
 قوم حتى تتركب حسن على الكرسي وتقسم البلاد فعند ذلك قام دياب مسلح حسن
 وأخذه أبو زيد بباطنه وأقاموه على التخت واجلسوه وتقدم الأمير دياب وأشار يقول

يقول الفتي ابو غي دياب بن غانم والنار من جوا الضلوع شجونها
 أيا أبو علي لولا دياب بن غانم عدا ظنكم حرب الزناني رهوبها
 ولما قتلت الهيدبي وأنت شاهدو أبو زيد حاضرها كيف تشكرونها
 طعنته رميته ولفنا يقرع القنا بيض العذاره شاخصات جفونها
 وما لكم أرض العديه وأرضها وقفت بها العذاره يفتنونها
 تسكأفت أنا والزناني خليفة وما تعلم الأرواح من هو زبوننا
 وقد راحت الخضره وشطبها الينا من طوى عمري العدا أصونها
 وجاؤني بني هلال وعامر وجاءوا إلى الخضره يكفنونها
 حفرت لها في الأرض قامة ومثاها خايف وحوش البر ينهشونها
 ان مت والله ادفنواي جنبها في وسط روضة موضع ان دفنتونها
 عسى نلتقى بيوم القيامة جميعنا وأقبل الخضره وامسح عيونها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه فاعتذر له الأمير حسن وقال يا أمير دياب الخطأ
 يقع قلب دياب والخضره أخذ عرضها مدينة تونس من غير حساب وأقسم لك ذلك
 الغرب الذي تريده وأنا مثلك وأبو زيد مثل خضره وجميعهم الديوان تقاسموه الجميع

بالأسوة من دون تونس للأمر دياب من غير حساب والعصر فواهل هذا الحال أمامهم
فانه اجتمع مع أبوه وسلم عليه وقامت الافراح وذهبت الاحزان وعملوا الولائم
وذبحوا الأغنام إلى الخصاص والعام ونادوا بالأمان في جميع البلدان وساطنوا العلم على
قوس ومكناس وتلك البلاد وبعد ذلك أمر حسن ببناء قبة عظيمة على قبر الزناتي وأمر
بإحضار الحفارين والتجارين والذهابين وجميع أرباب الصنائع يبدلوا الجمود في
تزيين تلك القبة على قبر الزناتي وأن يكتبوا عليها أسماء الله الحسنى فزينوها بالفضة
والذهب وصنعوا له مشهداً ومروا على قبر الزناتي وتقاسموا البلدان في حصره وأبو زيد
ودياب وولوا على قابيس ومكناس وهذا ما جرى من أمر بني هلال وأما ما كان من
قوم الزناتي هم والأمراء والواحد دوراند وغيرهم من الحكام الذين يحكمون على سبعة
تخوت بلاد الغرب والأربعة عشر للقلعة لما سمعوا بتسلطن العلم وقتل الزناتي هاجوا
وماجوا واجتمعت القروم من جميع جزائر الغرب وأتوا إلى ملكهم ناصر وهو أخو
خليفة وكان حاكم الأربعة عشر قلعة وعلى سبعة تخوت بلاد الغرب فدخلوا عليه وقبلوا
الأرض بين يديه وأخبروه عن بني هلال وعن قتل خليفة أخوه فهاج وهاج ودرغ
وصاح واسودت الدنيا في عيفيه وحالاً أصر في تجهيز العساكر والأبطال وأرسلهم أمه
العلم ليتها إلى حرب العربان فلما وصلوا إليه قبلوا الأرض بين يديه وبكوا
على ملكهم خليفة وأظهروا له الحزن والحلم والسكود والغم وأتهم خسروا ملكهم
خليفة وقالوا يا ذلنا من بعده والله لناخذ بالثأر ونكشف عنا العار ونرجع تونس
بالسيف البتار لأنه أرسلنا إليك ناصر أخو خليفة حتى تنهيا للحرب والقتال فكان
جواب العلم لقوم أني كليت من الحروب والأهوال وليس لي عزم على ملاقات
الأبطال والرجال فافعلوا ما بدا لكم وأنا أمدكم بالأموال وهكذا وأرسلوا
يصلوا ناصر أخو خليفة ولما بلغه الجواب أخذوا في تجهيز العساكر في الحال من الغرب
وما مضت مدة من الزمان حتى تهمز عنده ستمائة ألف مقاتل بين فارس وأهل فنض
بهذا المسكر الجرار الذي يهبطه موج البحار وقصد بني هلال ومازال سائر حق وصل
أطراف تونس هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر دياب فانه دخل
يوماً على قصر خليفة فوجد سبعة تكي وتزوج من فؤاد مروح على فقد أيتها وعلى

مفراق مرعى ويحيى ويرى لما كان عندها لهم من الحب والهيام ومن يد الشوق والغرام
فلما نظرها الأمير دياب على هذا الحال حياها بالسلام قال اليها وزاد غرامه فيها
وأراد أن يأخذها زوجة له فقال طيب نفساً وقرى عيناً حيث أنك صرت في
ملكى ونمت حكى أريد أن آخذك لى زوجة مطيعة ولاوامرى سميرة وأشار يقول:

يقول أبو موسى دياب بن غانم ولى عزم فى الهيما كليت رهيس
لى عزم أمضى من الحسام إذا سطا مانى ودى الأصل ولاخسيس
ألا فابشرى ثم ابشر يا ابن غانم أنا صرت حاكم فى دريد وقيس
ألا يا سعدى قومى وافرحى أنا صرت ملك دون كل قيس
عليك أمان الله مادمت سالم على ظهر شهباء قائمة البرجيس
فلا تحزن من بعد خوفك وافر حى أنا هو دياب لوقت عكيس
(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وسعدى تسمع نظامه اغتاضت غيظاً شديداً

بما عليه من مزيد وأشارت تقول :

تقول سعدة بنت سلطان تونس سطا البين وتعدى علينا ومال
يا زمان الضنى راح وانتهى تعال اليها يا زمان تعال
أيا من يرى سعدى وأبوها خليفة زمان اعتدال الدهر قبل ما مال
أنا كنت أميرة بنت أميرة رامير وقصرى على شرافتين طوال
ذنبى برقبتك يا دياب الغانم قتلت والدى بالصارم النصال
نقتله وتريدنى لك حليمة فمذا منك يا دياب ضلال
فان أخذنى يا أمير فواظرى فانى أهمل لروحى بشفق حبال
ولا الناس يقولوا أخذت عدوها ولا أنسبك لى يا دياب رجال
ولا أريد الزغبى دياب بن غانم إلا مقطوع فوق رؤوس جبال

(قال الراوى) فلما فرغت سعدة من كلامها ودياب يسمع نظامها اسودت الدنيا

فى عينه كالظلام وقال اما تجاسرى على هذا الكلام يا بنت اللثام وحينئذ امر صبيده
بضربها وأن يشغلوها الاشغال الشاقة ويطحنوها الملح ويلبسوها الملابس الخشنة
وتركها ومضى ففعلوا كما أمرهم به وبقيت على هذا الحال مدة عشرة أيام وفى اليوم

الحادي عشر دخلت عليها نافلة بنت دياب فلما رأته على هذا الحال سألتها عن حالها
وما جرى لها فأخبرتها بسعده من ظلم الأموي دياب وكل ما جرى لها وأشارت بسعده
تخبر نافلة فتقول لها :

تقول سعده بنت سلطان تونس	وتجري دموعي فوق خدي بواير
أبكي أبويا الزناني خليفة	وهي قومنا راحوا بمجد البواير
أصيب بحربة من يمين ابن غانم	فحكمت له بين العيون والنواير
ولما قتل ولت أجاريد قومنا	وراحوا كما الطير في الجو طائر
ودياب يريدني أن أكون له حليمة	ويقتل أبوي فوق خيول ضواير
فواقه ليس بخاطري أن أقابله	ولست أن أرضاه والرب حاضر
بكيف على دمرى الذي خاني	ومن حين ولوا لم جبرلي بخاطر
وياما جرى من بعدك يا خليفة	طحننت الملح مساء وبأكر
ويا من يعزيني على قتل والدي	ويوضع سعده في الحود المقابر

(قال الراوي) فماتت سعده كلامها إلا رد دياب أمامها وكان قد سمع منها الخطاب
لأنه كان واقف خلف الباب فأمر ظلمه أن يويدوا عليها الأشغال ففعلوا كما أمر
وبقيت على هذا الحال ٥١ يوم وهي تبكي وتنوح وكان يكثر بكاءها على مرعى لأن
نسيها وما فكر فيها وكان عندها عبيد تعرفه اسمه مرجان من عبيد أبيها فاستدعته إليه
وقالت له مرادى أن تأتي بقلم وفرطاس وهداية من نحاس لأن مرادى كتب إلى
السلطان حسن كتاب فقال لها على العين والرأس وأقامها باطلت فأشارت تكتب وتقول :

تقول فتاة الحى التي خاب ظنها	سعده التي خانت أبوها وراح
يا غاديا منى على متن طاسر	إذا مشى يسبق هبوب رياح
فحين وصولاك للهلال قل له	يا كامل المعروف والاصلاح
اسميت الصغيرة يا هلالى أبو على	ومعكم ترى ما فعلت قباج
ألا فاذكروا يوما أتونا أولادهم	إلى الغرب وادوم برأى الفلاح
أراد الزناني أن يميل رؤوسهم	ويريد يخطف منهم الأرواح
تشفت فيهم لم واحوا نعمة	ولولاي كانوا غمدوا شراح

قد قال مرعى آخذك لى حليمة
نظرم أبوى كيف باد جوعكم
لجأزيتة بالقتل يا أمير لأجلكم
فأنا ملككم بأرض تونس
فقال دياب آخذك حليمة
فأخذنى دياب وحطنى فى مذلة
وأحمل على ظهري الخطب
واليوم اعظم حالتى ابن غانم
ومعنى يا ابن سرحان يا أبوى على
نسيهتوني - والنبي ما نسيهتكم
مرادى أكون بقربكم يا على
تقول فتاة الحى سعدة التى شكت
وقى القلب نهران وهب دياح
(قال الراوى) فلما فرغت سعدة من الكتاب طوته وأعطته للنجاب فأخذه وسار
على حسن فقصه وقرأه حينئذ اغتاظ من دياب وأرسل وراءه أبوزيد ما تقدر وصوله
أعلمه بما حصل سعدة من الأول إلى الآخر فقال أبوزيد ما تقدر تجهيب سعدة إلا
بواسطة قسمة البلاد وفى اليوم الثانى ركب الأمير حسن وأبوزيد مع جماعة من
الفرسان وتوجهوا نحو دياب ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إليه فطهبوا خاطره
وسلموا عليه فالتقام بالزحاب والإكرام وأجلسهم بأعلى مقام وصار يرحب بهم ويقول:
يقول الزغبى دياب بن غانم أهلا وسهلا يا صاحب الدار
أهلا بمن قد شرفوا لحظنا أبو زيد السلطان والامار
أهلا بساطان الأعارب جميعهم مكرى اليتامى فى سنين عمار
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه شكره الأمار على قوله وبقوا على ضيافته
ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال حسن لدياب مرادى تقسم بلاد الغرب فقال دياب
للأمر لا أبوزيد فقال أبوزيد مرادى تقسم بلاد الغرب له قد أمكم مصاعب ومتاعب
كثيرة فانكم ما سكتم تونس وهى من جملة الممتلكات والباقي سبعة نخوت يحلس

عليها من قريش كمين على أربعة عشر قلعة وبينناهم في السلام إذا قبل عليهم العبد مرجان
 ابن أبي النعمان بن مخنف بالدماء ومهشم الأعضاء فسألوه ما الخبر فقال لهم إن الشباب
 قد هاجت وقد نزلت عليهم قوم الأمير ناصر أخو الزناتي الذي من تحت يده
 سلاطين سبعة نخوت بلاد الغرب فإن لم تدركوهم بسرعة ذاقوا الويل فلما سمع
 حسن هذا الحديث صار للنور في عينيه ظلاماً وكذلك أبو زيد ودياب اختاضوا
 الغيظ الشديد وفي الحال دقت طبول الحرب واجتمع عند الأمير حسن فرسان الطعن
 والضرب أخبروهم بهذه النخبات وأعلموهم بما أجرته المقادير فهاجت الأبطال
 واستعظمت تلك الأحوال وركبت جموع بني هلال للحرب والقتال وفي مقدمتهم
 العبد مرجان بن أبي القمضان وفي مقدمتهم الأمير دياب والأمير أبو زيد ليث الغاب وما
 زالوا سائرين يقطعون البراري والقفار هذا ما كان من شباب بني هلال وهم موسى
 ابن دياب وصبرة بن أبو زيد وأخوته شيبان وعيمر فإنهم كانوا خرجوا للصيد
 والقنص معهم عشرة من أولاد الأمانة وبقوا مدة ثلاثين يوماً يحولون في البراري
 والقفار والسهول والأودية يقتنصون من الوحوش والطيور وبينما هم بالصيد إذ
 وصلوا إلى عين توز وفتزلوا عن الخيول لأنهم كانوا تعباً نين وجلسوا على شاطئ النهر
 فقام البعض منهم يوقد النيران والبعض يذبحون الغزلان وهم في أرغد عيش
 وأمناً بال إلا وقوم الأمير ناصر والعلام مقبلين عليهم وهم مثل الجراد المنتشر
 لا يعرف لهم أول من آخر وكان السبب بقدر ذلك العسكرية الجراد هو أن الأمير
 ناصر والجاللي بن مقرب أتوا ليأخذوا بنات الزناتي وأخذوا معهم للعلام بالحيلة
 لأنه كان مخبر تلك الأراضي ولسبب المقادير صادف طريقهم حين توزر فالتقوا
 بشباب بني هلال فأحاطوا بهم من اليمين والשמال فحينئذ رأى الأمير صبرة وموسى
 ابن دياب تلك الأعداء أحاطت بهم من كل جانب صاحوا وفاقهم اركبوا ودونكم
 الخيل من أمام قبل ما تدركنا الأعداء حينئذ وركبت الأمانة ظهور الممارة وتقلدوا
 بالسيوف والانسفال وهجموا على تلك الفرسان وقابلوهم بالذل والهوان ونزلوا عليهم
 بضربات قاطعات فهدم الجبال الراسيات وفرقوا الميامن والمياسر حتى ما كان الواحد
 منهم يعرف الآخر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وبقوا على هذا الحال لحين الزوال

فأفرقوا عن بعضهم والامارة جمعوا حالهم في تلك الأرض فوجدوا صبرة بمروج وشيبان أخو صبرة مقتول ومرجان بن أبي القمصان مفقود لأنه غير موجود وبقوا يهرسوا بعضهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فلما نهض صبرة من النوم وجد عساكر الأعداء حاطينهم من كل جهة وصاروا يجمعون بعضهم البعض فركبوا ظهرا الخيل وتقلدوا بالرماح والنصال وهجمت عليهم قوم الأمير ناصر فالتقوا الأبطال والجنود كأنهم الأسود رماز الوافي أخذ ورد وقرب وبعد وضرب شديد يشيب رأس الطفل الوليد وماز الوافي على هذا الحال عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر هجموا شيبان بنى هلال على جيش الجايلى من كل جهة ومكان وقابلوهم بالذل والموان ونزلوا عليهم في طعنات قاطعات وضربات والحرب الشديد حتى أن الشباب قتلت من عساكر الأمير ناصر مقدار خمسة آلاف فارس وفي اليوم الثاني كانت الشباب قل عزما واضمحلت قوتهم فأحاطتهم عساكر الأمير ناصر من كل مكان ونزلوا عليهم بضرب شديد وكانت واقعة عظيمة لأن قوم الأمير ناصر تأتهم النجيدات من العلام ومن السبع نخوت وقفل بتلك الواقعة ثمانية من شيبان بنى هلال وقبضوا على الأمير صبره وقيده به بالسلاسل والأغلال وأحضروه قدام العلام فلما رأى صبرة أمر بإطلاقه لأنه كان مساعدا مع الأمير أبو زيد فلما لحظ الأمير الجايلى فعل العلام قال يا علام لماذا هذه المطاولة فأخذوا يثأران ناتي لأنه ابن عمك وهو لحك ودمك وقد قتلوا منكم أضعاف فسحب الجايلى الخنجر بيده وضرب صبره في صدره طلع بلمح من ظهره وقال للفرسان الذين حو اليه دونهكم وفاقه الذين فيه فوجد موسى بن الأمير دياب واقع في جملة من الفرسان ونازلين عليهم بضرب مثل وخ الماطر وهو يدافع عن نفسه من حلاوة الروح ويقول يا أبو زيد يا حامى الميهان لو تسكن حاضرا بين يديك يا أبو دياب لو تراني تخافنى من هؤلاء لأنه قال وبينما هو في ذلك الحال راى يمن يقتلوه ولايمان في بنى هلال مطلت والسيوف لمعت والعساكر تقدمت وفي أولهم الأمير دياب في بنى زغبة وخلفه الأمير أبو زيد في بنى زحلان وكان السبب في مجيهم بأن مرجان أبو القمصان أخبرهم بذلك الشأن وعند وصولهم لقد عاشت تلك الأرض بالطول والعرض فرجع الأمير موسى ابن الأمير دياب بينما

على خيله الردى فلما نظر دياب هذا الحال صاح على الأبطال وهجم على أعدائهم من
 الميمنة وأبو زيد من الميسرة وبقية الرجال هجموا على الأعداء بقلوب قوية وهجم
 عليه وتقدم الأمير سرور ابن القاضي نسل الأمير موسى من بين الأعداء وقبله بين
 هينيه وهناك بالسلامة هم أخبرهم بما حصل لهم من الأول إلى الآخر وعن قتل صبرة
 وشليان ثم أوتدوا على الفرسان بالسيف والسنان ما كنت ترى السيف غابرة والرؤوس
 طائرة والدماء طائرة والفرسان بأفئسهم حائرة ودارت على نفس الجبابرة والبق
 القوم عاقدة وإبليس جدد راقدة ولا تسمع إلا قهقهة السلاح ورد الرماح وبقوا
 على ذلك الحال إلى أن أقبل الزوال فباتت بنو هلال في الأرض يحرسوا بعضهم
 إلى أن أصبح الصباح وأضاء بغوره ولاح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح
 فوجدوا الأعداء حاطينهم من جهة ومرادهم أن يكسروهم لأنه قد اتهم بجدات
 من جزائر العرب وتلك الجهات وسقطوا على بنى هلال من اليمن والشمال ونزلوا
 عليهم بطعنات قاضيات وضربات قاطعات وكثرت الأهوال على بنى هلال وشتتوهم
 في تلك الروابي والجبال حتى انكسروا بنى هلال سبعة مراحل إلى الوراة ولما أمسى
 المساء فاجتمعت الفرسان عند الأمير دياب وقالوا له كيف رأى يا أمير دياب فقال
 رأى عند الأمير أبو زيد فحينئذ تفكر أبو زيد بقتل ابنه صبرة فاجت رأسه
 ونخوة العرب الجاهلية وصاح على الفرسان إن شاء الله نزل إليهم بالسيف البتار
 ونلحقهم الدمار وناخذ منهم ثار الأمير صبرة وصار يحثهم على قتل الأبطال يقول:

يقول أبو زيد الهلال سلامة	بدمع يرى فوق الحدود سيال
الآن وقت الطعن في سوق القنا	بضرب الشواكر وسيوف لصال
ألا فارجموا ردوا الأعادى بعز	مكم بعزم قوى يهلك الأبطال
ولا قوهم بالسيف ويبدوا جميعهم	وخلوا دما الأعداء كسيل سال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه ثارت في رؤس الأبطال نخوة الرجال وفي الصباح
 اصطفت الحيشين والتقى المسكرين ونصبوا سباق المجال فانهدر أبو زيد إلى ساحة
 الميدان وطلب مبارزة الفرسان فسقط الأمير كأنه قلة من قلل أو قطعة فصاح
 من جبل وصدم أبو زيد صدمة تزعج الجبابرة فاشار أبو زيد بتهدد الجبابرة ويقول

ألا ما قال أبو زيد الملال أنا لست للهامع والجهال
 أنا لست الحروب بكل واقع أفرجها إذا وقع القتال
 ألا يا جابلي اسمع لقول ورد علينا شعراً مع مقال
 يا علم أني لست قدير دويس الخيل هرام الرجال
 فلي قلب كما الصوان ثابت أكيده الخنصر حقاً لا أبال
 وحق الله خالق البرايا إله حكيم في الملك عال
 لا قطع حيرهم وأسي نساءهم ويل القوم يرى القتال
 وأقطع جنسهم بالحمير ولا أبقى رجال ولا عيال
 وأخذ ثار شيبان وحسبهم وأجرى دمكم فوق الرمال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه انمهدف عليه الجابلي من غير رد جواب وساروا
 يتحادثون في الحرب والصدام من الزمان حتى أراد الجابلي على أبو زيد في
 الحرب والصدام كما أراد كانون الشتاء في الرعد وكلما فتح أبو زيد باب من الحرب
 يسده الجابلي حتى فغل عليه اثنان وسبعون باباً من أبواب الحرب وبقوا على هذا الحال
 إلى وقت العصر فصاح الجابلي على أبو زيد وضربه بالرمح راحت الضربة خائبة
 بعد ما كانت صائبة فثنى عليه بالسيف فأخذه بطارقة البولاد فانكسر السيف
 شقين فثبته بعدل أبو زيد على ظهر الحمرا وقال له خلدها من الأمير أبو زيد
 صاحب المسكر والسكيد فارس العجم والترك والديلم وضربه بالرمح فقلب الجابلي تحت
 بطن الجواد فراح الضرب خائب فثنى عليه بالسيف القرضاب فحكم على محكم الرقاب
 فأخذ الرأس والخاصرة سوياً وسقط السيف على الجواد فقطعه قطعتين فالتف الأبطال
 على الأبطال والفرسان على الفرسان من اليمين والشمال حتى ضعف رجال الجابلي لما رأوا
 ملكهم قتيل وفي دمه جديل خلل بهم الدمار والمزينة والفرار ولا زالت بني هلال تضرب
 فيهم بالسيف البتار ولا حقتهم في تلك البراري والقفار حتى كادت تمحى منهم
 الآثار إلى أن وصلوهم الدبار وكان قدولى النهار وأقبل الليل فباتوا الفريقين يحرسوا
 بعضهم البعض إلى وقت الصباح ونزول الحرب والسكفاح فنزل الأمير دياب إلى
 الميدان وعرض رباب بقلب أقوى من الصوان وطلب مبارزة الفرسان فانحدروا إليه

الأمير ناصر وأخذوا في الحرب والصدام إلى نصف النهار فغار الأمير دياب على الأمير ناصر وضربه بالسيف فخلعته فأنت على رأس الجواد فبرته كايدي الكنايب القلم فوقع ناصر على الأرض فأنحدر العلامة أمام الأمير دياب لأنه كان معاهد هو وإياه في سنة الزيادة فصار يتجاول هو وإياه فضرب الأمير أبو زيد رأس العلامة فأوقعه على الأرض فأنت قومه وأركبته جواد آخر وصار يتجاول هو وإياه إلى وقت الغياب وبقوا على هذا الحال عشرة أيام وكان كل يوم يقتل له فارس بجمرة آخر النهار حتى ضجرت العرب من قتالهما وحينئذ افترقا على القتال أنت الجازية إلى أماره بنى هلال والأمير أبو زيد وقالت له لما ذا هذه المطالبة أيها الأمير وصبرة قد قتل برامطة العلامة وقد قتل منا تسعين أمير من أمارتنا وحينئذ التفتت الجازية نحو أماره بنى هلال وألشدت تقول :

تقول فتاة الشعي الجازية أم محمد ألا فاسمعوا لي يا هلال الأكاير
أبو زيد للعلام ينزل يحاوبه من الصبح لما الليل يرد عاكر
فينزل يحاوبه ويقتل جواده ويترك العلامة على الأرض حاير
لأنه حارف عمره لا يخشونه ومعهامد وإياه والعهد ظاهر
ولا يحاوبه مدى العمر يا بطل ما يقتله أبدا ولا له بقاصر
ولو مات منا كل يوم قبيلة فما زال أبو على على العهد ساير
وذنبي علمت القوم كايلى ما جرى كأبى أقول الحق والحق ظاهر
ورأيتم أبو زين الهلالى يحاوله فصيحوا على العلامة وأعطوه شطائر
وأدموه على الخبرا قتل مجندل في نار صبره هر قيس الأكاير
فلما فرغت الجازية من كلامها والأماره يسمعون نظامها انتهبوا إلى ما كانوا عنه
خائفون حينئذ اجتمع عشرة من بنى هلال وضربوا الرأى مع بعضهم أنه في الغد إذا نزل
أبو زيد للعلام فليجتمعوا العشرة وليضربوا العلامة بعشرة رماح سوا حتى لا يقع
القوم من أبو زيد على أحد الأماره لأنه معاهد هو والعلام ففي ثلثي الأيام برز إلى
الميدان فبرز إليه الأمير أبو زيد بطارات الأماره من أبو زيد هذه الأحوال عجمت

على العلم من العين والشمال وخر به به بالمشرة وراح فوق على الأرض فحزن الأمير أبو زيد عليه وتقدم إليه وقبله بين عينيه ورجعت الفرسان وكان قد أمبل الظلام ودقت طبول الانفصال فأخذه إلى الخيام ورجع الأمير ناصر وقومه حزينا حسرا نين على فقد العلم وأما أبو زيد حمل العلم إلى الخيام حينئذ فاق من غشوته وأشد يقول:

يقول الفتي العلم وله عديده فهذا الذي قد كنت به موعود
وأخبرتك هنا ألا يا سلامة سنة الزيادة حين أتيت تروود
بضر ملاحم ناطق الشكل صابر ووضيت باحتكام العلي المعبود
عرفت أن ذا يجرى ألا يا سلامة وحق الذي قد لان له الجلود
ألا يا سلامة العرب عادت منازل أحكم بحكم الله ليس عنود
وأنا الذي خاين على العرب وحيت موافق بيننا وعمود
فجازاني الإله بما حصل وأمسيت من فوق الشرى عمود
فأن أوصيك وصية يا سلامة وحق من غساق بماء ورود
وادرجني بالقطن والطيب والسكا فن وأوريته بيدك عميق الخود
وأنا رحت ما عد الرجوع بخاطر ي وأمسيت من بعد الحياة فقود
وأشهد أن الله لا رب غيره الله تعالى واحد معبود

فلما فرغ من كلامه تنفس الصعداء وسلم الروح فحزن أبو زيد عليه وبعد ذلك دفنوه بالكرام لأبو زيد فلما سمع ناصر بموت العلم حزن حزنا شديداً فولوا الأديار وركبوا إلى الفرار فتيهم بنو هلال مدة عشرة أيام حتى شتوهم في البراري والقفار وبعد ذلك اجتمع أبو زيد مع دياب وبقية الأماة وعملوا مشورة الملك اللية فقال أبو زيد لدباب إننا صرنا في نصف بلاد الغرب وقد بعدنا من حرمنا وأوطاننا وحولنا جزائر بلاد الغرب وقد كثرت أعداؤنا وما لنا معين إلا المغاربة لأن ليس لهم كثير من الديار ونخاف أن يعملوا علينا حيلة ويهلكونا لأننا وجدنا هذه الديار وأماننا أربعة عشر قلعة محصنين فإذا يكون عندك من التخيير فقال الرأي عندي أن نخبر الأمير حسن بهذا الشأن وتوصيه في المال والعيال لأن قدامنا أربعة عشر قلعة وسبعة نخوت بلاد الغرب فقال أبو زيد

الاباس بذلك أيها الأمير حينئذ أرسل أبو زيد كتاب يعلم الأمير حسن بقتل صبرة
جورقافته ومن قتل الجايل وكيف أن العلام خان العهد والميثاق وكيف طعنناه الأمير
ناصر أخو الزناني وعن الحروب التي حصلت لهم من الأول إلى الآخر وسلم ذلك
الكتاب للنجاب فأخذه وسار حتى وصل إلى حسن وسلمه الكتاب فقراه وعرف
معناه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون واحضر قلم وقرطاس وجعل يقول :

يقول حسن الهلالي أبو علي والنار في قاي تهب وتشتعل
حركت هندی يا هلال مركبا واصبحت من هذا الكلام في وجعل
فان احتجت لدياب بالعجل تلقيه بحملك مثل قطعة من جبل
وان احتاج اليك فروح له في عسكر من فوق خيل بالعجل
وأنتم سيروا يا سلامة فاني داعي لكم طول الزمان لم أزل
إن شاء الله إله العرش ينصر لم وينجيك بلطف وبلوغ الأمل
الله يفعل ما يشاء بخلقه ويحبب دعا عبد فقير إذا قال
يا هل ترى عاد الزمان يلما ونمود لمة وشمل مشمل

فلما فرغ الأمير حسن من تحرير الكتاب أرسله إلى أبو زيد حين وصوله قراه
أبو زيد على رؤس الأماراة والفرسان ثم قال لدياب أنت تتوجه نحو كويج وتلك
الفلان بشرط أن يكون علمكم معي وعلى معكم فان شاء الله وسلمت أنا قابلا لأرحل
إلا أن أرسل عليك ويكون الاتفاق على هذه الحالة حتى نملك الأربعة عشرة قلعة حينئذ
هزأت الفواتح وأمر أبو زيد بدق الطبول ونفخ الزمور فركبت الفرسان الخيول
وتقلدت بالرماح والنصول فركب أبو زيد بتسعين ألف من زحلان توجه إلى قابس
وركب دياب في بني زغبة وساروا حتى وصلوا إلى كويج فنهضوا الخيول ورفعوا
الأعلام يستدعي دياب بقلم وقرطاس من النحاس فأشاريكتب إلى ملك كويج
وكان اسمه وال يقول :

يقول الزغبى دياب بن غام ولي عزم أمضى من سنان حراب
فكم من أمير ابن أمير وأميرة أسكنته بيدي هفسه تراب
سلاطين نجد أوديتهم بعد هرم وخليفت منازلهم يكرهوا خراب

وقتها أبو سعد الزناتي خليفه وخليت سعدة في بكاء ونحيب
 فان طعموني تسلموا لي جميعكم وإلا تهباً للحرب الأمير دياب
 (قال الراوى) فلما فرغ دياب من تحرير ذلك الكتاب وطواه وأعطاه للنجاب
 وطلب منه رد الجواب فتوجه النجاب نحو الأمير وائل فلما وصل اليه تمثل بين يديه
 وأعطاه الكتاب فأخذه الأمير وائل وقرأه وعرف مضمونه ومعناه وأمكن
 اغتاط الغيظ الشديد واستحضر قلم وقرطاس ودواة من الذهب الخاص وكتب
 إلى الأمير دياب كتاباً وأعطاه إلى عبده تلييس وقال ائتني بالجواب فتوجه العبد
 وسار وجد في قطع القفار حتى وصل لعند دياب فأعطاه الكتاب وطلب منه
 الرد ففتحه وقرأه وعرف رموزه ثم التفت نحو العبد وقال له أخبر سيدك أنه ليس
 عندنا جواب غير السيف القرضاب وهذا نلتقى في ميدان الحرب ففي الحال
 توجه العبد وأخبر سيده بما أجابه الأمير دياب فلما سمع وائل ذلك الكلام صار
 الضياء في عينيه كالظلام وفي الحال أمر بدق طبوله وتحصين بلده بالمدافع والابطال
 ونشر رايته في الحال ولبس درعه المانع وتقلد بسيفه القاطع وعلا فوق ظهر الحصان
 كأنه فرخ جان أو عفرى من عفاريت سيدنا سليمان وكذلك ركبت الفرسان ظهر
 الخيل وتقلدت بالرماح والنواصل وتأهبوا لابطال الحرب والقتال وكل رفيقه صاح
 كأنه عزرائيل قابض الأرواح وبعد ذلك انحدر الأمير وائل إلى الميدان وحفي وبان
 وطلب مبارزة الفرسان وهو يصول ويحول كأنه الغزال فيبرز إليه دياب فأشار
 الأمير وائل يقول :

يقول الفتى الوائل عن ما جرى له ويزان قلبى اشتعلت لهيبها
 أنا فارس الفرسان فى حومة الوغا ييدى أمقى القوم كاس عطيبها
 أنتم تعدىتم وجهتم بلادنا لاوض كويج قصدكم تملسكونها
 فجول فوارس بكل همهم تقول سباحا زائدة فى عصيبها
 فارجع وإلا يا دياب قتلتكم طعنات وائل ثم ضرب حدادها
 (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والأمير دياب يسمع نظامه اغتاط الغيظ

للشديد الذي ما عليه من مريد حتى صارت عيناه تقدر نار الوبر وصار يهدده ويقول

يقول أبو موسى دياب بن غانم حماة الخيل في يوم الهوازل
فكم قوم أنت ترغب قتال الأقيم بفرسان جمافل
وأشدت شملهم وأفى عددم وأخذ ملهم وخيلا وسلاسل
وأنت تهينني وتطلب وجوهي إلى تونس بفرسان سوايل
لا بد ما قتلك وأملك بلادك وأقطعكم بضربات الذوايل

فلما انتهى الأمير دياب من كلامه انطبق عليه وائل كأنه فرخ جان وابتدأ وافي
الطعن والضرب وقتال يشيب رؤوس الاطفال حتى تناصف النهار فانهم دياب
أشد هزيمة من أمام الأمير وائل وارند إلى الوراء هو وقومه وتبعوهم قوم وائل
بطعن الرماح وضرب السيوف والصفاح والخطبة الجيوش على بعضها البعض
وانتشب القتال والطمان كل من جهة ومكان حتى جرى الدم وسال وسارت القتلى
كالثلال فكانت واقعة مهولة لا يعرف الابن أباه والاخ أخاه واسكن الله در الأمير
وائل فانهم هجموا على قوم دياب وأبلوهم بأعظم مصاب وماز الوامنزمين وقوم
وائل لاحقيتهم بضرب السيوف حتى شتتوهم في تلك الارعار حتى ولي النهار وأقول
الخيال بالاحتكار وارندت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت قوم الأمير دياب
المنزمين في جهة من الأرض وصاروا يجتمعون بعضهم البعض وقام دياب وجمع
أكابر قومه وكل من يعتمد عليهم وصار يحمسون بهذا القصيدة ويقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم أمير الخيل فتي ما يغيبها
وساطعنا حسن الهلال أبو علي تضرب له مثال ما يثنى بها
ممانين قلعة قد حضرت فتوحها ولا قلعة إلا هدمت حصونها
ملكنا من نجد إلى قاع تونس بطعن يورث الاعداء عطيتها

فلما فرغ دياب من كلامه والامارة تسمع نظامه حاجت برأس الأبطال نخوة
الرجال وكثر القيل والقال في ثانی الايام برزوا الطائفتين إلى الميدان وحل الضرب
والطعان وهجموا على بعضهم فكثرت الضربات وعانت الصحبات فكانت موقعة
هظيمة ما عادت تنظر إلا الرؤوس طائرة والدماء فائرة والفرسان غائرة ودارت على

قوم وائل الدائرة حتى قتل منهم عشرة آلاف ومن قوم دياب ١٠٠ وبقية قوم
وائل ولوا هاربين وإلى النجاة طالبيين فتبعوهم قوم دياب وشتوهم في البراري
والقفار وأدخلوهم البلد وهم في حال الذل والسكدر وذلك من سيف المهام الأسد
الضرغام دياب وما زال القتال على هذا الحال إلى قرب الزوال فدقت طبول
الانفصال فدخل وائل المدينة حزيناً ليس معه معين خاصة لما رأى عساكره بجندله
وهي الأرض مددة فتقدمت إليه الحجاب والوزراء وتقدم إليه الوزير الأكبر وقال له
إن شاء الله غداً أنزل إلى الميدان وأبليهم بطن السنان وأكفيك شر هؤلاء العربان
يعون الله الواحد الديان وأما قوم دياب دخلوا عليه وسألوه عن خصمه فقال لهم
إنه فارس شديد وقرم عنيد ولكن غداً إن شاء الله أنزل إليه وأخذ روحه من بين
جنيبه وفي ثاني أيام أصبح الصباح وتقلدت الجيوش بالرمح ونزلوا إلى محل السكفاح
فأحمد الوزير دهقان إلى ساحة الميدان كأنه فرخ جان وطاب مبارزة الفرسان فنزل
إليه أمير من أمارة بني هلال وكان اسمه المهاب فقال دهقان من أنت من الفرسان
وما اسمك فقال اسمي المهاب وصنعتي حذاف الرقاب فحينئذ انطبقتوا على بعضهم
كالأسود بقلب كالجلود وتجاووا مدة من الزمان حتى كلت منهم الزود وطلعت منهم
ضربتان ماضيتان وكان السابق مهاب فضرب دهقان بالسيف أخذها بطارقة الولاد
فأنت على رقبة الجواد فبرتها كما يرى السكايب القلم فأناه دهقان على جواد آخر
وسقط عليه بالسيف وضربه على رأسه شقه إلى تسكة لباسه فنزل إليه فارس آخر
فقتله والثاني جندله والثالث محقه وما زال يجندل فارساً بعد فارس حتى جندل
خمسین فارساً وأخيراً نزل إليه دياب وكان قبل الغروب فتجاووا ولا هو ولا ياء ساعة من
الزمان حتى عرف دياب قوته فلاصقه وضايقه بالسيف على هامه رمى رأسه قدماه
وحينئذ دقت طبول الانفصال ورجع الملك وائل في حالة الغم أفقد أخيه دهقان
وحين وصوله إلى الديار سألوه عن قومه وخصمه فأجابهم يقول :

يقول الفتى وائل بعين مريرة ونهران قلبي زائدات لهيب
على ماجرى فينا وما قد أصابنا وليسكن تصاريف الزمان عجيب
سقانا الدهر خمرة عتية مكروهة سكرنا بها من بعد عز وطيب

أثينا فأوس ما عرفنا صفاتهم
 ويسمى أبو موسى دياب بن غانم
 تلاقيت أنا وإياه في حومة الروما
 تهمز علينا همزة في حومة اللقا
 يخيب ضرباتى ويعطى نظيرها
 غدا أتقى وإياه في حومة اللقا
 ان قدر الرحمن أخطف روحه
 وقادهم اسمه على اسم الديب
 فله دره من ممام نجيب
 أناريه في يوم الطراد صعب
 كما سمع كاسر في اللقا عيب
 بطمن يورث في فؤاد عطيب
 بطمن يهد كل فكر لبوب
 وأدعه من فوق الجواد قلب

فلما فرغ وائل من كلامه وقومه تسمع نظامه فوقع الوهم في قومه من دياب
 وأما ما كان من دياب فإنه لما وجع الخيام فسأله عن خصمه فقال لله دره من بطل
 شديد وقرم عنيد فقالوا له قومه هل يكون أشجع من الزناني فقال لهم الزناني
 ما وجد على الأرض فارس مثله واسكن الملك وائل أقدر وأخبرني موضع الطمن
 أشطر وأجسر وما زالوا في هذا الحديث إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
 فدفقت الطبول ونفخت الزمور وركبت الفرسان وانحدروا إلى مساحة الميدان
 طالبن الحرب والطعان فلما وقعت العين على العين التقى دياب وائل فانطلقوا
 البطلين كأهم جبابين وحام عزرائيل فوق رؤوس الثريقين فتكسرت بأيديهم الرماح
 وسحبوا السيوف الصفاح ولعبوا بهم ألعا بأحيرت الشيوخ والشباب إلى أن ذهقت
 الأرواح فضربوا بعضهم الاثنين فماتت من أيديهم السيوف فسحبوا الدبابيس
 فتكسرت بأيديهم من شدة الضرب وما زالوا الاثنين في صيحات مرعبات وضربات
 هائلات فبأيهما من بطالين ضرغامين وأسدين كاسرين فتعلمت منهم الفرسان أبواب
 الحرب والطعان وبعد ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق وائل
 ضرب دياب بالرمح فخطس تحت بطن الشهباء فراححت الضربة خايبة خيفة ثم عدل
 دياب وضرب وائل بالسيف على هامه حط رأسه قدماه فوقه وائل قتيل وفي قدمه جديل
 (قال الراوى) فلما رأت قوم وائل ملكهم قتيل ولوا الأدهار وركنوا إلى
 الهريمة والفراد فقتلهم قوم دياب وجردوا فيهم السيف القرضاب إلى أن وصل
 دياب إلى البلد وجمع الأكابر والعمد وجلس على كرسي المملكة ونادى بالأمان
 في جميع المدن والبلدان بعد ذلك استعصى بقلم وقرطاس وكتب إلى السلطان حسن

يخبره بما جرى وصار فلما وصل الخبر إلى السلطان حسن وقرأ كتاب دياب على رؤوس الأمانة والسادات حينئذ فرحوا فرحاً شديداً وعملوا هزيمة لها قدر وقيمة إكراما لدياب لأنه يملك يثت كريج إلى نائب السلطان حسن وتوجه من كريج وما زال سائر إلى أن وصل إلى ناحية برج الدمع فهناك أمر العسكر بالانزول وتصبح الخيام ورفع السناجق والأعلام وأحضر قلم ودواية من الذهب الخالص وأشار يهدد الأمير بكار ملك برج الدمع بهذا القصيد يقول :

يقول أبو موسى بن غانم	وزيران قلب زايغات لهايب
نعم أيها الغادى على متن ضامر	إذا جيت إلى بكار على المراقب
فقول له الأمير دياب يقول لك	حامي العذارى من البلاد الكتايب
إذا كنت تريد النجاة فسلموا	ولا أباديكم بعظم المصايب
وأخرب عدينتكم كما صاب قبلكم	أدهى دعاكم حال أرض سكايب
قياماً جرى في أرض كريج وقع	وقتل وائل كان قوم محارب
فان طعمتموني نلتم الخير والرضا	وترتاحوا من شر حرب دياب

فلما فرغ دياب من نظامه طوى الكتاب وأرسله مع النجاة فهذا ما كان من دياب وأما ما كان من الأمير بكار سلطان برج الدمع أنه كان جاساً في الديوان وإذا بحملة من فرسان كريج الدين سلموا من القتل دخلوا عليه وقبلوا بديه فقام لهم بكار على الأقدام وسلم عليهم وأكرمهم وسأهم من سب قدامهم إليه فأجابهم أحدهم وكان يسمى فايد بما جرى :

يقول الفتى فايد على ما جرى له	وزيران الحشا زادت شعال
أمير بكار أنظر لي وافهم	واصغ لقصتي واسمع مقال
أنا قوم ما يحصى عددهم	يهزوا في الرماح وفي العوال
وكبنا والتقىنا جميعاً	بطعن يورث الاهدأ خيال
كبير القوم يسمى ابن غانم	أمير دياب شيال الحال
قتل وائل والقاء جريحاً	وقد ردى الوزير بلا حال
فولينا هرباً من لقاهم	ولا طقنا لهم أبداً قتال
فهذا ما جرى خبرت عنه	وهذي قصتي وآخر مقال

فلما فرغ فايد من كلامه والامير بكار يسمع نظامه حزن الحزن الشديد ما عليه من مريد خصوصاً على قتل الامير وائل وابن عمه ومن لجه ودمه ولكن استغاث بالله الجبار على قتل هذا الإنسان القهار وبيننا هم بهمال هذا الخطاب قد أقبل عليهم نجاب الامير دياب ويده الكتاب فدخل وسلم بأفصح لسان تكلم وسلم الكتاب للامير بكار ففضله وقرأه وفهم جميع ما حواه فكثير عليه الحزن وازداد عليه نيران الغضب وأمر القواد والعساكر أن يكونوا تحت الطلوع وأمر بإحضار قلم وقرطاس ودواية وأشار بقوله

يقول الملك بكار والناظر في الحدا	ونيران قلب زائد اللهايب
فيا أيها الغادى على متن ضامر	إذا جيت للزغى دياب المطالب
فقل له بكار أرسل يقول لك	أنا كتابك يا دياب المحارب
على ماجرى بأرض كوينج وما وقع	قتلت وائل كان عز الصحايب
فطار عني وأرجع بعزوتك	ولما نبادر بضرب النواصب

قال الراوى فلما فرغ الملك بكار من كتابه أرسله مع نجاب إلى عند دياب فلما وصل النجاب إليه سلمه الكتاب ففضله وقرأه واطلع على رموزه ومعناه فزاد به الحقد والغضب وهذا الصباح أمر بدق الطبول ونفخ الزمار وأمر الرجال بالتأهب للحرب والقتال فحضرت الفرسان ركبو أظهور الخيول وساروا قاصدين الميدان وعمل الضرب والطمان هذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من الملك بكار حضر جميع العساكر والقوادس وأهمهم إلى مخرج البلد لأجل المحافظة من الأعداء والشماتة وبينهم على هذا الحال إذا أقبلت عساكر دياب فلما وقعت العين على العين نظروا الأعراض وبان إلى حومة الميدان الملك بكار فصال وجمال على أركان الميدان ونادى بأعلى صوته هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى كسلان ولا عاجز فنادى بكلامه حتى صار الامير دياب قدماه قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه وهجم على الملك بكار وصدده صدفة جباره فالتقاء الملك واصطدما اصطدام الأبطال وتطاعنا بالرمح انمحر جرح بليغ فوق دياب على الأرض فجر الملك بكار الحسام أراد أن يكمل عليه فحصله الامير محمود بن دياب وجلس به في ساحه الجبال وبقي في معركة القتال إلى قرب الزوال فرجع محمود إلى عند أباه وسأله عما جرى عليه فأجابته قد استحضرتنا الحسكيم الهندى وأعطاني شربة تمر هندي واليوم المرح خفيف بعون الإله اللطيف فعند ذلك تولى الفريقين إلى أن أصبح الصباح

يعتوره ولا حفر فيزعمو والميدان فنزل اليه بكارو ما زال هو واياه في حرب من الصباح إلى
الزوال فرجعوا للخيام وفي ثاني الايام نزلوا للحرب والصدام وبقوا على هذا مقدار
سبعة ايام وبعد ذلك اغتاض محمود وقال ربيعة رأس أن لازم أن أسيل دمه وأخذ أنفاسه
بهم النهار والحقه اليوار فلما دقت طبول الحرب نزل الأمير محمود والأمير بكار إلى ساحة
الميدان فتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف الصفاح حتى ذهقت منهم الارواح
وما زالوا في أخذ ورد قريب وبعد وكسروا نصر لقوب المعصر فاشتبهوا الاثنين من
تحت الغمار فتطارت لهم الاعناق وشخصت لهم الاحداق إلى أن راح من الاثنين ضربتين
قاطعتين فكان السابق بكار فغسل الأمير محمود تحت بطن الجواد فراحت ضربة خائبة
بعد أن كانت صائبة فاعتدل الأمير محمود على الجواد وضرب الأمير بكار بالسيوف على
رأسه فشقه نصفين وألقاه على الأرض قطعتين فوق قتل وفي دمه جديل فصاح دياب
لا شئت يداك ولا شئت بك أعدك يا محمود ورجم بني زغبة على عساكر الاعداء من
كل ميل وأبلوهم بالنل والويل ودخلوا البلد وجلس الأمير دياب على الكرسي واستلم
أمرال القامة (قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من العساكر بدق الطبول وركب
الخيول فركب الفرسان وردعهم وسار قاصدين ربيعة وتلك الاقطار فما زال سائر
إلى أن وصل تحت ربيعة فنصب الخيام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب
والخاخص وجعل يطلب عترة المال من الملك زايد بهذه الفصيدة وأشار يقول :

بجاه العذارى من هنا وسقام
يخلى الفوارس ناحيات دوام
أخربت منازلهم مع الاكارم
ورجيس مرعى فوق تل ردام
وكان شديد العزم بيوم صدام
ومصر أنخر من حارب والهام
وكم قتلنا من ملوك عظام
وكم راح منا فارسا مقدام
صاروا الذين لهم في القبور أهوام
خلا نسانا نايحات دوام

يقول الفتى الزغبي دياب بن غام
قرب محرب ماله من مناطق
سلاطين نجده قهرتهم من بعد عزهم
كسرت الخزاعي في حلب قومه
قتلنا شبيب بوسط قصره
ولما جعلنا مصر اثنا ملوكها
وردت عقيده القوم بن متوج
ويوم تونس ياما قد جرى
جاء أبو خريبة إلينا واعتدى
الزناقي قتل ثمانين أمير محرب

نزل لي خائفة فوق خطره مبرشة
بقينا عشرة أيام والحراب بيننا
ضربته من فوق مهره محجلة
وبعد الزناتي اسمعوا ما جرى
ملكها وائل من قروم غشمشم
فقتلته ودعيت دمه على الرطا
ألا أيهاذي بلغ بما جرى
يدع لنا عشر المال بلاخفا
ولم كان لا يقبل جهاز بالعجل
ونملك ملككم وكل براجها
ما قال أبو موسى دياب المسمى
عضيد الفؤاد من في نهار صدام
(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه أرسله مع نجابه إلى للملك زايد فهذا
ما كان من أمره وأما ما كان من ملك بريجه بينا كان في بعض الليالي إذ رأى منام مزعج
فهض من الرقاد مرعوب خائف الفؤاد فاستدعى بالحارس وأمره بأحضار الرمال
مرو فذهب وأحضره فسأله الرمال ما الخبر أيها الملك السعيد فقال له إنني قد نظرت
مناما مهولا وأشار يقول :

يقول الملك زايد بقول صادق
لنا مدة أرغد العيش والهنأ
رأيت منام أبدل اللذة والهنأ
حلفت أنني واسع البر والفلا
فوق دياب مثل سبع كاسر
ضربني ضربة جهات على كأنا
فرحت على الأرض منطرح و
فاضرب يارمال رمالك بالعجل
كلاماً يؤرخ في الكتب سطور
بركة خمول في نفيخ زمو
بغم وحن دائم وكدور
ماتي طريحا ودمائي تقور
وبقيت معه في الخلا مأسور
مدفع مخرج من وسط وصور
أضحى دماي على التراب محور
وخبر كلام الصدق يامسرور

(تمت هذه القصة ويلها قصة السبع نخوت)

قصة السبع نخوت

وتملك بنى هلال الأربعة عشر قلعة وقصة معده بنت الزناتي
ووقوع الفتنة بين بنى هلال وحيدس الأمير دياب
وشنق الزغابة

(قال الراوى) فلما فرغ الملك زايد من كلامه والرمال مسرور يسمع نظامه ففتح
كتب الرمل وقال اعطيني الأمان يا مملك قال عليك الأمان فأشار الرمال يقول:

يقول الرمال فيما قد جرى	وعبرات عيني على الحدود حدود
نفسر منامك يا أمير فافتهم	وهذا المنام حدد على أمور
تقول إنك كنت في البر والخلا	وسمع كاسر قد أتاك يغور
فارس هرمرم بفرح الخيل بالقنا	يخلى الدما يجري شبيه نهور
يسمى أبو موسى دياب بن غام	فارس صيدع في اللقا مشهور
يحمينا بقومه وينزلون بأرضنا	ونبقى معاهم في بلا وشور
تتكون أنت وياه في حومة الوغا	وتمشي معه يا مملك مأسور
ويظفر علينا يا مملك برجاله	ويدهي الفوارس في عميق قبور
فهذا منامك يا أمير مؤكد	من يستطيع أن يدفع المقدور

فلما فرغ الرمال من كلامه والملك يسمع نظامه فتوجه إلى الديوان وجمع الأكابر
والأعيان وأخبرهم بالمنام وعن الأمير دياب وقال كيف العمل في هذا الفارس
القدام عاينا والواصل اليما فنض أكبر وزرائه وكان فارسي مشهور وبطل مذكور
يقال له الوزير ماجد وقد قال له يا مملك الزمان أنا سمعت أن هذا الفارس دياب قد
قتل الأمير وأهل مملك تحت كويج وقتل الملك بكار حاكم برج الدمع وهو قاصد
إلينا الأوفق أن نسلم له المال والخيل والجمال ولا يبيد عساكرنا ويهلك أبطالنا
لأنه معه تسعين ألف فارس من بني زغبة فلما سمع الملك زايد هذا الكلام قلبت
الدينا في وجهه ظلام وقال ويالك يا كسلان تخوفني من رجال وفرسان التي هي

عندي شبه النسوان فوحق ذمة العرب وشهر رجب ما أترك أحد ينزل إلى حربهم وقتا لهم بل أنزل إليهم وأضرب الأمير ما جده على ماله أحط رأسه أمامه فمكروه على شجاعته وسملوه رفيما هم في الحديث وإذا هم بنجابه الأمير دياب دخل ومعه كتاب رقبيل الأرض بين أيادي الملك وناولها الكتاب فلما فاضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد وقال الرسول اذهب إلى مولاك قل له لم يوجد عهدي جواب سوى السيف القرمضاب ولو لم يكن عار قتل النجباء لقطعت رأسه فذهب الرسول راخبر مولا دياب فاغتاظ الغيظ الشديد وأمر بدق الطبول فاستعدت للفرسان الحرب والنزال وساروا قاصدين الميدان وأما الملك زايد بعدما أرسل الكتاب إلى الأمير دياب تجهز إلى الحروب الطعان وسار إلى خارج البلد فينأهم في ذلك وإذا بفرسان الأمير دياب كأنها أسد الغاب فلما التقت العين بالعين نزل الأمير زايد إلى الميدان فصال وجال وطلب براز الفرسان فانهدر الأمير دياب كأنه أسد الغاب فقال الملك زايد من تكون من العربان يا أندل الفرسان فقال له لا تريد في الخطاب فما قد امك إلا حداف الرقاب الأمير دياب فأشار يده و يقول :

يقول الأمير زايد وناري بالحشا والدمر وإفاني والسعد مقبل
اليوم جيتوا لنا لخذ غارنا وندعو دماكم حالأراضى سائل
واخل سروج الخيل من ركابها وتبقى الأراضى تحتنا تنزل
أتيت الحربى يا دياب وهمتى لأجل رجالك من حمامى مجدل
وأبيد قومك بالحسام جميعهم واسقيهم كأس القضا المنزل
فوز بتمسك وارحل من بلادنا بقومك وإلا هن قريب تقتل
فلما فرغ زايد من كلامه والأمير يسمع نظامه فقال دياب يا أبو زايد خصمك
لا يروعه كلام ولا يهزم من صدام فوحق الملك العلام لا بد ما أفنكم بهذا الحسام
وأدعكم مشتتين على رؤس الروابي والآكام وأشار يده عليه ويقول :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم أنا فارس من الفرسان يوم زحام
إن أردت أن تسلم من حربى والقنا وتغوز بنفسك ولا تنضم
تسزل وتأتفى ليلا خاضعا وأعطيك اليوم منى حسن زمام

واكتب العشر من مال العرب وتكون مرتاح مدى الايام
وان كان تخالفني وترفض سميتي اتيه قبالي والتقي لعمري
فاني سافني جموعكم من مهندي وادعي القوارص في هنا وسقام
وتنظر الى عزمي وتعرف همي وتسكر يا امير بغير مدام
فلما فرغ الامير دياب من قوله للثقةوا البطالين كما هم جبالين وحان عليهم الحين
ورغى على رؤسهم غراب البين كما هم كفتين ميزان وهان تارة يتباعدا
وتارة يتقاربوا فما زالوا في هول وجد وأخذ ورد الى وقت الظلام ودقت طبول
الانفصال وفي ثاي الايام نزل الامير دياب الى الميدان فبرز اليه الامير زايد والنقي
البطالين كما هم جبالين وحان على رؤسهم غراب البين وكان الملك زايد قد استظهر
على الامير دياب فجرد الحسام في يمينه حتى حك الركاب وضرب على ظهر الجواد
واراد أن يضربه فنافاه زايد بالعمد يمينه واطاق عليه الضرب فقل دياب من
الظربة وأنت في قصعة السرج من خلف طيرتها ووقع العمدة من زايد وقال خذها
من يد الامير دياب حداف الرقاب واطاق عليه الضرب أتى على رأسه جميع اضراره
وأخذ أنفاسه وألقاه على الأرض قتيل وفي دمه جديل ثم إنه صاح بقومه ومجموعه
على قوم الأعداء فيبناهم في قتال شديد فذلك الزود الفضيذ إذ النقي الامير دياب
بوزير الملك زايد وكان اسمه نافع فتجاولا بساحة الميدان وتطاعنا باسنان الى
أن الامير دياب ضايقه ولاصقه وسد عليه طريقه وضرب يده بجليات درعه اقتلعه
من سرجه كأنه العصفور في الباشق المسور وضربه بالأرض ادخل طوله بالأرض
وارقه قتيل وحل على بقية العساكر فلما نظرت قوم الملك زايد هذه الأحوال ولوا
الادبار فقتلهم قوم الامير دياب بالانصال وفتسكوا بهم فتك الديب بالانغام
ودخل الامير الى البلد واحضر الاكابر والعمد واستلم الأموال والخناجر وجلس
على كرسي المملكة فبعد جلوسه لما شار يخبر الامير حسن بهذا :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم وروحي كالبولاد طير شرها
الا ايها الغادى بلغ رسالتى لحسن الهلالى من مر قوم هلاها
أخبرك يا أبو هل فيما جرى بأرض المغارب من عظم هولها

أتينا بريجة ونهضى أخذها
أتانا إلى الميدان يا أمير على
ضربى بيده يا أمير أبو العمد
ضيعتها وخلعت عنها بهمنى
فأخذت أنا العمد حالا وجبته
ضربته على رأسه راح يجندلا
ملكنا أموالهم وحصولهم
إلى أخبرتكم على ما قد جرى
فأرسل نائب يجيئنا بلا مل
لكى نذهب ونفقد خلاها
أتارى بها زايد كشملة نارها
كما برج مبنى فوق سورها
لو جاء على قلعة مد حمارها
فراح عمده من يمينه وطارها
وشتت علمها يمينها وشماتها
دعيت ملقى بأعلى جبالها
وأخذنا قلعتها ركل عمارها
وأطلعناك على جميع أسرارها
وادعى لنا بالنصر يا مغوارها
وتطلب من المولى الكريم أنصارها

فلما فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى الخشاب أخذه وراح
حتى وصل إلى الأوطان فدخل على صيوان السلطان حسن وسأله الكتاب ففضه
وقراه على رؤوس الأماة والسادات فشكروا فعل دياب ودعوا له بالنصر وأما
الأمير حسن استدعى الأمير رضوان وأخلى عليه وقلة وظيفة قائم مقام على قلعة
برنيجه فعند ذلك أخذ الأمير رضوان مائة أمير من عشيرته للمسير بصحبته ولما
أصبح الصباح ودع الأمير حسن وقيل يديه وطلب منه الرضا وقال مرادى أرسل
إلى دياب كتاب وأخذ يكتب إليه بهذه القصيدة وأنشد يقول :

نعم أيها الغادى على متن ضامر
سلم على الزغبى دياب وقول له
ونبوجة منها وتطلب خلاها
والله ينصرك دوما على العدا
كفرخ حمام فى البرارى فريدها
يا فارس الفرسان يوم عاربدها
بضرب السورم ثم بطن حديدتها
بحربة نبي خدر البرايا وسيدتها

فلما فرغ الأمير حسن من كلامه طوى الكتاب وأعطاه الأمير رضوان فعند
ذلك ركب وتوجه إلى ناحية بريجة وما أن سار إلى أن وصل إليها فدخل على الأمير
دياب فاستقبله وأكرمه غاية الأكرام وأجلسه على كرسي المملكة وأمر لئنادهى
أن يتنادى فى البلد باسم الأمير رضوان ويكون حاكم عليها فأمر بدق طبل الرحيل
(٢٠ — تغريبة)

وودع أهالي البلد وتوجه إلى أن وصل إلى ناحية قلعة فضرب هناك الخيام وركز
الأعلام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من النحاس وأشار يكتب إلى الملك
محمده يطلب منه عشر المال ويقول :

ما قال أبو موسى دياب بن غام	كبير القوم قيدوم الفواجع
ألا يا غاديا من فوق ضامر	يجد السير في وسط البلاقع
أوصل كناني للمسمى	الفتى محمود قيدوم الرباع
وقول له نريد العشر منك	فقدم لنا ما نريد وكون خاضع
فأوزن عشر مالك والغنائم	وعشر الخيل مع عشر البضائع
وإن خالفني فأوزن الحزن	وألقي العطن في يوم الهيازع
وأجرد في هذئ يمان	وأجى راكب على أدارع
والنبيكم على بكرة أبيكم	وأخلى دماكم مثل القواطع

فلما فرغ دياب من شعره طوى الكتاب رخته بختمه وأعطاه إلى النجاشي فأخذه
وسار يحد في قطع التفار حتى وصل لعند الملك محمود فقبل الأرض بين يديه وسلمه
الكتاب فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناها فقبلت الدنيا في صيانة ظلام والتفت
إلى الرسول قال له اذهب اعند مولاك وقل له إن ماله جواب إلا السيف القرضاب
ورمى الرقاب فسار الرسول حتى وصل اعند مولاه الأمير دياب وأخبره بما قاله
محمود فاغتاز من هذا الجواب ولما أصبح الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح
من الفريقين ولما وقعت العين بالعين حملت على بعضها الطائفتين فقام الحرب على
ساق وقدم وشابت القمم وجار ملك الموت وحكم وجرى الدم وانعجم وصار وقود
للقوم عدم وجرى للقوم واقعة عظيمة تشيب الأطفال وتقصر الأعمار الطوال
وما زالوا على هذا الحال ١٥ صباح وكان قد هلك من الفريقين عساكرها عدد
حتى دارت على قوم محمود الدائرة فدخلوا البلد وسكوا الأبواب والأمير دياب
وقومه حاصروهم من خارج السور وعنده المساء جمع الملك محمود أكابر الديوان
وقال لهم كيف العمل مع هؤلاء العربان الذين كأنهم مردة الجان فأنا مرادى أطلب
منهم الأمان فقالوا له الرأي رأيك نحن طائعين لا واسرك فحالاً استدعى بقلم

هرطاس يكتب إلى الأمير دياب ويطلب منه الصلح ويقول :

يقول حمودة من قلب وجوع لهبات قلبي زبدات نهديان
اسمع كلامي يا ابن غانم وافهم يا هر قيس وجملة العربان
إني أتيت طائماً يا سيدي فاقبل خضوعي واعطني الأمان
وربقي عندك يا أمير إلى المدي ونعيش بظلك بكل أمان
فاعفوا هنا يا دياب وسامع فإني أتيك طامعاً منها
ثم إن الملك حمودة أرسله للأمير دياب فلما قرأه عرف رموزه ومعناه أمر بالآمان
واجتمعت إليه الأكابر والعلماء وسلم حمودة لدياب الخزان والقصور وبعدما استلم
دياب الخزان والقصور ولي حمودة على تخت بشرط أن يدفع له الجزية في كل عام
وأرسل دياب جواباً أعلم حسن بن سرحان بما حصل فرد عليه حسن وقال له أفل
تاتريد خيانتك ودع باب الملك حمودة وسار قاصداً قلعة طنجة وما زال أن اقترب
إلى قلعة طنجة فأمر بنصب الخيام وجلسوا للراحة وأرسل دياب من يكشف له
خبرها إلى طنجة وقعد في أكل وشرب مدة ثلاثة أيام إلى أن رجع الجاسوس فقال
دياب ما معك من الأخبار فقال له أعلم أن ملك طنجة يقال له نايل وهو فارس
شجاع وأما أسوار المدينة فهي عالية وعساكره لا تعد ولا تحصى وقد علم بوصولنا
من الرديان وقد جمر عساكره لقتال والحرب والنزال فلما سمع دياب هذا الكلام
دق الطبول وركبت الفرسان إلى ساحة الميدان ونظر الملك نايل قوم الأهر دياب
أمر بدق طبله فاجتمع في الحال عنده ثلاثة مئيات ألف من الأبطال فخرج بالعساكر
إلى خارج السور إلى أن التقت العين هل العين فنزل الأمير درغام وطلب برار الفرسان
فما أتم كلامه حتى صار الملك نايل أمامه وقال له من تكون من الفرسان قال له
أنا الأهر درغام ابن الأمير زيدان وأنت من تكون من الفرسان فقال له أنا فارس
من القبائل ومهلك الجحافل حاكم مدينة طنجة الملك نايل ثم التقي البطلان كأنهم أسدين
وقام الحرب وزاد الضرب إلى تنافس النهار فرجع نايل على خصمه فلاصقه وضايقه
وسد عليه طوقه وضرب يده للجلبات ورعه اقتلعه من بحر سرجه وحده إلى الوراء
فأخذه قوم نايل أسير وقيدوه بالأغلال والخنازير فيروز الأمير زيدان فقتله الملك

واخذوا في ضرب الصفاح وطمعن الرماح حتى ذهقت الارواح فضر به بمقيت الرمح
 فقلبه وسدله لقومه اسيروا خذره ذليل حقيقه فبذل اليه آخر اذاه وثمانى اعدمه الحياة
 وثالث بدد ادماه ورابع غرقه بدماه وما زال يقتل حتى قتل عشرين واسر ثلاثين حتى
 قبيح الظلام ودقت طبول الانفصال ورجع الامير دياب وهو غائب عن الصواب من
 عظم ما جرى عليه من فرسانه وعلى من قتل منهم ثم شجع الفرسان على الحرب والطعان
 وتخليص الاسرى من الذل والهوان فلما أصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح
 فبرز الامير نابل الى ساحة الميدان ونادى هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز الميدان
 لا كسلان ولا حاجز فما اتم كلامه حتى صار الامير دياب بن غانم قداده وقال له
 بالهلاك فقد اتاك الامير دياب فتشائموا بالسكلام ودار في اياديهم الحسام وانطلقوا
 انطلاق الغمام فراح بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب فوقعت الضربة
 في صدر الامير نابل ارماه قتيل وفي دماه جديل فولت قومه هاربين ولما الى النجاة
 طالبين فدخل الامير دياب البلد وقد خلص الاسرى وجلس تحت طنجة وامر ان
 ينادى في البلد الامان وجمع الاكابر واسلم الاموال والذخائر واستولى على المالك
 واستدعى الامير عقيل واجلسه نائبا على البلد وخرج قاصدا طنجة وما زال مسائرا الى
 ان وصل الى سهل واسع الجنابات فسرحوا الاغنام ونصبوا الاعلام عدة ايام
 (قال الراوى) هذا ما كان من امرهم واما ما كان من الملك مزيد ملك قاعة
 طنجة فانه قد تواردت عليه الاخبار بما فعل الامير دياب من الحروب والاهوال
 فاستدعى وزيره الاكبر وكان اسمه عمر وكان هذا الوزير عاقلا خييرا وصاحب رأى
 وتدبير فقص عليه ما فعل الامير دياب بكوج و برج الدروب و نيجة واجد طنجة فلما
 سمع الوزير هذا الامر صار قلبه مثل لبيب البحر وقال للملك الا وفق ان تخلى لهم
 البلاد ونحجب دماء العباد و ترواح من هؤلاء الاوغاد فقال الملك يا اميرك ليس صواب
 وانك خائف من هؤلاء الاندال في الغد لان شاء الله اترك قتلاهم كالنلال وفي الحال
 امر بدق طبول القتال فحضرت العساكر عتده والفرسان فلما كان اليوم التالي للند
 للمصباح وبرزت الطائفتين للحرب والكفاح واصطفى الصفوف و اذا الملك مزيد
 وهو مضيق اللثام كأنه قطعة من غمام راكب على جواد اسقر فبرز الى ساحة الميدان

حارطاب ميارزة الفرسان فبرز اليه دياب وهو راكب على الشهباء قال له من تكون
أيها الفارس فأجابه دونك بجومة الميدان أنا الملك مزبد فارس عشيرته وحامي
مقيلاته وأنت من تكون من الفرسان يا نذل العربان .

عند ذلك حملوا البطلين كأنهم جبالين وغنى عليهم غراب البين مدة سبعة أيام
وفي اليوم الثامن إذ دياب على خصمه الدرهم قنطار وجذب الحسام وضربه على
رأسه فموى السيف إلى بطن الجواد فألقاه على الأرض أربعة أقسام وحمل على
العساكر ومن وراء بني زغبة ورباح وقتكوا بهم فتك الديب بالغنم ودخلوا البلد
وجلس دياب على الكرسي وضبط الأموال وجمع الغلال ووضع عليها أمير يسمى
خليل وقال له أنت تكون نائب على مدينة طنجة وتقوم مقامنا بالاحكام
وترسل لنا الجزية في كل عام وحينئذ أمر دياب بدق طبل الرحيل وجعل السير إلى
الغزة الخاتمة وكان الملك عليها اسمه سليمان فعند ما علم بقدم دياب أمر حالاً بتجهيز
العساكر فبينما هم في الانتظار وإذا بجيش دياب بن غانم فلما وقعت العين بالعين
ونظرت بعضهم الطائفتين فهجمت الفرسان وأصعدتهما الفريقان وأضاربا السيوف
ونطاعنا بالسنان لمدة عشرة أيام وفي الحادى عشر برز إلى الميدان فبرز اليه الملك
سليمان وكل واحد طبق على رفيقه مقدار ساعتين من الزمان فطلع من الاثنين
ضربتين قاطعتين وكان السابق الأمير دياب فأخذ الرمح رطعن الملك سليمان في صدره
فطلع يلع من ظهره فوق إلى الأرض فتيل فلما نظرت عساكر الملك سليمان إلى
ملكها فقبضها أبطال بني زغبة حتى شقتوهم ورجعت عساكر الأمير دياب إلى البلد
وجلس على كرسي المملكة واستلم زمامها وأموالها فعند ذلك ولّى عبد الجليل
الو باجى نائب من قبله وأوصاه بأحكام البلاد وراحة الناس وبعد ذلك حضرت عند
الأمير دياب جميع بني زغبة وذبحوا الذبائح وعملوا الولائم والافراح من الحروب
والكفاح فكان من أمر الأمير دياب في تلك السبعة القلاع وبلاد الغرب قسمته :

(هذه حرب الأمير أبو زيد مع أهالى الغرب)

(وأخذ السبعة قلاع)

واسمع ما جرى للأمير أبو زيد بعدما غادر الأمير دياب حينما قرأوا الفوائح

وتوجه كل واحد لاهله يملك قسمته أبو زيد من هناك قاصدا بلاد حبس عند الخيل
ونصب خيامه وأحاط كل البلد من جميع الجهات فلما أصبح الصباح قامت أهالي
البلد ونظرت بنى زحفان كأنهن مرده الجان فارتعشوا من هذا الأمير وأخبروا
الملك فياض وكان شديد أبأس قوى الراس فلما سمع منهم هذا الخبر هدد ووزع
وصاح على الفرسان وأمرهم بالخروج إلى القتال فركبوا الخيل وتقلدوا لأعضاه
وركب الملك فياض بمقدمتهم وخبروا خارج البلد رسداً على الدشيمان ونزلوا
عليهم كما لسع الدشيمان فلما رأى الأمير أبو زيد وقداه الزحلان والمحاكين أقبات
قدموا على ظهور الخيل وساروا يمدوا الرماح بالعرض والطول ويبنون في قتال
مغير بهذه القلاع الحصينة التي التقى الأمير أبو زيد بالأمير فياض فقتلوا بالقول
ورقع بينهم القتال والتقوا الفرسان وأخذوا في القتال ولكن قتلهم من بطان
ضربهم وأسدين كاسرين فتمت خدمتهم لهم الأحاديق وأطارت إليهم الأعناق وتعلمت
منهم الفرسان بيان القتال والطعان فما تنافست النهار حتى صار الدم جاري كأنها
هذا والأمير أبو زيد وفياض يتنصرون بالسيوف لبتار فقام الأمير فياض أبوه ضربه
الأمير أبو زيد نخل منها فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صاعقة واعتدل الأمير
وزيد على ظهر الحصان كأنه فرخ جان وضرب الأمير فياض على هامه حط
وأسه قدماه وهم هو وقومه على الدشيمان راوتى كأنه صاعقة نزاع من السماء وكل
مباصر الأعداء بالدماء وماولى النهار حتى عسكر الملك فياض وولت الأدبار وارتدت
إلى الفراد فتبعوهم قوم الأمير أبو زيد حتى دخلوا البلد ومالك الأمير أبو زيد إلى
الديوان واستلم ذخائرها وأموالها وطاعت لهم جميع سكانها وأطلع الأمير أبو زيد
إلى الديوان وجلس على كرسى السلطنة وأحضر أمير من بنى زحلان اسمه الأمير
حمزة وولاه قايم على تخت قابس ثم ودعه وسار قاعه فاقسمت وكان الحاكم ملك
عظيم الشأن ذوجند وأعوان يقال له البهلوان وكان قد وصلت له الأخبار بما جرى
للملك فياض من يد الأمير أبو زيد فارس بنى هلان فجمع العساكر والأبطال
ونصب خيامه خارج البلد وهو منتظر قدوم أبو زيد .

(قال الراوى) وما مضى ثلاث أيام حتى الغبار وغربت الخيل أقبات والطبول

حزبت والزمورافقت والرايات انتشرت والأعلام رفعت والأبطال زعقت وقوم
الأمير أبوزيد على الأعداء حملت والرجال زحفت والرماح للصدور خرفت
والسيوف والرماح قطعت والدماء دفقت وضربات أبوزيد للفرسان تحفقت وصرخاته
للجبال زلزلت ومنه الفريقين رب الخلق تعوذت من أهلك الأبطال بطعنته
وأفناهم بضرباته وأبهرهم بصرخاته وشتمهم بحملاته فبينما هو يصول ويجول
صرخوا صرختان ارتجت من عظم صرخاته الوديان وصاح أبوزيد على خصمه
وقامجاه وضربه بحسامه فيلدد أعداءه وأعدمه الحياة رجعل القبر مأواة فلما نظرت
عساكره هذا الحال وأن ملكها يمدد على الرمال ولوا الأدبار واركثوا إلى
الفرار فتبعهم أبو زيد للبلد وملك أبراجها وأسوارها وولى عليها أمير يقال
له الأمير عمران واجلسه على كرسى المملكة وأرسل أخبر الأمير حسن بما جرى
ورحل من هناك طالب قلعة مغوار هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر المنهزمين
من قوم الأمير الهملولان فأنهم مازالوا سائرين حتى وصلوا مغوار فدخلوا على ملكها
وأخبروه بما جرى له مع الأمير أبوزيد وكيف قتل ملكهم وملك قاحتهم وأخبروه
أن هؤلاء العربان هم الذين قتلوا الزناتى وملكوا البلاد وسبوا العباد فلما سمع الملك منهم
هذا الكلام قال لهم يا قوم الراى عندى أن أترك لهم البلد ونذهب إلى مدينة القيروان
لعمد الملك زهير لأن أراضينا لأحمدها العساكر وذلك من كثرة الخوف والفرع
فذهبوا وتركوا البلد وقصدوا مدينة القيروان فلما صاروا إليها دخلوا على ملكها
الأمير زهير وأخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم من الأهوال فقال لهم إن هذه
الأرض لا تكفيننا فالأوفق أن نذهب إلى الأندلس لأنها واسعة حصينة وبها قلعة
متينة فاستصوبوا رايه وسارت الرجال والأعمال إلى الأندلس لعمد الأمير حماد
وأخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم فالتفاهم بالأكرام وأنزاهم بأحسن مقام وأمر
بتحصين البلد وتبريز الخيام إلى الخارج وجلسوا بانتظار الأمير أبوزيد هذا ما كان
من أمرهم وأما ما كان من أمر الأمير أبوزيد فإنه مازال في رقابهم سائرا إلى أن وصل
إلى قلعة مغوار فخرجوا أهالى البلد وهم رابطين بحارم الأمان في رقابهم فسألهم عن
ملكهم فقالوا له أنه لما سمع بقتل ملكه هو والعساكر من البلد هربوا إلى مدينة القيروان

لعند الملك زهير وحينئذ أعطاهم الأمان ودخل البلد وضبط الأموال وولى الأمير مروان على تخت القاعة ودخل طالب مدينة القيروان وما زال ساعداً إلى أن وصل إليها فاستقبلوه الأهل وفي رقابهم المحارم فسألهم عن ملكهم فقالوا إنه ذهب إلى الأندلس فحينئذ أعطاهم الأمان وضبط الأموال والقاعة وولى عليها الأمير مسعود وأوصاه بالأحكام ورحل طالب قاعة الأندلس وما زال ساعداً إلى أن وصل إلى البلد فظفر العساكر كانهم قطع الغمام فأمر بنصيب الخيام وكان أقبل للظلام فباتوا الفريقين يتعاضدون تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والسكفاج وركبوا الجواد القداح وتقلدوا بما يلزمهم من السلاح واعتقلوا بالسيوف والرماح فبرز الأمير حماد إلى ساحة الميدان ولعب بالسيوف والأسنان حتى حير عقول الفريقان ثم طالب راز الفرسان فبرز إليه الأمير أبو زيد فانتقوا البعالمين كانهم جبلين وصاح الأمير أبو زيد على خصمه وفاجأه بضرب الحسام وأنه حتى حرك الركاب بالركاب فلاح الحسام بيمينه وقرع الضرب على الملك حماد فأنت الضربة على رأسه فقتلته فلما رأوا قوم الملك حماد ملكهم قتيلاً ولوا إلى الهرب ورجعوا قاصدين إلى البلد وهاجم الأمير أبو زيد وهجمت من وراءه بنى زحلان الشجعان وتبعوا الدشان بضرب الأسنان حتى دخلوا للبلد فنزلوا عليهم بضرب العمود وجردوا فيهم السيوف فلبتار حتى صار الدم في المدينة كالأنهار وبعد ذلك رجعت عنهم الفرسان وجلس أبو زيد على كرسي المملكة وحينئذ طلبت منهم الأهل إلى الأمان فأعطوهم الأمان وطابت لهم مكان الأندلس والقيروان وحينئذ الأمير أبو زيد وولى وطوى ابن مالك قديماً تلك القاعة وأوصاه بالأحكام وصاروا قاصدين مدينة مراكش فلما وصلوا إليها ونصبوا الخيام من حولها وكروا الأعلام فيها بلغ مالك قدوم العربان جمع أكابر دولته وسألهم عن سبب قدومهم فقال أحدهم إنهم من قوم بني هلال الذين قتلوا الزناني خليفة والعلام وملكوا جميع البلاد وهم رفقات الذين تملكوا السبعة فلاح فاحية الشرق وقد اتوا يملكوا أرضنا وبيناهم في الحدود وإذا برسل مقبل فدخل وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له إن سيدي الأمير أبو زيد يقرئك جزيل السلام وهو يقول لك إن تسلم البلد والأيمل بك كاحل بغيرك من ملوك البلاد فلما

سمع الملك عن الرسول هذا الكلام خاف الخوف الشديد وانتفت إلى أكابر البلدان وقال ما عندكم من الرأي فقالوا له الزأى عندها أن نصالحهم ونسلمهم البلد فالتفت الملك إلى العبيد وقال لهم خذ الرسول إلى بيت الضيافة وجهزوا حالهم وخرجوا إلى ملتي الأمير أبو زيد الأمرام والوزراء وضربوا طبول الملاحظات فلما رأت بنى هلال مقبائين بدون سلاح عرفوا أنهم سلموا البلد فلا قوم بنى هلال أحسن ملاقاتهم وسلموا على بعضهم البعض وضافوهم قوم مالك وقاموا أجيبهم أحسن قيام مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلب أبو زيد البلد حلا فقدموا له الدفاتر والاموال فاستلمهم أبو زيد واجلس مالك على كرسيه بشرهم أن يدفع الجزية في كل عام وبعد ذلك ودعهم وصادروا وما زالوا سائرين أول يوم والثاني والثالث بعد الصباح وصلوا إلى مدينة حصينة بالبحيرات سكنه فيها أمراج وانهاروا طيارا تسبح الملك الغفار ونظروا خارج خيام منصوبة ورايات مرفوعة مرادق مضروبة واسمها قلعة زوارة وكان يحكم عليها ملك عظيم الشأن وجندو عربان يدعى الأمير كامل وكانت قوم ملك المنهزمين قد اقبلوا عليه في عشرة وعشرين وأخبروه بما جرى عليهم من الحروب من الأول إلى الآخر وأخبروهم بأنهم قاصدين إليه في الحال أمر بتجهيز المعسكر والمهمات والذخائر وأن يحضروا الأبطال إلى ملاقات الحرب والقتال واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص وأشار ينهدد بنى هلال ويقول : يقول الفقه كامل على ما جرى له في نيران قلبه بشاعلات الضرايم فيا أيها الغادى توصل رسالتى إلى حسن سلطان قيس الأكارم وقول له الملك كامل يقول لك بأى سبب لأرضنا جيعة قادم فإن كنتم تطلب السلامة ارجع وهذا ختامك ثم ارتد سالم مرادكم قلعة زوارة وما سلكها فيها قروم ليسوا يخشوا الصوارم تبارك اختبارك الحرب في الوغى آجى كما سجع للصيد حاييم فلما فرغ كامل من نظامه أرسل الكتاب فلما وصل الفجاء لعنه الأمير أبو زيد فضعه وقرأه وعرف ما حواه فأمر بدق طبول الحرب ونزلت الفرسان تحمل الطعن والضرب فلما سمع كامل صوت الطبول أمر بدق طبله وتحضرت فرسانه

إلى ساحة الميدان فلما التفت العطاءفتين ورفعت العين على العين برز كامل إلى الميدان كأنه الأسد الغضبان وكأنه فارس الفرسان وبطل درغام وأشجع الشجعان فبرز إليه أبو زيد فتقاتلوا حتى كلت منهم الزنود وقبضت لهم الأعيان وتعلمت منهم الفرسان أبواب الحرب والطعان وما زالوا في حرب شديد يفك الزرد النضيد ويشيبه الطفل الوليد مدة عشرة أيام حتى ضجرت الأبطال من هذا الحرب والقتال وفي اليوم الحادي عشر برز أبو زيد إلى الميدان فصال وجال وطاب براز الأبطال فبرز إليه كامل كأنه الفصاح المجادل فالتقوا البطلين كأنهم قلعيتين حصينتين وأبقدروا بضرب السيوف وطعن يرغب بكل قلب ماموف حتى تحيرت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم الحرب والطعان وما زالوا على هذا الحال إلى قرب الزوال فطالع من الاثنين ضربتين قامعتين وكان السابق كامل فضرب بها أبو زيد فراحته خافية بواسطة الجبل والوى لقام أبو زيد بعزم الركاب وضربه بالسيف على هامه حط رأسه قدماه وحينئذ هجم وهجمت من وراءه الفرسان وفاروا على الأعداء من كل مكان ومالوا عليهم بطعن يشيب الأطفال وضرب يكسر الصوان إلى أن أدخلوهم البلاد فبالحال أبو زيد جلس على كرمى المماسكة وضبط الأموال واستلم جميع الأحوال وأحضر الأمير هادي ووضعها كما على قلعة زوارة وأمر بإشهاد المنادى وهو الحاكم عليها بكل حفظ وأمان وبعد ذلك جهز أبو زيد الأموال وحملهم على الجبال وأمر بندق طبل الرحيل وساروا الجيوش والمواكب والفرسان والكتائب ومعهم الأغنام والمكاسب وما زالوا سائرين يهاوون الفياق والقفار حتى وصلوا إلى عين تورزو هي بنصف الطريق فجلس لأجل أخذ الراحة وأمر ببيع الأغنام وشرب المدام وبينما هم على هذا الحال إذ طلعت عساكر دياب من ناحية الغرب الجنوبي فلما التقى أبو زيد بالأمير دياب هنوا بعضهم بالسلامة وأخبروا بعضهم بما قاسوا من الحرب والأهوال وجلسوا ثلاثة أيام وقاموا وجدوا المسير حتى وصلوا إلى تونس فلما علم حسن بقدمهم خرج لملتقاهم بالنساء والرجال وجميع الذين كانوا بالأحلال وعند ملتقاهم هناك بالسلامة ودخلوا بموكب عظيم ودارت البشائر في مجموع بني هلال وفرحت في قدمهم النساء والرجال وبعد ما استراحوا سلمهم

الأمير حسن عن الأحوال التي حوت لهم خبروه من الأول إلى الآخر بما قاسوا
من الحروب والأحوال في تملك سبعة تحوت بلاد الغرب وحينئذ أمر حسن بعمل
ولمة كبيرة وبديع الأغنام وتروق المدام ودعى إليها الخاص والعام وبعد مدة
من الزمان قسموا بلاد الغرب بينهم بالتوية بين أبو زيد وحسن ودياب كل
واحد الثلث وأما تونس لدياب من غده حساب عوض الخضرا رجع حسن إلى
القيروان وجعلها عاصمته وأبو زيد جعل الاندلس عاصمته حينئذ جلس كل واحد
بملكته بكل أمان (قال الراوي) تقدم الكلام في قصة الزناتي بأن بني هلال تملكوا
تحوت بلاد الغرب الأربعة عشر قلعة لمرجع الآن الكلام إلى سعدده بنت الزناتي
فإنها كانت باقية بقصر أبيها عند حريم دياب تقامى الدل والعذاب كما ذكرنا الكلام
لما رأت حسن نسبا وما عاد يفتكر فيها ولا أبو زيد فعملت تكتب للأمير حسن
وذكرته بخلاصها من دياب وأنها مظلومة عنده للغاية وقد سلمت الكتاب صحيحة
فجواب فلما وصل إلى حسن أعطاه الكتاب ففحصه وقرأه وعرف رده وزه ومعناه
فتغيرت منه الأحوال وأحب به للغضب بالحال وحينئذ أرسل عبده جود إلى أبو زيد
وأخبروه بالقضية فخالا أبو زيد ومعه خمسة آلاف فارس من بني زحلان كأنهم من
الجان فلاقاه حسن وسلم عليه وبعده ارتاح أبو زيد قال للأمير حسن حتى أرسلت
لي فحينئذ أعطاه كتاب سعدده فلما قرأه أمر بإحضار النجباء فلما حضر بين يديه قال
له أخبرني سعدده أنا بعد ثلاثة أيام تسكون عندها فسار العبد وأخبرها بأنهم
أتين ليأخذوها فقروحت وقامت تنتظر قدومهم وأما حسن وأبو زيد ركبوا في ثاني
الأيام وساروا حتى دخلوا إلى تونس الغرب فلما نظرهم دياب نزل ولا قاهم بالترحيب
والإكرام وأدخلهم القصر وذبح الذبائح وأقاموا بضيافته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع
قال لهم دياب لقد شرفتوننا بمنازلكم وكان الواجب أرحل أنا الأول إليكم وأقدم
الواجب على فقال حسن نحن ما أتينا إلا لأمر مهم ثم أشار يقول :

يقول حسن الهلالي أبو علي	ولي قلب من جور الزمان كواه
ولي عين طول الليل لا تألف السكر	ودمعي فوق خدي سحابه
يا دياب الخيل اسمع مقالتي	واصغى لقولي وافهم معناه

نقلت الزناني كان هذا مقدور
 وجبت رحلك فرق باب تونس
 ومن بعدها قد كنت حاكم مكانه
 فان عطيتنا تلك الغرب رمهما تريده
 تأخذت تونس بدل خضرة أصيلة
 وسعدته بقت عنده وديعة لينا
 طلبت منها أن تكون حايلتك
 وجعلتها عند الجوار لخدمتك
 عيب ترى هذه الفعال جميعها
 سعدته مرادى أخلها لضعونا
 وهي وثيمة يا دياب بن غانم
 ما قال حسن الحلال أبو علي
 فلما فرغ حسن من كلامه ودياب يسمع نظامه اغتاط دياب الغيظ الشديد من
 ذلك ولكنه أخفى الكمد وقال ان سعدته باقية كما هي وأما قولك إني طلبت أن
 أتزوجها فهذا كذب فقال حسن هذا كتاب سعدته اقرأ فقرأ دياب واغتاض أكثر
 من الأول وقال يا حسن هذه سعدته بوراقة وحالته فالتفتون أبوها لا يكون فيها
 خير لا حمد قالوا جب اذلاها فقال هذه خطيبة أخويا هرعى فاطلب أن تعلمني إياها
 ولا يقع بيننا أسباب ما هي في حساب فعندها أشد دياب يقول :

يقول الزغي دياب بن غانم
 ولي همة في الحرب ان قام سوقها
 يا أبو علي اسمع كلامي وقصتي
 لما دخلنا الغرب يا أمير أبو علي
 فقلتم دياب الحيل يرعى جمالنا
 ففتحتم مبادئ الوغا مع خليفة
 ورجعتم عمامم للزغابة حيلة
 ولي عزم أمضى من حسام شقاه
 ادعى دم الأبطال شبه قناه
 اصغى إلى قولي وانهم معناه
 نسيتهم فعالي واخترقتم علاه
 ونحن نكون للزناني بلاه
 نعم أبو سعدته شديد لقاه
 دعاهم أبو سعدته بسيفه هفاه

قتل يدين الخيل عالى ولأخوتى
 تسمين أمير من قراني قتلهم
 قتل عقل سلطان الفوارس كلها
 فوالله أرض الشرق والغرب كلها
 مضى عقل ونصر وأنا كنت غالبا
 ولما هجرتكم من خليفة وحربه
 بعثتم براقع شعور بناتكم
 منك ومن أبو زيد فهم تقولوا
 وجيتكم من فوق خضرا كريمة
 لقاني أبو سعد الزناني خليفة
 ٣ شعور السكون عافت بيننا
 قتل خضرتي تسمى المدايني كلها
 طعنته بحربة مثل نار تنطق
 وراح أبو سعد قتيلا على الرحي
 تقول عظموني لملك ملك
 وتوختني من أجل بنت خليفة
 طعنها لملح هذا حمارها
 تقول تأخذها لعندك يا حسن
 أنا قلب السكوى وأنت خاتمها
 ملكتكم الشرق والغرب كلها
 فهذا أبو زيد حاكم بيننا
 ما قال الفتي دياب ولد غانم
 زيدان مع بدر الأمير سواه
 وأبو زيد ناظر لا يريد طفياء
 فيالهي يا عقل روح هفاه
 فيالهي يا عقل روح هفاه
 هو ابس لسوق الخيل وقت لقاء
 وقت ما غير أبو موسى يلقاه
 وما جيت لى بجيتين سواه
 يا للوحى يا أمير زفى تعاله
 فالجرى يسبق برقاها ولهاها
 من فوق أشهب مثل طير بلاه
 وياما جرى بيننا ودعاها
 وقت على الخضرا أكبر بكاه
 فى وسط عينه نفدت من قفاها
 وراح الخضرا حبيبتي معاه
 أخذته بضرب السيف والقناه
 إذا كنت أرضاها فيهض نساء
 وهذا جزاء من يخون أباه
 وهذا ترى ما لا يصير والله
 والجر تحرق فى مكان وماء
 وما بان لى معكم جميل تراه
 واهى لى لىكاه يا حسن أرضاه
 ومن يعاندنى الحسام دواه

ثم أرادوا أن يهجموا على بعض فنهزم أبو زيد وقال ما هذا الفعل تنفعلوا لأجل
 بلست عندى رأى حسن فقال الأمير دياب ما هو نحن نوضعها فى مكان بعيد فى آخر
 الميدان ونقف راكبين خيولنا بأول الميدان ونطلق الأنة فالذى يوصل إلى سعد

قيل الآخر تكون ملكه ويأخذها وقصد الاسمر أن يأخذها عنده وقال في نفسه
 إن خضرة دياب ماتت لابنتها صغيرة ما هي مثل خيلنا وأخذتها أعطيتها الحسن ويمنحهم
 الشر لأننا ضيوف عند دياب ولا يليق أن نأخذها عنهم رضاه فقال الحسن وضيت
 ودياب رضى أيضاً ثم انفقوا على ذلك وفي اليوم الثاني أحضر واسعه إلى الميدان
 ووافوها في آخره ووقفهم في أوله وأعطوا البعضهم إشارة فخرجوا كأنهم لشاب
 وكان دياب راكب الشهباء ابنة الخضر أو كانت أحسن من أمها فراحت أمام الجميع
 ومن خلفه الاسمر الآخر على الحصان وكانت المسافة مقدار ساعة فلما وصل إليها
 قالت له سمعه أنا أأخذك يا دياب وكان الاسمر علمها أن تقول ذلك فلما سمع كلامها
 هرب المضمون فشر حسامه فخرجها جرحاً بليخاً فصار به حسن وقال ماذا عملت
 هكذا يا دياب قال أنتم قاتم ان الذي يسبق إليها تكون ملكه وهي صارت ملكي
 فما تصرف كيف أشاء وبما أنها خائنة لأريد أن أبقيا عندي ثم نزلوا إلى سمعة
 فوجدوا فيها روح فملوها وساروا حتى دخلوا القبر وان واجتمعت البهائم والنسوان
 لما عرفوا بقتل سمعه وكذلك مرعى فانه مزق ثيابه وتلف شعره وسار كالجنون
 وأما سمعه فانما فتحت عينها من حلاوة الروح وأشارت تودع الدنيا بكلام
 يفتت الاكباد حيث تقول :

أنا كنت أسعد الناس كلها	شبيه القمر إن بان تحت غمام
مولعة بالعز والغنى والصبا	أنا وأنى في لذة وأنعام
فلما أتى أبو زيد للعرب ردها	ومعه أمانة خيرين كرام
علمت بهم من قبل أن يأتوا بلادنا	ضربت تحت الرمل والافهام
جهلوا إلى سلطان قابس الضحى	وأبو زيد من سحر الليالي نام
أنوهم هيد السود وقفوا حولهم	وهم ساحبين خناجر وحسام
وشدوا أيادهم كئافاً إلى ورا	وأخذوا صوارمهم مع الاغنام
وقد عرضوهم للزنانى خليفة	ملك ملوك الارض كالشرغام
نهرهم وقل جيتم تزودوا بلادنا	فقالوا نحن شعار تقصد الاكرام
غفلك شاحوهم يا هيد ثيابهم	وامضوا بهم إلى المشنقات قوام

برادى عليهم فى شوارع تونس
 فظليت من شباك قصرى أشوفهم
 تعاقبت فى مرعى لمسا نظراته
 وقد أصابت نار الغرام بضامرى
 نهضت أنا من منزلى فهو والدى
 غشا ذنب شعرا أمرت بقتلهم
 فقال جاءوا يزوروا بلادنا
 أشرت على أبويا شور أطاعنى
 لبست من اللصندوق ثوبا ملدهبا
 برقى وسط قصرى يا أمير وضعتهم
 وقالت لهم لا تمهلوهم والنبي
 وجبت لهم من كل ما يشتهونه
 إذا لف مرعى الشاش من فوق
 أشوف وجهه كالللال إذا بدا
 مضى ومضى زهدا وأبو زيد عائدا
 وهدم تسعين ألف ومثامها
 زرعوا أرض تونس والبساتين كلها
 قتلتم أبويا ثم أخذوا بلادنا
 تملأكم تونس وقابس أرضنا
 وما نلت من مرعى غناى وبغيت
 يارب من كان السبب بفراقنا
 قد أحرهونى لذة العيش والهنأ
 فلا تلومونى الصغيرة إذا بكى
 زرعتم جميلا قابلونى بضده
 أيا أبوعلى قد كان منى تهاكم

ودلوا حبالا ما كنات برام
 وأنا مثل بدر مستهل تمام
 سلب مهجتى والقلب منه هام
 وقد هاج بليلى وزاد غرام
 وفلت يا أبى لا تكن ظلام
 مساكين فقراء كلهم أيتام
 اسكى ماسكوها فى قنا وحمام
 ومن يأن الأثى بروح عدام
 وأرخيت من فوقه رفيع أكام
 وأبو زيد قد راح يهيب أغنام
 عليكم هنى ألف ألف سلام
 من اللبس والشاشات والهندام
 راحة فيقطع حبلى ما أطوق قيام
 وجهته تضوى كبدر تمام
 ومعه جموع مثل فيض غمام
 وتسعين فى تسعين ألف همام
 وابنوا بيوتا عالية وخيام
 قنله الفتى الزغبى أبو غنام
 ولا تحفظوا لى يا كرام مقام
 نسيتى ولم يرعى إلى زمام
 يقتل وفوق الأرض دمه يعوم
 وشلى تفرق مابقى له لوم
 أبكى على أهلى وكل عموم
 وكيف عن زرع الجليل يضام
 وملككم حشرين تفت تمام

فما عاد إلا الموت يا أمير أبو علي سأرحل عن الدنيا بغير مرام
يا أبو علي مات لي مرعى أشوفه وأودعه قبل أن أذوق حمام
يا ليت أبقى لمرعى خديمة وأكبس لرجليه بوقت منام
يا أمير جازي دياب بفعله ولا تتركه يرتاح يا مصمام
مديح لأولاده على صحن صدره وهن بعدها يعنى بلا مقام
يارب جازي من سبب موتي وأنا بعز عمري ما بلغت مرام
تقول الصغيرة بنت سلطان تونس عليكم منى ألف ألف سلام
فما فرغت سعدة من كلامها حتى شمت شمة واحدة وماتت فقما واعليها الصباح
واللواح ثم غسلوها ودفنوها وصار حسن في قلبه من دياب نار الانتهاء وأما دياب
فانه طغى في الحكم لأنه ملك في آخر عمره وكان يبغض على أهل العرب وهم كلهم
يبغضونه وما عرف كيف يصرف بالملك فأفسد عليه أهل بني زغبة وصاروا يوشونهم
حتى صاروا أكثرهم يبغضوه ولكن ما أحد منهم قدرا أن يحكمي كلمة لا لهم يخافون من
بأسه وسطوته وداهت الاحقاد بين دياب وحسن وأبوزيدوا كثر في الظاهر كانوا
يظهرون المحبة والمودة ويخفوا ما في قلوبهم .

(قال الراوى) هذا ما كان من دياب وبني هلال واسمع ما جرى إلى زعيمة
سيف للغرب أخت الزناتى فانها لما علمت بأنه وقعت البغضة في بني هلال قصدت
أن ترمى الفتنة بين الأمير دياب والأمير حسن وفي الحلال جمعت عشيرتها وأخو
والعلام وقال لهم يا قوم لقد فقدنا أخى الزناتى والعلام والجايلى بن مقرب وفتحوا
بني هلال الفتوحات وملكوا السبعة نخوت بلاد الغرب وما خلوا ما جاء لسكن فيه
قد حزننى موت سعدة ابنة أخى وكسرت ظهري وكانت كل أملى فيها أن تعزى
وتكون ما جاءنا فالآن مرادى أتوجه إلى بلاد بني هلال وأرمى فيهم الفتنة فقال
لما أخو العلام يا ست زعيمة نخاف عليك من أبوزيد لأنه حيال مكار وعكره غلب
مكر المغارب فقالت لا نخاف على من هذا القليل وحملت وودعت قومها وسارت
إلى عند بني هلال بصفة شاعر ألف ترمى الفتنة بينهم وما زالت مسائرة حتى وصلت
إلى تونس الحاضرة فدخلت على الأمير دياب فلما است يديه وسلمت عليه وقالت له

يا أمير قد شرفني سلامتك وفرحت بقتل الزناتى لانه أكثر أعدائى قتل
أهل و يتم أولادى وأخذ مالى وعدت حريئة غريبة فى أقصى البلاد فلما علمت
أنه مات ركبت ناقى وقصدت منازلكم العامة وأنا عندى هذه الارض
والبلاد عين سلوان وغيط البهرجان وأنا خاطرى أقسم لك هذه البلاد ويكون لك
الغيط من قسمتك فانه يكون لتمام حظك عين سلوان فقال لها ما يكون هذا
الغيط وفى أى بلاد فقالت له غدا صباحاً نتوجه وأريك إياه وبقوا يتحدثان
عن الغيط إلى أن أصبح الصباح فركب الأمير دياب فى جماعته والمعجوز
وجدوا بقطع القفار إلى أن وصلوا إلى ذلك الغيط فانبسط الأمير دياب والشرح
لما نظروا تلك الغدران التى تدهش البصر وتلك القصور العامة والأشجار الفاخرة
وصار الأمير دياب فى غيظ البهرجان وعين سلوان يعنى الأثمار ويقطف الأزهار
وأما المعجوز فانت إلى الأمير دياب أرجو أن تسمح لى أن أذهب إلى عند أولادى
وأخذ لهم حمل من الفواكه فقال لها إفعل ما بدالك ولكن لا تطولى علينا غيابك
يا أماء فحينئذ أخذت ست العرب من أنحر الأثمار الغيط وذهبت إلى عند الأمير حسن
والامير أبو زيد وجدت فى المسير حتى وصلت اليهم وسلمت عليهم وقبلت يديهم
وقدمت لهم الهدايا وأشارت تومى وتصف لهم الغيط والبهرجان .

(قال الراوى) فلما فرغت من كلامها والامير حسن والامير أبو زيد
يسمعوا شعرها ونظامها وقع الحسد فى قلوبهم من الأمير دياب ثم انعموا على
المعجوز وأصرفوها فى حال سيئها وقال الأمير حسن والله يا أمير أبو زيد إن
الامير دياب حاز أنحر ملك العرب وعرادنا أن ترتب فى الأبطال نقصد فى عاجل الحال
وننظر هذا الروض وصار حسن يخبر أمراء العرب على الفتك بدياب وفى ثمانى الايام
جمعوا الفرسان والأبطال وركب هو والامير أبو زيد وهازلوا سائرين إلى أن
وصلوا عند الامير ودخلوا غيظ البهرجان وعين سلوان ولما نظر الامير حسن وأبو زيد
هذا المنظر وعلموا القصر وجميع ما ذكرت عنه المعجوز تعجبوا غاية التعجب ولما علم
الامير دياب بمضورهم لاقاهم وقال لهم الامير أبو زيد يا أمير دياب نحن ما سكن البقرة
من ذنبها وأنت تحلبها فقال الامير دياب باذن الله أعطى من يمنع وإذا منع من يعطى
(٢١ - تغريبة)

فقال الأخير أبو زيد فان شئت يا أمير دياب تعطيني هذا الغيظ إلى الأمير حسن فاقال
دياب بذلك فاتفق أبو زيد من دياب وشاف الجمال وهجم على بعض فهدموا الاسوار
وردموا الاييار وكسروا الاشجار ولما نظر دياب هذه الافعال غضب في الحال وجمع
بنو زغبة وبنو نصف الليل حضر ثلاثمائة ثعلب ودهنهم بالزفت والسكبريت وشعلهم في
أذنابهم وأطلقهم بين زرع بني هلال وكان أيام الحصاد فاشتعل الزرع وأعب في بعضه
البعض فوصل الخبر إلى الأمير حسن فخرج بقومه ليظفوا الحريق ولكن كان
احترق أكثره وما بقي إلا القليل فغضب حسن وعرف أن هذا الفعل فعل دياب فجمع
قومه وراح يستشيرهم على حرب دياب وقال الجميع الأحسن أن نرسل وراه فان
أطاع السلطان يحرم قتاله وإن أبى تركب إليه جميعاً في عاجل الحال أرسل نجابكم
استدعي دياب فلما وصل النجاء أبى ولم يحضر وأشار يكتب إلى الأمير حسن يقول:

يقول أبو موسى دياب بن غانم	صحيح كلامك يا أمير دياب
اسكنك قلبت حظي وقيمتي	وأصبحت في قلة وقول وواب
تعت لي راعي الجمال يجين	كأن عقلك من دماغك غاب
إذا لم تجي ألفين وألفين مثلها	مشاة ركابها مع الركاب
ما جئت لك ولو كنت من ما نسكن	لا والله ما لك إلا وطلب

فلما فرغ دياب من الكتاب أعطاه للنجاء وقال له أعطيه إلى الأمير حسن
فأخذه وسار حتى وصل إليه فقرأه على رؤوس الامارة فقالوا له الجميع اقل
ما تريد فعند ذلك أشار يحثهم على حرب دياب وقتله يقول:

يقول الفتي حسن الهلالي أبو علي	ولي قلب من جور الزمان ملان
فأقول لكم يا قوم في ولد غانم	دعانا بلا قدر كالفسوان
قتل أبو سعد وحنان عهودنا	فلا خير للصحاب في خوان
فقروا ودقوا طبول حروبنا	نأخذ بتارات لنا بستان

فلما فرغ حسن من كلامه وبقية الامارة يسمعون نظامه قالوا كلهم الحق
على دياب غدار وما علاج الغدار إلا ضرب البتار كل هذا وأبو زيد ساكت
فقال له حسن لماذا يا أبو زيد أنت ساكت فقال أبو زيد أنا لا أرى من الموافق

فقاتلوا دياب لأنه منا وفيما ولا أحب انفي بعضنا ونحن طول عمرنا عابدين سوا
ودايما أنا وهو فتعاون على الخير والشر فإذا حاربه فاما أن أقتله وأما أن يقتلني
ومن قتل منا فحسره بنى هلال وأنا الرأي عندى أن نصلح بينكم ويذهب كل شيء
إلى سبيله فقال حسن أنا لا بد من قتاله لأنه ما كفاه خارج عن طاعتي ووضع
وعنه فوق تونس ليرقنا من تحته لأنه استخف بنا جدا وقتل سعدته خطيبة مرعى
أمامى وهى صارت من حريمنا وقد طمع فينا وأراد أن يأخذها فقال أبو زيد
أنا أروح معكم واسكن لا أقاتل بل أصلح ثم لهم جمعوا قومهم وذهبوا إلى قتال دياب
فلما وصلوا إليه وعلم بهم خرج بقومه لقاتلهم فلما التقوا الجيوشين وبرز حسن إلى
الميدان فبرز إليه دياب فالتقوا البطالين كأنهما جبلين وحان عليهم الحين وغنا على
رؤوسهم غراب البين وسار الغبار وسد منافذ الاقطار وقد حثت حواجر الخيل نار
وكلت منهم الزود وزهقت منهم الكبد وأطلقوا الأعنة وقوموا الاستمعدت
لهم ضربات مثل مطرقات الحدايد مقدار ساعة من الزمان طلعت من الاثنين
ضربتين قاطعتين كان السابق بالضربة الأمير دياب وقعت ضربة على فرس حسن
نزات حل جواده كالأندم فأدركه أبو زيد وخلصه وأما مرعى فإنه لما نظر الساطان
قد وقع على الأرض أراد أن يهجم على دياب ضربه بالحربة جت على لبة فخلده
فأرماه إلى الأرض ثم أن دياب بعد ذلك لوى عنان جواده ورجع قاصد بلاده
وما حد تبعه ثم اجتمع بقومه وقال لهم عرفتم ما قد صار بيننا وبين حسن فما
الرأى عندكم قالوا الرأي عندنا أن نرجع وتغيب لك مدة من الزمان حتى تصلح
الأحوال ويروق البال لأنك تعديت على حسن وعلى أخيه مرعى وربما حشرت
الأمير أبو زيد فتوقع الحروب وأحوال رافقنا بعضنا وتشمت الأعداء فينا فقال
لهم الأمير دياب لا أرحل من هذه البلاد ما لم أقتل حسن وما قدره الله يصير فهذا
ما كان منه وأما حسن قام من وقته رجدا به ميجروح لحمله مع قومه وأخذوه
إلى القيروان وصار الأمير أبو زيد يلوم حسن ويقول له أنت تعديت على دياب وكان
هو اذك تقاتله وهذا أخونا من الموافق أن تصغوا أقول وترفعوا الحق بينكم
ثم إن أبا زيد أصلح بين حسن ودياب واسكن بقبعة البهضة كائنة في قلوبهم إلى

يوم من الايام جمع حسن قومه وسادات هديرته وقال مرادى ازف ابني مره
على عطر بذات ابر زيد فنادوا في جميع العربان مدد العرس شهر تمام لا احدياً كل
ولا يشرب إلا من عند حسن فلدبح حسن الدبائح وعمل الولائم ثم استدهى في
عشرين فارس من أولاد عمه وقال مرادى أرسلكم إلى تونس لتعزموا دياب وكتب
له كتاباً يعرفه فيه بالحضور وطلبه إلى أمير من أولاد عمه وقال لهم لا ترجعوا إلا
ودياب معكم فأخذ المسكوب وصاروا يقطعون الروابي والمضارب قاصدين دياب
وأما دياب في تلك المدة حلم حلمًا هالكا فاستدهى ابن عمه مسلم فلما حضريه يديه
سأله عن الخبر فأشار يعلمه بهذا القصيد :

يقول أبو موسى دياب بن غانم	الايام ما تبدى بيوم سعيد
ورأيت مناماً يا أمير مسلم	أسكد علينا غاية الشنكيد
ورأيت خلخالاً على الساق فضة	يدور على الرجاين بالتوكيد
ورأيت جماعة من الرجال عدمهم	وما شفتهم بالعين يا صنديد
ورأيت إني وسط قاعة مربعة	ومصفحة أبوابها بحديد
فسر لي منامى يا أمير مسلم	واشرح منامى يا أمير وكيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التفت زيان إلى عمه دياب وقال له
لا تفكر يا عبي لأن هذه أضغاث أحلام ما هو إلا من ثقل الطعام وبعد مدة من الزمان
أقبلوا عليه عشرون أمير من عند حسن فدخلوا وسلموا عليه وأعلموه عزيمة حسن
وأعطوه الكتاب فلما قرأه عرف رموزه ومعناه السر وانشرح صدره وأسلمهم عن
صحة الأمير حسن وأبو زيد وعن أخته نافلة وعن بقية نجب بني هلال فقالوا
الجميع بخير يهدوك السلام والتحية وكان قد سمع بهذا الخبر فلا ظن بسوء فقال لهم
التي بعد ثلاثة أيام إن شاء الله أكون هناك فسلموا على الأمير حسن وأهدوه
من جزيل السلام ولما كانوا كدوا بحيشه رجعوا وأخبروا الأمير حسن فلدبح حسن
الدبائح وأولم الولائم واجتمعت القبائل عنده وهم في بسطوا وشرحوا إلى أن كان اليوم
الثالث نظروا الغبار من جهة تونس فارس من بني زغبة الانجاب فخرج حسن
التفاهم ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم البعض وكان دياب شيخ جليل

اللابس حبة من الحرير الأخضر وشالح على كتفه برنس أحمر وعلى رأسه عمامة من
البرفيل والارجوان ثم دخلوا على الأمير حسن فترحب فيهم غاية الترحيب وجلس
دياب على كرسي من العاج كأنه الذهب الوهاج وقومه من حواليه ثم أمر الأمير
حسن بإحضار القهوة والكاس والشراب وأحضر مائدة من الطعام مصحوبة
بألف فارس ضرغام أجلسوا على المائدة وجدوا المناسف مغطاة فرفع الأمير
دياب الغطاء عن المنسف وجده فارغ من الطعام وفيه قيود من الحديد فقال الأمير
دياب ما هذا يا حسن فقالوا الواجب أن تتقيدوا إلى السلطان بالاطاعة ولو ساعة
فعندها وضع الأمير القيود برجله وفعلت باقي الأمانة كفعله وبينما هم كذلك إلا
اندفعت فرسان دويد لداخل المسكن ويدهم الخناجر والسيوف ومن جرى من
ذلك فصار دياب كالمهوف فعندها أمر الأمير حسن بنصب المشاقق والحبال وقال
اشتق جميع هؤلاء الرجال فذهبوا سثنين أمير غانم ودياب والبقية أمر بشنقهم أما
الأمير غانم ودياب كاد تقفز مراراتهم من كثرة الحزن ولكن ما طلع أيدهم شيء
بهيبت أنهم مأسورين وخاليين السلاح وبينما هم في تلك الأحوال دخل القاضي سرور
إلى الديوان فلما رآته أخته بذلا فسلمت عليه وأشارت تقول :

تقول بذلا عند ما شطط النجا	أيا أمير عروى ثم سعدى راح
أبات طول الليل قلتي حريئة	ودمعي يجري مثل الصباح
فأول حزني فقدت بدر بن غانم	غدر خليفة الفارس المحجاج
وبأما فعل فيكم الزاني خليفة	وعابه عايبه الواحد الفتاح
طعمته يا دياب في وسط عينه	وعاد فيك بعد التعب مرتاح
وملككم حين الخطيرة تونس	وقاس وعراوة وكل بطاح
فسر أمارتكم وفرحت جيادكم	قد زاد فيكم الالاس والأفراح
وكله سعد الأمير بن غانم	قدوم زغبة كلها ورباح
يهازيه حسن بالغيب يا ابن فامد	بهنق أمانة خوين ملاح
وهؤلاء أولاد معلقين على بكر	وحبل القضايب تغلب به الأوياح
شنى الفتى زيان ومدار باطل	اشفع لنا بنزولهم يا صاح

داريهم يا ابا الحود يا ابن فايد واجرك على كريم فتاح
فلما سمع سرور كلام عمته اغتاظ ودخل اعند الامير حسن فاستاذن بتنزيل
القتلى فأمر حسن بتنزيل المشنوقين فأنزلوهم وأخذوهم بنى زغبة وأوردوهم التراب
وبعد ذلك صاح حسن على أبي الفردوس اشفق دياب فقال له القاضي الشفاعة في
دياب فقال السلطان حسن ما في شفاعة اليوم لانه حرق الزرع وقتل سعدة وعضى
وقطع الطرقات ومشى في أمور ما شافها أحد قال القاضي لدياب أنت قتلت إخوته
وحرق الزرع وقتلت سعدة ابنة الزناتي خليفة ونصبت الرمح فقال دياب نعم
قال القاضي رضى أن يلقيك يا هياب أنا ما قلت لا تغير على أحد فقال دياب أنا
مالي ثمان دهورات وأشار يقول :

ولى عزم أمضى من حسام البواتر
وأدعيتهم تحت الاراضى دوائر
نحمت الجوزيل وأنت مغلوب صابر
وكان عليهم باغيا هم ظافر
شرحت واحدة من الضماير
ووليت منه يا حسن وأنت جابر
وجاءكم خراعى عريبد ضامر
وخاصته خراعى والسود عاكر
والله عالم فى جميع السرائر
وتشهد بها سائر هلال وهاجر
وأفنى فوارسكم بضرب الدواكر
قتلت الفتى الفرمد والحق ظاهر
سلمتوني للبوش برسم الدفاتر
لى فارضيته لما أنى على البوش فاير
ومن ما لكم ما غاب فرد قاطر
وأنتم معه كالغنم فى المحاور

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم
أمر انحدر ليثهم مد عزم
وكان يحنى لك يا هلال كتابهم
بيدى قتلت الهيدى بن زائدة
دعوتك ستة أنا لى ثمانية
ومانى دعوة قتلت العقيل حنضل
وفى حلب الشهباء نصبت خيامكم
وأردى أبو زيد بن رزق ملامه
ها ثالث دهورات يا أمير أبو على
ويوم هضر حميت قيس جميعهم
فى يوم قتيل خمسة وخمسين فارس
ورابع دعوة يا أمير أبو على
وخامس دعوة يا أمير أبو على
أنى أبو خريبة معتدى يا أمير أبو على
وكان سباع البر يا أمير أبو على
وسادس دعوة ذالك مع خلية

وكبت وجهه فوق خضرة مبرمة وجاني على أشهب أقلب الخوافر
ضربته بحربة سلم الله مقاتل من حربتي تد صار لأعمى النواظر
وسابع دهوة قلت قيمتي وحظي وغارت على مالي دريد وعامر
وثامن دعوة يا ابن سرحان هنتني أخذهم غيطي كان نامي وثامس
فهذا مقدر يا أمير أبو علي ومن لا يموت اليوم يموت بأكر
فلما فرغ الأمير من كلامه والامارة يسمعون نظامه فقالوا إلى القاضي بماذا
أصدر الحكم على دياب فقال الشريعة تحكم على دياب بمهر سنة كاملة فلما سمع حسن
ذلك الكلام استدعى ابن حراح سجان وقال له خذ دياب إلى السجن فأخذه إلى السجن
ورضع قيود الحديد في رجله وعنقه (قال الراوي) ولما وصل الخبر إلى أبو زيد
أتى من الأندلس إلى حسن فسلم عليه ورحب به غاية الترحيب ثم سأله أبو زيد ما فعل
فقال له الأمير حسن ما علمت مع دياب إلا سجنه فإن كنت قتلت أولاده وعمره وأخواته
فانه قتل أخى وخطيبة مرعى وجرح مرعى وجرح قلى علمهما فاقابلته بمثل ما قابلانى
وجرحت قلبه عليهم ثم إن الأمير حسن بعث ألف فارس إلى تونس وأمرهم أن يحضروا
له خرافة تونس وسلاح دياب وأثاث بيته وكل ما فى قصر الزناتى يحضروه لخالا
ذهبوا وأحضروا ما أمرهم به الأمير حسن وقد أترك دياب الجميع وما عاد يفكر
فيه لا شريف ولا وضيع غير أهله والخلان أبو غانم ليث الميدان هذا ما كان من
هؤلاء واسمع ماجرى للأمير أبو زيد وحسن فقد طابت لهم الأحكام وراق
لديهم الزمان وأصبهم صروف الحداث .

(قال الراوي) ففي ذات يوم كانوا مجتمعين حسن وأبو زيد فى الديوان ومن حولهم
السادات والأعيان وأمامهم الفرسان قد دخل عليهم نجاب وسأل عن الأمير أبو زيد
فأمدوه عليه فتقدم وتمثل بين يديه فسأله أبو زيد من أين يا وجه العرب
قال من نجد عند الست عليا بنت حسن الجمهرى أم شيبان وهى تهديك النصيحة
والإكرام وقت فراقك هى تطلبها السادات والفرسان والآن تهديك هرسها على
الأمير نوفل فارس الميدان وقد قامت الزينات من الحى فى كل مكان وعليها غير
راضية بهذا الشأن غير أن نوفل كتب كتاب عن لسانك ما عاد لك بعلياً ما رب وما

حدث ترجع من أرض المغارب فتزوجها لمن تريد وعندما بلغ عليها هذا الخبر اسود
عينيها ثم أخرج الكتاب وباسمها أعطاه إلى أبو زيد ففضه وقرأه ولما وقف على
معناه غرغرت عيناه باللهموع فلما نظر حسن وبقية السادات وما جاورا ما جاوروا قالوا
ما جرى عليك يا أبو زيد وما هذا الكتاب فإننا صرنا بانذهال عظيم فبأنه عليك
تطلعنا على فحواء ذلك ما تتمناه فينشدنازل الكتاب إلى ابن اخته عزيز القوم لأنه كان
بجانبه فأخذ يقرأ كتاب عليا على رؤوس السادات فلما فرغ عزيز القوم وسمعت
الأمراء والسادات فقال حسن والله يا أبو زيد الحق مع عليا لأنك قطعت عنها
الخبايا وقد حرمت من رؤية أولادها وأنت ما عدت ذكرت ما من اليوم الذي
تخلصت هي والجازبة ورجعت من مصر مع أبيها حسن الجعبري إلى نجد وليس
هذه أفعال الأسراء الكرام فأجابه أبو زيد هذا هو الحق والصواب فأخذوا
العبد وساروا يضيفوه ثلاثين يوما فعصدا تحرك حج العرب للزيارة فنهض
العبد إلى أبو زيد وأخبروه بالمسير إلى بلاد نجد صحبة الحجاج فأعطاه أبو زيد
عطية ثمانية دنانير واستدعى بقلم وقرطاس وأشار يخبر عليا يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	طير أينما حكم بقلم غيابه
من البعد والفرقة ياما أصابنا	وكيف حال المرء فارقه حبايبه
أيا غاديا من على متن ضامر	نجد السير في البر تجري ركائبه
إذا جيت نجد العادية وأرضها	فسلم على عليا وباقي قرابيه
وقول له مائنية القلب والحشا	شمالك مصور في فؤادي مشائيه
ولا بد من قاضي يشرع الحكم بيننا	وبمان للمغلوب من غايه
نمذيقي بالبعد والبعد خوية	إذا حال عمر المرء تكثر متاعيه
فقال أبو زيد الهلالي سلامة وأ	ناعبه من يحفظ على العبد صاحبه

فلما فرغ أبو زيد من انشاده طوى الكتاب وختمه بختمه وأيضاً شيان واخوته
كتبوا مكانب لأهلهم والديهم وأعطوهم للنجاب رسار وامعه سفر يومين حتى وصل
من الحج للقدس الشريف ومن هناك إلى مكة والبيت الحرام وبعد ذلك رجعوا
وصار العبد يقطع البراري والقفار حتى وصل لنجد ودخل على عليا فترحب به

وسأله عن أبوزيد وعن أولادها فأجابها بكل خير وأمرها الكتاب فلما رأت
كتب أولادها نزلت دموعها وطلبت من الرحمن أن يفرج همومها هذا ما كان من
هؤلاء وأما ما كان من أبوزيد من بعد ذهاب المبدؤات بلابله وأشواقه لمفاهدة
عليها ودام على هذا الحال شهر كامل وفي اليوم الحادى والثلاثون طلب اليمض من
جنوده وأصحابه ليدافقوه لبلادهم فأتوا وقالوا نحن ما صدقنا وصلنا للغرب واسترحنا
من الطعن والضرب فاغناظ أبوزيد وطار من عينيه الشر ولحينئذ قام الأمير عزيز
للقوم فارس وحامى المهدان الذى شهد له الاقران بالحرب فى بطائق الجولان وهو
ابن خالد بن شيحا أخى أبوزيد وأبوه قتل فى مصر بتغريبة بنى هلال بواقعة الملك
فرمى ورمى عند أمه بينهما فى حمى أبوزيد حتى اشتدت أوصاله وراقى أحواله
فصار فارساً عظيماً هابته الفرسان فى الحرب والطمان وكان ابن سبعة عشر سنة أمره
لا نبات بما رضى به وكان يضع برقع على وجهه خوفاً من النساء تطرح من حسنه
فتقدم إلى أبوزيد وقال له يا خال أنا وفيقتك لنجد وكذلك يونس قال أنا معك
يا عم لنجد ففرح أبوزيد واستبشر وأيقن ببلوغ الوطن وفى ثانى الايام ودهرا
أما إيهم وجدوا فى قطع الروابي والآكام مسافة تسعون يوم وفى اليوم الحادى
والثلاثون وصل الصحراء وأرض قفرة خالية من الماء لخرقهم الظماء من شدة الحر
فى ذلك البر فى اليوم الثانى نظروا من بعد بئر ماء له علامة بذلك البئر فقصده يونس
ووجد دلو وحبل على جانب البئر وأراد صعوده فاقطع وسط البئر فهم عزيز
للقوم بالنزول فتمعه أبوزيد وقال له هلما بمرعلوه من الحشرات المؤذية فدهونا
السير إلى أن يفرجها الله تعالى فقال يونس وحبات رأسك لا بد من النزول إلى البئر
لأنى صرت على تلف من كثرة العطش فقال أبوزيد إن الروح ما هى حبيش
حتى يتلف موضعها والحشرات المؤذية لا يعرفون لا أمه ولا سلطان فقال يونس
دهلك من هذا الكلام ما حد ينزل إلا أنا ولو أشرب كأس الخما فقال له أبوزيد
افعل مرادك فحينئذ أخذ الحبل ونزل إلى البئر فلأجل نفوذ القضاء والقدر راح
الدلو وم باصعود فخرج عليه من جانب البئر ثعبان أزرق اللون شليح المنظر
وعضبه بفخذه فلما استحسن يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود وزهق بصوت

أرتج منه ذلك المسكان فغاب الثعبان عن عيونه كان أبو زيد واقف على جانب
البحر فقال مالك يا يونس وما جرى عليك فقال له لدغني ثعبان في هذا المسكان
فحينئذ نهض الحارج البهر وحسن أن قلبه قد احترق بنار السمير وشكا حاله لأبوزيد
وعزير فنزلت دموعهم حرقه عليه وحينئذ أشار إلى أبوزيد يقول :

يقول الفتى يونس على ما جرى له	بدمع جرى من مقلة العين عايم
بكيت على عزى وجاهى وهيبى	تذكر أيام مضوا من قديم
وكيفنا وجدينا السير على عجل	لنجد العديّة طالبين العلام
وكان سهرنا يا أمير تسعين ليلة	إلى أن وصلنا لنجد وقت الظلام
وصلنا إلى بير عتيق هتم	كبير وفيه الماء زايد وعائم
إلى عزير ينزل البهر هاجل	منعه أبو زيد كثر الفهايم
حلفت أن أنزل البهر قال لي	أبوزيد ارجع أو تقع في الندائم
معنى وأنا خالفتي في كلامه	ما رأيت بعملى والجزا إلا ملام
نزلت وأنا ظمآن والحرقادنى	شربت ورويت الحشا والزلاهم
مايت اللو وأنا سليم النيا	وهيبك أن أطلع لعند الزايم
وإلا بشعبان أتانى على عجل	ضربنى بنابه ثم أرمى السبايم
ضربنى بفخذى ثم أرمى مفاصلى	وغاب منى عقل والذهن عايم
أيا عم هذا اليوم آخر كلامنا	آخر مهدى يا ابن الأكاديم
ترى الموت كاساً لاغنى عن شرابه	ولو عاش مهما عاش ذاق الحمايم
ولو عاش عمر النسر يا هم بالافلا	الفسين عام والله عالم
يا عم خالفتك وجرى ما جرى	وقد كنت لنفسي يا أمير ظالم
يا أمير البدر را أنت هنيئى	وأنا عدت ضيفك يا وفى الزمايم
يا هم احضر لقمى ووسمه	لعله يبق فاضى المخارم

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والامارة يسمعون نظامه بكوا عليه بكاء
هديد أنظروا كالودع رسالت من عينيه الدموع وشهق شهقة فأسلم الروح فشقت الامارة
فياهم وزاد بكاهم وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وقبروه وهقروا ناقة على قبره

ثم ساروا حتى وصلوا لتجد عند المساء ودخلوا إلى الأمير حسن الجعبري فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق طبول والحى يهوج ويهوج مثل أيام يا جوج وما جوج فلبثوا متعجبين وإلا سرت من أمامهم عجوز شطاء لابسة حلة بيضاء خياها أبو زيد بالسلام فردت عليه السلام وبالغت في إكرامه فقال لها محل للنام يا نخبه العرب الكرام فقالت أهلا وسهلا بكم يا شعراء العرب وسارت إلى منزلها وبعد أن جلسوا قال أبو زيد مالي أرى الحى في فرح وسرور وبهجة وجور فقالت له اعلم يا أوجه العرب ان هذا عرس كريم وهو هرمس الأمير نوفل فارس الجعفل على السيف عليها ابنة الأمير حسن الجعبري المشهور وكانت سابقاً زوجة الأمير أبو زيد زحلان دريدى وكان ولدى راعى لإبله والآن متحرقين له أهديه من حين أنه نجح وسكن بلاد الغرب ولا عادله بعليا ما رب لو بصل خبر زفاف عليها لسكان يحضر ويقتل نوفل فقال لها هل لك السر موضع قالت في بئر عميق ماله قرار فقال لها أبو زيد واعلمها بعليها الخبر فلما سمعت ذلك الكلام قالت له أهلا وسهلا بعزنا وحامينا ولكن كم يحق بعليا من الفرح والسرور لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها أبو زيد وكيف نقدر بالوصول إليها وهي بين تلك الجوع الغفيرة فأجابته عند المساء تلبس عزيز هدم ابنتى لابسه وتأخذوها لعند عليا وعندها يفرز المنزل من الجميع يلبس عزيز ملبوس ونجاسة عروس مكانه وأحضر أنا وعليها طفا ولا يعلم بنا أحد فاستصوب أبو زيد هذا الرأي وعندما أظلم قامت وفعلت ذلك وعندها انصراف الجميع تقدمت العجوز إلى عليا وبشرتها بقدوم أبو زيد وهذا عزيز القوم فلما نظرت عزيز وحقق الخبر تقدمت وسلمت عليه وحببت يديه فقالت لها الآن ليس وقت سلام بل المراد منك تنزعى عيالك وتلبسهم لعزير القوم لأنه يظهر بالحسن والجمال وهو يقوم مقامك ثم نذهب أنا وأنت عند الأمير أبو زيد ففعلت وسار فلما استمر لقاهم مقباين وراى عليا لم يملك من السرور ففرج لهما قاتم وقبلاها ما بين الاعيان وشكر الله على التلاقى هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من عزيز فانهم بعد ذهابهم أخذوا ينظر قدوم العريس وبينما هو يفكر بهذه الأفكار إذ دخل عليه الأمير نوفل ولا قام وأخذ يكلمه ويحاسب بما به ومديده إليها فنفرت منه وقالت ليست هذه أفعال العرب يا قاهل

الأدب فقال ما هذا السب حتى تبادريني بهذا الكلام يا نخبة العرب الكرام فقالت له اهل
 إن العروس لها على العريس اقنوطوا أنا اليوم الذي أخذني أبو زيد أعطاني ألف دينار
 وأنت تسكون أمير وابن أمير يا حيف أبخل من تنجير فلما سمع منها ذلك صار الضياء في
 وجهه كالظلام وقفز واقف على الأقدام وأراد أن يضربها بالحسام فقامت العروس
 ومسكت العريضة ورفعته على زندها وضربت به الأرض كادت تدخل طولها بالأرض
 وأرقت به بالحبال وربطته بالعمود فتقتضى الربال وهو يدق للعذاب الأليم إلى أن أصبح
 الصباح العليم فأطلقت سبيله ودام على هذه الحال إلى أن الظلام طمعا بالوصول ولا طلع
 أحد على أمره إلى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقى نعمة الحداد وكان رجلا
 اختار عليه شيمة الوقار خياه بالسلام فرد عليه سلامه وبانغ في إكرامه وقال مبارك
 يا هريس إن شاء الله تسكون نلت مبعثك وقهرت مبعثك وأعداك فتهدنوفل من فؤاد
 حزين وصاح يا أجواد يا أكرام فصاح به عمه وقال قول من أباك ومن بسره دهاك
 فقال له اعلم يا عم وعن كاشف الهم أن كل يوم أذهب إلى العروس بنت الحرام طمعا بيلوغ
 المرام فتوثقني بالحبال والقيود وتربطني على العمود وما قد أطلعت سري عليك
 وكشف أمري إليك فأجابه الشيخ هل من يقدر عليك بالقوة فقال السيد الجليل
 لا لا يوجد أحد أن يقدر يكفي إلا عزيز القوة وهو الآن في المخارب فهل يمكن أن يأتي في
 هذه الأجانب ولا سيما يقاسون الأهوال والمتاعب فأجابه الشيخ أيها الأمير إن أردت
 تكشف عنك هذا الغم وتزيل عنك هذا الهم اصنع لك شيئين أحدهما من دم الأحمر
 من سم قبينا نذهب وتطلب منها الوصال تريد أن تكشف الخيال فاضرب بها بشيش الدم
 فان كانت أنثى تدل وتنفرد وأن كان ذكر يهوش ويتقدم فإذا رأيتهما بادرت إليك
 اضربها بشيش السم فيبذل ويقع بالندم فاربطه بالعمود وقيده بالاسل والقيود
 فشكره على ذلك وذهب البيت ومعه الشيشين فلما نظرت العروس قالت لها حضرت
 الفهرس قال لها ما عندنا يا ابنة الأندال وعندما تقدمت إليه امتكف به فاضربها بشيش
 الدم فما جئت فلما نظرها بهذا الحال التي عليه أنى عليه بالثاني فحينئذ تقدمت إليه وربطته
 من حلاوة الروح وحينئذ غير عزيز ملبوسه وتركه بحاله وذهب لعند أبو زيد
 وابلدى يعرفه ويقول :

يقول الفتى عزيز ما جرى
 وبيران قلبي كلما أقول تنطق
 من الغرب قد جئنا حقيقاً بلا خفا
 فقدنا الفتى يونس وكان رفيقنا
 وأتينا إلى نجد العديّة وأرضها
 وقالوا عرساً دايراً في بلادنا
 فقلنا من هي العروس واسمها
 لما سمع أبو زيد القول أضرب
 لبست مثل عليا وذهبت عندها
 فلما عرفتنى بسرعة قد أنت
 ولست ملبوسها بلا خفا
 أتاني نوفل عند مغرب الضحى
 ربطته على العامود وحدي جمتي
 وفي ثاني الأيام أتاني بلا خفا
 وفي رابع الأيام أتاني على ثفا
 ضربني فيا ليت أنا ضربته
 جرح القديم يا خالي ضامني ج
 وقد أخبرتك يا هلال سلامه

لهود موع هبني زایدات سكايب
 يزيد لها جورا الضلوع لهايب
 لنجد العديّة طالبين المسكاسب
 من بعده ما أظن نبأه ما أرب
 وجدنا بها الأفراح من كل جانب
 هروس الأمير نوفل من القرايب
 قالوا عليا راخيات الدوائب
 وعادت في قلبه يزيد لهايب
 وعرقها بحالي كل الطلاب
 لعنه الأسمر شيخ العرايب
 وتزايئت بزينات أم العسايب
 يريد وصال كالنسا يا عرايب
 ودعيت له أصبح يقضي العدايب
 فادهيته على الأرض مرمي غايب
 ضربني بشيش الدم يا ابن الحسايب
 ثني على بعيش من السم دائب
 رح الجديد يشد عليك المصائب
 هيا بنا نرجع لأرض المغارب

تمت هذه القصة ويلها قصة ديوان الأيتام وفيه قتل السلطان حسن
 ورجوع الأمير دياب من هند الملك جوهر الحبشي

قصة ديوان الأيتام

(قال الراوى) فلما فرغ عزيز القوم من كلامه والامير أبوزيد وعليا يسمعون نظامه فوقع مغشيا عليه لان عليه السم لعب في بدنه فخرن أبوزيد وتكدروا طار من عينيه الشرر وشوا عليه الماء حتى فاق من غشوه وصارت عليا تمرق القمصان الحرير وتربط الجروحات فالتفت أبوزيد إلى عليا وقال لها إذ مات عزيز لا أقدر أن آخذك معي لأن الطريق خطرة والمسافة بعيدة فقالت لا بد لي من الذهاب معك وإن مات أموت ولا أدع أعداءك تشمت بك فافتكر أبوزيد مدة من الزمن ثم حول على أخذ عليا معاه لكي ينطفي خبرهم ولا أحد من القوم يقتفى أثرهم ثم بدأت عليا تدهن الجروحات بالمرمم وعند نصف الليل قام عزيز من منامه وجد عليا والاسمر امامه فعند ذلك راق أحواله ويمكن له وقال لهم قم بنا يا خال نسهر قبل الصباح اثنا عشرم والنوفيق والنجاح والخمسة راق أحوالي وقاموا وركبوا معطايهم وودعوا المعجوز وأعطت عليا عقد من الجوهر يسوى ملك بنى الأصفر وجدا في قطع الروابي والقفار يسهروا بالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعين يوم قطعوا حدود نجد إلى أن وصلوا لحدود غزة وتلك البلدان الأراضى خالية من السكان وفرغ منهم الماء واشتد عليهم الظمأ فخرجوا في أسرم في تلك البعيد فقال عزيز يا خال أنا معاه دبثر في هذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فذهب أبو زيد اليه ومعه القربة ولما نزل إلى البئر وجد شيئا يتخبط بذلك المسكان وله صرخ كصرىخ الجمان فارتد راجعا إليهم وعرفهم أن البئر جاف من عهد القدماء فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقال يا خال إنى أعاهد ذلك لا يخلو من الماء لاصيف ولا شتاء ثم أخذ الرمح بيده وتوجه إلى البئر فوجد شيئا يتخبط فضربه بالرمح ونهض على الستار وإذا هو جدى ماعز غرقان فشرب وملا القربة وذهب لعنه خاله وقال ما هو ذا الماء فشربو اذبحوا للهدى واكلوا وكان يوميا أبوزيد يغفر جروحات عزيز القوم عند المساء وفي ذلك اليوم بينما كان يغفر جروحاته ظل الرباط حتى أنه يموت بأغلب الاوقات لأنه خجل من عليا فسكر في نفسه وقال متى وصلنا لتونس تلك الاطلال خبر عزيز قصتي لي كامل

الرجال فينحط قدرى عندهم لما انتصف النهار أحس عزيز قلبه اخترق بالنار وحقق
أن السم وصل لقلبه ولا فائدة في طبه فندم أبو زيد وتحسر من فعل هذا وقال
عزيز القوم سلامتك يا خال فقال ما بها سلامة ثم سألت عيناه بالدموع وأحضر
دواية وصار يكتب إلى أمه شيخه ويوصي خاله ويقول :

يقول عزيز القوم والذار بالحشا	دموع عيني زایدات سكايب
اسمع كلامي يا أمير سلامه يا	فارس الفرسان مذرى السكايب
فإن أتيت لأرض المذارب وشفتها	سلم على الإخوان يم الحبايب
وسلم على الدريد أبو على	وقبل أياديه وحب الركاب
وسلم على أولاد خالي جميعهم	وسلم على القاضي سرور الحبايب
وسلم على زيدان الأمير وأمه	وسلم على الزغي دباب المحارب
وسلم على أمي الحريته وقل لها	تبكي على بالدموع السكايب
وإن سألوك يا خالي قول لهم	غدا رمين الموت تحت الثرايب
هلموا تزي يا خال آخر كلامنا	والله يحاسبني وقف الحساب

فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وأبو زيد وعليه يسمعون نظامه فبكوا عليه
بالدموع سحاج ثم أن عزيز شوق شقة واحدة وسألت عيناه بالدموع ونظر إلى
أبو زيد كالوداع وأسلم الروح لله فقاموا عليه بالبكاء والنواح حتى ارتجت من
صريرهم الروابي والبساط ثم غسلوه وذبجوا ناقة على قبره ودام أبو زيد وعليه
يندبون عليه مدة من الزمن ثم رحلوا طالبين الديار يقطعون البراري والقفار
وقضوا في طريقهم التعب من إعترة الطرقات حتى أشرفوا على بلاد الغرب فذهب
الرهيان وأخير حسن وبقية السادات بمجيء أبو زيد فركبوا جميعهم ورجل الحى
فلما وقفت العين على العيين ترحل حسن وباقي السادات وسلموا على أبو زيد وعليه
وكان فرح شيبان وأخوته بملاقة عليا أمهم أما حسن فسأل أبو زيد على الأمانة
بولس وعزيز فعندها نزلت الدموع من عين أبو زيد وأخذ يقص عليهم ما كان
من أمرهم وما جرى فلما فرغ أبو زيد من كلامه وهم يسمعون فوقه عندهم الصياح
والبكاء والنواح وكسر السيوف والرماح وجزت شعور النساء والبسات وعاد

أبو زيد لم يزل في تبعه الرجال والنساء وصاروا يعزوه في أولاد الإمارة ويهتفون به مدته بالسلامة ودامت الناس تتقاطر على أبو زيد مدة من الزمان .

هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر دياب بعد ذهاب أبو زيد إلى نجد ليحضرهايا كتب إلى الإمارة كتابا يشتمل على ما كان عليه من نصيبه وقدمه من في السجن ثلاث سنين يقاسى العذاب المميين وفي السنة الرابعة كتب إلى حسن يقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم	ولي مجلس بين الرجال شديد
أيا غاديا مني على متن ضامر	تسلم على حسن الفتى صنديد
وقل له يا عز قيس وعامر	أيا من بسيفه ذل كل عنيد
أنا قتلت مناعه ما هي عداوة	وأنت في كل الأمور شهيد
ضربتني الميدان والسوق منتصب	وقد كان في ذاك النهار عنيد
مشينا بالصالح بالفين ناقة	والفين تبعها خدم وعبيد
من بعد هذا نافلة بنت غانم	شبهه الثريا في النهار نقيد
بعثوا لكم زياد منكم وسافروا	وكان أبو سعد له من رصيد
جو الفتى يحيى ومرعى ويونس	وأبو زيد قد وافاه التثكيد
وقال أرحموا ما عاد من نجد عيشة	ولا عاد فيها يا هلال مقيد
رجل نجمن من أرض تونس كالدر	تقول بحارا طامية وتريد
وسرنا ما بين الأرض من كل جانب	وأبو زيد قدوم لنا وقليد
وطابت لنا من نجد إلى قاع تونس	حتى أتينا إلى بلاد حديد
وجاء أبو خريبة لما لنا	وقد كان حتى بالطراد هنيد
وجاء أبو خريبة ينهب لما لنا	ونخلته نحص للتراب لحيد
لجاني سعيد العبد في الحال قال لي	أهزقنا في الإخوان يا سيد
ركبت على ظهر الجواد كأنى	أحاكى سكران بغير شراب
وجئتني إلى حرب الزناتي خليفة	وجئتني فزوع ودمها يزيد
مبتين عذرا يا هلال سلامة	ولا واحد إلا قال قصيد
يقول الزناتي اليوم أهني لقومنا	دهانا لا خلا في تعديد

وأنه إن أخذت النار يا موسى
وعمطيك أخيه الهلالي أبو علي
وندخل الكل تحت طاعتك
فقلت لهم ابشروا زال همكم
وجاني أبو سعدة الزناتي خليفة
ضربته بحربة سنها يخرق الحصا
وملكتكم على البلاد بصارمي
جازيني بالحبس يا أمير الملا
شنت إخواتي وأولاد عبي وخنة
شكيتك لله يا حسن من يوم ما شنتم
فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى حسن فلما قرأه وعرف
ما حواه صار يرد جوابه ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي
إذا جيت إلى الزغي دياب فقل له
فاصبر على حلو الليالي ومرها
وحيات رأي يا دياب بن غانم
لا بد ما أغنى جميع رجالكم
فلما فرغ حسن من الكتاب وأرسله إلى فسلم أن أميه مع حسن بالبحال ولا يلبث
مننظر الفرج القريب حتى مضت عليه السنة الخامسة فاستدعى بقلم ورق طاس وصار
يكتب إلى شبل الدريدي ويرجوه أن يتشفع فيه عند حسن ويقول :

يقول أبو موسى دياب ولد غانم
فيما ينجد في سرور وفي هنا
فجينا إلى أرض الزناتي خليفة
وتحاربنا أنا وباه في حومة الوغا
لجأنا إلى حسن الهلالي أبو علي
(٢٢ - تغريبه)

فبالله يا زحراح بلغ رسالتى لسعيد ابن فارسا وغياور
 لعله يقبل يا أمير شفاعتك وبطلعنى وتسال أنت أجور
 رحلت عن الناس يا أمير كلمهم ولا هاد يا نيني خليل يزور
 وقد أرسل حسن بنقل قيودى ولا يسلم أن الزمان غرور
 متى ترجع الأيام نرجع لأهلنا ويحدث من بعد الأمور أمور
 وأقتل حسن الهلالى أبو على ويمسى فى الوادى طعام طيور
 فلما فرغ دياب من تحرير السكتاب أرسله مع الزحراح إلى الأمير شبل فلما وصل
 السكتاب إليه قرأه وفهم ما حواه توجه لعند الأمير حسن وصار يتشفع بالأمير
 دياب ويقول :

يقول شبل الدريدى بما جرى اليوم نفسى ومالى أحد لائم
 رجبتك يا حسن وأقبل حديتى أيام ممام يا بن الأكارم
 ألا يا ابن مرجان أنت ذخري فمن من الأقارب واللائم
 فسامح عن دياب وفك قيده وصاح ذلته واحمى الحرائم
 إن دياب فى الحبس يا أمير قل حيله وحالاته تشابه حال خادم
 ووطفا وأخته فلق حزينته ينحو حوارها لم فى الحى راحم
 وأمه ضرها سهر الليالى وأبوه صار هذا اليوم نادم
 هى من شاف من نجاد العدية زمان الدول وراح هازم
 فلا تأمن صروف الدهر يا من غدا بالجود للعربان حاكم
 أنا جيتك دخيل اسمع كلامى وفك قيود أبو موسى بن غانم
 لأفك بالسخا والجود كامل فاسمع عن ذنوبه والجرائم
 فلما فرغ من كلامه وحسن يسمع نظامه قال له أنا ما نسيت قتل أخى مناع وحرقت
 الحدائق وما فعل مع سعدا خطيبة ولدى مرعى وحرقت الزرع فى تونس وروى
 البحر جان وقطع الطارق عن العرب وصار يخبر شبل بهذه القصيدة :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على والهيم ما بين الضلوع شديد
 أيا شبل نجيت تشفع فى ابن غانم يا أمير ترك دياب عام بعيد

وقتله أخى مناع أنا ما سيتها وهو كان فارسنا فق صنديد
 وحرق حداق النهر جان وغيره وخلي جميعهم بالنكيد
 وأخذ سعدا من قصرها ليمزها لجارها بالضرب والتشديد
 يمزها بالمعروف عن حرم فعله عصا وانفرد هنا وعاش فريد
 يمكن نوى يملك الغرب كله ويبقى على أمره هلال يسيد
 فان هاني وبى قتلت ابن غانم وتوكت أهله فى بكاء شديد
 فلما فرغ حسن وجمع شبل وفخر الزحراح بما قام حسن فرجع الزحراح وأخبر
 دياب بالذى صار فينشئ قال دياب لا حول ولا قوة إلا بالله ودام بهذا الحال
 حتى مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس وأشار يكتب إلى سعد
 الرباحى ويترجاه أن يتشفع به أمام حسن ليطلعه يقول :

يقول دياب من قلب مومج وهران الحشى متوقـدات
 بليت بالذل من بعد المعزة وعدت أسير من حبس الزمانى
 وابن سرحان ما يرفق بحالى وقد أمر بضربى بالعصاة
 ونقول دياب قد أمسى حقيرا ففك قيوده يا أبو الصفاة
 أما تذكرون فى سوق المنايا على الخضر فى يد قفائى
 أو قد سلمونى البوش كله ليرى فى البرارى المعيشائى
 وسار الطعن من وادى لوادى نصبوا خيلكم بأرض الزناى
 قتل يوم الوغا تسعين قوما وسكنهم قهور مظلمات
 وهدتم ترسلوا محوى الرسائل برفسج الدماء مخضبات
 لى حلت رجيت أنا من فوق شهباء عليها قتلت أبو سعدا الزمانى
 قتله والعذارى يشهدولى وأولاده ينوحوا مع البنات
 يجازينى بحبسى باهالى وإن الدهر هوما فانبات
 وأجازى إلى حسن من سوء فعله وأذوقه كما ذاق الزمانى
 وعلى هiale من بعده حيارى ويندبه النساء مع البنات
 فن هانى يبشرى السلامة كسوته من دياب المتمنائى
 فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب أرسله صحيفة النجاء فلما وصل إلى سعد الرباحى

وقراه وعرف ما حواه فحيثئذ توكل على صاحب العر والجاه وصار طالب حسن
فلما وصل اليه صار عليه وقبل يديه وأشار يتوسل اليه بخلاص دياب يقول:
يقول الفتى سعد الرباحى بما جرى وليمان قلى زائدات قديح
كنا بنجد فى سرور وفى هنا بنعم واحسان ونسب ومزاح
رحلنا من نجد فى سرور وفى هنا وقلنا من الشدة عسى نرتاح
ولما اتينا القيدوان وقابس اتوا الزناتى جاذبين سلاح
وحاكم أبو سعدة الزناتى خليفة على ظهر أشهب مثل طير راح
قتل منك يا قوم تسعين فارس وخلق العذارى فى بكاء ونواح
وأرسلتم إلى دياب الهراقع اخذتم سعد على الهجين وراح
أنا دياب الخيل من فوق خطرا وقل للزناتى ذاك مات وراح
وملككم ذاك البلاد جميعها وأربعة عشرة قلعة يا حجاج
جازيته بمهس يا أمير أبو على فما كان واجب حبسه يا صاح
فاقبل حديثي فى دياب بن غانم ففى شيخ زغبى كلها ورياح
فلما فرغ الأمير سعد الرباحى من كلامه والأمير حسن يسمع نظامه قال له يا ابن
عمى اطلب منى ماسكى فلا أعزه منك ولا تفتح لى سيرة اطلاق دياب وقال :
يقول الهلالى نادى الوجه أبو على ولى عزم فى الهيجا لمن حار يمارك
دنا ضد خصيمى يارباح ومهندى وأنا مذهى ينفى عن الفشيخ مالك
دياب يعاندنى فى الغرب بماسكه لما نصب رعه فى عين المهالك
بحق الصفا والمصطفى سيد الوفا وأقسم لمن للانس والجن مالك
الزغبة لا يد بالحسام أبيدهم واخلى أمير القوم فى الأرض بارك
ويا سعد أو نالك مقام رهبة وأنت على الافران نقر ماسك
رميتك بشورى فى بحورى عميقة لكن أنا يا سعد للمهد ماسك
خلى دياب فى السجن يرتاح خاطرى ان قام هو جملى وان أضل بارك
فلما فرغ حسن ذهب عند الزحراح وأخبره بما قال السلطان وكذلك أخبره
بذلا بما كان من أمره مع حسن فرجع الزحراح إلى دياب وأخبره بما حصل وأما

بذلك فقد أخذت معها جملة من لسان العرب بان وتوجهت نحو الصبيان وصارت تنشفح
دياب وتذكر الأهل والأحباب الذين شفقهم حتى على الأخشاب فقال لها أنا
ما كنت على نفسي حتى جهست دياب ولا أطلقه من السجن فهذا الحديث بطل
وقولك بالحال فارجمي إلى الأطلال وعو لك من المقال وكوفي من هذا القبيل براحة
بال لحينة لتوجهت مع النساء إلى محلهما أما دياب فانه ما زال يقاسى العذاب وهو
منتظر الفرج من الملك الوهاب حتى انه بلغه خور قدوم أبو زيد من بلاد نجد فقال
والله ما حدي قدور على خلاصي إلا أبو زيد فاستدعى بقلم وفرطاس ودواية من الذهب
للخاص وصار يكتب إلى أبو زيد ويقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم	ونيران قلبي زابدات ضرايم
والله يا أبو زيد بانغ سلامي	إلى حسن سلطان قوم كرام
وقول له يا عز قيس وعاصم	تطلق لنا الزغي أبو غنام
يا ما حمانا والقنا يقطر بالقنا	والأجواد من تحت العجاج مرام
لو قد علمت بأن هذا يصيبنا	من نجد ما أتينا بلاد الشام
ويوم الزناقي سميت كل طعوفكم	وقناته وأولاده وراه يتام
وما سكتكم هذه البلاد بصارمي	في حد مرهف بالوغى صمصام
نجازيني بالحبس يا سيد الملا	وقد صار بالحبس سبع أعوام
فيا ليت ما شفت المغارب وأرضها	ولا نظرت منكم لوعة وسقام
وما زال شاش الجيد يلعب به الهو	ي يشيل أسارى من سجون ظلام

فلما فرغ دياب من كتابه ختمه بختمه واعطاه الزحراح وقال له سير إلى نجد واعط
أبو زيد هذا الكتاب فأخذه وسار وجد في قطع القفار إلى أن وصل لصبيان
أبو زيد فدخل إليه وسلم عليه وناوله الكتاب فقرأه وعرف رموزه ومعناه
فكدر أبو زيد من حسن والتفت إلى الزحراح وقال له بشر الأمير وقل له متى
انقمت الزيارات عني اذهب إلى حسن واترجاه يد هو دياب فان أطلقه والا أخرجه
خصياً عن رغبته فقبل العبد أياديه وسار إلى أن وصل إلى دياب فأخبره بكلام
أبو زيد ففرح دياب وأيقن ببلوغ الأمر هذا ما كان من حسن وبقي للال الأسود

ففي يوم من الايام كان عند العربان والامارة مجتمعة عند الامير حسن في الديوان
فاخذوا يذكرون الوقائع المشهورة والفوارس المذكورة وصاروا يدحون فروسية
دياب وكيف بانه ملكهم بحد السيف الفرساب وحى البرش من الدشبان
وقتل الزناني في ساحة الميدان ويستحق أن يذكر مع الفرسان وكان موجود في
اولاد الامارة والشبان الذين لم يسمعوها بذكر دياب الا باللسان فتشوقوا الى
مهادنته وهاموا لرؤيا طلعت له ولو ساعة فترجوا السلطان وساعدوه الامارة
والنسوان فقبل السلطان حسن رجاءهم وأمر أن يأتيوا بدياب مكبل بالقيود والحديد
وفي الحال أحضره وبالمنازير وأمام السلطان أرقفوه وإذا هو أصفر اللون
بهيمة الموتى فصاروا اولاد الامارة يضحكوا عليه ووصلوا الاذية اليه فقال السلطان
حسن كيف ترى أمورك الآن بالدل والهوان فقال ما دمت راض على وبعد مداولة
طويلة أراد أن يرجعوا الامارة الى السجن فقال دياب انا شمسية تهزني ولا قمح
تسكنني بغربالك فان كان الذئب يصفي للخنم أنت تصفالي وانا اصفا لك فصاح حسن
ويلكم دياب امسكوه الى السجن ودوه فعند ذلك اخذ دياب يرتجف مظهر الخوف
الشديد فوقع على الارض مغشياً عليه كمن قارب الموت فعند ذلك ترجوا الامارة
الامير وقالوا له إن دياب في حالة النزع فأمر أن يدخلوه دار الحرايم اعند اخته
بوفلة وما أتم كلامه الا وحضرت الرجال ورفعوا دياب بكل اكرام الى بيت اخته
فلما نظرت على هذا الحال وهو محمول على أيادي الرجال صرخت باليهكاه وأنت
واشتكت ومزقت ثيابها وأخذت تقول :

حرام لقد جاوروا بالعدة وبغوا	عليها ونحن بالسكروب لسه
لقد كنا في عزتنا بنعمة	وكننا برغد ما عليه عسير
فبيننا نقامى الهم والويل والعضا	وتجرى الدموع على الحدود غزير
وقد كنت يا أمير الامارة وسيدم	كسبح الفلا بالماضيات تشهد
إذا هاج سوق الحرب كنت أميره	تسكرو على الاعداء مثل الزير
وتحتك خضرا مثل فرخ نعامه	تدق الثرى في رجائها وتطير
فما كان ظي يا دياب بن غانم	أشوفك بهذا الحال والتأخير

تعمال على أيدي الرجال كيت وتبقى تقامى الذل والتأخير
وما زالت نافلة تردد الأشعار وتسكب المعبرات حتى قتلت الأكهاد وأحنت
الاجسام فيكى معها كل من حضر والله يحق أن نعمل أكثر لأن الأمير دياب فارس
مهمته وبطل غضنفرو أخذوا يطيبون خاطره وبسلامة دياب يطمئنونها فما زالت
دمعها ولا زالت تسكبها وما خفت مصيبتها بل أسرعت وهدت إلى أخيها فرش
من ريش النعام وأخذت ترمش عليه من ماء الجذام وهو يلتفتض ويرتعش وبقي
على هذا الحال ثلاثة أيام لا يذوق طعام ولا يقابل مقام وهو يستنخم الفرصة حتى
تناصف ليل اليوم الثالث فدخل على حسن وهو غارق في منامه فعند ذلك السفرة
التي كانت معه في مدة حبسه وهو يحضرها لمثل هذا الوقت فاطرح على حسن
وذبحه من الوريد وتركه يختبط بدمه وسار يجد السير تحت ظلام الليل إلى أن
وصل إلى قومه وعشيرته وعند الصباح فرحوا به كثيراً وأسرروا لرؤيته وأدخلوا
يسألوه عن قصته وعن كيفية إطلاقه من سجن حسن فأخذ يقص عليهم القصة
ويخبرهم كيف صار من البداية للنهاية يقول :

يقول دياب قهار العداوة	وكل مقدر لا بد آتى
ومن يعمل جيلاً يحـازى	عليه بمثله فى الآياتى
أنا قاتى لآل قيس وعامر	بجد السيف يوم المسكاتى
سبع سنين لى بحبس ابن شـا	سبع سنين مدة كاملاتى
تمنى الفعل بما قد دهانى	والنحول عشش فى عياتى
فلا حسن أرمى إلى مصابى	ولا أبو زيد يسعى فى فلاتى
أنا بالحسن قاسيت البـلايا	واسكن قلب صبراً يا حياتى
أولاد الأماره قد أتونى	يسوقوا دياب عز المحصناتى
لما شفت أن السجن قصرى	أتيت المسكر من بعد الفراقى
جسمى قد صيغته بماءاتهن	وصرت أمشى وعكاز عصاتى
بى استهزؤا كل الأماره	مع أولادهم حتى البنات
والسلطان حسن لما رآنى	دعانى كيف حالك طيباتى

ونادى يا دياب دليعت قل لى
 كيف الحبس أخبرنى حقيقاً
 أجهته يا حسن والله انى
 إن كان الديب يصفى للغنايم
 أنا إن عانى رب البرايا
 ولما قد سمع القول زجر
 ونادى بصوت سياف أقالى
 ولما شفته استعملت مكرى
 والسلطان حسن لما رأى
 أنى أبو زيد مثل الغول يرى
 وهجم بالسيف للسياف لما
 والسلطان نادى يا ابن شيا
 ونحن يا حسن لسنا نطاول
 فالسلطان حسن بالحال نادى
 شالونى على الأيدى وساروا
 لما نوفلة شافعت أخوها
 أئدت على الثرى من الفرش سهج
 ثلاث أيام أبقيت المنامة
 بنصف الليل قتت بكل هزمى
 ذبحته ذبحة قد راح فيها
 سرت الليل أمشى بكل سرعة
 هذا ما جرى يا أولاد هوى
 قال الراوى هذا ما كان من الأمير دياب وهو يقص ما جرى له على أولاد عمه
 كلما سمعوا ما قاله دياب أنه قتل الأمير حسن انقلبوا أفراحهم إلى أكدار واظلم
 في وجوههم النهار وما منهم من أحد إلا أظهر الحزن والأسف وقالوا والله يا دياب

من الخنزير خالى السابقانى
 وهل أنا ما ليل مظلماتى
 بألفين حرباً أكثر عدائى
 يصفى لك على طول حياتى
 لأفتيكم بضرب المرفعات
 كسبح الغاب فى أرض الفلانى
 بيده سيف سف الزعقاتى
 وفوق أرض أنا وميت ذاتى
 نادى شيل رأسه عاجلاتى
 ويصوت مثل النايحات
 رأى على الثرى المواتى
 فعال الغدر ليست صالحات
 بقتل دياب ابن المكرماتى
 يشيالونى لأختى عاجلاتى
 لقيت أختى وروحى راياتى
 بدل تبكى بدمع الساكباتى
 وفوق اللحف لحفت لى هباتى
 والنار فى شاعلاتى
 وللسلطان قصدى بالمماتى
 وسكنته بدار الزايلاتى
 حتى وصلت أرضى مفرجات
 شدوا للرحيل الصافاتى

القد فعات فعلا منكرا وركبت طريقا ضيق المسالك والجناب وسديت في وجوهنا
 الابواب بقتلك الامير حسن ابن عمنا فكيف تجامرت على هذا العمل وهو صبرك
 وامير بني هلال وكشف شرك والآن قد أصبحنا عبرة عند العرب الذين يعملون
 الزمان فسوف يصير بنا كما صار مع جسام بن مرة والامير كليب ومن الآن
 أصبحت عداوة كبيرة بين عشائري بني هلال وسوف يصلون إلينا واسم هذا وما زال
 يمثل هذا الكلام للامير دياب كرمته نفسه الحياة وقال يا أبناء العم ورافعين
 همى وغنى لقد صار ما صار وسبق السيف العزل والندم لا ينفع من أشد
 الحشرات والافق لنا أن نرحل من هذا المكان ونوسع البر والقمان قبل أن
 تدركنا جميع بن هلال وقامت بيننا وبينهم السيوف الصقال والرماح الطوال
 فلما سمعوا كلامه وفهموا مراده قالوا إن هذا هو الأمر الأحسن لنا لئلا تدركنا
 جيوش بني هلال ويتسابق يديننا القنا فبالساعة هدموا الاطناب وأودعهم ظهور
 الجبال وأركبوا النساء والاطفال وصاروا بما جل الحال وكانوا يجدون
 بقطع الروابي والبطاح ويوسعون بالبر يتلك النواح هذا ما كان من أمر
 الامير دياب وأولاد عمه وأما ما كان من آل فليس وآل عامر عطور الحيد
 فقامت من رقاده وشارهت الامير حسن قتيل وبدمه جديل فصاحت بأصوات البكاء
 ومنزت لياها على البلاد وناحت وولولها بما يذيب الإكباد ويفتح حجر الجراد
 فترا كضت جوع بني هلال على بكاء وأسرعوا لينظروا ما قد دهاها فوجدوا أن
 الامير حسن مطروح على الأرض قتيل وفي دمه جديل فعات منهم الأصوات وسكبوا
 العبرات وأكثروا من التهديدات فسمع أبو زيد الصراخ فوئب في الحال وخرج
 يستقصي الخبر فنظر جوع بني هلال مزدحمة على صيوان الامير حسن فصاح صياح
 البكاء ومنزق لياها ورمى شاشه عن رأسه ووضع عليه التراب وأخذ ينفخ لحيته
 وتقدم إلى الامير حسن ووقع مغشيا عليه من عظم ما اعتراه فترا كض الناس وأخذوا
 يرشونه بالماء الخزام ويطيّبوا غاطره بالكلام وهو بين من قلب جريح وينوح ويصيح
 وما زالوا على مثل هذا الحال حتى جرح القلب فوق جراحها فتقدم إليه أولاد الامارة
 وأخرجوه إلى خارج الصيوان وأخذوا بخاطره من هذا الشأن وقالوا له يا امير أبو زيد

لأن بقيت على هذا الحال تفقد حياتك بدون محال فيتم على فقدك الرجال ويمثل هذا الكلام كأنه يخاطبوه حتى سكن روعه فالتفت إلى النافلة وقال لها يا نافلة أين كنت لما فعل أخوك هذا الفعـال وحين قتل سيده الأبطال وسـلطان العرب والعجم والترك والديلم فرادت النحيب والعويل وأقبلت أخته الجازية وهي تصيح من قلب وتبكي دمع منمحل كل قصاصم أو تـنـفـش شعـرها وتمزق ثيابها تضرب برأسها الحصى وهي تنـثـن أنات الحـسـنـام وتندب أخاها الأمير حسن وتقاضي لأجله المحن تقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه من عظم ما اعتراه اندرجت على الأرض كالأموات حتى ظهر أنها فارقت الحياة فتراكتها النساء ورشوها بالماء وقاموا لها على الثرى وهي تولول وتصيح حتى دعت منها كل قلب جريح قال الراوى عند ذلك طفف الأرض بما شيد عليها من الدروع واجتمعت الأصوات سائر عربان تلك الضواحي والربوع فكان يوم حزن بالله من يوم اظلمت الشمس فيه وكثر البكاء والنواح والجازية تزيد بكاءها وتندب أخاها وأشارت تقول:

تقول فتاة الحى أم محمد	دمعى جرى فوق الخلد ودوساح
فى طى قلبى المار زادت لهاها	كوى الحشى ولد طابها بجراح
بالوعنى من ترى قد ذاقها	يا نوح قلبى من كنوحى نوح
أبكى على أخ تركنى غدا	يا حسرى ما عاد لجسمى جتاح
يا حيف سلطان حسن فوق الثرى	تبكى بجندل بالدماء سباح
يا حيف سبع الغار عنا سار	لأجل بعد السبع عفى راح
يادمعنى ما ظن من عيتى نزول	والله تنقضى العمر بالأتراح
عامود ركبتى فدهبط يا نكبتى	طول المدى ما أنظر الأفراح
طير العرب يصيح فى صوت قبيح	واليوم قرى قدانى فى صباح
من بعد عزي صرت أبكى دمعنى	زادت على وما لها أفراح
الله يجازى من سمى بفراقنا	من السلطان حسن داح
شلت أياذى دياب الواغدين	ولى ونخلى دمعنا طفاح
يدعى عليه ما طار طالع الفلا	يدعى عليه ما الغصن فيه الريح راح
أبكى معى يا آل قيس يا كرام	زيدوا معى يا آل عامر النواح

يا جميع هلال سافر سيدكم ما عاد يرجع فصفرا الارماح
سيوف الهنا كسروها بالعجل ادموا الخيول ابروح الاسراح
هاتوا العاييم اصبغوها اليوم سود بحر الاسف موج الحزن قد لاج
حاكم الاقطار سلطان العرب ومدير الفرسان يوم البعد راح
يا بين ما هذا العمل فينا رميت سهر النوايا يا حيف اطلقت المجاح
ياسامعين صوتي معي اندبوا ظهري انقطع ذهب فكري كداح
قد قل حيلي انهد جسمي يا ترى مثلي بكل الناس صابته جراح
تسمين في تسمين والاف مثاه قد كنت حاكم يا حسن قوم ملاح
واليوم فارق المنازل والربوع خلقت كثر الهم بعدك والكفاح

(قال الراوى) فلما فرغت المجازية من رثائها وجموع بنى هلال ناظرين ما قدماها
ومن الهم والغم قد اعترها صاحوا عافرد اسان النكبة التي بها تسكبوا هذه البلية
التي كاس مرارتها شربنا (قال الراوى) وكنت تشاهد جموع بنى هلال الحزن الحديد
الذى ما عليه من مريد الكل شاخصون ناظرون الى جثة الامير حسن ودموعهم تهطل
على الارض كالامطار ولما هم فيه من الكرب والحزن وما كان الا وقد قدمت مريم ابنة
زهره البان الافرنجية زوجة ابو العوف ووقفت فوق رأس الامير حسن
وأشارت تقول :

دمعي جرى فوق خدي وانسكب والنار في قلبي تزيد الهم
يا بين شمت العدا فينا وما كان العهد سيف الغدر قد يتسبب
شمس المعارف اظلمت انوارها الليل اصبح بالخوف والكرب
يده العل يا حيف من فوق الثرى يبق طريقها والغراب فينا نعب
يا كوكب الاقبال يا امير حسن يا عزنا يا فخر يا منتسب
يا حيف هذا الوجه ملء الكدر يا حيف هذا البدن يغنيه الترب
فارقنا ما حل يوم فراقنا ماذا جرى بفراقنا ما هو السبب
صبغوا جموع هلال شحطك خامرين صبغوا بنا ما في الضنا اكثر الذهب
الله يجازي دياب في حال العمى الله يجازي دياب في هم وتعب

أرعى قلوب هلال في نار الظى ادعى الدموع تسيل من حر السوب
والله يقضى الليل في أمر النحيب وساهر العرور في قول العقب
ياصور مانع كان ظنى لا ما يغيب واليوم أضحي الصور فقرا انقلب
يا مشبع الجوهران يا معزى الحرين يا سيد المسكروب يا هولى العرب
أواه نارى بالحشا ما تنطقى يا نكمتى يا حسرتى تركنى ذهب
الله يلقى البين شقت شمانا الله سلب عمر من عمرك سلب
غاديا عما معك خلد القلوب أرواحنا تفديك يا حارى الأدب

فلما فرغت مريم من قصيدها والكل يسمعون تعديدها هطلت من عيونهم
الدموع كالطر وكل منهم علاه الاصفرار وأصبحوا كالأموات لما سمعوا من مريم
هذه العبارات ردوا موائى البكاء والنحيب والولولة والصراخ يومين يكون على جنة
الأمير حسن ربر مؤهبا بالقصائد العربية ويقصفون لفراقه الرماح الرنية ويكسرون
السيوف لهوى اليوم الرابع اجتمع مشايخ حلان ودريدو تقدموا إلى الأمير أبو زيد
وقالوا له اهلنا أيها الأمير أن ما قد صار كفى بكاء إن بقيتم على هذا الحال لا شك
يموتون كل جموع بنى هلال فالاحسن رفع جنة الأمير حسن ودفنها الآن كرامة الميت
مأواه وبذلك أمر رب الأرباب فأجابهم أبو زيد إلى ما طلبوا ووافقهم على
ما رغبوا وتقدموا الامارة بكل احترام ورفعوا جنة الأمير وغسلوها وبروايح
المسك والطيب رشوها وتحت التراب وضموها وذبحوا على قبره من الجزور والاضغام
ما يكل من وصفه اللسان ثم أقاموا على قبة القبر وزينوها بكل زينة وكتبوا بماء
الذهب اسم الله الأعظم وتحتته اسم الأمير حسن ثم رجعوا وأكل العربان وعملوا
مناحة لم يجر مثلها في سالف الزمان .

(قال الراوى) وكانوا يندبون ليلا ونهارا ويقولون المراتى أشعار أو كنت ترى
العربان تأقيهم من كل مكان ويعزوم على فقده الأمير حسن هذا ما كان بهذا الشأن بعد
ما انقضت أيام المنأحة وسكن روعهم بتلك الساعة فاجتمعوا في صيوان الأمير أبو زيد
وقالوا له يا أمير هلال ماذا تأمر أن نصير بأخذ نار الأمير حسن فأننا والله لا نتراجع ولا نكف
عن البكاء والنياح ولا نبرد قلوبنا الجراح لا تجمع لسائنا في الاطناب إلى أن تأخذ لهم

النار وتكشف عنهم الذلة والعار ونقل دياب بن غانم ومن معه ويجعل آل غانم مشقتين .
 في كل الاقطار لا يقر لهم قرار وتذبح فيهم كبار وصغار حتى لا يبقى منهم من ينفخ ناره .
 وتقيم الحريم والاولاد تجعلهم عبرة نسل الاوغاد فاجابهم ابو زيد الى ما طلبوه ووافقهم
 على ما رغبوه وقال لهم رحتي الركن والحجر والبيت المظهر انكم لو علمتم ما بقلبي لرأيتم
 لسكري فاني اول من يتقدم لاختد النار وكشف العار واني والله انزل في آل غانم القنا ولا
 ابغى لهم بقاء وسوف اصلب دياب على رؤوس الجبال وابقيه بأوشم حال واجعله
 هبة لمن اعتبر بين سائر البشر ولا تحسبوا سكوني التأخير بل كنت صابرا لتأخذوا
 واحتكم من البكام والتمسح والآن صار الاول بنا ان نستعد للرحيل اثر آل غانم .
 ونوقع بهم الماء ثم في هذه الليلة اذار بين البيوت بهذا الشأن واخير البنات والنسوان
 ان يستعدوا للرحيل ويبادروا للسفر بكل تعجيل فاننا بعد ثلاثة ايام نقصد آل غانم
 الى ما ساروا وتتبع اثرهم ولو طاروا هذا ما كان من الامير ابو زيد فعند ذلك
 طاف الرجال بين الاطناب واخير والقوم بهذا الامر بدون ارتياب وما مضت
 الثلاث ايام الا وكنت ترى النساء على ظهور الجمال والاطفال راكبون فوق
 الجمال والرجال على الخيول والسوابق معتقلون بالرماح الطوال والسيوف
 الرواسق وفي مقدمة الجيش الامير ابو زيد حامى جيوش بني هلال وهو
 امامهم كالاسد الريال وتحته اشهب وعليه سرج مرصع بالذهب وهو فوقه
 يموج ببحر السرج كأنه قلة من القل أو قطعة فصلت من جبل بيده رمح ماض
 السنان وعلى جنبه سيف يمان وقد أفرغ على صدره درعا من البولاد محبوك
 بالزرد هذا وقد انتشرت البيارق والرايات ودقت الطبول فسمع الحارجات
 وأخذت الخيل تنسابق والركاب مع النساء والاولاد تتلاحق وكانوا جمع كبد
 وهدد غفير فعند ذلك أخذ ابو زيد يقول :

يقول ابو زيد الهلالي سلامه والنار في قلبي تريد شمعال
 والخيل تعرف اننى ماركبها لا جعلت القوم بأوشم حال
 لي سيف ماضى الحد قطاع الرقاب لوصاب الصخر الصم فيه قلت مال
 والريح في يدي أنه يوم اللقا يروى دم الفرسان والابطال

يا الله اسمعوا بالله افهجوا يا قومنا
اليوم اخذ الثار من زغي دياب
لحدوا المرايم يا هلال تجردوا
وتذكر السلطان حسن كيف اتقنا
عادناكم بالحرب ترموا العدا
من جمال الطعن يلوى وينهزم
بالله يا قبر الذي فيه اتوضع
أهدى سلام القلب للسلطان حسن
وأهدى له ياسان محال من الزعل
وحيات عينك يا حسن لازم أكيد
لازم أطلع رأس هذا اللئيم
وأهدى أقومه بالضيق طول المدى
ما قال أبو زيد الهلال المنتسب
وكونوا سباعاً للقيا يا هلال
ذاك الذي أرمى حسن شكل
للحرب ما تسكونوا به أنزال
وكيف قد غدا والدم منه سال
فوق الثرى وتقطعوا الأوصال
هنا هندي من بني الأرزال
أين المسكارم يا أسد ريبال
وكرر الأشواق للفضال
وخبره إن هلال اليوم شال
فأخذ لثارك بالقنا نصال
دياب ولد غائم من بنا احتال
وأهى للنسا بالضيق والأهوال
في يوم سوق الحرب أنا والدلال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وجوع بني هلال يسمعون نظامه وصاحوا عن
مقدور لسان والله يا أبو زيد إننا نفديك بأرواحنا لأنك مضمحل جراحنا وما قننا ولا أحد
إلا وقلبه نار وجهه ماشق لاخذ الثار وكشف العار فعند ذلك ساروا من ساعيتهم
إلى طلب بغيتهم وما زالوا سائرين ليلا ونهاراً حتى دخلوا تونس الغرب وتلك الديار
فلافتهم أهل تونس وقدموا لهم الخضوع والطاعة وما كان في تونس إلا القليل من
آل زغي فأتوا الملاقاة واضعين على أعناقهم المحارم وأظهروا للامير أبو زيد الحرن
والأسف على فقد حسن وما كان منهم إلا وكان يلعن دياب بالشفة واللسان فسألهم
أبو زيد عن دياب فأخبروه من مدة أيام رحل إلى بلاد الحبش هو وبعض قومه فلما
سمع أبو زيد هذا الكلام صار النور لديه ظلام وأمر الجيش أن يبقوا على ظهور
الحيل فاندفعوا في ذلك البر كالسيل وكانوا بالعدد ثلاثمائة ألف فارس وكل منهم بالحديد
غاطس فجذوا في السير لآثر دياب وما زالوا يكشفون عنه إلى أن ضاق بهم الحال
ولم يغلوا أين رحل فكادوا يهلكون من الجوع والمطش في ذلك البر المقفر فرجعوا

على الاعقاب وقلوبهم من دياب فيها نار الالتهاب ولما وصلوا الى الاطلال نصبوا
أبوزيد سلطان عليهم وعلى جميع بلاد الغرب هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من
أمر دياب فما زال يقطع الروابي والقفار وأرغل على الحراش والأوطار إلى أن
وصل إلى بلاد الحبش وتلك الأفطار فسمع به ملك تلك البلاد فخرج للاقاته بكل
استعداد وكان راكب على جواد أشهب عليه سرج مرصع بالجواهر والذهب ومعه
الاحشام والاعوان والعبيد والخلمان والنساء بالدخول والمزامير وفي أيادهم من
خاص الخناجر المملوءة بالمسك الزافر فلما التقت الرجال بالرجال نزل الملك عن
جواده وترجل وهو وكل من معه وجيود دياب تحيات الاصحاب وقالوا لهم أنتم أعز
الاحباب فتقدمت الاحباب وأخذوا يرشوا عليهم الطيوب التي تشفى الكروب وعند
ذلك أرسل بهم الملك إلى المضارب والحيام وذبح لهم الجذور والأغنام وأعطاهم
أحسن مجلس ومقام وقال لهم أنتم السادات ونحن العبيد وكلنا تأمرون به عندنا
فأخذ يقول :

يقول سلطان جوهر من ضمير	ألا يا مرحبا بابن غانم
لقد شرفتنا وجعلت أرضنا	بها حلت ركاب بالغنائم
ركوب سعدنا أوفى إلينا	وصار الوقت منك اليوم باسم
تلاعب المفاخر منذ أتيتم	إلى أوطاننا يا ابن الأكارم
فنحن عبيدكم للدهر نيفاً	ألا يا معشرا للخير قائم
سمعنا بذكركم في كل أرض	عربها وتركها ثم الأعاجم
تولعنا بكم عن طول بعد	محببتكم لنا اضحت تلازم
وهذا اليوم قد شاهدنا فيكم	ليوث والأسد القشاعم
فقد طاعتكم الدنيا جميعها	لكم أصلى أهل السعد خادم
لقد طمتموا عرب البوادي	ملوك الأرض تهديكم نعمائم
أقتلتون الزناني وقد شقيتم	لمن عاداكم من المأمم
فعلتم فينا أمر مستحقاً	له تفديكم في كل أمر سالم
وقد كنا الجريرة كل يوم	لنحو الونانى بالوجه قائم

ولكن صبرنا أحراراً بهذا وما أنا إلا بكم يا آل غانم
فرحنا في قدومكم جميعاً فرحنا زائداً والله عالم
هذا ما كان من جوهر صاحب التاج المجوهر وأما دياب فانه شكره على ما أبداه
وزاد في مدحه عن كلبا أذاه وقال له اعلم يا ملك جوهر أننا قد أتينا ضيوف لنقيم
ههنا مدة الزمان وبعد ذلك نرحل فقال أهلاً وسهلاً بكم ثم نزل دياب في أحد
قصوره وفرش لهم مكان واسع وأعد لهم محالير هون فيه المواشى وبقي دياب مع
جوهري في عز وإكرام وبسط وإشراح مدة من الزمان يبقى له كلام نرجع إلى
أبو زيد فانه ذات يوم جالس وحده في بيته تذكر أرض نجد وعزها وما لاقى
فيها من الهنا والراحة أيام الصبا ثم تذكر الأهوال التي لاقوها في الطريق حتى وصلوا
إلى بلاد العرب وتذكر زيدان والخفاجي عامر والقاضي بدر بن فايد ولصبر
وبدر بن غانم فجعل يبكي عليهم وعلى أولاده وأولاد حسن الدين قتالهم العلامة
فصار يبكي وينوح ثم تشوق إلى رؤية دياب وجنب جوارحه إلى القيادة وقال
هذا رفيق عمرى وحامل الشدات معى وإن كان معى قتل حسن قتل بيومه ثم
خطر بباله أن يرسل يستعطف بخاطر دياب ويطلب منه أن يرجع إلى بلاده
فكتب له جواب بهذا المعنى وختمه بختمه أرسله إلى دياب مع العجايب وأخذه وسار
يطوى الثياب والقفار حتى وصل إلى بلاد الحمش تلك الديار فسأل عن المكان
الذى نزل فيه دياب فأهدوه عليه وسار إليه قبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب
أخذه منه وفضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وبعد ذلك أخذ قلم وقرطاس
ودواة من الذهب الخالص وأشار يرد على أبو زيد ويقول :

يقول الفتى الزغبى ولد غانم	أنا ترانى فى الأيام عريف
أعرف فرسان الحرب جميعهم	خبيرات شدات الزمان عنيف
ترى كل مستغنى عيوبه قليلة	ولو كان أصله بالأيام خسيف
هبت الفتى الممتاز للناس ظاهراً	ولو كان أصله بالانام خسيف
لو كان عنتربس فى حومة الوغا	ولو كان مقر الوحشى أمير مخيف
ومن كان خالى المال زمانه	عليه الانام مع الزمان حنيف

نزلنا على قوم كرام بلا خلفا
وإذا نامت الرعيان باتوا بنعمة
ولكن بلاد الشناعة والبلا
وأما الحبش كفانا الله شرهم
عقدى من البيض الملاح ما يهجة
فلا ياقون الضعفان بوجه باسم
عليها من اللبس الحرير كوامل
بنات البدو سود العيون قوامهم
ولكن نسوان الحبش كعجينة
ترى الواحدة كالفرق منه أشنعها
بأسنان صفر والعيون مفتخرة
ترضى كرادين لها فوق صدرها
إذا شافت البياع تبقي مشعرة
يا غدا يا منى ضهر مضامر
جيت نحو ابن وبق سلامة
سلم عليه لثم جبينه
من كان في فومه ويرحل لغريم
لولا حسن يا أمير ما كان هاني
فقاميت شدات وهما ولوعة
ويهينى بالقتل في كل ساعة
أولادى قتاهم مع عماهى وغريم
حلفت أني أقتله ولو كان ولدى
مضى ماضى ابن عمى وصاحبى
فإن كان ترضى أن نعيش سويا
مقال الفتى الزغبى دباب المنتخب

وقتنا وكان الدهر وهو ظريف
ينادوا ولا يخشوا كلام خفيف
ذقنا بها الشهوات والنقرىف
نرى مواضعهم بلا ترصيف
كنور يلالى في ظلام كثيف
ولا يسمع منهم كلام لطيف
أسارا وحجول بالذهب ترصيف
إذا ما مشوا حسبتهم ربح ثقيف
والوجه منه كالخا ولشيف
قبيحة وخيمة ما بها تنظيف
لها معصم يابس كحبل الليف
وبالاكل مثل السكب عند الجيف
تقول ذبالا خرج من كثيف
تجد الثرى من نقابا وخفيف
مرى اليتامى والزمان حنيف
وقول له قولا بلا تعنيف
فذاك مجنون وعقله نحسيف
حبسى بحبس مظلم وخفيف
أبكى وانعى والدموع رديف
وأندب لحالى مثل ندب ضعيف
ناسانا حزانا مالم يليف
وأمر لى ما به تكليف
والكاتبه ربي ما به تخريف
فسامع يا أمير وكون عفيف
فلمست جبان ولا أنا خويف
(٢٣ — غريبة)

فلما فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه وأعطاه إلى رسول
الأمير أبو زيد وقال إن كان مراده رجل ابلادى وتجتمع سوى الجواب من طرفه
بعض الأمانة يكون قلبه محب وكلامه عن وداد فأخذ يرسل إلى الرسول وسار
وجده يقطع الروابي والغفار حتى وصل إلى بلاد الغرب فدخل على الأمير أبو زيد
أعطاه الكتاب وبلغه عن دياب فأخذ الكتاب وقراه وبعد ذلك استدعى بعشرة
أمانة من أولادهم وأولاد عم الأمير حسن وأرسلهم ليصالحوا الأمير دياب وما
زالوا يحدوا الغفار إلى أن وصلوا عند دياب ودخلوا عليه فلاقاهم وسلموا على بعض
وسألهم عن أبو زيد فقالوا أرسلنا لمرجع الصالح بينكم وتعودوا كما كنتم في الحال
القديم فعند ذلك سار الأمير دياب إلى الملك جوهر وودعه وركب بقومه ورجاله
والعشرة الأمانة معه إلى أن دخلوا بلاد الغرب فخرج الأمير أبو زيد لاقاهم وتصالحوهم
ورجعوا إلى الأوطان وعمل أبو زيد وليمة فاخرة ذبح الذبائح فاطعم الغادى والرائح
وصار الأمير أبو زيد والأمير دياب في محبة زائدة وسكن أبو زيد ما أرجع الأمير
دياب ملكه وبقى هو الحاكم فما كان على الأمير دياب وسار يقول متى أن يرجع
في البلاد التي أخذوها مني وأبو زيد لو اطمأقنا فإغناظ الأمير دياب وكن السر
لأبو زيد وقال في نفسه أنا صنعت دبوس وسكين السنين للأمير حسن والدبوس
نخلصنا من واحد وبقى علينا الآخر وصار من ذلك الوقت يحمل الدبوس وكان يسبح
فراشات من تحت العناية حتى لا يلاحظ عليه أبو زيد إلى أن كان ذات يوم خرجوا
للصيد وانصص وكان مع الأمير أبو زيد جماعة من قومه ومع الأمير دياب جماعة
من قومه فوصروا إلى البر وخرجت الفهود والصقور تفرق القرسان تطارد الغزلان
وبقى الأمير دياب وأبو زيد في جهة وصار الأمير دياب يطارد الشهباء ويلعب كأنه
في الميدان فصار يعمل مثله أبو زيد فدار نصف ساعة وبعد ذلك دياب خلى أبو زيد
حائراً أمامه فصاح فيه وقال خذها من يد دياب فالتفت أبو زيد مرعوب فوجد في يد
الأمير دياب سنبلة قمح فعضه دياب وعمل هذا الأمر ثلاث مرات ورابع مرة صاح
دياب خذها من يد دياب فما التفت أبو زيد وظن أنها ضحكة مثل العادة عند ذلك
لكن الشهباء طلعت كالريح حتى قربت من أبو زيد وصار جنبيه فسحب الدبوس

مضربه على رأسه فطلع برزخه فرأى الدبوس فوقع أبو زيد على الأرض
 هيمان فوقع الأمير دياب وقد أخذته الشفقة فصار إليه يبكي وبلغ الحق مدة من
 الزمان فتح أبو زيد بعينه وجد دياب راقد فقال له ما كان ظني فيك يا دياب ثم تنفس
 الصعداء وأشار يقول :

قال أبو زيد الحزين الهائم	دمعي على خدي سجايم
أيا دياب الخيل يا ولد غانم	أبا صاحب الأفعال بين العوالم
ما كان ظني يا دياب الخيل تخونني	وتدعي صاحبك فوق الردايم
آلمتني يا دياب بضربتك	أيا حيفا كفا يا أمير لزاييم
ضيعت معروفى كسرت بخطرى	كم مرة خللك يتضرب الصوارم
كم مرة شلتك من حبوس ضيقة	كم مرة شلتك من حبوس ظلايم
كم مرة أوردوا قتلك وشنتك	وأكون أنا لهم حقا مخاصم
أوصيك وصايا يا دياب احفظها	كرامة إلى ربك إله العوالم
أول وصية في أولاد أبو على	حسن سلطاننا من زمان قدايم
ثاني وصية في أولادى جميعهم	رزق ورثا وكل المحارم
وثالث وصية يا دياب أم محمد	صبرا وشهلا واخيات الكايم
فأحى حريمى يا دياب من العدا	إذا جاء طارق بليل الظلايم
والجازية يا دياب أم محمد	دعها على قبرى تقيم العللايم
يا ما تقضى بيننا عز وهنا	عجالت فى قتلى يا ولد غانم
أذكر أيام الحرب إلى مضنت	لما أصبح يا دياب بن غانم
تجئنى على الخضر كالريح حربها	يدع دما الأبطال ع الأرض هايم
ولما تصبح يا هلال سلامة	القيك فى عزم متنى القوايم
يا ما شربنا الكأس والسعد داير	ولحسادنا فى قلوبهم منا سمايم
مقال الحزين ابن رزق سلامه	لقد سامت ووحى لرب العوالم

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والأمير دياب يسمع نظامه دمعت عيناه ونزل إليه
 وضمه إلى صدره وأشار يقول :

يقول الفتى الزهبي دياب الماجد
 علينا بنعيم يا هلال سلامة
 لما أتينا الغرب نحو خليفة
 فقمتم ضربتم الشور يا أبو عيصر
 قايم دياب الخيل يرهى جمالنا
 أخذت أنا البروش سرت معجلا
 جاني خريبة راح من صامى
 لما ظردتم عن حروب خليفة
 علمتم عليهم قرعة يا سلامة
 راحوا جميعاً واحزتموني
 زبدان أخويا كان شيخ شبابكم
 نصر وعقل أولادهم لارميهم
 ولا حاد فيكم يا هلال مقاوم
 اتسكم سعدة مثل شمس منيرة
 قالت لكم أبوا يهوى جموعكم
 فلا يقتله إلا دياب بن غانم
 أتاني أبو غانم الشيوخ العصا
 وقال قم خذ ثار أخوتك
 وقالت لأبوى رد وادجمع
 الزم حسن وأبو زيد يرسل مكاتبه
 قصيت شعور بناتكم سلامه
 تقولوا الوحايا لولد غانم تعالنا
 واعرف عيوبك ألا تريد تراني
 مع كل هذا جيت من فوق خضرا
 فتمت لسوق الحرب مع ولد جميل

ودمع على الحدرود بهار
 فملكك عندي لها أسفار
 تركنا لنجد والفؤاد بنار
 أنت والجازية وأبو المسكارم
 في سهاها وحرشها وقفار
 وقبليت على نفسي رسوم العمار
 ومكحول من ذاق كل بوار
 قمتم ضربتم على الزغابي شوار
 وأنا غايب عنهم بعيد الدار
 وراحوا الامارة بالتراب دمار
 وأولاد أخويا الاثنين كالاقمار
 أيا حيف أعمار الجياد قصار
 ولا عاد فيكم فارس جبار
 بنت الزناني تشبه الاقمار
 لأن أبويا فارس مغوار
 لأنه صمدع فارس جبار
 وخبرني عما بالامارة صار
 أمارك لاهي من عذاب النار
 أنا ما عدت اللعب مع أولاد صغار
 أجيبهم على الخضر كشملة نار
 وخطك بيدي يا سلامة جهاد
 ترانا بضيقه والهموم كتار
 وهذا كلامك واضحا وجهاد
 أ جرى سبقي هوى التيارات
 ثلاثين يوماً ليلها ونهار

وراحت الخضر ا طريجة على الوطا
 كفتها بعشرين شقة ثمينة
 من بعدها قد جيت نحو خليفة
 بجيني على اشقر مضمور خواصره
 بجاني وجيته فوق شهيا أصيلة
 من فوقه قرم عنيد ملاطم
 درجته حربا كالصبر طعمه
 يقول دياب الخيل بالله خبرني
 فلما سمعت قوله ولا ردت سالحة
 طمنت الزناتي طعنة في عينه
 اخذنا إل ترس وكل بلادها
 قسموا بلاد الغرب مثله
 صغتم على حيلة يا سلامه
 ومن بعدها مر يقاتني عاجلا
 قاضي العرب حكم بمجوسي مخافة
 اتوه امارة لاجل يرجعوا فكاكي
 واثت مغمض اعيوانك راضى
 صبغة سفين كاملة في حبوسكم
 حتى سمح ربي باطلاق عبده
 جيت إل نصره وجدته مكنسا
 نفويت لى سوف افنى جموعكم
 واقتل حسن وكل من يطاوعه
 وقد عاننى ربي ونلت ثبغيتي
 فطأ صيك يا ابوزيد منى وصية
 وسلم على اولاد اخفى وابوم

وعقلى وحق ربي طار
 ودفنتها دفن السكرام بوقار
 أصابت أنا لشر مثل النار
 في درع دارى بعشر أزرار
 بيضة حمامى مثل ضوء نهار
 له طعن في صدر الرجال شرار
 فراح يكتب لى جواب مسعجار
 وخذ إل رزق أبا مغوار
 زيدان فتح لى جروح كبار
 فراح أبو سعدة وراح دمار
 وطاعت لنا صغارها وكبار
 وكل واحد بقسمته قد صار
 وميت دياب الخيل بالاكدار
 صديقه فى شرعنا الخشار
 فى حبس مظلم يظلم بقصف الاعمار
 لىكن حسن أمر بكشر زيار
 كل مالك بنى الامور خيار
 اقامى عذاب الدل والاكدار
 سبجان ربي كاشف الاسرار
 اخذتم إل مالى وكل الاحرار
 وافنى عبيدكم مع الاحرار
 وامللك بلاد الغرب بالبتار
 وأجريت كل الذى قد صار
 سلم على زيدان عز الجار
 عقل ونصر وعيهم انصار

وسلم على خالي بدر بن فايد وسلم على الامارا والاخير
فودعت باقه يا هلال سلامه غدا نلتقى في آخر الاعمار
فلما فرغ الامير دياب من كلامه ركب جواده وترك أبو زيد على الارض
وسار بقومه فنظروه مرتبك وغضبان وسألوه عن حاله فقال لهم اني قتلت أبو زيد
وغضبت عليه ولكن ما بقي لنا إلا أن نسرح ونملك بلاد الغرب واصعد أنا سلطان
هايم لانه ما بقي أحد يخافني ثم أن الامير دياب صار إلى تونس ودخل إلى
سراية الاحكام ونادى باسمه وأخبر أنه قتل الامير أبو زيد وهو الحاكم والامير
على البلاد فصار من بهانده يقتله ومن يطيعه ويلوذ اليه ينعم عليه ما بقى كلام يرجع
الكلام إلى جماعة الامير أبو زيد لما وصلوا اليه وجدوه مطروح على الارض
فصاحوا وناحوا وحملوه تارة يغشى عليه وتارة يوعى حتى وصلوا إلى القبر فمرفته
الحريم وخرجوا بلا براقع وهم يمزقون ثيابهم ويضعون الزاب على رأسهم وكان
يوما شليعا على بني هلال ما نظروا مثله مدى الاجيال واجتمعت العربان من كل
ناحية ومكان وأما المجازبة فانها عملت أكثر من الجميع وأرخت شعورها ونفقت
خدرودها ومزقت ثيابها وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى أم محمد	ودمى جرى فوق الخدود يسيل
أيا ليتنى قدمت من عام أولا	ولاشفت الامير أبو زيد قتيل
ألا يا دياب السوء يا خاين الوحا	يا باقى الاصحاب وأنت هيبيل
ضربت سلامة يا دياب بضربة	وهدمت ركننا من هلال طويل
فلا سالما منها الامير سلامة	فتبكي عيون والدموع تسيل
دعوتى أملا العين منه بنظرة	من قبل بعدى بالجود جديل
أيا هل ترى الايام تخاف كلامه	إذا مضى جيل بعد جيل
أيا دياب كيف يا دياب سلامه	وقد كان لك هون الايام خليل
يا حسرتى يا كسرتى بعد حيلتى	وظنى أنه بالانعام مشيل
محمد وحمدان قد نسيت قرااتهم	جاني حسن زاد الفؤاد شميل
وقد زادني حزن الهلال سلامة	فيا ليت عمرى لا يكون طويل

ما قالت فتاة الحمى أم محمد ونيران قلبي زائدات شميل
فلما فرغت الجازية من كلامها اغشى عليها برهة من الزمن ثم تقدمت بعدها
عليها وهي تلف شعرها وتمزق ثيابها وقد زادت بكاءها وانتهابها ثم تقدمت اليه
وقبلت عينيه وقالت له سلامتك يا أبا الأبطال وبازينة الرجال وجعلت ترفيه
بهذه الأبيات :

تقول فتاة الحمى عليا التي بكى	نيران قلبي احرقني شعوبها
وعبرات عيني كالبحور الزاخرة	ترى إلى عشت الملا وتغياها
ودارت نواعير الفراق يا عيني	كما أرض مصر عند فيضان النيل
وكم جهد عيني ما نقيش من البكا	وأن للبكا بطنى ويشعل عليها
على فارس الهيجا الأمير سلامه	سباج بنى هلال وحامى نزيلها
أيا حيف والله يا أمير سلامه	لبالى الهنا راحت وجانى بدليها
أيا ناس ما السكتان إلا فضيحة	إذا كانت الشكوى لمن لايزيها
من اشتكى شكواه اخير مسعف	كن صب الماء في وسط غرايها
وما اشتكى إلا لربى وغالى	واين تنفع الشكوى لمن لايزيها
ومن باح بالسر الذى فى ضميره	يشابه نار طائفة فى نجيها
ترى الجيد جيد ولو تمزق ثوبه	والذل نذل ولو لبس من جيها
بالله يا ذا العبادات نوحوا واتدبوا	على قامه انحط منها طويها
ودار خلعت من كل قوم محرب	ومن جبره قد جانا يوم رحيلها
سكن دارهم من لا يقوم مقامهم	فلا دامت الدنيا ولا دام ميلها
وخيل دياب تبقى اليوم جائله	وخيل الملالي زاد جفيلها
ورايات أبو وطفه تعود مرفعه	ورايات أبوزيد تخفض تعديلها
مقالات فتاة الحمى عليا الحزينة	مضى زمان العر وجانى بدليها

قال الراوى فلما فرغت عليا من كلامها بكى النسوان من قواها وصاروا في
ضجة وأبوزيد عريان ولما أفاق من غشوته وتأسف على نفسه وكيف باقى فيه دياب
وراح يخبر قومه ويودع أهله وحشوته وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه
ولا وقعت الارسطى بوسطها
ولا ظالم بالحلب ظلمته
ولا كل رجل يكشف مهمه
زومت جميلا ضاع مع ولد غانم
زومت جميلا طالبا استغله
خرجنا إلى الصييد نطلب الفلا
ولا شئت أنا معه سلاح وعدة
ضربني بدبوس عريض فرشة
ولو كان غيره ما وقعت بضربته
فعند غيبته من دياب بن غانم
جاد الغيبة ياهلال وعامر
ولكن أخذني بركة ياعمومي
ولي ثلاثة أيام أقامى نزاعة
لما بات الهجاء في جنح ليائهم
يا حمرق شوفي المنايا تجيني
تأسف على أميرين قتلى
فنادوا إلى الأولاد حتى أشوفهم
ونادوا إلى مخيم والامير بريقع
ونادوا لعليا كي أراها بناظري
ونادوا عزيزة لقرم افعل جالها
ونادوا إلى المجازية أم محمد
تري ظهر منكم دياب غانم
ويقطع جداركم ويهني جوادكم
قتل حسن بن سرحان أبو علي

ولي شيعه شاعت في كل البلاد
ولا معركة إلا ولي تنقاد
ولا طاغيا إلا وزاد الجهاد
ولا كل من طلب المعاني ساد
كما ضاعت الجوده مع الحداد
نخافني وبقى أقوام بالمهاد
ومعنا دياب فوق ظهر جواد
ولا عرفت ما فعل له الحداد
وعلى فوق رأسي رفعت المهاد
ضربات دياب كخيل طراد
والآسى من يشحصر بمداد
يا أهل دريد وجملة الأجواد
ضربني وخلصني طريح وساد
أتارى سكرات الموت شداد
أبات كاني فوق شوك قتاد
وأنا أوعدم وداع آخر الميعاد
عزيز ومرعى مع سبات حداد
نادوا على أهلنا كل الأولاد
وشيبان نادوا إلى أجواد
ونادوا إلى أم وأم سهاد
تري حرنا ذاك المظى قد عاد
حتى أوصيها بسائر الأولاد
يفنى أصاغركم مع الأولاد
ويحكم كما التروود بن شداد
وخلي حريمه لابسات سواد

أنا أوصيك يا آل عزی ودواني
 فروحوا للاكراد أرض فارس
 وأبقوا بها حين ما همون عمرها
 ترى أهلکم فرسان مع أجدادكم
 هنا مخيم ينطح الخيل بالوغا
 أوصيكم بالحرب يا آل عامر
 وادعوا دياب عارطا متفخا
 ومن طلب منكم زمام وجيره
 وادعونهم عوناً لكم في أموركم
 جميع كرامى الغرب ما سلككم
 وأفرح في قاي وانسر مهجتي
 أنا ودعتكم لله ربى وخالقي
 جيبوا الكفن فصلوه أمامى
 وجيبوا نعشا ما بها من شر
 بهجذب خالتي يا حسن اقبروننى
 وقولوا رحمك الله يا أبا مخيمر
 وهاتوا مغانيبى وهاتوا دفوفكم
 فوشيع الخبر والعلم للناس كلها
 وتوصلوا إلى نجمه العريضة أخبا
 توصل اخبارى نحو عمى وقومه
 سألتك يا رحمن يا سامع الدعا
 سألتك يا رحمن يا خالق الورى
 لكى يا خدرا تارى من أولاد
 حو سألتك يا رب اسر عيوبنا
 واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا
 فغيبوا عن الزغى لأقصى بلاد
 فهنا دياب ما ينال مراد
 واغروا دياب بالثقال الحداد
 وأنتم سباع الحى والافتاد
 ما يدعوا الزغابه بالفلا أشراد
 ولو عليهم ميله الاسياد
 وذيقوه ماذاقه من الانكاد
 جيره منكم جيرة الاجواد
 وأنتم عليهم يا كرام اسياد
 وأنتم ملوكا من أب وأجداد
 والله العرش والمرصاد
 الله تعالى أجود الاجواد
 وهاتوا الى الكفور وحق زياد
 ودقوا مساميره بدق شداد
 وصلوا على قبرى صلاة عباد
 أيا مطعم الجيعان والقتصاد
 وقيموا معادات لنا رفهاد
 بقول دياب إلى سلامة كاد
 رنا يقول أبوزيد الامير انكاد
 يخبرونه العذال والحساد
 تنجى أولادى من الاوغاد
 تعين أولادى بيوم جلاد
 غانم ويشفوا قلوبهم من الاكباد
 عيوبنا أم واضحات جداد
 علينا ذنوب ما لها عداد

واوصيك يا آل عزى ودوائى لا تسلكوا أبداً طريق فساد
 وإن عادت الأيام إليكم بعدنا ابنو لقبرى قبة وعماد
 مقالات أبو زيد الحرين المفارق غداً ادخل القبر العميق واكاد
 فلما فرغ أبو زيد من كلامه شفق شهقة واحدة فاضت روحه عند ذلك كثر البكاء
 والنواح وصار كل واحد يأتى ويقبل أياديه مرة ثانية وأشارت الجازية بدفنه بجوار
 الأمير حسن هذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من دياب فبلغه أن الأمير أبو زيد
 مات وشرب كأس الآفات ودفنوه لجمعوا ستين ألف من قومه وساروا إلى بلاد القير وان
 ليحرقى حكمه ويعمل كما يعمل ولما سمعوا بنى زحلان ودريد هذا الخبر
 اجتمعوا وتشاوروا مع بعضهم فاتفقوا أن يطيعوا دياب وينادوا باسمه لأن ما لهم
 على حربه طاقة ولما قرب منهم دياب وعرب الجازية رأته اليهم وصارت تنهبهم
 فما ردوا عليهم فبكت وقالت ما فكم أحد يخاصم دياب وأنتم شبان وهو كبير
 وخرقان وأشارت تقول :

أنا اليوم جاني الهم والنبات	تقول فتاة الحى أم محمد
أمير هلال حاكم الزينات	على فارس الهيجا الأمير حسن
ويأسفهم لما يقولوا مات	أياذل قوم راح منهم سلامة
بالجود والمعروف وحسن ثبات	أبو زيد بالعربان ليس مثاله
وصبر أيوب وكل صفات	سوى حكمة لقمان وجود حاتم
أمير ابن أمير سيد السادات	وحاز خصال الخدين جميعهم
وفينا دياب حاكم الأوقات	أبو زيد انظر حالنا وما جرى لنا
وحاش بيده المال والصهوات	يا أصبح على تخت ابن سرحان جالسا
وله مقام يرفع الشدات	وعادت خيوله غابره نحو أرضنا
وعادت عصافير الشجر عادات	أحيف حط الباب من الجولوطا
وعادت عدانا بالهنا فارحات	هاد الضبع بالناس للسمع طارده
ولما من لكم يوم الوغا عادات	ألا يادريد اليوم يا آل عامر
وأنتم ملوكا وأنتم السادات	تدلوا من دياب وسطوته

فلا خير في أيديكم ولا في رماحكم ولا في سيفونا تفلق الهامات.
 أنا ديبكم للحرب ما تسمعون أيا فاقدين العزم والنخوات.
 فابكى يا عيني لفقد سلامة ويا قلب توح ع الأمير وهات.
 خات سروج العامرات وقدها والنساء فعود والرجال أموات.
 فلا بد بعد الزناني مذلة ويأتى العنا من على الدرجات.
 مقالات فتاة الحى أم محمد وحزن أبو زيد دايم الاوقات.
 فلما انتهت أم محمد ما حدد عليها إلى أن بنى دريد وزحلان رعا مريضوا المناديل.
 في رقابهم علامة الامان وخرجوا ينادون يا دياب أنت ماسكنا والحاكم علينا.
 ولا احد منا يعصى لك أمر ولما نظروه رتقدوا وقبلوا أياديهم ورجليه وقالوا.
 له أنت السلطان ومثلك يليق أن يكون سلطان لانك فارس جبار ثم دخل.
 الأمير دياب وجلس على كرسي الأمير حسن وصارت تأتي اليه الامارة.
 واحد بعد واحد يهنوه ويدعون له بطول العمر وأما المجازبة والنافلة والحريم.
 والاولاد فانهم اختلفوا وعند الليل ركبوا رساوا وسبقتهم كثير من قومهم وتسلطن.
 دياب على كل بلاد الغرب وأمر أن ينادى باسمه وأنه هو الملك حاكم بلاد الغرب.
 وسيد فرسان الطعن والضرب وصارت تأتية الهدايا والتحف ورتب الحكام وهزل.
 ولما راق باله سأل عن اولاد حسن وأبو زيد فأخبروه أن المجازية هربت فيهم مع.
 بقية النسوان وتبعهم ثلاثون ألف نفس من بنى دريد وزحلان فتكدر خاطرهم.
 وقالوا حميت ظنوا السوء وما آمنوا إلى قانا لا بدلى أن أذلهم وأقرم لأنه كان.
 بفكرى أن أرتب لهم معاش وأقوم بوصية الأمير أبو زيد ثم ركب وتبعهم فاق.
 لحقهم فوجع وهو منكدر يبقى له كلام يرجع الكلام إلى بلاد الكوع كان يحكمها.
 سلطان يهودى اسمه شمعون وكان له وزير اسمه أبو الجواد فسلم فلما قتل الزناني.
 وملكوا بلاد الغرب اجتمع بوزيره وقال له كيف الشؤ وعندك ان بنى هلال وصلوا.
 إلى نواحي بلادنا وهم فرسان لا يوجد مثلم في هذا الزمان سبما فيهم فارس اسمه.
 أبو زيد من الأبطال العظيم وفارس اسمه دياب ابن غالم كل جبار يمدد على بنى.

هلال يقتله وأنا أخاف أن يصل سرهم اليينا في نصف العمل فقال الوزير أنا الراى
عندى أن تأخذ هدايا من بلادك والجواهر وتسير إلى الأمير حسن وقدمه له وتمنيه
بالنصرو يصير بينك وبينه مودة وصحبة فاستحسن سمعون هذا الراى ومن وقته وساعته
حمل الهدايا على الجمال وصار بألف فارس من أعيان قومه وأكابرهم إلى القهروان ودخل
على الأمير حسن وقدم له وسلم عليه فترحب به وعملت الولائم ووقعت المحبة والمودة ثم عاد
إلى بلاده وبقي في أمان والمراسلة بينه وبين الأمير حسن بسنين وأيام إلى أن قتل الأمير
حسن فتكدر وبعد ذلك بلغه خبر بقتل أبو زيد فعظم الأمر وقال لوزيره أنا مرادى
أن أجمع العساكر وأذهب إلى بنى هلال رأنهم لا بد أن يكرنوا قدوة عوافى بعض فن
الموافق أن نكون حاضرين ولساعد الحرب القوي ونملك نحن البلاد وتكون قد
ساعدتنا ما دبر وقتلنا الأمير دياب لأنه صار شيخ كبير ثم جمع العساكر وصار قاصدا
بنى هلال وبقي سائر حتى دخل حدود الغرب فنظر الغبار قد علا وطار حتى سد منافذ
الاقطار ثم انكشف عن ثلاثين ألف فارس ومعهم حريم ونسوان فسأل ما الخبر
فأخبروه هؤلاء حريم حسن وأبو زيد وأولادهم اليتامى هاربين من وجه دياب
خوفاً على أنفسهم فاستدعاهم فحضرت الجازية فسألهما عن الحاصل فأشارت الجازية
تقول وعمر السامعين يطول .

(تمت هذه القصة وتليها قصة قتل الأمير دياب)

قصة قتل الأمير دياب

وتسلطن بريقع ابن الأمير حسن وقتله مع أولاد أبو زيد.
من نصر الدين الزغبى بن دياب وتسلطنه على بلاد الغرب.
عموماً وما حصل من الحروب الهائلة التي تشيبت الأطفال.
وفي هذا الكتاب تغريبة بنى هلال بالنمام والكمال والحمد لله
على كل حال

تقول فتاة الحلى أم محمد	بدمع جرى فوق الحدود غوان
ألا ياملك شمعون اسمع قصتي	واصغى لقولي يا حاة الجار
أنا بنت مراحان أخت أبو علي	وهؤلاء ياملك عبيد وجوار
كنّا في نجد في سرور وفي هفا	نمرح فيها ليلاً مع نهار
رحنا لأرض القديوان وقابس	أتاني الزناتي مثل شعلة نار
فقتل منا تسعين قتيلًا مجربا	برأس وجه المرفف البتار
قتله أبو وطفاء دياب بن غانم	بعزم شديد يفتك الأحجار
بقتله ملك سائر الغر ياملك	ملكنا مداينها ودوار
أراد دياب يملك القصر وحده	ويقعد به سلطان ياهوار
حبسه أخى سبع سنين كوامل	سبع سنين في بلاد واكدار
وأطلقه أبو زيد الهلالي غصيبة	وهذه حيلة معهم عليه دار
مرض حسن وأفواجه منه متبر	وعلى وجهه بعض ألبياض سوار
رجانا دياب مع أكابر قومه	وقلبه أسود خائنا غدار
دياب ذبح حسن فوق عالي فراشه	ونخله يختبط ميمته ويسار
وراح هرب هو وكل مجموعه	دخل بلاد الزنج والاففار
جابه أبو زيد طبيب بخاطره	وأرسل له مكتوب بالاحضار
وبعده أتوا للصيد في عز وهفا	ولعبوا بالجرید کم مشوار
دياب ضرب سلامة أرماء على الثرا	ضربات دياب ماعليها غيار

حاقل أبوزيد روحوا بأهلـكم إلى الملك شمعون عز الجمار
وجينا إلى عندهك طالبين مكارمك يا برمكي يا مكرم الزوار
هذا ماجرى فينا وهذا ما أصابنا والدهر دولاب علينا دار
فلما فرغ من كلامها أشار الملك شمعون برد عليها ويقول :

يقول الملك شمعون والقول صادق نيران قلبي زائدات سعار
ألا قابشري بالخير يأم محمد لقد زال عنكم سائر الاكهار
وقلبي على حسن الهلالى مرجها وأبوزيد خلا الدموع غزار
ولكن ايم أرلاد يخافونهم ويسقوا دياب علقها ومرار
أنا كنت سائر نحوكم لآعينكم وأنظر ما بين قد صار
ولكن انتم سالمين بأهلـكم قابقوا واصبروا فالملك دوار
وارعوا أراضينا واجنوا ثمارها فأنتم والله أكرم الخطار
لكم عندنا الأسرار والخير والهناء والعز والناموس والاقار

فلما فرغ شمعون من كلامه والجازية تسمع نظامه قالت ارجع فما الآن وقت
ذهاب لأن دياب له سطوة في بني هلال والقرى العرب في قلوب الجميع وما أنتم من
رجال ولا في الزمان له مقارن لأنه قتل في زمانه فرسان لا تعد وقاتل أعظم أبطال
عصره فالأوفى نصير إلى ان يأتي الفرج وهو قريب لأن دياب كبير السن وماله
سوى ولد صغير يرضع اسمه نصر الدين تأخذ النار إن شاء الله قريب .

(قال الراوى) وكان دياب تزوج امرأة من قومه اسمها لسرين لأنه ما بقى
له أولاد سوى وصفه فأناها ولد فسماه نصر الدين يبقى له كلام يرجع الكلام إلى
الجازية أنها رجعت باليتامى إلى عند الملك شمعون فعين ايم أرلاد وصاروا يرعون
المراعى وما عاد للجازية هم إلا تربية اليتامى وتعليمهم الحرب والقتال وبقوا عند
الملك شمعون إلى أن وصل خبرهم إلى الأمير دياب فأراد يجمع العساكر ويذهب
اليهم فقالوا بنى زغبة الأوفى أن لا يذهب وراهم لأن بلاد شمعون حارة إذا طال
يفنا الحرب ونهلك ونعطش وربما بنى دريدون حلال انفقوا مع الأولاد فيطول علينا
الحال فقال دياب أنا خائف فنتظرون حتى أموت أو أجهز يا توأيماء كوا البلاد

ويذلوأ ابني ويذلوكم فقالوا له الاوفق أن تكتب مكتوب إلى الملك شمعون
وتوعده بالمال بقناهم ولا تهدده لأنه جبان ولا يخاف من بأسك فاستصوب هذا
وتوسل إلى شمعون يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب الماحد ونيران قلب زایدات سعيد
يا أيها الغادى على متن ضامر تسبق هبوب الريح عنه مسير
إذا جئت السكوع فازل بربعها وعقل جوادك بالزمام وعهد
عواطفى للسلطان شمعون ورقى وسلم عليه وشيد كثير
أريد يا شمعون تقتل اليتامى وتدعهم على وجه التراب دقي
وتخذ أموال دريد وجمالهم وأبقى أنا لك بالحرب نصير
ما قال الزغبى دياب الماحد كلامى أكيد ما به تزوير

فلما فرغ دياب من الكتاب سلمه إلى رسوله راشد بن نهبان ليوصله إلى الملك
شمعون ويطلب منه الرد فصار حتى دخل بلاد السكوع فصادفه الوزير أبو الجود
وكان مسلم وأخذ الكتاب فضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فادخل الرسول الضيافة
وأوعده بالرد وأخذ الخطاب واستدعى الأولاد وقال لهم أقرأوا هذا الكتاب
فلما قرأوه خافوا ووقعت الرعدة قلوبهم وقلوا نحن واقعين عليك يا وزير فقال
لا تخافوا لأن الملك إذا نظر ذلك الكتاب اقتنصكم لأنه طماع ويخاف من دياب
وما لكم إلا أن ترسلوا الجارية إلى عنده وتداع عليه وأنا أعرف أنه واقع في هواها
وعند ذلك لا يفنكم فقالوا نحن لا يليق أن نكلم الجارية هذا الكلام فقال لهم أنا
أحضرها إلى عندى وفى الحال بعث وراها فجاءت عنده وقرأ المكتوب أمامها
فتكدرت وقالت ما كفى دياب ما عمل حتى أنه لاحقنا إلى هنا ولكن ما رأى
هناك فتعال الرأى عندى أن نذهب إلى الملك شمعون وتدخل عليه فانه لا يضركم
فقال له أبا امرأة مسلمة بنت مسلمة ومن نسل الملوك وزوجى شريف النسب
فكيف توقع على واحد مسلم مثلنا وإيما نصل الله عليه وسلم أو صاننا بمساعدة بعضنا
البعض فلما سمع أبو الجود كلامها قال فى باله هذه امرأة تكرم ديننا أكثر منى فالأوفق
أن أساعدها كثير ثم قال لها أتمم معكم ثلاثين ألف فارس وأنا عندى أكثر من

ألفى عشر فارس فاجلثة اثنتين وأربعين الفا نفلوا الجميع مستعدين للحرب
وابعثوا أولاد أخيك إلى السلطان ويقولوا له مرادنا نزوجك عمتنا فيفرح بذلك
لأنه وقع فهو الكفتى دخلت عليه يدخل شيبان ويذبحه وقد حل على اليهود فقتل الأمير
ونملك البلاد وقيم حكم من أولاد أخوك وأنا أنزوج بك وتصير البلاد في يدنا فاتفقوا على
ذلك وذهبوا بأولاد السلطان حسن إلى قصر الملك شمعون وعرضوا ظنهم ففرح وقام
قبلهم وقال مما شئتم فاطلبوا فقالوا له لا نريدك إلا سالم ثم جابوا الحاخام بكان الجازية
على الملك شمعون ودخلت في دين اليهود في ذلك اليوم بعد تمام الفرح دخلت على شمعون
فوجدته منتظراً في قاعة للنوم وعليه الملابس الخفيفة ودخل عليها شيبان بن أبوزيد
ويده الخنجر فضربه أرماء قتيلاً وقطع رأسه ووقف في القصر وقال قد قضى الغرض
وكانت الامارة والوزير منتظرين تحت القصر فغاووا على اليهود وأبلوهم بالذل والنكود
وقتلوا أعيانهم وفكروا القلاع وأهلكوا رؤساء العسا كروما أصبح الصباح حتى
انتهوا من الأعمال ودخلوا سراية الحكومة وأجلسوا الأمير بريقع ابن السلطان
حسن ملكاً على بلاد السكوع وصارت المناداة باسمه وفرق العسا كرو في جميع الجهات
وراق له الحال وما قام في البلاد غاصم فهذا ما كان من رسول دياب بن نهان فإنه
لما شاهد ما صار خاف على نفسه فصار يبحث حتى وصل إلى عند سيده فأخبره الخبر
فقال له أحد الاماره أنت قتلت الحية وتركيت رأسها هذه الأولاد لا بد ما يقوموا
وبأخذوا منك بشأهم فضحك دياب وأخذ يكعب لليتامى ويقول :

هبت بوارقها وطاب هواها	ولاح ما بين النجوم سناها
وعرفت ملوك الشرق والغرب	أننى مبيد رجال العرب عند رعاها
قتلت أنا حسن الهلالى أبو على	وأبو زيد الفتى كان أعلاها
ملكنت أنا كل البلاد بهتى	وأنا ابن غانم الناس جماها
طاعت لحكمى ساير العرب	وضربات سبني بالبلاد لقهاها
وما عاد له بعد الايام مخاصماً	إلا اليتامى من خاف دهاها
فلا بد ما ألقى اليتامى جميعهم	والحقهم فى أبوزيد ناهها
ألا يا يتامى ارحلوا نحو ربنا	وحبوا الرجل وبوسوا يداها

عليكم سلام الله كراما لأبوكم حسن وأبو زيد بما أوصاهما
وإن تسمخوا ارحل إليكم أذلکم وأنتم تعرفوا عزمي بسوء وغانما
مقال الفتى الزغبى دياب بن غانم والنار في قلبى تزيد انظارها
فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثه إلى اليتامى فلما وصل إليهم وقرءوه
أمطوه الجازية فقالت لهم إن دياب قلبه دليله والذي له عدو لا ينال الليل ثم كتبته
إلى دياب وأشارت تقول :

برق يلمع من خلاف اليماني وهرج بالقلب وجد بعد ما هان
الريح هبت في ضميري وخاطري وتقول الله يعكس باطلا كل خوان
دياب يا أمير ترسل تهددنا كنا لكم يا أمير بالوغى لخوان
والله عوض أبا دياب بغيركم فصرنا ملوكا وعاد الدهر كما كان
فلما فرغت الجازية من كلامها طوت الكتاب وأعطته للرسول أخذه وسار يقطع
الغياض والقفار حتى وصل إلى عند دياب فناوله الكتاب ففضه وقرأه وعرف رموزه
ومعناه فقال في بالله لا يدلى ما أركب وأدهمهم في بلادهم وفي ذات الأيام أتوا شعابا
إلى الغرب مدحوا السلطان دياب ووصفوا له بنت الأمير الهداد فسأل دياب عنها
فأخبروه أنها لم يوجد مثلها في الدنيا فقال أحد الأمارة الحاضرين هذه خاطبها السلطان
حسن لابنه بريقع وكان مراده يزفه عليها فعند ذلك قال دياب والله نحن أحق بها
من الغير ثم كتب مكتوب إلى الأمير ماجد يطلب بنته وبعث المكتوب مع الأمير
فأخذه وصار حتى دخل على ماجد أعطاه الكتاب ففضه وقرأه وترحب في عرندس
ثم جمع الأمارة وأغبا قومه وأطلعهم عليه فقالوا ابعت وقول له بنتى غطوبة إلى الأمير
بريقع ولا يبق في أن أفسخ الخطبة والأمير بريقع مراده أن يزف عابيا وهو ابن
عمك ثم بعد ذلك كتب إلى دياب وأرسل المكتوب مع عرندس وبعد ذلك استدعى
بقومه وأعلمهم بما كتب إلى دياب وقال لهم هلموا بنا إلى بجمع الأمير اثلا يأتي دياب
فيعتلفنا ويقتل أولادنا فهدموا قومه البيوت وحملوا حريمهم وصاروا يقطعوا الغياض
والقفار قاصدين بلاد السكوح يبقى لهم كلام يرجع الكلام إلى عرندس دخل على
دياب وأعطاه الكتاب ففضه وقرأه وعرف معناه فغضب غضبا شديدا ومن ساعته

ركب الفرسان والابغال قاصداً ما جد وما زال سائر حتى وصل إلى بلاده وجد الأرض
قفرة في سبعة أيام فما وقف على خبر فتكدر ورجع وأرسل الجواسيس فتفتش عليه
إلى أين ساروا ووجع هو ومن معه إلى بلاده والأوطان وكان عند دياب بنت أخته بنت
الأمير حسن وكان اسمها أمينة وكان لها ربت الجازية وأختها بقيت فأخذها دياب
إلى عنده وكانت بنت دياب تشتم له اخوتها وأولاد أبو زيد وتقول لها ألي لا بد ما يقتلهم
فقلت يوم كانوا مجتمعين قالت لها بنت دياب أنا سمعت أن أبي أمرني بيب اخوتك
ويخدمهم عنده وإن ما قبلوا يسير اليهم فقالت إن اخوتي صاروا ملوك ولا بد
ما يجروا ويأخذوا الثار من أبيك فغضبت منها وقامت اليها وضربت بها فعند ذلك
تركتها وراحت إلى قبر أبيها وصارت تبكي عليه وهي قاعدة وإذا برجلين مقبلين
عليها واحد أبيض والثاني عبد فوصلوا إلى قبر الأمير أبو زيد وصاروا يبكون
فالتفت اليهم وقالت لهم من تكونوا وعلى من تبكون فقال الأبيض نبكي على
مولينا وأسيادنا أنا بدر بن قاشع وهذا عبد أخوك كنا عائشين بنعمتكم
غدر بنا الزمان ورحلنا مع اخوتك وصرنا نساfer مثل المسكارية من بلد إلى بلد
فقلت لهم والآن إلى أين ذاهبين قالوا إلى بلاد الكوخ فان كان لك غرض أو وصية نوصلها
لك فقالت أحضروا إلى رواية وقرطاس فأحضرها لها فأشارت تكتب إلى اخواتها تقول:

تقول أمينة بنت من ساد ذكرها	بدمع جرى من مقالة العين عايم
ونيران قاي كلما أقول تنطفئ	يهب لها جوا ضلوعى ضرايم
تعايننى الأيام والدمر هانق	وصرت حزينه والعقل هايم
ادارى على روصى واكتم مخاطرى	ولا أعرف الراحة والرب عالم
يا أيها الغادى على من ضامر	تشق فلاة الأرض مثل النسيم
فاهدى سلامى ثم أعطى رسالتى	رسالة عذرة تذوق العدايم
إلى اخوتى من الملوك إذا علوا	وسلم على أولاد عمى الزايم
يجونى على الخيل كما الريح جريها	عليها شباب كالليوث الضراغم
بكل مهندي والردينى بكفه	لسان الخنثى مسقى بسم الأراقم
وبكثر بالجمعين وضرب البواتر	بطعن العوالى قد يزيل المظالم

عسى يا اخذرن الثار من ولد غانم ويدعوه فوق الارض مرمى ناييم
تبقى بلاد الغرب طوعا وبهدم وتحكموها مثل أبوكم حاكم
هقالات فتاة الحى أمينة الحوزنة وزيان فلي زایدات ضرايم
(قال الراوى) فلما فرغت أمينة من كلامها طوت الكتاب وأعطته إلى بدر
واخذه وصار هو والعبد أيام وليالي حتى وصل إلى بلاد السكوع ودخل على الأمير
بريقع وقبل الأرض بين يديه فقال مامك من الاخبار قال معى كتاب من
أختك أمينة وهى تقامى العذاب والألم مع بنى زغبة وبنت خالك فى كل صباح
تخدمها وتمدها فقال له اين الكتاب قال له أوصتنى أن لا اعطيك الكتاب
إلا بوجود عمتكم الجازية فلما حضرت اعطاء الكتاب وخصلة شعر من شعر
أمينة فلما نظروا الشعر وقرأوا المكتوب هاجروا وهاجروا وصاحوا ووقع
فيهم البكاء والنحيب واجتمعت عليهم النساء والاولاد والرجال وكان لهم ساعة
يا لها من ساعة وجددوا حزن أبو زيد والأمير حسن فمئذ ذلك نهض شيبان وقال
لهم ما لنا واهذا البكاء قوموا حتى نركب ونسير إلى حرب دياب فاما ان نمرت
أو نأخذ تارنا ونخلص حريمنا ورجالنا من ذل دياب فقال بريقع هو الصواب ثم
أنهم امرؤا بالركوب فاشتدت المساكروا امتدت وركبت معهم الجازية رساروا بستين
الف فارس ما بين مدرع ولا بس والى قامى أمام الجميع وعند ما أمتنى المساء نزلوا
يريدوا بتلك النواحي ليرتاحوا وما استقروا سمعوا صوت عرب نازلين باقرب
منهم ثم شاهدوا زيرانهم فاجتمعوا اليهم وقالوا من اثر النازلين فى هذا المكان فقال
بريقع اظن هذا دياب أتى ليه نلنا فما الشور عندكم إذا وقعنا وهو فى هذه الأرض
يهفينا لأننا نحن ماشين على اولاد عمنا الباقين فى بنى هلال فانهم لا يساعدوننا
ودياب لا يجيبهم إلا بالأولاد عنه وكلهم أبطال وبقوا فى حساب وأمر صهاب
بقال الأمير بريقع ما لنا لا نرسل من يكشف لنا الخبر فقامت الجازية أسير واكشف
فيكم الخبر ثم قلمت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وتقلدت بالاسلح وأخذت
معها شيبان وبريقع وارصت ألا أحد يشعل نار ويبدى حركة قبل ان يحضروا
ثم ساروا تحت الظلام حتى قربوا من العرب فسمعوا بكاء الاطفال وصراخ النساء

وبيع الكلاب فاعلموا أنهم عرب راحلين بعيا لهم قاصدين للنفقة فقالت الجازية للامارة.
 ان صدقني حذري هؤلاء عربان هاربين من وجه دياب قاصدين بلادنا فقالوا ايلزمنا انكشف
 خبرهم فقالت الجازية سيروا لنقصد النار الاكثر اشتعالا لانه هناك يكون اميرهم
 ثم رحلوا بين العرب فنظروهم بعض الناس فذهب لعفد الامير ماجد واخبره اني
 نظرت ثلاث خياله غرباء دخلوا في قبائلهم من بني هلال وشرح لهم صفاتهم وبيننا
 هم في الكلام الا ودخلوا الامارة والجازية عليه فقام لهم واقفا على الاقدام وتوحيب
 بهم واجلسهم وقدم لهم الطعام فأكلوا ثم قدم لهم القهوة فشربوها وبعد ذلك قالت
 للجازية كثر الله خيرك يا ابن عمي ماجد فقال اراك عرفني ايها الشاب الظريف.
 وانا ما عرفتك فن تكون فقالت له صدق المثل الذي يقول من غاب من العيين سلاه
 القلب فقال بالله عليكم اخبروني من انتم فقالت له الجازية اخت السلطان اتينا
 نأخذ بشارتنا من دياب فوصلنا الى هذا البئر في هذه الساعة فسمعناكم وقصدنا
 انكشف خبركم فلما سمع كلامها ماجد صفق على يديه من الفرح وقال أهلا وسهلا
 بصبري ثم قام واقفا على الاقدام وصار يقبل الامارة وهو لا يصدق من عظم فرجه
 ثم حكى قصته مع دياب وكيف بحث طلب بنته مع هندس وكيف غلظ عليه الجوار
 وقال ان بنتي مخطوبة الى بريقع ثم شاع الخبر فصارت تهضر امارة ماجد وتسلم عليهم
 وبقوا مدة ثم بعد ذلك قال ماجد الحمد لله صادفنا بعضنا في هذا المكان فاعاد لنا
 الا المسير لاخذ النار وانا بلغني ان دياب صار خرفان وما عاد عزمه كالاول وهو عمال
 يظلم في الرعية من قلة عقله وصار الكل يكرهونه فقالت الجازية في غد ان شاء الله
 نكتب مكنوب الى بني دريد ونحرقهم ليقوموا معنا يساعدونا لاخذ النار فقالوا
 هذا هو الصواب ثم دعوا الامير ماجد وساروا واخبروا ببقية الامارة ففرحوا
 الجميع وفي ثاني الصباح ركب ماجد واتي الى الامارة وسلم عليهم جميعا فترحبوا به
 وقدموا له مزيد الاكرام ثم بعد ذلك اخذت الجازية تكتب الى الامير طوى
 وتنجي قومه احرب دياب وتقول :

تقول فتاة الحبي أم محمد	وقاي قبل اليوم قد كان مغبون
وقد كنت محرونة من الهم	هل فقد ابن سرحان والقيدوم

أبو زيد أتى والنبي مانسيفته وكان أمير إلى الأسرار كنوم
 أميرين والله ليس يوجد مثاهم وكان لهم سعد قوى مخدوم
 قتاهم أبو وطفا دياب عداوة يجازيه ربي الواسد القيوم
 يا أيها الغادي على من ضامر تسبق هبوب الريح وكل اسوم
 لوجشت لأرض القير وان قابس تلاقى بها الرغبي أمير حكوم
 فسلم على طوى خليفة عمنا أمير كريم خليفة المرحوم
 وسلم على أهل دريد جميعهم أماره ايوثا مايم غيشوم
 وقولوا له أن الجازية أم محمد تنبيهكم الاخبار ثم علوم
 إن كان أنتم تحضروا وتوافقوا فتحضروا حالا اقضى معلوم
 ولا تنسوا فضل أبو زيد وحسن ولا تتركوا تاراتهم يا يوم
 فردوا لنا منكم بالعجل يا خليفة المبرور والمرحوم
 فلما فرغت الجازية من كلامها أرسلت الكتاب إلى ابن مالك فأخذه الفجاب
 وسار فلما وصل إليه السكفاب أخذه وقرأه ففرح فرحا لا يوصف وسار وعرض
 على بقية أماره بنى دريد ففرحوا جميعا وقصروا الجواب فعند ذلك أشار يكتب ويقول:
 يقول طوى والدموع غزاري والنار في قلبي تزيد سعادى
 الله أكبر زال عنا همنا وقلوبنا فرحت بذي الاخبار
 من ١٥ عام في أسر العدا وفي القلب منهم دوم شعله نار
 لما سمعت أخباركم يا جازية أضاء علينا الحى والديار
 ففرحوا بكم أهل الديار جميعهم نسوا من فرحوا بأخذ النار
 اقرأوا سلامى للأمير بريقع أيضا شيدان وكل أمارى
 يا جازية هاتى للقروم امرعى لعند أبو وطفا لأخذ النار
 دياب غدا خرفان وخيله انقطع ما أعاد له عزم البارى
 ما قال طوى خليفة مالك لاخير في قوم يسكون فشارى

فلما فرغ طوى بن مالك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وقال للرسول سلم
 على الجازية والامارة وقولوا لهم نحن قاتلين ومقتولين معهم فأخذ الرسول الكتاب

وسار يقطع الفيافي حتى وصل لعند الجازية أعطاهما هذا الكتاب فقرا أنه بحضور
الامارة ثم قالت والله العظيم أنا قلى قال والله العظيم أنا قلى يقول أن دباب لا بد
ما يغدر بقومنا لأن هذا الخبر لا يخفى ثم كتبت مكتوب إلى طوى بن مالك تقول
له خذوا حذركم ونهار غد العبد إذا حضرتم لعند دياب فالجسوا وادروا عنكم واسلمتكم
تحت أيابكم ونحن نعمل لعندكم يوم العيد فانه قسموا فرقتين نصف يجلسوا على المائدة
والنصف يقولون اكبوا خبوا لهم فسار الرسول حتى وصل إلى عند طوى بن مالك
فقرأ الرسالة وقال هذا الصواب فاهدكم من السلام والفسكر الذى افكرته الجازية
لأن بنى زغبة اخذوا الخبر ونظروا إلى بنى دريد يخفى حالهم دائماً فى اجتماعات
وأسرار فأخبروا دياب وأطلعوه على حالهم فقالوا له كيف رأى ونحن خائفين من
غدرهم وغدر أرواد حسن وأبو زيد فقال لهم ان رأى عندي ان نعمل وليمة على
العبد وعنده ما نحتمموا أو همهم واقتلهم ولا تدعوا من أكابرهم أحد .

(قال الراوى) وكان ثانى يوم عيد الضحية فعمل دياب الوليمة ومد السباط وكان
شئ يدهش العقول وعزم بنى دريد وأكابرهم لحضروا ودخل نصفهم وجلسوا على
الطعام وبقي النصف الآخر على ظهور الخيل وفى تلك الساعة ارتفع الصياح وعلا
من كل ناحية ورفع الصوت فى بنى هلال وارتجت الأرض من كل مكان ووقعت
الضحية الصحيحة وإذا بالطبول دقت والرايات ظهرت وانتشرت والراح انعكفت
والاصوات ارتفعت والنساء زغرطت فعمد ذلك سأل عن الخبر فأخبروه بما جرى
من اليتامى وانهم خبوا بالبوش وقتلوا الرعيان وطافوا على البلد من كل مكان فعمد
ذلك ارسل دياب إلى ابن اخته بريقع جوراً يأمره بالقتل وبعثه مع تجاب فأخذه
وسار إلى بريقع فأعطاه الكتاب ففضه وقرأه وعرف رمزه ومعناه وقال الله يعلم
إن خالى خرفان ومراده أن ارد له البوش ونحن لا نرضى بالبوش ولا بغيره إلا
أخذ روحه العزيزة عليه ثم أشار الأمير بريقع يقول :

يقول ابن حسن الأمير بريقع وعلفت بقلبي والحشا نيران
على ما جرى فبنا وما قد أصابنا من ابن غانم راجح الميزان
وبيع المعاييب خالنا ولد غانم وهو خالنا بالسر والاعلان

وإن عابنا نرى ما نعيمه ولا يحكى بحقه نقصان
علمنا بأنك يا ابن غانم فارساً ويوم الوقائع راجح الميزان
واسكن ما للخال إلا ابن أخته فانض ولا فني إلى الميدان
إما تقتلني وتملك اسمعتي إما بصدك أطلق العيdan
أنا ابن القرم سلطان عامر أمير الملا حسن ولد سرحان
لنا دين عندك وجينا نريده فأخذه أن قدر الرحمن
ونأخذ منك النار ونشفى غايانا ويزيل عنا الهم والاحزان
ونبقى بعدك في سرور وفي هنا وتطيب لنا الاوقات والازمان
فلما فرغ بريقع من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى دياب فقرأه وعرف
رموزه ومعناه فتكدر وأشار يكتب إلى بريقع :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم وأجفان عيني تهمل العبرات
على زمان تقضى راح وانقضى وكنا بطيب العيش واللذات
ذكرت أنا نحمد قبل رحيلنا وكما بها في أحسن الفعات
فقالوا الامارة من بريح مغربا وبكشف لنا أرضا بها الخيرات
قالوا جميعاً مالنا إلا سلامة أمير ابن أمير صاحب الهمات
أبوزيد العربيان ليس مثاله خيراً ويعرف سائر اللغات
فقمنا جميعاً كلما لحنا وقلنا له يا صاحب الهمات
أبوزيد يروح يكشف الأرض وانظر لنا أرضا بها الخيرات
فقال سمعاً لكم يا أعمامنا أبو زيد ثلاث لآل ف لازمات
بسرعة اتوا ثم ساروا جميعهم قطعوا جميع الأرض والفلوات
مرعى ويحي وبونس أبعدهم اختارهم دون الملا رفقات
وجانا أبوزيد من العرب وحده وأخبرنا ماصار بالعبيات
ونادى ابن سرحان فخلوا ولا عافى نحمد سوى الخشرات
وامتد اضغان الهلال مغربا كما بحر في الامواج متلاطمات
قتل منا تسعين أميراً أكارمة قروما أماراة كلهم سادات

وجيت لميدان الزناني خليفة
 وجاب في الميدان ساعة وعاد
 وقال لي ما اسمك قلت غانم
 فقال دياب احقن الدم بيننا
 فقلت ما جاءك الموت عاجلا
 طعنته بحربة من يمين ابن غانم
 وما سكنهم للقيروان وقابس
 أخذت أنا ثلث البلاد بهمتي
 والثلث أخذه ابن سرحان حسن
 تعاون حسن أبو زيد بعد اوقي
 قلت أنا حسن الهلالى قربي وقد
 بملك ملكه ابن وزق سلامة
 وصالحني والقلب منه أسود
 وهجموا الامارة بعده من بلادهم
 وجيتوا اليينا تطالبوا التار عاجلا
 أنا فارس الهيجا دياب بن غانم
 حسن وسلامه وزناني خليفة
 فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه وأرسله إلى بريقع فضه
 وقرأه وعرف رموزه ومعناه فأمر بالركوب فركبوا اليتامى ودقوا طبول الحرب
 وأخذوا بسلاحهم ونشرت بيارقهم وزغرطت لهم النساء وانضم لهم قومهم بنى دريد
 وبنى زحلان ونزات بنى زغبة إلى الميدان يتقدمهم دياب فرخ العقاب وأسد الغاب
 وحذاف الرقاب وهو من الكبر صار شعره أبيض كالنواجظ وظهره محنى كالقوس
 فاصب ميدان الحرب رقاد كل فارس قبال فارس فعند ذلك برز إلى الميدان فارس
 من بنى زغبة اسمه الدمام وطالب بمبارزة الفرسان فقالت الجازية ما أحد ينزل إلى
 هذا الفارس غدى فقالوا لها الامارة هذا علينا إذا نزات نخاف عليك لئلا تقبلى

فيمير علينا العار أكثر ولا تظنى أن الحرب مثل لعب الجريدة فقالت لهم وذمة العرب والرب إذا طلب غلب والنزى المنتسب ما ينزل إلى هذا الفارس غيرى فعند ذلك قال الأمير شيبان يا أماره اتركوها تبرز إلى هذا الفارس ونحن نقف بأقرب منها فإن رأيناها مغلوبة ساعدناها وإن رأيناها غالبة تركناها فعند ذلك مرزت الجازية إلى الميدان وهى متقلدة بالسلاح هى والأمير دهام وصار بينهما كروفر وطعن يقصف العمر فاستلكت السيف وضربته على هامه أرمت رأسه فوق قتل وفى دمه جديل فاغتاظ دياب وقال من يكون هذا الفارس الذى قتل فارسنا واليتامى ما فهم فارس إلا تخيمر بن زيد وتخيمر مات فى بلاد الكوع وبينما هو فى الكلام برز من بنى زغبة فارس اسمه حمزة بن الأفرح صدم الجازية وضربها بالرمح فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة فاعتدلت وضربته بالرمح فى صدره طلع من ظهره فوق قتل قتل فقالت بنى زغبة ما لهذا الفارس يا أمير سواك فعند ذلك برز الأمير دياب إلى الميدان وقال إلى الجازية من تكون أيها الفارس المتفخر على أبناء جنسه فقالت له أنا ابن هذا الميدان فمالك والسؤال فقال لها لا أقاتل إلى من كان حسبه من حسبي ونسبه من نسب فقالت له أنا كثر منك حسباً ونسباً أنا الجازية أخت الأمير حسن وصديقه الأمير أبو زيد ولد جئت لأخذ النار فضحك دياب حتى استلقى على قفاه وقال لها متى تعلمت الفروسية وأنا ان قتلتينى لا أقاتلك لأنه عار أن أقتل امرأة مملوك لأنه لا يليق بى هذا الأمر وإذا قتلتك يقول الناس دياب عامر مملوك الأرض بالطول والعرض يبرز لحرب امرأة روى أرسلى الأماره فقالت له ما أروح من هنا حتى أحاربك يا خائن يا غدار فقال يا جازية بطلى كلامك الفشار وارجمى إلى أولاد الأماره أتعلم بآبائهم فقالت ما بالك ولهذا الكلام أنزل الميدان حتى أذيقك الموت ذلك دى خائن وما جزاك إلا قطع رأسك فلما سمع دياب كلامها لعبت برأسه نخرة الرجال فرفع رجله وضربها على جبينها بقوة عزمه دفعها عن الحصان أدرع فوة على الأرض ميتة فقال أولاد الأماره موت عمتكم لأنها قد تطاولت فقالت جبنها رجع دياب من وناها وقال فى باله الله يلعن القبطان ما كان لازم هذا أمره وأما الأماره أخذت الجازية كفنها وعلوها هاهاها عظيمة وبكى

عابها القريب والبعيد وفي ثاني يوم برز برقع إلى الميدان فبرز إليه دياب والتفوا
البطلين كأنهم جبالين وحن عليهم الحين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين مقدار
ساعتين من النهار وبعد ذلك نام دياب بعزم الركاب وضرب برقع بقفا يده أرماء
إلى الأرض وصاح أولاد الأمانة قدموا أخذوه قبل أن تصيبه مصيبة ثم صار
يضحك عليهم ويقول في نفسه لولا وصية أبو زيد لى كنت أفنيهم على آخرهم ولكن
خليلهم يعرفوا مقام أنفسهم وأما اليتامى فأنهم وقعوا عند ماجد يتشاورون فقال لهم
ماجد هذا دياب ما على الأرض أفرس منه فان مرادكم أن تقاوه واحد بعد واحد
يفنيكم عن آخركم والرأى عندي أن تجمروا عليه هجمة واحدة حطوه بالوسط ولا يذ
ما تصيبه ضربة ليقع على الأرض فلا تتركوه حتى يموت فقالوا هذا هو الرأى
الصواب والامر الذى لا يعاب وبانوا تلك الليلة وفي الصباح برزوا يطلبون الحرب
والكفاح ودقوا الطبول وتقدم أمام الجميع برقع فاما نازهم دياب ضحك وقال والله
مرادى أقاتلهم بلا درع وعلى كديشة عرجا فذموه قومه وقالوا له أنت رجلا كبير
فما السلم معك على ذلك فبرز دياب بلا درع وما معه إلا السيف والترس فالتقاء الأمير
برقع ووقع القتال وانحدفوا اليتامى مرة واحدة فالتقاهم وصاح فيهم صيحة ارتجت
منها الجبال وأراد أن يضرب برقع بالسيف بقطعه قطعتين فطرحه شيبان بالاربع
من بعيد وقع في جنبه دياب على الأرض من عظم الألم فعند ذلك تقدموا الأمانة
وقال له برقع كيف حالك الآن ثم تنفس دياب وقال أنا شبع من الدنيا وهذه
مقدار كل موة ولها سبب وأشكر الله الذى امت قتيلا أولاد حسن وأبو زيد ولا
قنلى أحد غريب فلما فرغ دياب من كلامه غاب عن الوجود مقدار ساعة ثم أفاق
وصار يودع الدنيا ويستغفر من ربه يقول :

يقول الزغبى دياب ولد غانم سبجان ربى مالك المالكوت
سبجان رب العرش جل جلاله له الحمد والإحسان والمثبوت
سبجان من أنشأ من العاين آدم وجرت له الافلاك بعد سحوت
سبجان من خلق الخلائق جميعها وهدم بالحق والمثبوت

خلقهم وتسكفل تقسيم وزقهم
يا أولاد العم قولوا سلامي
هلال وعامر مع دريد وزعي
لهم جيش مثل البحر إذا كان ذا
لحكم من ملك جامم وكم قبيلة
قدمت على فعل بهم أدامتي
قتلت أمارتهم وأخذت بلادهم
بلاد السودان والغرب كلها تح
وعشرون تحت منهم ما سكنها
هجموا أهلها وخافوا من اللقا
أيا نار قلبي على فراق أبو علي
أنا مفارق الدنيا وذاهب لغد
مقال الزغي دياب المفارق
أيا موت قد زرتنا ثم دنوت

فلما فرغ دياب من كلامه أسلم روحه فرحة الله على الأمانة أجمعين وبعد أن
مات قال بريقع أحضروا السكين التي ذبح بها أبي فأخضروها فقطع بها رأس دياب
وفصله عن جسده وتركه ورجع فانوا قوم دياب فأخذوه وكثروا عليه البسكاه
والعويل ومزقوا ثيابهم وناحوا وصاحوا وسرجوا الحبول سودورفعوا البيارق
السود ودقت طبول الحزن واجتمعت الأمانة من كل ناحية وعند ذلك دفنوه بعد
أن بكوا عليه وعادوا إلى بني زغبة فوجدوهم طائعين سامعين وجلس بريقع ملك
على بلاد الغرب وراقت له الأحوال ورتب الملك بحسب الشهادة وأقام شيبان
وزق وزرائه عنده وانتهى في وسع ماله وما سأل عن أولاد خاله فهذا ما كان
من لسرين زرجة دياب فإياها لما قتل زوجها قالت لابنها لابد من أن أولاد حمك
يعملون حيلة عليك ويقتلوك ويرتاحوا من دياب ويخافون منك اثلا تأخذ ثارك
منهم فمننا أركب الشهباء وسير عنده أحد من أصحاب أبوك فبينما هم رأت مناسيب
لأخذ الثأر فعند ذلك ركب نصر الدين على الشهباء وأخذ أمه وراه وخرجوا من

البلاد تحت جناح الظلام ولما أصبح الصباح وطلع ضوء النهار كانوا بعبيدين جدا وما زالوا ساهرين تارة يجلسوا ليرتاحوا وتارة يسيروا حتى وصلوا إلى غدير جبل وعليه رعيان تسقى جمالها والبنات والنسوان تلعب حوله خول نصر الدين والدته فأكلوا وشربوا وقاموا لمدة حين نأوا وكان بالنصر ورد إلى ذلك المنهل صبية كانها شمس منيرة طول الزرائب بعينين زرق وحاجبين مقوسين مشفتاهما كالعباب وفما خريم الاحباب تساب من رأها بحسنها ودلالها وقدها واعتدالها فاقربت منها أخرجت اللثام وسبقت في طرح السلام وأما نصر الدين لما نظرها طار عقله وأخذت قلبه وقال أهلا وسهلا ومرحبا وتقدم وخاطبها وصار يسألها عن حبيبها ونسبها تقول :

يقول نصر الدين بن غانم	يا مرحبا في نجمة المصباح
أهلا وسهلا ثم الفين مرحبا	فالعقل يا مليحة راح
يا الله أخبرني يا مليحة بأصلك	واين منازلكم مع الابراج
وعن اسمك أو كيا مليحة واسمك	وعن قومك إن كانوا قوما ملاح
لأن قلب يا مليحة السكوى	وجسمي انضى والقلب منى راح
وان سألت يا مليحة نسبي	أسمى نصر الدين الفارس الهطاح
أبوى دياب الماحد المستحب	جري صيته في برها وبطاح
حالوا علينا أهلا يا مليحة	قتلوا أبوى كان عزه لاح
وأنا يقيم الأب يا بنت افهمي	غالى مساعد في العنا ونواح
صراضيوف الخيرين بأرضكم	حق ألمي بحسن الاتراح
ردى جوابي يا مليحة بالعجل	أخذت جسمي مع الأرواح

فلما فرغ نصر الدين من كلامه والصبية تسمع نظامه انسحب قلبها من كلامه وبكت لحاله وطار عقلها معها لما عرفت أنه أكبر الفرسان وزادت محبته عندها ثم أشارت تجاهه وتقول :

قالت فتاة الحى بانى التى شككت	جري الهوى خلى الفؤاد شعال
حملك أيا نصر والله أضنانى	وأدعى لقلبي فوق نار خيال
أنا بنت صالح يا أمير بلا خفا	أبوى أمير فارس قتال

أبوى أمير ابن أمير وأهيرة حاكم على المسكناس بالاحمال
 أنا وحبيده ناصر عند أبي ربييت في قومي بعز دلال
 إن كنت قاصير يا أمير بوطننا اهلا وسهلا بيلك يا مفضل
 هيا بنا يا أمير نحو نجوعنا وحبك بقلبي ليس منه زوال
 وراحم فتاة الحى يا ولدك غانم تعال قمت بالحب وهى تمتد كالأطفال
 ونقضى بقامعنا العمر سوية ونعيش بخير وصفوة بال
 مقالة فتاة الحى بانى التى شكت نار الهوى جالت عظامى حلال
 فلما فرغت الست بانى من كلامها ونصر يسمع نظامها كادعقله يطير من شدته
 الفرح وأما أمه تقدمت إلى بانى وقبلتها بين عينيه وقال لها اذهبي إلى أبيك واخبريه
 بما أنا فان أراد يرسل يأخذنا لأن ذهابنا معك يشين بعرضك ولا يابق بحقنا فودعهم
 وسارت وعند وصولها إلى عند أبوها وقعت عليه وصارت تقبل يديه وقالت له
 يا أبى لقيت على الغدير امرأة غريبة ومعها ولد لها شاب قد نظرت منهم ما يحزن القاب
 وهم قاصدينك من بلاد بعيدة وأخذت تفهمه عن حاتم فامسح الامهر صالح كلام
 ابنته أخذه العجب وانهر من الاتفاق العجيب لأن دياب كان خلص له امرأة من
 بعض أمراء العرب وقتل له خصمه وبقي حافظا لهذا المعروف ولما سمع من بنته
 أن دياب قتل وابنته على الغدير ففرح جدا ووثب واقف على الأقدام وأمر العبيد
 أن ينصبوا صيوان الحرير أمام صيوانه وركب في مائة فارس وسار إلى الغدير
 وتقدم إليه الأمير نصر الدين وقبل أياديه وقبله صالح بين الأعيان وقال اهلا وسهلا
 يا ابن الامهر دياب وصاحب المعروف وفارس الأرض الذى صوته رعب الأطفال
 في اليهود ويرجف الاسود وكانت الشمس قاربت الزوال فرفعوا نصر الدين على
 هودج وصار نصر الدين على شهباء وصار بين الامارة والامهر صالح لا يرفع عينيه
 منه لانه رآه جميلا جدا ورأى قطعه كقطعة الفيل وعلامة الفروسية تقدم له
 لا تشهد عليه ولما وصل إلى الخيام لاقتهم البنات وامراء العشيرة فحولوا بالصيوان
 الذى نصبوه ولما دخلوا وجدوه مفروش بالحرير ورواوش وزخرف ولما استقروا
 للراحة حضر لعندهم الطعام والمدام وباتوا تلك الليلة منشرحين مسرورين وفي ثافة

يوم اجتمعوا الامراء والاعيان عند الامير صالح فأقبحهم إلى صبيوان نصر الدين
فقام لهم على الافدام ولا قام بالترحيب والإكرام وبعد أن جلسوا وأخبرهم نصر
الدين بقصة والده فبكى صالح عليه وجمع رجال قومه وناسفوا عليه وصاروا
يعزوا نصر الدين وقال له الامير صالح لا تتكدر يا ولدي فمن خلف مثلك مامات
واصبر على حكم الله لأنه قادر على أن ينولك مرادك والآن حيث كبرت وماعاد
لي اقتدار فرادى أن أنصبك مكانى حاكم على العشيرة وقد زوجتك ابنتى بلامهر صدق
فتعجب الامير نصر الدين من كرم الامير صالح ووثب وقبل يديه وشكره على معرفته
(قال الراوى) ثم انصرفوا وصار الامير صالح يهيئ لوازم العرس وأرسل إلى
جميع القبائل يدعوهم إلى عرس ابنته فتواردت العربان من كل جانب ومكان وقاموا
الافراح والليالي الملاح ودقت الطبول وانفخت الزمور وصارت الارض تنوج
مثل أيام يأجوج ومأجوج وعين الامير صالح مدة العرس أربعين يوماً فبحروا
النوق والاغنام ودارت ليل إلى الافراح ونهار الاربعين بنوا صبيوان الامير نصر الدين
والأميرة حلة من الحرير وأجلسوه على كرسي من العاج وصارت الفرسان تتوارد
إليه وتتصف حواليه وقام الميدان ولعب الجريد بين الأبطال وعند المساء خرجوا
العروس من عند أبوها وهي كالشمس المنيرة وهانها من الجواهر ما يبهج الأنظار
وركبوها على مروج عالي من الحرير المصنوب وبعد أن طافوا بها أدخلوها إلى
صبيوان نصر الدين وأنى القاضي والشهود وعملوا الفروض الدينية ثم انصرف
الجميع وبات مع العروس في هذا الموضع وأصبح ثاني يوم منشراح الصدر مسرور
الخطار وبقرا مدة أيام في مثل هذا الحال وبعد ذلك جلس نصر الدين حاكماً على
القبيلة عوضاً عن الامير صالح وباركت له في ذلك الامراء والاعيان وصار يتعاطى
على الأحكام ويمد في الرعية ويوجب ويعطى الشعراء والفقراء حتى أحبه القريب
والبعيد وصارت تنقل ذكره الشعراء من مكان إلى مكان ويوصفوا جوده وكرمه
وصار هو أيضاً يركب إلى الغابات ويصطاد الاسود والفهود وبسط كل على عاصي
ونمرود حتى طاعت لحكمه كل القبائل وصار له اسم وهيبة أعظم من أبوه .
(قال الراوى) هذا ما كان من نصر الدين وأما ما كان من أمير الامير برقع ملك

تونس فإنه بعد قتل الأمير دياب كثر ظلمه وطغى وبنى وتكبر ولا حد يفرق بين الأمير والفقير وأكثر جوده على بنى زغبة وانعكف على معاشرة الفسوان واللمو واللعب حتى كره الغرب والاب ولا كثر بنى زغبة ولما أعيام الامر اجتمعوا عند الأمير خطير أكبر أمراء بنى زغبة وقالوا إنا أنبأنا لنشريك في أمورنا لأن ما عاد لنا طاقة على ظلم أعدائنا وهم دائماً يتسلطون على أموالنا وحرماننا فلما سمع كلامهم الأمير خطير أطرق رأسه إلى الأرض برهة ثم رفع رأسه وقال يا قوم أنتم عمائم بحالكم هذا العمل لأنكم تهاونتم وما أحد منكم شبر سيف فروجه اليتامى وقتل الأمير دياب وانتهيتم لقتله ولكن أنتم تعرفون أن لا يفرجكم من هذا الضيق إلا الأمير نصر الدين لأنه فارس مغوار فالأوفق نستخير عنه في أى أرض ونرسل نستدعيه يستلم قيادة الفرسان فقالوا افعل مرادك فنحن لا نعرف تدبير هذا الأمر إلا منك فعند ذلك أرسل الأمير خطير استدعى الأمير شاعر خبير بالبلاد والقبائل ذلك وقال اعطوني رفيقين فاعطوه واحد اسمه حامد والثانى اسمه منصور فلبسوا عياب الشعار وكذا الباب على اكتفاهم ومضوا في ذلك اليوم وصاروا بطوفوا البلدان ويمدحون العباد وبقوا على هذا الحال مدة شهرين حتى وصلوا إلى غدير ماء في بلاد الفاس المسكناس فجلسوا على الغدير ليرتاحوا فوجدوا جماعة من الرعيان إذا كان قصدكم العطاش فاقصدوا البحر الغزير الفارس الخطير والسيد الشاهر نصر الدين فقال ناصر من هذا قال هو أمير حجازى أنى إلى بلادنا لأن قومه بنى هلال قتلوا أبوه وتزوج بذخ أمهنا وصار الآن حاكم على بلاد الفاس والمسكناس ولا أظن يوجد فارس منه على وجه الأرض وقد سمعنا أنه أبوه كان فارس مشهور وبطل صمد يد قهر الملوك والابطال واسمه الأمير دياب فلما سمع الشاعر ناصر هذا الكلام كاد يطير من الفرح وقال بالله عليك يا ابن العم دلنا على هذا الأمير فنحن من عربيه وصير لك عنده المقام الأكبر لأنه ينسب منا ويحب أن ينظرنا ومعنا له أخبار من أهله فسار كبير الرعيان أمامهم حتى وصلوا فوجدوا المجلس محبوك فجلسوا في الخارج فالتفت نصر الدين وجد شعاع خارج الباب فقال تفضلوا يا شعاع وشرفونا فدخلوا فأمر أن يأتوا بالزاد فأكلوا وأحضروا لهم القهوة وبعد ذلك قال

لهم الأمير نصر الدين هاتوا سمعونا يا شه ار ما عندكم من الاشعار فاعند ذلك اخذ
ناصر وبابته وأشار يمدح نصر الدين يقول :

يقول الفتى ناصر على ماجرى له	ودمع عيني على الحدود ذروف
يا مملك اسمع كلامي وقصتي	وافهم الى قواي وكن اصوف
نحن قرانا اشعار بالارض كلها	نقصد ابواب الخورين اعاف
طفنا بلاد السور والكرج والبن	وزرنا المداين كلها وحروف
يدعى ويقع بولد الهلال ابو على	له صيت اشتهع من حريق الصوف
دخانا لعنده يا مملك في قصره	مدحناه في قول مابح يتوف
من بعد قول يا مملك جاد بالعطا	وهب انا عنزة ومعه خروف
قلت له بريقع ما تخشى بالعطا	ماهي الى ابوك ابو على الموصوف
وامر بضربي ثم ضرب رفاقي	قمنا هربنا والعقل صار حقوف
حيثما الى نختا يا امير بجريا	ولد ناصر اليد الموصوف
امر لثافي الف دينار احمر	ومائة ناقة والى راس خروف
ودرنا على كل الزغابي جميعهم	تراهم كما زهر الربيع هفوف
ولكن ترى سلطانهم بريقع منكدا	له وجه معتم اغبر منكسوف
لما دياب الخيل راح وارتمل	ذهب عزهم والعقل زاد خطوف
لما اردت وداعهم قد وقفوني	يوصوني وصاية كاملة الوصوف
يقولون لي بالله يا شاعر استمع	لنا فاقد بالعطا موصوف
يدعى نصر الدين من نسل غانم	وابوه دياب الفارس الموصوف
ان كنت توجد لنا يا شاعر	اعطيك كل ملاكنا وحروف
وقول له يركب الينا وينحدر	فوق شبهة شبهه بحرف يطوف
عسى يعود السعد الينا بريقع	وتعود لنا أيام الهنا وتشوف
فرحنا ندور في البلاد كلها	اعل الاقي الفارس المسكوف
وناخذ البقشيش من آل زغبي	ويزول عنهم الهم والمتوف
سمعنا بصيتك قبل ان ندخل الحنا	بألك صيدع فارس معروف

فقدنا عتابك يا مملوك جود بالاعطاء وأجبر فؤادى لانسكون غوف
فلما فرغ ناصر من كلامه فزرو الشعار هل أقدامهم وكشفوا عن وجوههم
الثناء وقالوا له والله نحن أولاد عمك وقد أتينا بصفة شعار لندور عليك في البلدان
حتى تهيم وتخلصنا من ظلم بنى هلال والحمد لله الذى رجدناك في هذا العز فلما عرفهم
ناصر الدين وطلب اليهم وجعل يقبلهم ويسلم عليهم وسألهم عن الامارة واحدا بعد
واحد وقال لهم يلزم أن تبقوا عندنا ثلاثة أيام وبعد ذلك ترحلوا تبشروا قومى انى
بعد ثلاثين يوما اركب من هنا بقومى وبعد ستون يوما اكون عندهم وأفرج عنهم العار
ويعود لهم الزمان كما كان فأقاموا عنده ثلاثة أيام خالط كل منهم خلطة ملوكية وأن
تساق امامهم الامام فأرادوا ان يستمعوا فقال لهم لا بد أن تأخذوا إلانى سمعت لكم
فيينا حيث كنتم شعاروا وانما لا يمكن أرجع بما أعطيتكم وبعد ذلك ركبوا وحطرتهم كل ما
وهمهم وساروا بقطعة من البرارى والقفار حتى وصلوا الى بيوتهم وأخذوا لانفسهم
الراحة فمرفق بنى غبطة لدارهم فأبوا وسلوا عليهم ومهمهم الامير خطار وبعد أن
شربوا القهوة قال لهم الامير خطار ما اتوا بالذى رأيتهم فصار يخبرهم ناصر بقول :

يقول الفتى ناصر عما جرى له	يا قوم اصغى للحديث الى جرى
درا بلاد الغرب والديار كلها	حق بلاد الفرس وأرض كوجرا
رحنا الى مكناس في عشرين رجب	اوم ملك والله سبع غضفرا
اشقر طريف القد حلوا الياسمة	يشبه دباب الخيل يا أهل الورى
ما شفت مثله بالكرم يا أهل السكرم	يجرى عطاء مثل فيض الابحرا
له صيوانا وميتين اميرا حوله	والفين هبدا واقفة متشورا
وميتين بملوكه امامه تخدومه	مثل الكواكب حسنهم متقمرا
يقضى ويمضى والايام تطيعه	ومن خالف كلامه يقمرا
دخلنا عنده بالمسا وقت العشا	وأنا بصفة شاعرا حوالى مشكرا
بعد أن أكلنا وشربنا الشراب	عدلت أنا بابنى يا أهل الورى
وأخبرته عن قصتى وعن سفرى	وهن حاليا يا قوم الذى جرى
طلب إلينا وقال اهلا وسهلا	انتم عماى أولاد عمى الانصرا

وقال لي روحوا لأهلي وبشروا إلى أعمامنا وأخوالنا ولاصمرا
لازم أجيبهم فوق شهبها مبرشمة تهبه إلى ربيع الشمال إذا جرى
واقبل هدوى واشتقى من قتله وافنى أكابرهم كذلك الاصغرا
أنا نصر الدين ما في خفا ادعى الفوارس بالحرب مقمرا
أوهب لنا هذه الأموال جميعها نهبز ملوك الأرض وتقصرا
يا آل زغبى أبشروا في معدكم قد غاب نجم النجس عنك وانذرا
من بعد شهر كامل يأتي لكم شبه سبع لو قلت من موكرا
شدوا حزام خيولكم يا قومنا جانا مفرج من عند رب مقورا
ما قال انشر راح عقلى والشرد مما نظرنا في عيون المبصرا
فلما فرغ نصر من كلامه والوغي يسمع نظامه طاروا من شدة الفرح وما أحد
إلا وتقدم ناصر وأدوا له الشكر الجزيل ودارت الأفراح في الحى وأخذوا من
ذلك الوقت يمشوا حالهم إلى الملتقى وعند فروغ اليوم المميين خرجت الأماراة إلى
خارج البلد وطلعوا إلى تل عالى ونظروا إلى البرساعة فنظروا من غبار فصبروا
عليه فأنجلى على فارس راكب شقرا كأنها البريق ووصل اليهم فقالوا له من أى موضع
قادم قال من عند سيدي حاكم فارس والميكناس الأهر نصر الدين وسبب قدومى هو
لأبشر بنى زغبة بتشريفة فى هذا التار فحدث ذلك أدهاوا خبر الجميع بنى زغبة خرجوا
تسعين ألف فارس فى الحديد غواطس ومعهم الراية البيضاء التى كان يذشرها دياب فخرجت
مهيبة خيولهم ستين ألف فارس وخرجوا قوم بنى فايد تسعين ألف فارس وما بقى
فى نواس إلا بنى دريد وبنى زحلان وجماعتهم مائة وثمانون ألف فارس وأما جملة الذين
خرجوا الملتقى ما يتبين وأربعمين ألف فارس من كل مدرع ولا بس فى الحديد غاطس
وأما من العبيد والاولاد والنساء لا يعلم عددهم غير رب العباد ولما تكامل خروج الفرسان
مشوا جميعهم بمقدار ساعتين فوصلوا إلى مكان واسع جميل المنظر وذلك المكان
يدعى برشان غولوا هناك وما أخذوا لأنفسهم راحة إلا والغبار نار والجو بدد
الصفى تسكدوا نار ذلك الغبار حتى لحق غمان السها وبعد ساعة انجلى ذلك الغبار فبان من
بيارق مغربية وخيول شامية فرسان عنكاسية ورماح خطية وسيوف عجمية ودروع

داودية وخوذ سلمانية وطوارق هندية وفي أول تلك الخيل فارس طويل القامة حريض
الاكتاف أشقر اللون أزرق العينين عليه درعا دوى مطبوع في الزرد وعلى رأسه
خوذة من عمل الهند وعلى كتفيه ومخ طويل مكعب وعلى يساره سيف مسطرب
وراكب حمرية عربية كأنها الحمامة الشهباء بنت الخضر الأصلية وهو في ظهورها كأنه
نمر جارج وليث فاضح وهو الأسد المهاب والفرخ العقاب مشعل القهر إن في الحضاب
السبع الاروع والبطل الصمدع الملك نصر الدين ابن الملك دياب الذي خضعت له
صناديد الرجال وعلى يمينه عمه الملك الصالح النر الجارج وعلى شماله الأمير صالح
الأمير المجازم والليث الحارم ومن وراءه عشرين راية وتحت كل راية خمسة آلاف فارس
ديوث عوايس فلما وصلوا إليه منهم البعض حول نصر الدين على أعين برشان واحد
يسلم على كافة الفرسان كل واحد بمفرده وبعدها أمر بنصب الخيام في ساعة وكان كل
شيء متم ونصبوا الملك نشر الدين وإلى عمه صبيوان على خمسمائة فارس من النحاس
الأصفر وعشرون ألف طنب وذلك الصبيوان من الحاربر الأخضر في أعلاه نفاحة من
الذهب الأحمر ومن داخله منقوش من تواريج الأوابين وعليه صور ملوك سالفين
نجاس نصر الدين على كرسي من الذهب وجاس عمه عن يمينه وابن عمه عن شماله
وسحب السيوف وقعدوا أمامه والخادم بين يديه والشاويش ينادى العزلة هذا
ما كان من هؤلاء أماما كان من بريقع بن حسن اجتمع مع وزيره شيبان وقال له
أرى اليوم بنى زغبة خرجت خارج البلاد هم في ضربة عظيمة فما يكون في ذلك فقال
ليس لي علم بشيء وهم في الحديث دخل عليهم هبند وقال لهم يا ملك أن الفرسان قد هوا
الأرض وأن من بلاد العرب فارس عظم وخرجت بنى زغبة إلى لقاء واجتمعوا على
عين برشان وسلموا عليه سلام الأخوان فلما سمع بريقع ذلك الكلام صار الضياء
في وجهه ظلام والتفت إلى شيبان وقال له من يكشف لنا خبرهم فأرسلوا جاسوس
فسار ودخل بنى زغبة وعرف الأمير وعاد فأخبر بريقع فعند ذلك صرخ من ملو
رأسه وحق من خاق السماء ورفعها من غير عمد وبسط الأرض لأخيلهم هيرة لمن اعتبر
فوحق من كون الأكلوان لادعى سنان رعى في صدره وسيف في عنقه وأمر بدق الطبول
ونادى على الفرسان تهنئي فوق الخيل ولتقت الفرسان وركب الشهبان وأما بريقع

لهم درع أباء و أثقاله السلاح و ركب بفت الحيداء و شيدان عمل مثله و خرجوا من
تونس في ٢٨ ألف فارس أسود عوابس و لما قربوا إلى عين برشان نظرتهم الأعيان
فركبت الفرسان الخيول و وقعت العين على العين و اصطفت المعسكرين أما الملك
نصر الدين لم يتحرك من مكانه و لما دق طبل البراز برز شيدان بن أبوزيد إلى الميدان
و طلب مباوزة الفرسان و قال لا ينزل لي كسلان و لا يلبد إلا السهات إلا ما جئته فلما
نظره نصر الدين قال من هذا الفارس قال هو شيدان بن أبوزيد فعزم أن ينزل
إليه فسبقه الأمير المجازم ابن أخو الأمير صالح و صدمه صدمة جبار فلقاه شيدان
فتلاطما و تراهما حتى طلع من الأتة ضربتين قاطعتين فكان السبق في الضربة الأمير
مجازم فطمخه بين البرز بين طلع الروح بين الروحين فوقع إلى الأرض يختبط بيده فلهذا
رأى برقع شيدان قتل نزل إلى الميدان و طلب مباوزة الأبطال و قال لا أريد ينزل
إلى حربي غير أميركم فأتهم كلامه حتى صار نصر الدين أمامه و قال له أسكت ياردي
لو كان فيكم فارس ينزل إلى حربي فالتفتوا كما تلتقي الأرض المطشاة أوائل المطر و صار
الأمير نصر الدين يقتل حول برقع في الشهاب مثل حجر الطاحون و أما برقع و جدد
حاله مع خصمه مغلوب و صار يستغتم فرصة ليفر من أمامه و لكن نصر لم يتمكن
من ذلك بل هجم عليه و صرخ و قال إلى أين يا كليب العرب و أنا وراك في الطالب و جذب
سيفه الضامى و قال الله أكبر و نزل به على برقع فسمه على الجواد أربع قطع و أشار
بيده إلى قومه فأنطبعوا على بني زحلان مثل القضاء المنزل فكانت ترمى إلا رؤوس
طائرة و دماء فائرة و فرسان عائرة و الغبار غطى العنان فلا سلم في تلك الواقعة سوى
أربعة واحد من قوم زحلان فعندها دخل نصر الدين إلى تونس و طلع في قصر
أبوه و تساطن على كل الغرب و صفيت له الأحكام و طاعته كل الانام و بقي في
بسط و الشراح مر تاحين في غاية السرور حتى أتاهم هازم اللذات و مفرق الجماعات

تمت قصة تغريبة بني هلال

بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال



Bibliotheca Alexandrina



0695234